



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

جوامع التلخيص

عَلَى كُرْسِيِّ الْإِسْلَامِ

إِبْرَاهِيمَ

الطبعة الأولى - ١٤٢٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جواهر التاريخ

كاتب:

على كوراني

نشرت في الطباعة:

مركز المصطفى للدراسات الاسلاميه

رقمى الناشر:

مركز القائميہ باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٣	جواهر التاريخ المجلد ١
١٣	اشاره
١٣	اشاره
١٥	مقدمه
١٥	اشاره
١٥	فجائع.. على هامش عاشوراء
١٦	جذور الظلامه
٢٢	كلمتان في منهج الدراسه
٢٥	تمهيد في القوانين والسنن الإلهيه في الهدايه والضلال
٢٥	اشاره
٢٦	١ - قانون: اقتران كل نبوه بأئمه مضلين !
٢٨	٢ - قانون الضلال
٣٢	٣ - قانون الإضلال
٣٣	٤ - قانون الإحباط
٣٤	٥ - قانون الفتنه الفرديه والإجتماعيه
٣٦	٦ - قانون الإبتلاء والإختبار
٣٨	٧ - سنه الله في اقتتال الأمم بعد رسلها(عليهم السلام)
٤٠	٨ - آيه انقلاب الأمه على أعقابها بعد رسولها(صلى الله عليه و آله وسلم)!
٤٠	اشاره
٤٦	ثلاث مسائل في تفسير آيه الانقلاب
٤٦	المسأله الأولى: في أقسام المسلمين في الآيات وأهم صفاتهم
٤٦	اشاره
٤٩	صاحوا في أخذ داعين الى الرده والإستسلام !!

- المسأله الثانيه: الصحابه المنقلبون فى معركه الخندق وحجه الوداع ٥٢
- المسأله الثالثه:هل أن آيه الإنقلاب تحذير أم إخبار بوقوعه؟ ٥٤
- ٩ - فتنه هذه الأمه بالأئمه المضلين ، على سنن من قبلها ! ٥٧
- ١٠ - فتنه هذه الأمه بالشجره الملعونه فى القرآن - ٦٥
- ١١ - ما اختلفت أمه بعد نبيها إلا غلب أهل باطلها ! ٧٠
- الفصل الأول : الموجه الأولى من اضطهاد عتره النبى وشيعتهم ! ٧٣
- اشاره ٧٣
- فهرس لموجات الظلم والإضطهاد على أهل البيت(عليهم السلام) وشيعتهم ! ٧٥
- تاريخ البشرى قام على ثقافه الغاره والحق لمن غلب ! ٨٠
- الموجه الأولى: الهجوم القرشى على بيت النبى(صلى الله عليه و آله وسلم) ٨٤
- الفصل الثانى : رفض قريش للعهد النبوى وترتيبها بيعه السقيفه ٨٦
- اشاره ٨٦
- الظلامات الهائله فى سقيفه قريش ! ٨٨
- اشاره ٨٨
- ١ - أكبر الظلامات فى السقيفه مصادرتهم لولايه الله تعالى ٨٨
- ٢ - ظلامه الإسلام فى السقيفه ٩٢
- اشاره ٩٢
- الدوله العلمانيه القرشيه تؤسس فصل الدين عن الدوله ٩٤
- ٣ - ظلامه الأمه فى السقيفه ٩٥
- اشاره ٩٥
- ذهول البراء بن عازب من انقلاب السقيفه ١٠٠
- ٤ - ظلامه النبى(صلى الله عليه و آله وسلم)برفضهم عهده لأمته ! ١٠٣
- ٥ - ظلامتهم للعترة النبويه(عليهم السلام) وأنصارهم ١٠٦
- الفصل الثالث : مأساه العتره النبويه(عليهم السلام) على يد قريش ١١٢
- اشاره ١١٢
- شهاده فاطمه الزهراء(عليهاالسلام) - ١١٤

- إشارة ١١٤
- ١١٤ الروايه الرسميه للخلافه لحادثه الهجوم على آل النبي(صلى الله عليه و آله وسلم) !
- ١١٧ روايه أهل البيت(عليهم السلام) لحادثه الهجوم على العتره !
- ١٢٥ عشره مواقف لفاطمه الزهراء(عليها السلام) يكفى الواحد منها لمن كان له قلب !
- ١٢٥ ١ - يوم بكت وأبكت أبها رسول الله(صلى الله عليه و آله وسلم) !
- ١٣١ ٢ - يوم بكى أبوها(صلى الله عليه و آله وسلم) لظلامتها .. وبكت لفقده !
- ١٣٤ ٣ - يوم واجهت المهاجمين لدارها !
- ١٣٦ ٤ - يوم أخذوا علياً(عليه السلام) فخرجت خلفه لتمنعهم من قتله !
- ١٣٨ ٥ - يوم دارت مع علي(عليهما السلام) على زعماء الأنصار وأقامت عليهم الحججه ..
- ١٤٠ ٦ - يوم أقامت مجالس العزاء والبكاء على النبي(صلى الله عليه و آله وسلم) وأصرت عليها !
- ١٤٠ إشارة
- ١٤٠ أين كانت تقيم فاطمه(عليها السلام) مجالس عزائها على أبيها(صلى الله عليه و آله وسلم) ؟
- ١٤٢ الأحكام العرفيه فى مسجد النبي(صلى الله عليه و آله وسلم) وعند قبره !
- ١٤٤ إجراء جديد لمنع مجلس فاطمه(عليها السلام) ..
- ١٤٧ أراكه الأحران.. وبيت الأحران !
- ١٥٢ مواظبه فاطمه(عليها السلام) على زياره قبر عمها حمزه(رحمه الله) ..
- ١٥٥ سُبحه الزهراء(عليها السلام) من تربه حمزه(رحمه الله) ..
- ١٥٧ ٧ - يوم جاء أبو بكر وعمر لزيارتها ليعتذرا منها !
- ١٥٩ ٨ - يوم خطبت فى المسجد النبوى فهزّت حتى الجماد !
- ١٥٩ إشارة
- ١٦٩ تأثير خطبه الزهراء(عليها السلام) على السلطه القرشيه !
- ١٧١ ٩ - يوم اشتد مرضها فجاءت نساء الأنصار والمهاجرين لعيادتها ..
- ١٧٣ ١٠ - يوم أوصت علياً أن يدفنها ليلاً سرّاً ولا يأذن لهما بالصلاه عليها ..
- ١٧٣ إشارة
- ١٧٥ أين هو قبر فاطمه ؟
- ١٨٠ الفصل الرابع: الأحداث التى غطتها الحكومه أيام وفاه النبي(صلى الله عليه و آله وسلم) (

- ١٨٠ اشاره
- ١٨٢ فهرس لأحداث أيام وفاه النبي(صلى الله عليه و آله وسلّم)!
- ١٩١ أهل البيت(عليهم السلام) ارتفعوا على جراحهم -
- ١٩٣ يصلون على آل محمد فى صلاتهم ، ويهدرون دماءهم
- ١٩٤ على(عليه السلام)يصف عهود أبى بكر و عمر و عثمان
- ١٩٤ الفصل الخامس: الموجه الثانيه من عداوه قريش للعترة -
- ١٩٤ اشاره
- ١٩٨ الصحابه يثورون على عثمان لتسليطه قبيلته بنى أميه على مقدرات المسلمين !
- ١٩٩ صور من الظلم فى عهد عثمان:
- ١٩٩ صحابه يكسرون الذهب بالفؤوس ، وناس يموتون من الجوع !
- ٢٠٣ صوره من محاصره الصحابه لعثمان وقتلهم إياه !
- ٢٠٤ من نبل على (عليه السلام)فى محاصره المسلمين لعثمان !
- ٢٠٩ على(عليه السلام)يستجيب لإصرار الصحابه والتابعين على بيعته !
- ٢١١ على(عليه السلام)يعيد العهد النبوى فى احترام حقوق الإنسان !
- ٢١١ لا إجبار عند عليّ على بيعه، ولا حطبٌ عنده ، ولا حرقُ بيوت !
- ٢١٤ على(عليه السلام)يلغى تمييز عمر بين المسلمين فى العطاء
- ٢١٤ ولم يميز نفسه ولا عشيرته بنى هاشم عن فقراء المسلمين
- ٢١٧ وكان عمر مميّز بين المسلمين بالعطاء تمييزاً فاحشاً !
- ٢٢١ وعلى(عليه السلام)هو الخليفه الوحيد الذى لم تشتك رعيته من ظلمه
- ٢٢٢ الموجه الثانيه ضد العترة وشيعتهم حروب قريش على إسلام على(عليه السلام)
- ٢٢٢ كانت عائشه تريد الخلافه لبنى تيم !
- ٢٢٣ أفنت عائشه بقتل عثمان..ثم طالبت بئاره !
- ٢٢٨ طلحه ويعلى يمّولان حرب الجمل ضد على(عليه السلام)!
- ٢٣٠ طلحه والزبير .. الى العمره .. أم الغدره !؟
- ٢٣١ صاحبه الجمل الأدب..تنجحها كلاب الحوآب !
- ٢٣٤ انتصرت عائشه جزئياً فى البصره

- ٢٣٦ فاختلف طلحه والزبير على إمامه الصلاة !
- ٢٣٧ نتيجة معركة الجمل الأولى !
- ٢٣٨ كتبت عائشه الى حفصه تبشرها بالنصر فاحتفلت حفصه !
- ٢٣٩ مسير أمير المؤمنين(عليه السلام)إلى البصره !
- ٢٤١ أمير المؤمنين(عليه السلام) يؤكد الحججه قبل الحرب !
- ٢٤٦ الزبير ينسحب من المعركه ، ويُقتل في الطريق !
- ٢٤٧ مروان الأموى يغتال طلحه التيمي قبل بدء المعركه !
- ٢٤٩ عائشه قادت معركة الجمل وحدها لسبعة أيام !
- ٢٥٢ عائشه تتلقى في اليوم السابع هزيمة مره !
- ٢٥٦ في رقبه مَنْ..قتلى حرب الجمل؟! ..
- ٢٥٨ من نبيل على(عليه السلام)وعدالته في حرب الجمل
- ٢٦٤ أمير المؤمنين(عليه السلام)يرتب وضع البصره ويواصل فتح إيران والهند
- ٢٦٧ كيف استجابت الأمة لعلى(عليه السلام)وقاتلت معه قريشاً !
- ٢٧١ لماذا كان الأمر يدور بين القتال أو الكفر ..
- ٢٧٤ عهدٌ معهودٌ من النبي(صلى الله عليه و آله وسلّم)
- ٢٧٤ لتقاتلنَّ بعدى على تأويل القرآن الناكثين والقاسطين والمارقين
- ٢٧٦ على(عليه السلام)يعيد العهد النبوى ويضمد جراح العهد العثمانى
- ٢٨٢ الفصل السادس : استعدادات قريش لحرب صفين
- ٢٨٢ اشاره
- ٢٨٤ بعد حرب الجمل:تجمعت قريش الطلقاء تحت قياده معاويه لحرب على (عليه السلام)!
- ٢٨٦ قريش المشركه نزحت كلها الى ابن أبى سفيان فى الشام !
- ٢٩٢ الفصل السابع : خلاصه حرب صفين
- ٢٩٢ اشاره
- ٢٩٤ سعه حرب صفين وكثره أخبارها
- ٢٩٥ حربه الناس أصل عند أمير المؤمنين(عليه السلام)وإن أساؤوا استغلاها !
- ٢٩٩ السماحه وبذل الماء والطعام فى بنى هاشم والصد فى بنى أميه وقريش !

- ٣٠٤ سياسه أمير المؤمنين(عليه السلام) في إتمام الحجه على أعدائه
- ٣٠٦ أرقام من حرب صفين
- ٣٠٨ ليله الهرير ويوم الهرير
- ٣١٣ عمار وأويس .. من أعلام الهدى التي وضعها النبي(صلى الله عليه و آله وسلم) لأمته
- ٣٢٩ الراهب شمعون .. شاهد من أهل الكتاب في حرب صفين
- ٣٣١ معاويه والروم في حرب صفين !
- ٣٣٦ من نبل أمير المؤمنين(عليه السلام)وفروسيته في صفين
- ٣٤١ من خساسة أعداء أمير المؤمنين(عليه السلام)في صفين
- ٣٤٤ نجاح الأشعث والمنافقين في إجبار أمير المؤمنين(عليه السلام)على إيقاف الحرب !
- ٣٤٩ نص وثيقه التحكيم في صفين
- ٣٥٣ زار عليّ كربلاء ومعهم الحسين(عليهما السلام) في ذهابهم الى صفين وإيابهم منها !
- ٣٥٦ محكمه لاهاي القرشيه في دومه الجندل !
- ٣٦٥ الفصل الثامن : خلاصه حرب النهروان
- ٣٦٥ اشاره
- ٣٦٧ بذره الخوارج وغرستهم وشجرتهم
- ٣٧٢ أهم صفات الخوارج وأفكارهم
- ٣٧٩ تحركات الخوارج الى معركة النهروان !
- ٣٨٧ معركة النهروان !
- ٣٩٥ عائشه تروى أن علياً(عليه السلام)أفضل الأمة !
- ٣٩٧ الخوارج بعد النهروان
- ٣٩٨ آخر خارجه على أهل البيت(عليهم السلام) في منطقه النهروان !
- ٤٠٢ لا تقاتلوا الخوارج بعدى !
- ٤٠٣ الفصل التاسع: تراجع الأمة عن مشروع إعاده العهد النبوى
- ٤٠٣ اشاره
- ٤٠٥ تعبت الأمة من العمل مع عليؑ لإعاده العهد النبوى !
- ٤١٠ مخزون الأمة النبوى نفذ.. ولم تستجب لعلي(عليه السلام)لتجديد شحنتها !

- ٤١٣ غزو الجيش الأموي لمصر وشهاده محمد بن أبى بكر(رحمه الله)
- ٤١٨ سياسته معاويه فى الغارات على العراق والحجاز واليمن !
- ٤١٨ اشاره
- ٤١٨ (١) غاره الضحاک بن قيس على السماوه والتعليبيه
- ٤٢٠ (٢) غاره النعمان بن بشير على عين التمر
- ٤٢١ (٣) غاره ابن مسعده التى لم تصل الى المدينه ومكه
- ٤٢٢ (٤) غاره بسر بن أرطاه على المدينه ومكه واليمن
- ٤٢٤ (٥) غاره سفيان بن عوف الغامدى على الأنبار
- ٤٢٩ تحريك معاويه موالى أبى بكر وعمر ضد على (عليه السلام)!
- ٤٤٨ الفصل العاشر: شهاده أمير المؤمنين(عليه السلام)
- ٤٤٨ اشاره
- ٤٥٠ شاهد العصر.. يروى ظلامته قبيل شهادته !
- ٤٤٤ مقادير الله تعالى لرسوله وعترته(صلى الله عليه و آله وسلم)
- ٤٤٧ مرآه غيب الله(صلى الله عليه و آله وسلم) يخبر علياً عن مستقبله
- ٤٤٩ ما يحبس أشقاها أن يخضب هذه من هذا ؟
- ٤٧٠ يشكو لحبيبه رسول الله(صلى الله عليه و آله وسلم) !
- ٤٧١ يعلم أجله ويعرف قاتله !
- ٤٧٣ إفطار أمير المؤمنين(عليه السلام)عند ابنته أم كلثوم
- ٤٧٤ دخوله(عليه السلام)قبل الفجر الى مسجد الكوفه
- ٤٧٤ أمرهم أن يحملوه الى البيت
- ٤٧٧ استدعوا طبيب الجراحات الصعبه
- ٤٧٩ ليله العشرين من رمضان
- ٤٨٠ ليله إحدى وعشرين من رمضان
- ٤٨٢ أوصى(عليه السلام)أن يدفنه سرّاً لئلا ينش قبره بنو أميه !
- ٤٨٤ رثاء الخضر لأمير المؤمنين(عليهما السلام)
- ٤٨٥ رثاء صعصعه بن صوحان لأمير المؤمنين(عليه السلام)

- ٤٨٧ من رثاء الشعراء لأمير المؤمنين(عليه السلام).....
- ٤٨٧ قال أبو الأسود الدؤلي(رحمه الله).....
- ٤٨٩ وقال المصري(رحمه الله).....
- ٤٨٩ وقال دعبيل الخزاعي(رحمه الله).....
- ٤٩١ فرح معاويه وتأسفه لمقتل أمير المؤمنين(عليه السلام)!.....
- ٤٩٤ فرح عائشه بمقتل أمير المؤمنين(عليه السلام)وعدم تأسفها !.....
- ٤٩٧ شركاء الجريمة: ابن ملجم والأشعث وقطام !.....
- ٤٩٩ الأشعث يتأكد من نجاح مؤامرتة !.....
- ٥٠٠ من الذى انتصر..معاويه أم على(عليه السلام)؟.....
- ٥٠٠ كان معاويه يتصور أنه سياسى عبقرى ، يعرف كيف تُوكل الكتف !.....
- ٥٠٣ أما على(عليه السلام) فكان يفكر بشكل أرقى ويعمل لهدف أسمى:.....
- ٥١٥ فهرس الموضوعات.....
- ٥٢٧ تعريف مركز.....

جواهر التاريخ المجلد ١

اشاره

جواهر التاريخ .. بقلم

على الكوراني العاملي

المجلد الأول

الطبعة الأولى ١٩٢٥-٢٠٠٤

ص: ١

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ونبينا

محمد وآله الطيبين الطاهرين

فجائع.. على هامش عاشوراء

هزت وجدان العالم مشاهد مفجعه بثتها الفضائيات يوم عاشوراء ، من مدينتى كربلاء والكاظميه فى العراق ، ومدينه كويته فى باكستان ، وأثارت فى القلوب ألواناً من مشاعر التعجب والحزن ! فقد رأى الناس حاله عدوان قام أصحابها بإلقاء متفجرات وسط ملايين المؤمنين الذين جاؤوا الى كربلاء لزياره قبر حفيد نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهم ما بين دموع الحزن وأناشيد الولاء !

لقد سمع الناس خبر شخص يلقى متفجره فى أماكن العباده ، فيقتل العشرات عشوائياً ! لكن الجديد عليهم هذا الشخص العامى الذى عبأه مشايخه (الأتقياء) بالعدوان ، ودفعوه لأن يلف نفسه بمتفجرات ويفجر نفسه فى وسط المحتشدين فى مراسم دينيه ، فيقتل معه عشرين أو خمسين منهم ، كباراً وصغاراً ، نساءً وأطفالاً ، لا ذنب لهم إلا أنهم جاؤوا للمشاركة فى هذه المناسبه الدينيه !!

ومن جهه ثانيه ، أشارت هذه المشاهد مشاعر التعجب والإكبار لُنُبُل الشيعة وتصرفهم تجاهها ، فقد سجل مراسلو الفضائيات دهشتهم من أمرين:

الأول ، السرعة التي انتهى فيها ذعر الناس في مكان تفجيرات كربلاء ومناظرها المرعبه ، فقد بادر متطوعون منهم في مكان الحادث الى نقل الجرحى وجمع الجثامين والأشلاء ، بينما واصل ملايئهم حتى الذين كانوا قرب المكان عملهم المقدس الأهم ، وهو أداء مراسمهم في عزاء الإمام الحسين (عليه السّلام) ، في مواكبهم الذاهبه الى حرمة المقدس أو العائده منه ، بدموعها الحرّى على سيد الشهداء (عليه السّلام)، ولطمها الحزين على الصدور ، أو ضربها المفجع للهجمات وأناشيدها !

وقد حدثنى شخص كان على بُعد أمتار من تفجيرات كربلاء قائلاً: لقد تعجبت من زوار الإمام الحسين (عليه السّلام) ، فما هي إلا دقائق حتى واصلوا مواكبهم بهتافهم المشهور: أبد والله ما ننسى حسينا ، وبعضهم أضافوا الى هتافهم: أبد والله بالتفجير ما ننسى حسينا.. واستمروا في مراسمهم وكأن شيئاً لم يحدث !!

والثانى ، قرار الصبر والعض على الجراح ، الذى اتضح بسرعه ، وظهر منه أن الشيعة قد تبنوا عليه فيما بينهم ، واتخذوا موقفاً مسبقاً حازماً بعدم الإنجرار الى الفتنة الطائفية ، بإجماع مراجعهم وزعمائهم ، وملايئهم الكربلائية !

جذور الظلامه

يبقى الأمر الأهم الذى أثارته هذه الفواجع: التأمل فى سببها وجذورها الفكرية والتاريخية ، التي جعلت قتل المسلم الشيعى (ديناً) يربى المتطرفون عوامهم عليه ، ويقنعونهم بأن الشيعى مشرّكٌ مهدور الدم ، وأن عليهم أن يتقربوا الى الله تعالى بإراقه دمه ، ونهب ماله ، وهتك عرضه !

فمتى بدأت هذه الحاله فى تاريخنا الإسلامى ، وكيف تطورت ، والى أين

وصلت في عصرنا الحاضر؟!!

إن الموجه المعاصره التي نشهدها ممن يكفروننا ويستحلون دماءنا ، تعود جذورها الى المتوكل العباسى ! فهذا (الخليفة) هو الذى تبنى مذهب مجسمه الحنابله المتعصبين ضد الشيعة ، وشكل (ميليشيا) فى بغداد لمهاجمه مجالس عاشوراء ومنع الشيعة من إقامتها ! وسمى حزبه: أهل الحديث، والمحدثين، وأهل السنه، وأهل السنه والجماعه، بينما سماهم المسلمون: مجسمه الحنابله ، والنواصب.

ومما يدل على ذلك أن الذهبى روى سخريه البغوى الإمام المعروف ، من هذه التسميه التي خص المتوكل بها حزبه ، فقال فى سير أعلام النبلاء: ١٤/٤٤٩:

(اجتاز أبو القاسم البغوى بنهر طابق على باب مسجد ، فسمع صوت مُسْتَمَلٍ فقال: من هذا؟ فقالوا: ابن صاعد . قال: ذاك الصبى؟! قالوا: نعم . قال: والله لا أبرح

حتى أملى هاهنا ، فصعد دكّه وجلس ، وراه أصحاب الحديث فقاموا وتركوا ابن صاعد . ثم قال: حدثنا أحمد بن حنبل قبل أن يولد المحدثون ! وحدثنا طالوت قبل أن يولد المحدثون ! وحدثنا أبو نصر التمار.. فأملى ستة عشر حديثاً ، عن ستة عشر شيخاً ، ما بقى من يروى عنهم سواه) !! انتهى .

ومعنى قول البغوى: (ذاك الصبى).. حدثنا أحمد بن حنبل قبل أن يولد المحدثون (!) أن هؤلاء الصبيان المتسمّين بالمحدثين ، إنما هم أحداث جمعهم المتوكل حول أحمد بن حنبل ، وجعله إماماً لهم !

فالمتوكل هو الذى حَبَلَهُمْ ، أى اتخذ لهم أحمد بن حنبل المروى أو الرازى أى الطهرانى ، مولى بنى ذهل ، إماماً ، فصار إسمه: الإمام أحمد ، ودعاه الى سامراء وأقام له مراسم احترام وتجليل ، وأشاع الإعتقاد فى العوام بكراماته ! وذات مره مرضت جاريه المتوكل المفضله عنده من بين أربعه آلاف جاريه ،

ص: ٥

فأرسلها الى بغداد ليقرأ عليها الإمام أحمد بن حنبل دعاءه فشفيت بركته! وانتشر الخبر بكرامه حصلت لجاريه الخليفه بركه إمام أهل الحديث !

والمتوكل هو الذى كتب مرسوماً بنشر أحاديث التجسيم والنصب ، وبالغ فى احترام (المحدثين) الذين يروونها ويتحمسون لها ، وأغدق عليهم ، وأقام لهم المجالس الرسميه الكبيره ، وحشَدَ الناس لحضورها ، وحضرها بنفسه !

والمتوكل هو الذى بَخَّرهم ، أى جعل لهم محمد بن إسماعيل بن برد زبه ، الفارسى أو السلجوقى ، إماماً ، فصار إسمه الإمام البخارى، وجعل كتابه: صحيح البخارى إمام مصادر السنه النبويه .

والمتوكل هو الذى شجع التجسيم وجاهر بالنصب ، وبغض على وأهل البيت النبوى صلوات الله عليه وعليهم ، وكان يعقد مجالس فى دار الخلافه بسامراء لإهانته على بن أبى طالب (عليه السَّلام) وسبه ! ويأتى بشخص (كوميدي) يمثل شخصيه على (عليه السَّلام) فيسخر منه ويضحك ، ويامر المغنين والمغنيات أن يغنوا بسبه ، وهو يشرب الخمر على الغناء بشتم على (عليه السَّلام) !

والمتوكل هو الذى اضطهد شيعة على (عليه السَّلام) وتتبعهم أينما كانوا فى دولته ، واضطهد الأئمه المعصومين من العتره النبويه الطاهره، ففرض على الإمام على الهادى (عليه السَّلام) الإقامه الجبريه فى سامراء ، ثم حبسه ، ثم قتله بالسم ، ثم حبس ولده الإمام الحسن العسكرى (عليه السَّلام) ، وعمل بكل جهده لإطفاء نور أهل بيت النبوه (عليهم السَّلام) !

والمتوكل هو صاحب العُقد من قبر الإمام الحسين (عليه السَّلام)، ومن احتشاد المسلمين لزيارته فى كربلاء ، فمنعهم واضطهد من يزوره بوحشيه ! ولَمَّا عجز عن منعهم بالكامل، أرسل فرقه جيش بقياده يهودى إسمه (زيرج) ، ومعه (ميليشيا السلفيين) لهدم قبر الحسين (عليه السَّلام) وحرث أرضه ! فهدموه وأجروا عليه فرعاً من نهر الفرات ،

فلما وصل الماء الى القبر حارَ حوله ، وشكل دائره سميت: الحائر الحسينى الشريف !

لقد هلك المتوكل ولقى جزاء عمله ، حيث ثار عليه بعض قادة جيشه من المحبين لأهل البيت الطاهرين (عليهم السّلام) فقتلوه ومعهم ابنه المنتصر ، الذى اعترض عليه يوماً لإهانتة علياً (عليه السّلام) فأمر المتوكل المغنيات أن يغنين بسبّ ولده وأمه !

قال ابن الأثير فى تاريخه: ١٠٨/٦: (فى هذه السنه (٢٣٦هجرية) أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن على وهدم ما حوله من المنازل والدور ، وأن يبذر ويسقى موضع قبره ، وأن يمنع الناس من إتيانه ، فنادى بالناس فى تلك الناحيه من وجدناه عند قبره بعد ثلاثه حبسناه فى المطبق ، فهرب الناس وتركوا زيارته ، وخُرب وزُرع!

وكان المتوكل شديد البغض لعلى بن أبى طالب ولأهل بيته ، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم ! وكان من جملة ندمائه عباده المخنث وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخده ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدى المتوكل ، والمغنون يغنون قد أقبل الأصلع البدين ، خليفه المسلمين ! يحكى بذلك علياً ، والمتوكل يشرب ويضحك ! ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر فأوماً إلى عباده يتهدده فسكت خوفاً منه فقال المتوكل ما حالك فقام وأخبره فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين إن الذى يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك ! فكل أنت لحمه إذا شئت ، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه ! فقال المتوكل للمغنين: غنوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمه

رأس الفتى فى حر أمه

فكان هذا من الأسباب التى استحل بها المنتصر قتل المتوكل). انتهى .

وقال العصامى فى سمت النجوم العوالى ص ١١٦٨: (وذكر ابن خلكان: كان المتوكل يبغض علياً فذكر يوماً علىّ عنده فغض منه ، فتمعّر وجه ابنه المنتصر

ص: ٧

لذلك ، فشتمه أبوه المتوكل وأنشد مواجهاً له ... الخ .)

وفى مآثر الإنافه للقلقشندی: ۱/۲۲۸: (العاشر من خلفاء بنى العباس... وحظى فى زمانه أهل الأدب إلا أنه كان شديد البغض لعلی بن أبى طالب رضى الله عنه ولأهل بيته ، على خلاف ما كان عليه المأمون...) وذكر القصة وغيرها .

أقول: مع أن المتوكل صاحب الخطه مات ، إلا أن خطته وحزبه بقيا بلاءً على الأمة ، وامتحاناً للمسلمين عامه وللشيعه خاصه ! وعُرفوا باسم مجسمه الحنابله .

ومع أن الخلفاء العباسين بعد المتوكل لم يتبنوهم رسمياً ، لكنهم كانوا يستفيدون منهم كحزب عنيف فى بغداد ، فيدفعونهم للحد من نفوذ الشيعه ، الذين كان لهم جمهورهم وثقلهم فى بغداد والأقطار الإسلاميه .

كانت حكومه بغداد تدفع مجسمه الحنابله لضرب الشيعه وتساندهم ، فإذا زاد طغيان المجسمه بتقديرهم خلوا بينهم وبين الشيعه ، وربما ساعدوا الشيعه عليهم ! لذلك لم يعدم الطرفان أنصاراً فى وزراء الخليفه ، بل فى أمراء جيشه وقادته الأتراك ، الذين كانت لهم كلمه

الفصل العسكرى فى قضايا الدوله .

ثم جاءت ثوره البويهيين فى مطلع القرن الرابع فكانت متنفساً للشيعه ، حيث توقف نزفهم المتواصل تقريباً من زمن المتوكل ، وضمّدوا أكثر جراحهم .

فقد احتل البويهيون ، أو آل بُويّه ، وهم فرس من شمال إيران ، احتلوا إيران وأطراف العراق ، ثم احتلوا بغداد ، وفرضوا أنفسهم على الخليفه بدل الأتراك ، وأجبروه أن يزسّم كبيرهم سلطاناً باسم وزير ، ويأمر الخطباء بالدعاء له بعد الخليفه ، فورثوا الأتراك فى التسلط على مقدرات الدوله وكانوا هم الذين ينصبون الخليفه ، ويجرون له مرتباً شهرياً ، وقد يعزلونه بإهانه !

وفى عهدهم الذى استمر أكثر من قرن (۳۳۴ - ۴۴۷ هجرية) ، ضعف مجسمه

الحنابله لكنهم لم ينتهوا ، فالبويهون قبل تشيعهم كانوا سياسيين مهمهم السلطه ، ولذا قلدوا الأتراك فى تبنى لعبه الموازنه بين الشيعة ومجسمه الحنابله ، فربما اختاروا الحياد فى نزاعاتهم ، وربما رجحوا كفه الشيعة ، أو كفه الحنابله !

واستمر الأمر على هذه الحال حتى جاءت ثوره السلاجقه الأتراك ، وهم بدؤوا من برّ مدينه بخارى الى جهه الصين ، فاحتلوا إيران والعراق ، وقضوا على بنى بُويه ، وسيطروا على الخلافه العباسيه (٤٤٧ - ٥٨١ هجرية) وتبنوا مجسمه الحنابله أو حزب المتوكل ، وشنوا على الشيعة موجه اضطهاد قاسيه ، استباحوا فيها أحياءهم فى بغداد قتلاً ونهباً وحرقاً ، خاصه منطقه الكرخ مركز ثقل الشيعة التاريخي ، وبدؤوا هجومهم بإحراق خزانه كتب الكرخ العالميه التى أسسها البويهون ! وقتلوا الألوف المؤلفه من الشيعة ، فاضطر أكثرهم الى الإختفاء أو الهجره ، وكان ممن نجا منهم مرجع الشيعة الشيخ الطوسى (قدس سرّه) الذى فرّ الى النجف الأشرف سنه ٤٤٨ ، أى فى السنه الثانيه لاستيلاء السلاجقه ، وأسس الحوزه العلميه ورسخها ونماها ، حتى توفى سنه ٤٦٠ هجرية (رحمه الله) .

نشط مجسمه الحنابله فى عصر السلاجقه ، ووجدوا منهم التأييد والمساعده فى كثير من الأحيان ، لكنهم ظلوا فئه متطرفه تراوح مكانها فى بغداد ، لم تستطع أن تمتد فى العالم الإسلامى ، بسبب نفوذ الشيعة ، وقوه التيار السنى المخالف لهم .

وأخيراً انحسر دعم الأمراء السلاجقه لهم بسبب سوء تصرفهم ، فكانت حكومه بغداد تضطر أحياناً الى تأديبهم لإرضاء العامه الشاكين من عنفهم !

وبسقوط دوله قبيله قزل ، آخر قبيله سلجوقيه حاكمه ، وملكهم بهلوان آخر سلاطين السلاجقه ، سنه ٥٨٢ هجرية (سير أعلام النبلاء: ٢١/٤٥) ، سقط معهم نجم

مجسمه الحنابله ، وغلب على بغداد جو الاعتدال السنى والميل الى التشيع ، ولم نعد نسمع بذكر علماء الحنابله المتطرفين وجمهورهم العنيف ، لعهه قرون !

كما لم يظهر لهم فى هذه القرون أى وجود فى أى بلد من بلاد المسلمين ، حتى جاء القرن الثامن فظهروا فى ظل المماليك الشراكسه ، كحزب صغير فى الشام ، بزعامه شخص متوتر هو الشيخ أحمد عبد الحليم بن تيميه ، الذى رعاه بعض الأمراء الشراكسه ، وعينه لمدته قصيره فى منصب شيخ الإسلام فى بلاد الشام ، ثم عزلوه وسجنوه وحاكموه ، نزولاً عند حكم علماء المذاهب الأربعة فى مصر والشام ، وأبقوه فى السجن حتى مات . وبموته تلاشى حزبه ، وغابت أفكاره التى هى نفس أفكار حزب المتوكل أو مجسمه الحنابله ، فلم يذكر التاريخ لهم وجوداً فى بلاد الشام أو غيرها ، إلا بعد خمسه قرون ، على يد الشيخ محمد عبد الوهاب النجدى !

كلمتان فى منهج الدراسه

الكلمه الأولى: أنا لا نتوقع من التاريخ الذى كتب بحبر الحكام ، أن يكون منصفاً فى بيان ظلامه المعارضه ! فالحكومات تؤرخ لنفسها وتعظم أشخاص الحكام ، وتجعلهم فى مصاف المصلحين والأولياء وإن كانوا فاسدين مفسدين!

كما يتفنن المؤرخون الحكوميون فى التعقيم على المعارضه ، فيصورون لك أنها لم تكن موجوده أصلاً ، وإن اضطروا للإعتراف بها تعمدوا تهميشها وتشويهها ! وهذا هو دأب كل الحكومات التى كتبت تاريخنا ، وأملت مصادر حديثنا وتفسيرنا وفقهنا ! لا فرق فيها بين الأمويه والعباسيه والشركسيه والعثمانيه والحديثه ، ولا بين مذاهبها .

لذلك كان لا بد لنا لفهم تاريخ الظلم والإضطهاد على أهل البيت الأطهار(عليهم السلام)

وشيعتهم الأبرار ، والتي كانت أطول ظلامه لأطول معارضه في التاريخ الإسلامى أن نسمع الى كلام الشيعة أنفسهم ، ونقرأ ما كتبه مصادرهم .

وإنى لأعجب من الباحث الذى يدعى الموضوعيه ، ويريد أن يفهم حوادث التاريخ الإسلامى أوفهمها للناس ، دون أن يسأل الذاكره الشيعيه ، وهو يعرف أن ذاكره الضحيه أدق ، وفهمها أعمق !

ورغم هذه الحقيقه ، ترانى اعتمدت فى البحث على نصوص من مصادر الحكومات وأتباعها المخالفين للشيعة لأنها أقوى فى الحجج ، وإن اخترتها من ذاكره التاريخ الشيعى أيدتها غالباً بنصوص من مصادر غيرهم !

والكلمه الثانيه: أن تصور موجات الظلم على الشيعة لا يكتمل إلا بمعرفه سياقها التاريخى ، والأرضيه التى كانت سبباً فى نشوء كل موجه ، ثم بمعرفه رده الفعل من العتره النبويه (عليهم السّلام) وشيعتهم عليها . لكن استيفاء الأسباب والنتائج وردود الأفعال ، يعنى أن نكتب تاريخاً جديداً من وجهه نظر المظلومين ، بدل التاريخ الذى كتبه الحكام ، وهو ما لا يتسع له كتابنا !

لهذا ، ترانى اختصرت فى عرض بعض الأحداث ، وتوسعت فى بعضها ، من أجل تكميل السياق وتوضيح الصوره .

أسأل الله تعالى أن يصلّى على أهل بيت نبيه الأطهار المعصومين المظلومين ، وأن يتقبل هذا الكتاب فى أعمال الدفاع عنهم . فهو ولى التوفيق والقبول .

حرره بقم المشرفه فى الخامس عشر من محرم الحرام ١٤٢٥ على الكورانى العاملى

إن استيعاب الظلامه التي وقعت على أهل البيت النبوي (عليهم السّلام) وشيعتهم بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، على يد زعماء قريش ، يتوقف على فهم عدد من القوانين والسنن الإلهية في هدايه البشر وضلالهم ، بيّنها الله تعالى في كتابه ، وبيّنها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للأئمه في أحاديثه وخطبه وعمله ، وحذر الأئمه منها . وفيما يلي موجزٌ لها ، وقد بحثناها في كتاب مستقل باسم: قوانين الهدايه والضلال ، وهي:

- ١ - قانون تقارن كل نبوه مع مضلين !
- ٢ - قانون الضلال .
- ٣ - قانون الإضلال .
- ٤ - قانون الإحباط .
- ٥ - قانون الفتنة الفرديه والإجتماعيه .
- ٦ - قانون الإبتلاء والإختبار .
- ٧ - سنه الله في اقتتال الأمم بعد رسولها !
- ٨ - التحذير من انقلاب الأئمه على أعقابها بعد رسولها !
- ٩ - فتنة هذه الأئمه بالأئمه المضلين على سنه من قبلها !
- ١٠ - فتنة هذه الأئمه بالشجره الملعونه في القرآن !
- ١١ - ما اختلفت أمه بعد نبيها إلا غلب أهل باطلها على أهل حقها !

١ - قانون: اقتران كل نبوه بأئمه مضلين !

ومنطق هذا القانون: أن المطلوب في حياه الإنسان على الأرض أن تبقى قدرته على الإهتداء وقدرته على الضلال متساويتين ، فبذلك وحده يتحقق اختياره للهدايه بإرادته الحره ، فيستحق الجزاء الإلهي والجنه ، ويتحقق اختياره للضلال بإرادته الحره ، فيستحق النار .

وقد رتبَّ الله تعالى تكوين الإنسان وظروف حياته على الأرض على هذا التساوى ، فألهمه الفجور ، وألهمه التقوى ، وهداه النجدين ، وجعل للشيطان منفذاً الى نفسه ، وجعل سيئته بواحد وحسنه بعشره ..الخ.

ولما كانت النبوه دفعه هدايه قويه ، كان لابد أن يرافقها وجود مضلين مع النبى ، ليبقى التعادل ويحتاج المهتدون الى بذل جهد فكرى وعملى فى مقاومه الفتنة ، والثبات على الهدى .

وقد نصت آيات كثيره على هذا القانون بالعموم ونصت عليه آيتان بخصوصه:

فالأيه الأولى ، قررت ضروره وجود عوامل ضلال مع كل نبوه: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ). (الأنعام: ١١٢ - ١١٣) .

ومعناها أن فعاليه شياطين الإنس والجن فى الوسوسه عند هدايه كل نبى ، إنما هى عوامل ضلال ضروريه يجب أن تبقى فاعله !

والآيه الثانيه ، صورهُ صارخهُ لصحابيين للرسول (صلى الله عليه و آله وسلم)، أحدهما كافراً يخطط لإضلال الناس ، والثانى مطيع له يدفعه صاحبه الى معصيه الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) وهجر القرآن ، فيضلان ويضلان الناس ! ويوم القيامه يعضُّ الظالم الأصلى منهما يديه ندماً لإطاعته لصاحبه ! أما الآخر فمصيبيته أعظم من أن يعضَّ على يديه ، لأنه لم يكن مع الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) ولا لحظه ! بل كان مجرماً كامناً للإسلام ورسوله (صلى الله عليه و آله وسلم) !

قال تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعِيدٍ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا . وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا). (الفرقان: ٢٧ - ٣١).

وقوله تعالى: (وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) جوابٌ على سؤال مقدر يقول: مادام القانون الإلهي أن الله تعالى يجعل عدوًّا مضلًّا مع النبي العادي من مجموع المئة وأربع وعشرين ألف نبي (عليهم السَّلام) ، فقد يعنى ذلك أن يكون مع نبينا (صلى الله عليه و آله وسلم) عشرة أعداء مجرمين ! فكيف يهتدى الناس ، وكيف ينتصر الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) !؟

فكان الجواب الإلهي: هذا ليس من شأنكم بل من شأن الله تعالى: وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ، فالتعادل محفوظٌ مع وجود المضلين بقدر يحقق الهدايه لقسم من الناس ، ويحقق النصر الآني أو المستقبلي للأنبياء (عليهم السَّلام) ، حسب الخطه الحكيمه !

ومنطق هذا القانون: أنه يوجد واقع موضوعى فى كل القضايا النظرية والعملية، وأن كل فعاليات الإنسان إما أن تصيب ذلك الواقع فتكون على حق ، أو تخطئه عمداً أو سهواً أو جهلاً ، فتكون على ضلال .

فالضلال عدم إصابه الأمر الصحيح فى علم الله تعالى لأى سبب ، حتى لو كان لا إرادياً كالنسيان: (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) (البقره:٢٨٢) .

فمفهوم الضلال نسبى ، ولذا كانت استعمالاته وأنواعه فى القرآن عديده:

أولاً: أنواعه بحسب ذاته ، من الضلال المبين وغير المبين ، أى الشديد الوضوح والأقل وضوحاً ، حتى يصل الى الضلال الخفى الذى لا يعلمه إلا القله ، أو الذى لا يعلمه إلا الله تعالى . وقد ورد الضلال المبين فى القرآن ١٩ مره .

والضلال البعيد والأقل بعداً ، حتى يصل الى الأقرب الى الصراط المستقيم . وقد ورد الضلال البعيد فى القرآن ١٠مرات ، والكبير وغير الكبير مره واحده.الخ.

ثانياً: أنواع الضلال بحسب موضوعه ، من قضايا وأفكار وأعمال . وهو بهذا الإعتبار أنواع ورد ذكرها بنحو وآخر فى القرآن ، كالضلال العقلى ، والنفسى والسلوكى والعقائدى والسياسى والإقتصادى والإجتماعى والحضارى .

أو: الضلال عن الفطره ، والضلال عن الدين ، أو عن التفكير المنطقى. الخ.

ثالثاً: أنواعه بحسب موضوعه من الأشخاص ،

مثل: ضلال الظالمين ، وضلال المجرمين ، وضلال المسرفين المرتابين ، والفاسقين ، والكافرين.. الخ .

رابعاً: أنواعه بحسب لزومه وقابليته للزوال: فمن الضلال ما يصبح ثابتاً كالذين حَقَّتْ عَلَيْهِم الضلاله (الأعراف: ٣٠ و النحل:٣٦) ، أو الذين استحقوا أن يضلهم الله تعالى: وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . (الرعد:٣٣) ، وبمعناها آيات عديده .

ومنه قابل للزوال بسرعه أوبيطء: (وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ). (الأنعام: ١٢٥)

خامساً: أنواعه بحسب علتة وفاعله . فمنه ما يكون بفعل الشخص مباشره باتباع الهوى: (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (سوره صاد:٢٦) . ومنه ما يكون بفعل الشيطان: (كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ). (الحج:٤) ، ومنه ما يكون بفعل الرؤساء والشخصيات: (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا). (الأحزاب:٦٧) ، أوغيرهم من الناس: (وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ). (الأنعام:١١٦) .

ومنه ما يكون بتأثير الأصنام والمجسمات المعبوده: (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ). (ابراهيم:٣٦)

سادساً: أنواعه بحسب تأثيره على صاحبه وعلى المجتمع . وقد ذكر القرآن عدہ تأثيرات لأنواع الضلال ، روحيه وفكريه وعملية ، فرديه ، واجتماعيه.. الخ.

سابعاً: أنواعه بحسب الصراط المضلول عنه . كالضلال عن (سبيل الله)حيث ورد في القرآن ست مرات ، وورد ست مرات مضافاً الى ضمير الغائب(سبيله) ومره واحده الى ضمير المخاطب (سبيلك) . والضلال عن(سواء السبيل) ورد ٥ مرات . والضلال عن السبيل ، ٤ مرات . والضلال عن الذكر ، مره واحده . وضلال الأعمال عن الصراط المستقيم ، أوضلالها وإضلالها عن الهدف منها ..الخ.

ومن الواضح أن قانون الضلال بأصوله وفروعه ، بقى فعلاً في أمه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاته ، فلم يرد نصٌ واحد يدل على استثنائها منه ، إلا التأمين الذي عرضه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)على أمته في مرض وفاته ، فرفضه الحزب القرشى !

ففي البخارى: ١/٣٦: (عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي (ص) وجعه قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده . قال عمر: إن النبي (ص) غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا! فاختلفوا وكثر اللغط! قال (ص): قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع!! فخرج ابن عباس يقول: إن الرزيئه كل الرزيئه ، ما حال بين رسول الله (ص) وبين كتابه)!!

وقال البخارى: ٥/١٣٧: (لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال فقال النبي (ص): هلموا أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده . فقال بعضهم: إن رسول الله (ص) قد غلبه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله! فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك! فلما أكثروا اللغو والإختلاف قال رسول الله: قوموا).

وقال البخارى: ٧/٩: (باب قول المريض قوموا عني... عن ابن عباس قال: لما حُضِرَ رسول الله (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب... ورواه البخارى أيضاً: ٨/١٦٠....

وفي مسلم: ٥/٧٥: (عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ! قال قال رسول الله (ص): إئتوني بالكثف والدواه أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فقالوا: إن رسول الله (ص) يهجر!! ثم روى عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي (ص): هلم أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعده! فقال عمر: إن رسول الله (ص) قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله... الخ).

وفي مسند أحمد: ٣/٣٤٦: (عن جابر أن النبي (ص) دعا عند موته بصحيفه ليكتب فيها كتاباً لا يضلون بعده ، قال فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها!) (ورواه أحمد: ١/٣٢٤ و ٣٣٦ و ٣٢٤)

وفى مجمع الزوائد: ٩/٣٣: (عن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي (ص) قال: أدعوا لى بصحيفه ودواه أكتب كتاباً لاتضلون بعدى أبداً ، فكرهنا ذلك أشد الكراهه!! ثم قال: أدعوا لى بصحيفه أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعده أبداً! فقال النسوه من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله؟! فقلت: إنكن صواحيبات يوسف إذا مرض رسول الله (ص) عصرتنَّ أعينكن ، وإذا صح ركبتنَّ رقبته . فقال رسول الله: دعوهنَّ فإنهنَّ خيرٌ منكم) ! انتهى .

ومعنى هذا أن الأمة برفضها كتاب التأمين النبوى من الضلال ، قد وضعت نفسها فى معرض أنواع الضلال ، بل دخلت فى أول نوع منها !

ص: ١٩

ومنطق هذا القانون: أنه يوجد نوع من الضالين يشكلون خطراً على السالكين فى الطريق المستقيم ، وخطراً إضافياً على الضالين التائهين ، لذلك وضع الله قانوناً إضافياً يجزيهم بإضلالهم ، لمنع خطرهم أو الحد منه ، أو لمساعدته أهل الطريق المستقيم عليهم ، أو لامتحان الناس بهم.. وغيرها من الحكم التى يعلمها سبحانه .

وقانون الإضلال أيضاً أقسام ، فمنه قانون الإضلال العام ، ويشمل أعمال الكافرين والمنافقين . ومنه قوانين إضلال خاصه ببعض أعمالهم ، أو بأعمال بعض أصنافهم ، وقد نصت عليها آيات القرآن ، وخلاصتها ما يلى :

إضلال الكافرين وإضلال أعمالهم: (سوره محمد: ٨١ و الفرقان: ٤٤ ، والجاثية: ٢٣)

إضلال المنافقين: (النساء: ١٤٣ ، والنساء: ٨٨)

إضلال الظالمين: (نوح: ٢٤ ، وإبراهيم: ٢٧)

إضلال الفاسقين: (البقره: ٢٦)

إضلال المسرفين المرتابين: (غافر: ٣٢ - ٣٤)

الذين حقت عليهم الضلاله: (النحل: ٣٦ ، والأعراف: ٣٠ ، ومريم: ٧٥ - ٧٦)

إضلال أعمال الكافرين والمنافقين فى الدنيا: (الرعد: ٣٣ - ٣٤ ، والأنعام: ١٠٨ ، وآيات تزيين أعمال بعض الفئات الضاله من الكافرين والمنافقين والمجرمين).

إضلال أعمالهم عن بلوغ أهدافها النهائيه: (النور: ٣٩ - ٤٠ ، وإبراهيم: ١٨)

لاهادى لمن أضله الله ولا ناصر: (الإسراء: ٩٧ ، والأعراف: ١٧٧ - ١٧٨ ، والزمر: ٢٣)

٤ - قانون الإحباط

العمل المُحْبَط هو العمل الذى يتراكم فيفسد ولا يؤدي الى نتيجه المطلوبه ويضُرُّ بصاحبه . وإسمه مأخوذٌ من (الحَبَط) وهو حاله تصيب الدابه التى تكثر الأكل فيفسد فى معدتها وينتفخ بطنها وتصاب بالإمساك . وفى الحديث النبوى (إن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلِثُ) . فالإضلال يأخذ العمل من زاويه سيره وضلاله عن إصابه الهدف، والإحباط من زاويه تراكمه المفسد له ، والبطلان من زاويه نتيجه التى تتلاشى . وقد يجتمع الإضلال والإحباط والبطلان فى عمل واحد ، وقد ينفرد بعضها . وهذه أهم أقسام الإحباط فى القرآن:

إحباط عمل المرتدين: (البقره: ٢١٧).

إحباط عمل قتله الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) والأميرين بالقسط: (آل عمران: ١٢ - ٢٢)

إحباط عمل المنافقين والمنافقات: (التوبه: ٦٨ - ٦٩ ، والأحزاب: ١٨ - ١٩ ، ومحمد: ٢٧ - ٢٨)

إحباط عمل مرضى القلوب المرتبطين بالكفار: (المائده: ٥١ - ٥٣)

إحباط عمل أنواع من المتكبرين والكافرين والمشركين: (الأعراف: ١٤ ، وهود: ١٥ - ١٦ ، ومحمد: ٣١ - ٣٣ ، والتوبه: ١٧ - ١٨ ، والكهف: ١٠٣ - ١٠٥ ، والأعراف: ١٤٦ - ١٤٧ ، المائده: ٥)

تحذير الأنبياء من إحباط أعمالهم: الأنعام: ٨٣ - ٨٨ ، و (الزمر: ٦٥)

البداهه فى التعامل مع المعصومين تحبط العمل: (الحجرات: ٢ - ٣) .

ومن الواضح أن قانون إحباط الأعمال بقى جارياً فى الأمه بعد النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وأن شرط كل أعمالهم التى مدحهم القرآن لأجلها أن لايشملها قانون الإحباط !

منطق هذا القانون: أن الإنسان مخلوق لا يمكن أن يتكامل إلا بالصراع في داخل نفسه بين الخير والشر ، والفجور والتقوى . فعناصر الخير والشر ضروره لحياته ، لأنها الجو الوحيد الذى يتم فيه صهر جوهر النفس البشريه لتتفق كوامنها وتخرج على حقيقتها ! وكلما كانت هذه العناصر أكثر وأقوى ، كان صيهرها للنفس أشد ، وكانت الصفات الإنسانيه التى تنتج عنها أعلى وأجود ! ولذلك قال الله تعالى: (ألم . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ). (العنكبوت: ٢ - ٣) .

وفى حديث الإمام الرضا(عليه السلام) فى الكافى: ١/٣٧٠: عن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن(عليه السلام) يقول: ألم . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، ثم قال لى: ما الفتنة؟ قلت: جعلت فداك الذى عندنا الفتنة فى الدين ، فقال: يُفْتَنُونَ كما يُفْتَنَ الذهب ! ثم قال: يخلصون كما يخلص الذهب !

وفى لسان العرب: ١٣/٣١٧: (معنى الفتنة الإبتلاء والإمتحان والإختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الردئ من الجيد ، وفى الصحاح: إذا أدخلته النار لتنتظر ما جودته ، ودينار مفتون . والفتن: الإحراق ، ومن هذا قوله عز وجل: يوم هم على النار يفتنون ، أى يحرقون بالنار . ويسمى الصائغ الفتان ، وكذلك الشيطان ، ومن هذا قيل للحجاره السود التى كأنها أحرقت بالنار: الفتين).

والفتنة فى القرآن متنوعه ، سواء فى مادته الفتنة ، وفى المبتلين بها ، وفى آثارها.. ونكتفى بإيراد الآيات فى أهم أنواعها التى تتصل بالأمه:

لابد من فتنة الأمه الإسلاميه بعد نبياها(صلّى الله عليه وآله وسلّم): (العنكبوت: ٣)

المنافقون أسرع الناس الى الفتنة: (الأحزاب: ١٣ - ١٤) .

فتنه الذين لا يطيعون النبى(صلّى الله عليه وآله وسلّم): (النور: ٦٣)

صهر شخصيه نبي الله موسى (عليه السلام) بالفتنه: (طه: ٤٠).

فتنه الناس بأن الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) من نوعهم: (الفرقان: ٢٠).

المتشابه في القرآن فتنه ، وأهل الزيغ يتبعون ماتشابه منه: (آل عمران: ٧- ٨)

من المؤمنين فئه مرتبطه باليهود تستحق الإضلال والفتنه: (المائدة: ٤١- ٤٢)

تمييز المسلمين بين الكفار في الولاء فتنه: (الأنفال: ٢٧- ٧٣)

الفتنه بجعل الناس فئات وطبقات: (الأنعام: ٥٢- ٥٣)

تحذير المسلمين من الفتنه: (الأنفال: ٢٤- ٢٨)

الفتنه السنويه للمنافقين والذين في قلوبهم مرض: (التوبه: ١٢٤- ١٢٦)

مكانه المؤمنين الذين تعرضوا للفتنه: (النحل: ١١٠)

بعض الأزواج والأولاد فتنه: (التغابن: ١٤- ١٥)

النعمة فتنه: (الجن: ١٦- ١٧)

فتنه الأمة بعد نبياها بالشجره الملعونه: (الإسراء: ٦٠).

وسياتى ذكرها مع الأئمة المضلين في الفتن الخاصه في الأمة .

٤ - قانون الإبتلاء والإختبار

الإبتلاء هو الإختبار ، وهو يعنى جعل الله تعالى للإنسان تكويناً أو تشريعاً ، فى وضع أو تكليف فيه نوعٌ من المشقه العمليه أو النفسيه ، الظاهره أو الخفيه .

وهو عرفاً ضد العافيه والسلامه ، لكنهما قد يكونان منه . وهو أعم من الفتنة مطلقاً ، إذ قد يكون الإبتلاء بالضراء والسراء : (النمل: ٤٠ ، والأعراف: ١٦٨) .

وهو أقسام كثيره أيضاً ، فمنه الإبتلاء بالمرض والفقير والموت والناس ، وبالحالات النفسيه . ومنه إبتلاء فردى واجتماعى .. الخ . وبما أن الفتنة نوع منه ، فكل آيات الفتنة تعنى الإبتلاء والإختبار . وهذه أهم آيات إبتلاء الأمة :

الوعد الإلهى للأمة بالإبتلاء والفتنة: (البقره: ١٥٥ ، وآل عمران: ١٨٦) .

إبتلاء الأمة بما آتاها الله تعالى: (المائده: ٤٨) .

لا بد أن يبلو الله المؤمنين ويبلو أخبارهم : (محمّد: ٢٩ - ٣١) .

وهذه بعض أحداث فتنة الأمة وإبتلائها:

فى الكافى: ٢/٥٢ ، عن فضيل بن يسار ، عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأوصياء ، ثم الأمائل فالأمائل).

وفى حليه الأولياء: ١١٩/ ٥ ، بسنده عن أبى عبيده بن الجراح ، عن عمر بن الخطاب قال: أخذ رسول الله (ص) بلحيتى وأنا أعرف الحزن فى وجهه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ! أتانى جبريل آنفاً فقال لى: إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقلت: أجل إنا لله وإنا إليه راجعون ، فمّم ذاك يا جبريل ؟ فقال: إن أمتك مفتتنة بعدك بقليل من دهر غير كثير ! فقلت فتنة كفر أو فتنة ضلاله ؟ فقال: كل سيكون ! فقلت: ومن أين وأنا تارك فيهم كتاب الله ؟ قال: فبكتاب الله يفتنون وذلك من قبل أمرائهم وقرائهم ، يمنع الناس الأمراء الحقوق فيظلمون حقوقهم ولا يعطونها فيقتتلون ويفتنون ، ويتبع

القراء أهواء الأمراء فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون! فقلت كيف يسلم من سلم منهم؟ قال بالكف والصبر، إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعه تركوه). انتهى. ورواه الحكيم الترمذي، والسيوطي في الدر المنثور: ٣/٥٥، وفي نصهما: أتاني رسول الله وأنا أعرف الحزن في وجهه، فأخذ بلحيتي فقال إنا لله وإنا إليه راجعون..الخ). انتهى. وفيه دلالات بليغة، ولا يتسع المجال لشرحه!

ص: ٢٥

(تَلَمَّكَ الرَّسُولُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ، وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ). (البقره: ٢٥٣) والآيه صريحه في أن السنه الإلهيه جاريه في اختلاف الأمم بعد الرسل (عليهم السلام) الى عيسى (عليه السلام) والى نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن سببها بعض صحابه الرسول الذين ييغون على أهل الحق ويظلمونهم عن علم وعمد ، طمعاً في السلطه ، فتنقسم الأمه الى مؤمن وكافر ، بالمعنى الأعم للإيمان والكفر !

في الكافي: ٨/٢٧٠: (عن عمرو بن أبي المقدم ، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إن العامه يزعمون أن بيعه أبي بكر حيث اجتمع الناس كانت رضا لله جل ذكره ، وما كان الله ليفتن أمه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعده ؟

فقال أبو جعفر (عليه السلام): أو ما يقرؤون كتاب الله أو ليس الله يقول: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)؟

قال: فقلت له: إنهم يفسرون على وجه آخر . فقال: أوليس قد أخبر الله عز وجل عن الذين من قبلهم من الأمم أنهم قد اختلفوا من بعدما جاءتهم البيئات ، حيث قال: وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ، وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ).

وقال الكليني تعليقاً عليه: (وفى هذا ما يستدل له على أن أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اختلفوا من بعده ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر). انتهى .

وبهذا تستطيع أن تفسر الحديث الصحيح عن أهل البيت (عليهم السّلام) : (ارتدّ الناس إلا ثلاثة) ! ففي الكافي: ٢/٢٤٤ ، عن حمran بن أعين قال: قلت لأبي جعفر (عليه السّلام): جعلت فداك ما أقلنا ، لو اجتمعنا على شاه ما أفيناها ! فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك ، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا - وأشار بيده - ثلاثة ! قال حمran: فقلت: جعلت فداك ما حال عمار ؟ قال: رحم الله عماراً أبا اليقظان ، بايع وقتل شهيداً ، فقلت: في نفسي ما شيء أفضل من الشهاده ! فنظر إليّ فقال: لعلك ترى أنه مثل الثلاثة ! أيّهات أيّهات ! . انتهى .

والكفر هنا ليس بمعنى الحكم بخروجهم عن المله ، لأن أمير المؤمنين (عليه السّلام) الذي استشهد بهذه الآيه واستحل بها قتال البغاه ، عاملهم معاملة المسلمين .

٨ - آيه انقلاب الأمه على أعقابها بعد رسولها (صلى الله عليه وآله وسلم)!

إشارة

قال الله تعالى فى سورة آل عمران صلوات الله على نبينا وآله وعليهم: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ . وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ .

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَيَاتَ أَوْ قَاتَلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ). (آل عمران: ١٤٣ - ١٤٤) .

وهاتان آيتان من أربعين آيه نزلت فى معركة أُحُد (آل عمران ١٣٩ - ١٧٩) يوم افتضح الصحابه وهربوا! بعضهم عدواً متسلقين جبل أحد ، وبعضهم ركضاً الى المدينة! تاركين النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لسيوف قريش ورماحها! ولم يثبت معه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا- على (عليه السلام) وأبو دجانة الأنصارى ، ونسيه بنت كعب! ثم اشتد الوطيس فاستشهد أبو دجانة (رحمه الله) وجرح نسيه ، فلم يبق معه إلا على (عليه السلام) وحده!

وفى ذلك الوقت العصيب جاءت فاطمه الزهراء (عليها السلام) من المدينة راکضه الى المعركة كالصقر المنقض ، تواسى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسها ، وتضمد جراحه!

واغتمت قريش فرصه فرار الصحابه! فركزت حملاتها لقتل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعلى (عليه السلام) يردھا الواحده تلو الأخرى! وقد قاتل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى أول الأمر قتالاً شديداً ، رمياً بالقوس وضرباً بالسيف وطعنأ بالرمح ، ثم عمل بأمر ربه فانتھى (إلى صخره فاستتر بها ليتقى بها من السهام سهام المشركين ، فلم يلبث أبو دجانة إلا يسيراً حتى أثنى جراحه فتحامل حتى انتهى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلس إلى جنبه وهو مثخن لا- حراك به . وعلى لا يبارز فارساً ولا راجلاً إلا قتله الله على يديه حتى انقطع سيفه) (البحار: ٢٠/١٠٤، عن تفسير فرات) .

فأعطاه رسول الله ذا الفقار ، وكانت تأتى الحمله وأمامها فوج الرماح ، أو

الفرسان ، فيحمل عليهم علي (عليه السّلام) ويشق صفوفهم ويقتل قائدهم فينهزمون ، ثم تعود كتيبة أخرى بقائد جديد وطمع جديد أن يقتلوا محمداً وعلياً !

كان جيش المسلمين في معركة أحد نحو ألف مقاتل ، والمشركين نحو ثلاثة آلاف ، وقد انتصر المسلمون أول الأمر ، لكنهم عصوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتركوا مواضعهم وركضوا ليجمعوا الغنائم ، فاغتنم الفرصه خالد بن الوليد وباغت المسلمين فالتف عليهم من خلفهم ، وحمل ابن قميئه على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصل اليه بضربه خفيفه فتخيل أنه قتله ، وصاح المشركون وإبليسهم: قتل محمد! فانهمز الصحابه وصدّقوا الخبر! وظهر نفاق بعضهم فنادى: ألا إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى دينكم الأول! واجتمع الفارزون على الجبل عند صخره ، وقرروا أن يوسطوا رئيس المنافقين في المدينة ، فيأخذ لهم الأمان من أبي سفيان !

وقد حاول عليّ (عليه السّلام) أن يردهم قبل صعودهم الجبل لكن دون فائده ، فوبخهم ! قال أبو وائله يصف توبيخ عليّ (عليه السّلام) للفارين كما في تفسير القمي: ١/١١٤: (فرأيت علياً كالليث يتقى الدر ، وإذ قد حمل كفاً من حصى

فرمى به في وجوهنا ثم قال: شامت الوجوه وقطت وبطت ولطت ، إلى أين تفرون إلى النار؟! فلم نرجع ثم كرّ علينا الثانيه ويده صفيحه يقطر منها الموت فقال: بايعتم ثم نكثتم ، فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن قتل (أقتل)! فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان ناراً

أو كالفدحين المملوين دماً ، فما ظننت إلا ويأتي علينا كلنا ، فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت: يا أبا الحسن ، الله الله ، فإن العرب تكرر وتفر وإن الكره تنفى الفره ، فكأنه استحيا فولى بوجهه عنى ، فما زلت أسكن روعه فؤادى ، فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتى الساعة . ونظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى رجل من كبار المهاجرين قد ألقى ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة ، فناداه: يا صاحب

الترس ألق ترسك ومُرَّ إلى النار! فرمى بترسه فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا نسيه خذى الترس فأخذت الترس وكانت تقاتل المشركين ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لِمَ قام نسيه أفضل من مقام فلان وفلان !

وسمعوها منادياً ينادى من السماء: لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على ، فنزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: هذه والله المواساة يا محمد! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لأنى منه وهو منى . وقال جبرئيل: وأنا منكما). انتهى .

ونلاحظ في أحاديث أُخِرد كثره الكذب من رواه الخلفه ، للدفاع عنم يحبونهم من الهاربين ، وتعسفهم في إثبات مناقب مكذوبه لهم !

من ذلك: أنهم ادعوا أن عمر هو الذى أجاب أبا سفيان بعد المعركة ، عندما افتخر أبو سفيان بهزيمة المسلمين وقال: أعلُّ هبل ! مع أن المعركة جرت في وادي أحد ، وكان أبو سفيان في أدنى الجبل قرب المعركة ، أما عمر فكان باعترافه بعيداً يتسلق الجبل وينزو كالأروى أو الأرويه ، أى العنزه الجبلية ! (تاج العروس: ١٠/١٥٩) ! وقد وصفهم الله تعالى بقوله: إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ، فاستعمل فعل أضعد الرباعى ، الذى يدل على الإبعاد فى الصعود! فكيف سمع عمر كلام أبى سفيان ، وصار ناطقاً باسم الإسلام والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد كان فاراً لا يلوى على شئ ، ولا يسمع كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يناديه ويأمره بالرجوع ! وقد صحّت عندهم الروايه أنه كان من المصدقين بقتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان يتشاور مع طلحه وأبى بكر وغيرهم من القرشيين كيف يقنعون أباسفيان بتوبتهم من الإسلام ورجوعهم الى دينهم الأول!

أما الذى أجاب أبا سفيان فكان علياً (عليه السلام) وليس عمر: (فقال أبو سفيان وهو على الجبل: أعلُّ هبل ! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للأمير المؤمنين (عليه السلام) قل له: الله أعلى وأجل .

فقال: يا على إنه قد أنعم علينا! فقال على (عليه السّلام): بل الله أنعم علينا . ثم قال أبو سفيان: يا على أسألك باللات والعزى هل قتل محمد؟ فقال له أمير المؤمنين (عليه السّلام): لعنك الله ولعن الله اللات والعزى معك! والله ما قتل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يسمع كلامك! فقال: أنت أصدق، لعن الله ابن قميئه زعم أنه قتل محمداً! (تفسير على بن إبراهيم: ١/١١٧).

ويرد روايتهم أيضاً، ما رواه البخارى عن مداواه فاطمه (عليها السّلام) لجرح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن عمر وحزبه كانوا غائبين عن مكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)!

ومن ذلك: ما ادعته عائشه لابن عمها طلحه التيمى، أنه ثبت مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودافع عنه ولم يهرب، وأنه أصيب ببضعة وستين جراحه، كما أصيب على (عليه السّلام)!

راجع ابن كثير فى النهايه: ٤/٣٣! مع أن طلحه كان فى الفارين ولم يرجع لاهو ولا أبو بكر ولا عمر لأنهم لم يحضروا صلاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على شهداء أحد!

وقد بلغ بهم الغلو فى الدفاع عن الفارين أنهم اتهموا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه فرّ معهم! ففى صحيح ابن حبان: ١٥/٤٣٦: (عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله (ص) مُضَيَّعِينَ فى أحد، فذهب رسول الله (ص) على ظهره لينهض على صخره فلم يستطع، فبرك طلحه بن عبيد الله تحته فصعد رسول الله (ص) على ظهره حتى جلس على الصخره! قال الزبير فسمعت رسول الله (ص) يقول: أوجب طلحه). انتهى. أى استحق طلحه الجنة، لأنه ساعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فى فراره معهم بزعمهم!

وفى روايه البخارى فى تاريخه: ٨/١٦٢ (وتَبَطَّنَهُ طلحه يومئذ فحملة)!

وذكر المقرئى فى إمتاع الأسماع: ١/١٦٩: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان بدينياً وقد لبس يومها درعين! (وقد حملة طلحه حين انتهى إلى الصخره حتى ارتفع عليها)!!

وقال البخارى: ٢١٢/٤: (رأيت يد طلحه التى وقى بها النبي (ص) قد شلت)!!

وبهذا اخترعت مصادر الخلافه قضيه إسمها: أوجب طلحه الجنه ! (راجع من باب المثال: مسند أحمد: ١/١٦٥، والترمذى: ٣/ ١١٩، و: ٥/٣٠٧، والحاكم: ٣/٢٥) !!

وكل ذلك مناقض لما رووه أنفسهم وصححوه عن أنس بن النضر أنه (انتهى إلى عمر وطلحه في رجال من المهاجرين قد ألقوا بأيديهم ، فقال: ما يحبسكم . قالوا: قتل النبي! قال: فما تصنعون بالحياء بعده)؟! (النهاية: ٤/٣٩، وغيرها) !

وما رووه في صمود النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) في ساحه المعركه ، كما في سيره ابن هشام: ٣/٣٧٠، و ٦٠٣ عن ابن عباس (قال: إن رسول الله (ص) لم يبلغ الدرجه المبنيه في الشعب). انتهى . والدرجه تقع في آخر الوادى للصاعد الى الجبل !!

فالنبي (صلى الله عليه و آله وسلم) لم يترك موضعه في ساحه المعركه في وادى أحد قرب المهراس ، ولا صعد على صخره ولا شجره ! والصحابه هم الذين فروا مصعدين في الجبل كما وصفهم الله تعالى ، أو هارين الى المدينه !

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (فلما دنت فاطمه (عليها السلام) من رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) ورأته قد شُج في وجهه وأدمى فوه إدماءً ، صاحت وجعلت تمسح الدم وتقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله ! وكان رسول الله يتناول في يده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يتراجع منه شيء !

قال الصادق (عليه السلام): والله لو سقط منه شيء على الأرض لنزل العذاب .

قال أبان بن عثمان: حدثني بذلك عنه الصباح بن سيابه ، قال قلت: كسرت رباعيته كما يقوله هؤلاء؟ قال: لا والله ما

قبضه الله إلا سليماً ، ولكنه شُج في وجهه . قلت: فالغار في أحد الذي يزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) صار إليه ؟ قال: والله ما برح مكانه ، وقيل له: ألا تدعو عليهم؟ قال: اللهم اهد قومي). انتهى . (إعلام الورى: ١/١٧٩، والبحار: ٢٠/٩٦).

من جهه أخرى ، حاول رواه قريش طمس دور على (عليه السلام) في أحد، فلم يشيدوا

بمجيئ فاطمه الزهراء (عليها السلام) الى المعركة ! ويظهر ذلك من تتبع نصوصهم ومقارنتها بما روته مصادر أهل البيت (عليهم السلام). قال البخارى: ٣/٢٢٧: (لما كسرت بيضه النبي (ص) على رأسه ، وأدمى وجهه وكسرت رباعيته ، كان عليٌّ يختلف بالماء فى المجن ، وكانت فاطمه تغسله ، فلما رأت الدم يزيد على الماء كثره عمدت إلى حصير فأحرقتها ، وألصقتها على جرحه (يعنى رمادها) فرقأ الدم). انتهى.

فغايه ما ذكروه عن مجيئ فاطمه (عليها السلام) كيف غسلت جرح النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) فى وجهه وداوئته ، لكن فى حدود ما سمح به البخارى فقط !

قال القمى فى تفسيره: ١/١٢٤: (وخرجت فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) تعدو على قدميها ، حتى وافت رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) وقعدت بين يديه ، فكان إذا بكى رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) بكت لبكائه وإذا انتحب انتحبت ، ونادى أبوسفیان موعداً وموعداً فى عام قابل فتقبل ، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) للأمير المؤمنين (عليه السلام) قل: نعم). انتهى .

وينبغى الإشارة الى أن بكاء النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) آنذاك كان حباً وشكراً لفاطمه (عليها السلام) وكان بكاءها متأثراً لوحده النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) وجراحه !

أما على (عليه السلام) فقد غمطوه حقه ، بل لم يسلم

من ذمهم ! فقد زعموا أنه أعطى سيفه الى فاطمه (عليها السلام) لتغسله من الدم مفتخراً بنفسه ، فوبخه النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) وقال له لست أحسن من غيرك ! وروى بعضهم أنه أعطها سيفه فى أحد فاعترف أن فاطمه كانت هناك ، وبعضهم زعم أنه أعطها إياه عندما رجع الى المدينة !

المسألة الأولى: في أقسام المسلمين في الآيات وأهم صفاتهم

إشاره

القسم الأول: الطيبون ، المجاهدون ، المقاتلون ، الثابتون ، المحسنون ، الرّبيون ، الذين هم الأعلون ، لايهنون ولا يحزنون .

والقسم الثاني: المنافقون ، الذين تخلفوا عن المعركة بقياده عبدالله بن سلول . (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا....

والقسم الثالث: المؤمنون أصحاب الذنوب ، الذين استزلهم الشيطان ببعض ذنوبهم فهربوا وتركوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (لسيوف قريش ! (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) .

وهؤلاء قسما: فطائفه منهم مؤمنون حقيقيون ، لكنهم ضعفوا وارتكبوا معصيه الفرار بسبب ذنوبهم ، ثم وفق الله الكثير منهم للتوبه من فرارهم ، وهم الذين أصابهم الغم من عملهم ، وأنزل الله عليهم النعاس رحمه بهم: (إِذْ تُصَيِّدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لَكِنِّي لَآتِحْرَنُوكُمْ عَلَىٰ مَآءَاتِكُمْ وَلَا مَآءَاتِكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ . وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ...)

والقسم الرابع: طائفه الفارين المنافقين الذين لم يغموا لفرارهم ، ولم ينزل الله عليهم النعاس: (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هِيَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا

قُتِلْنَا هِيَ هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مِمَّا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ). وهؤلاء هم المعنيون بآيه الانقلاب ، وقد ذكر الله تعالى لهم خمس صفات وهى غير الصفات السلبية التى تفهم من مقارنتهم بالمؤمنين:

١ - أنهم طائفه مستقله فى مقابل طائفه المؤمنين ، وإن اشتركوا معهم فى الفرار .

٢ - أن ظنهم بالله تعالى ظنٌ جاهلى ، لأن نظرتهم الى الله تعالى وعقيدتهم به ما زالت جاهليه ، أو أقرب الى الجاهليه منها الى الإسلام ، فهم يتعاملون مع الله تعالى بمعادلات النفع الدنيوى ، كما يتعامل المشركون مع أصنامهم ، وكما يتعامل اليهود مع معبودهم ! ولا يعتقدون بهيمنتهم وقدرته وحكمته وإدارته لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) للوصول به الى الهدف الصحيح كما يعتقد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنون !

٣ - أنهم يرون أن قيادتهم هم أفضل من قياده النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقياده الله تعالى ، فبمجرد أن رأوا رجحان كفه المشركين فى المعركه ، أنحوا باللائمه على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى ربه سبحانه ! (يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا)

٤ - أنهم منافقون يظهرون للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنهم مؤمنون بالله وبرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولكنهم كذابون فهم لا يسلمون بالأمر لله ورسوله ، بل يريدون أن يكون الأمر لهم أو تكون لهم شراكه فيه ! يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ! وقصدهم بقولهم: مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ، أى ما قتل من قتل من المسلمين فى أحد ! فهم مع نفاقهم يتكلمون باسم المسلمين !

وكلامهم هذا قد يكون فى الجبل أو فى الطريق ، أو بعد رجوعهم الى المدينة وفى غياب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ! وهو محاوله خبيثه لتحريك المسلمين ضد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحميله مسؤوليه هزيمه أحد وقتل من قتل فيها ، ومطلبهم أن يكون لهم من الأمر شئ ، فلا يتصرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فى المواجهات القادمه بمفرده ، بل تكون القيادة جماعيه ! وهم فى منطقتهم هذا يتناغمون مع منطق ابن سلول وحزبه

الذين تخلفوا عن أحد ، مما يشير الى أن لهم علاقه معهم !

٥ - أن مشكلتهم عباده ذواتهم واهتمامهم بها ، وعدم الإهتمام بأمر الإسلام والمسلمين ! وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ...

صَدَّقُوا شَائِعَةَ قَتْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَاسْتَعَدُّوا لِإِعْلَانِ تَوْبَتِهِمْ لِأَبِي سَفِيَانَ !

ولا- بد أن يكونوا هم الذين ذكرهم المحدثون والمؤرخون بأنهم انقلبوا على أعقابهم ، وقرروا أن يعلنوا توبتهم من الإسلام ويرجعوا الى دينهم الأول ، وهو عباده الأصنام ، ولكن الرواه غطوا عليهم فلم يسموهم !

قال الطبرى فى تفسيره: ٤/١٥١: (سمعت الضحاک يقول فى قوله: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل..الآيه: ناسٌ من أهل الإرتياب والمرض والنفاق ، قالوا يوم فرّ الناس عن نبي الله(ص) وشجّ فوق حاجبه وكسرت رباعيته: قُتل محمد فالحقوا بدينكم الأول ! فذلك قوله: أفان

مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ! قال ابن زيد...: ما بينكم وبين أن تدعوا الإسلام وتنقلبوا على أعقابكم ، إلا أن يموت محمد أو يقتل ، فسوف يكون أحد هذين ، فسوف يموت أو يقتل) !!

وقال الرازى فى تفسيره: ٩/٢٢: (المسأله الثالثه: قوله: انقلبتم على أعقابكم ، أى صرتم كفاراً بعد إيمانكم ، يقال لكل من عاد إلى ما كان عليه: رجع وراءه وانقلب على عقبه ، ونكص على عقبيه ، وذلك أن المنافقين قالوا لضعفه المسلمين: إن كان محمد قُتل فالحقوا بدينكم ، فقال بعض الأنصار: إن كان محمد قتل ، فإن رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد). انتهى

لكن الرازى وغيره لم يبينوا متى صدر منهم هذا الكفر ، وأين ، ومن قاله !؟

ولا نجد لكلامهم وقتاً إلا بعد هزيمه المسلمين ، وقبل انسحاب أبى سفيان عن المدينه ، فلم ينقل أحد هذا الكلام إلا عن هذه الطائفه الذين أهمتهم أنفسهم ،

ولم يشملهم النعاس ، بل آووا فى الجبل الى صخره ، وتشاوروا فيمن يرسلون ليأخذ لهم الأمان من أبى سفيان !

قال الطبرى فى تاريخه: ٢/٢٠١: (وفشا فى الناس أن رسول الله(ص) قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخره: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبى فيأخذ لنا أمنه من أبى سفيان! يا قوم إن محمداً قد قُتل فارجعوا إلى قومكم ، قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ! قال أنس ابن النضر: يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإن رب محمد لم يُقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ! اللهم إنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ! ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل). انتهى

صاحوا فى أحد داعين الى الرده والإستسلام !!

وتفاجؤك نصوصٌ خطيره تنص على أن مجموعه صحابه(مهاجرين) قرشيين ، دعوا الناس الى الرده والكفر علناً ، بمجرد أن شاعت شائعه قتل النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) ! وذلك بعد جوله القتال الأولى ، عندما التفَّ المشركون على المسلمين وفاجؤوهم من ورائهم وقتلوا منهم ، وأشاعوا أنهم قتلوا النبى(صلى الله عليه و آله وسلم) !

وينص بعضها على أن أحدهم وقف على تل يدعو المنهزمين الى الرجوع الى دينهم الأول والتسليم لأبى سفيان قبل أن يأتى القرشيون ويقتلوهم ! وأنه عقَّب كلامه هذا بقوله: (إنهم لعشائرننا وإخواننا) ! فمن يكون هذا المنادى إلا رئيس الطائفه الذين قال الله تعالى عنهم: (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ)

والناطق الرسمى بإسمهم ! فمن هو هذا الصحابى القرشى الصارخ على التل بالدعوه الى الكفر؟! وهل لقصه أنس بن النضر وبراءته منهم علاقه بالموضوع !؟

طبعى أنك لا تنتظر من رواه خلافه قريش أن يبينوا إسمه ! لكنك بالتأمل فى نصوصهم تعرف من هم الصحابه أبطال هذه القصه الذين رووا أقوالهم بدون

ذكر أسمائهم فقالوا: نادى منادٍ يوم أحد حين هزم أصحاب محمد: ألا إن محمداً قد قُتل ، فارجعوا إلى دينكم الأول..وقالوا: لو أن محمداً كان حياً لم يهزم ، ولكنه قد قُتل ! وقال أناس منهم: لو كان نبياً ما قُتل !! قال أهل المرض والإرتياب والنفاق حين فرّ الناس عن النبي(ص): قد قتل محمد ، فالحقوا بدينكم الأول !

قال السيوطى فى الدر المنثور: ٢/٨٠: (وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: نادى منادٍ يوم أحد حين هزم أصحاب محمد: ألا إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى دينكم الأول ، فأُنزل الله: وما محمد إلا رسول..الآيه . وأخرج ابن جرير من طريق العوفى ، عن ابن عباس أن رسول الله(ص)اعتزل هو وعصابه معه يومئذ على أكمه والناس يفرون ، ورجلٌ قائمٌ على الطريق يسألهم ما فعل رسول الله؟وجعل كلما مروا عليه يسألهم فيقولون: والله ما ندرى ما فعل . فقال: والذى نفسى بيده لئن كان قتل النبي لنعطينهم بأيدينا ، إنهم لعشائرننا وإخواننا ! وقالوا: لو أن محمداً كان نبياً لم يهزم ولكنه قد قتل! فترخصوا فى الفرار حينئذ ! فأُنزل الله: وما محمد إلا رسول..الآيه كلها.

وأخرج ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، عن الربيع فى الآيه قال: ذلك يوم أحد حين أصابهم من القتل والقرح وتداغوا نبى الله ، قالوا قد قتل ، وقال أناس منهم لو كان نبياً ما قتل ، وقال أناسٌ من عليه أصحاب النبي(ص): قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به . وذكّر لنا أن رجلاً من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشخّطُ فى دمه فقال: يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل؟ فقال الأنصارى: إن كان محمد قد قتل فقد بلّغ ، فقاتلوا عن دينكم !

وأخرج ابن جرير ، عن ابن جريج قال: قال أهل المرض والإرتياب والنفاق حين فر الناس عن النبي (ص): قد قتل محمد ، فالحقوا بدينكم الأول ! فنزلت هذه الآيه: وما محمد إلا رسول..الآيه).

وفى سيره ابن هشام: ٣/٦٠٠: (قال ابن إسحاق: وحدثنى القاسم بن عبد الرحمن

بن رافع ، أخو بنى عدى بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب ، وطلحه بن عبيد الله ، فى رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ! قال: فماذا تصنعون بالحياه بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ، ثم استقبل القوم ، فقاتل حتى قتل). (ورواه ابن كثير فى سيرته: ٣/٦٨ ، وكثيرون . راجع أيضاً: النهايه: ٤/٣٥ ، وعيون الأثر: ١/٤١٧) . وهى نصوص صارخه تكفى لمعرفة من هم الصحابه الذين نكصوا على أعقابهم ، وصرخ صارخهم يدعوا المسلمين الى الكفر ! ووصفهم ابن جريح بأنهم: (أهل المرض والإرتياب والنفاق) !

المسأله الثانيه: الصحابه المنقلبون فى معركه الخندق وحجه الوداع

نلاحظ أن صفات المنقلبين فى أُحُد فى السنه الثانيه للهجره ، بقيت ثابتة لهم فى معركه الأحزاب فى السنه الخامسه للهجره ، وكذلك فى حجه الوداع فى السنه العاشره للهجره ! وفى الآيه العاشره حتى السابعه عشره من سوره الأحزاب تجد وحده الخيوط وأقسام المسلمين ! فالتابتون المحسنون الربانيون قله ، والضعفاء كثره ، والمنافقون ناشطون ، ولا نقصد بهم حزب ابن سلول ، بل المنافقين المهاجرين المخلوطين بالمؤمنين ! فالذين قال الله عنهم فى معركه أُحُد: (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ) ! هم أنفسهم الذين قال الله عنهم فى معركه الأحزاب: (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا) .

ومرضى القلوب فى أُحُد ، الذين فروا الى الجبل وقالوا: (لو كان نبياً ما قتل) !

هم المنافقون الذين قال الله عنهم فى سوره الأحزاب: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) .

والذين قال الله تعالى لهم فى أُحُد: (وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ) .

هم الذين قال الله عنهم هنا: (وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُوا الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا. أَشِحَّهٗ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنَّيِّبِ حَدَادٍ شَحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) .

والذين ثبتوا فى أُحُد فقال الله عنهم: (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) .

هم الذين قال الله عنهم هنا: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا . لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا).

ونفس الخيوط والخطوط والشخصيات تجدها في السنة العاشرة للهجرة ، في سورة المائدة ، سورة حجه الوداع ، وهي آخر سورة نزلت من القرآن !

وهذا يدلنا على أن مشكله الإسلام هي هؤلاء المنافقون ، الذين يكمن فيهم الانقلاب على الأعقاب ، وينتظر أن يغمض الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) عينيه !

إن سورة المائدة تتضمن خارطة للأخطار على الأمة ، وطريقه معالجتها ، ونكتفي منها بآيات تتعلق بآية الانقلاب:

المسارعون في الكفر هم المسارعون في الانقلاب ! (المائدة: ٤١)

أنهم عباد أنفسهم وأهوائهم يطمعون بالتأثير على النبي (صلى الله عليه و آله وسلم): (المائدة: ٤٨)

أن خطر ارتباطهم باليهود والنصارى سيستمر بعد النبي (صلى الله عليه و آله وسلم): (المائدة: ٥٢).

أن خطر الانقلاب أو خطر الرده ما زال قائماً: (المائدة: ٥٤ - ٥٦)

أن عمليه تمييز الخبيث من الطيب طويله الأمد: (المائدة: ٩٩ - ١٠٠)

أن عذاب الصحابه المنقلبين لا يشبهه عذاب أحد من العالمين: (المائدة: ١١١ - ١١٥)

المسأله الثالثه: هل أن آيه الانقلاب تحذير أم إخبار بوقوعه؟

تقول الآيه: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)؟

وقد يقال: إن الآيه ليست أكثر من استفهام إنكارى ، فهى جمله شرطيه استفهاميه ، لا تدل على وقوع شرطها وجزائها !

فيقال: نعم هى جمله فرضيه ، لكن المتكلم هو الله تعالى والفرض منه له دلالة وهو يدل هنا على أن انقلابهم محتمل الوقوع ، أما وقوعه بالفعل فقد تكفلت به السنه والتاريخ ! على أن فى الآيه دلالة أكثر من الشرطيه فى قوله تعالى: (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) ، حيث قَسَمَ الأُمه بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الى منقلبين على أعقابهم ، وشاكرين على ما أصابهم !

وقد يجاب: إن احتمال الوقوع احتمال عقلى مجرد كاحتمال أن يكفر الأنبياء والرسول (عليهم السلام) فى قوله تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ). (الزمر: ٦٥) ، فتحذيرات الأنبياء (عليهم السلام) لاتدل على وقوع الشرط منهم ، فكذلك تحذيرات المؤمنين من الرده .

والجواب: أن الدليل الخارجى دل على أن هذا الإحتمال فى الأنبياء (عليهم السلام) لن يتحقق لنبوتهم وعصمتهم ، أما فى حق غيرهم فيبقى احتمالا عاديا ! ولذا لم يكتف بفرضيه الانقلاب فى الآيه ، بل قسم الأُمه الى منقلبين على أعقابهم ، وشاكرين ، ووعد الشاكرين بجزاء جميل !

(وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) .

قد يقال: لو سلمنا أن بعض الصحابه قد انقلب على عقبيه فى أحد ودعا الى

الكفر ، فقد كانت فلتته وقي الله المسلمين شرها ، والصحابه الذين انقلبوا أو كادوا ، تابوا ثم شاركوا في حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد يكونون فرّوا من معارك أخرى وتابوا أيضاً ، ولم نسمع أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عَنَّفَهُمْ ، فالملاك حسن العقابه ، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مات وهو عنهم راض ، ولم يخبر أنهم سينقلبون بعد موته ويكفرون !

والجواب: أن وقوع الانقلاب والرده في أحد من بعض الصحابه معلومٌ بروايه أتباعهم ، فضلاً عن رواياتنا ، أما توبتهم منه فلم يروها أحد .

ولا بد أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبَّخَهُمْ بعد أحد ، وقال لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ، حيث لم يصل إلينا كل ما قاله وما فعله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)! والسنة التي سمحت الخلفه القرشيه بتدوينها بعد قرن ونصف ، لا تغطي إلا القليل من سيرته وأقواله وأفعاله (صلى الله عليه وآله وسلم) !

على أنهم رووا طرفاً من توبيخه (صلى الله عليه وآله وسلم) لبعضهم عندما اعترض عليه عمر في صلح الحديبيه ، قال السيوطي في الدر المنثور: ٦/٦٨: (وأخرج البيهقي عن عروه قال: أقبل رسول الله (ص) من الحديبيه راجعاً

، فقال رجل من أصحاب رسول الله: والله ما هذا بفتح ، لقد صُدِدنا عن البيت ، وُصِدَّ هَدْيُنَا ، وعكف رسول الله بالحديبيه ، ورَدَّ رجلين من المسلمين خرجا ! فبلغ رسول الله (ص) قول رجال من أصحابه إن هذا ليس بفتح فقال: بئس الكلام هذا أعظم الفتح لقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضييه ، ويرغبون إليكم فى الإياب ، وقد كرهوا منكم ما كرهوا وقد أظفركم الله عليهم وردكم سالمين غانمين مأجورين ، فهذا أعظم الفتح ! أنسيتم يوم أحد ، إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم فى أخراكم ! أنسيتم يوم الأحزاب ، إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) . انتهى .

ولا شك أن هذا بعض أحداث الحديبيه ، ومثله ما روى عن أحد والخندق !

وأما القول بأن الملاك حسن العاقبه وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مات وهو راض عنهم .

فجوابه: إن أصح كتاب عند أتباع الصحابه بعد كتاب الله تعالى ، هو البخارى وقد روى عده أحاديث ترسم مشهداً كارثياً للصحابه فى الآخره وأنهم يدخلون جهنم ، ويؤمنون حتى من مواجهه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)! وأنه ينكشف يومها للناس أنهم كانوا مجرمين كباراً انقلبوا على أعقابهم ، وأوقعوا الأمه فى أعظم كارثه !

بل روى البخارى أنه لاينجو منهم من جهنم إلا قله قليله ، مثل الغنم المنفرده عن القطيع ! فقطيع الصحابه هالك ، ولا يسلم إلا المعارضون المنفردون عنه !

قال البخارى: ٧/٢٠٨: (عن أبى هريره عن النبي (ص) قال: بينا أنا قائمٌ فإذا زمرهٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلّم ، فقلت أين؟ قال إلى النار والله ! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ! ثم إذا زمره حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلّم ! قلت: أين؟ قال: إلى النار والله ! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) ! انتهى.

وقد صرحت الروايه الآتية للبخارى بأن هؤلاء المطرودين عن الحوض من الصحابه ، وفسرها شراحه بالصحابه ! فقد روى البخارى: ٢/٩٧٥: (يرد على الحوض رجالٌ من أصحابى فيحلّون عنه فأقول يارب أصحابى ! فيقول: فإنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى)! وشبههاً به فى: ٨/٨٦. و: ٧/١٩٥ و ٢٠٧-٢١٠ و ص ٨٤ و ٨٧ و: ٨/٨٦ و ٨٧ ، ونحوه مسلم: ١/١٥٠ و: ٧/٦٦ وابن ماجه: ٢/١٤٤ وأحمد: ٢/٢٥ و ٢/٤٠٨ و: ٣/٢٨ و: ٥/٢١ و ٢٤ و ٥٠ و: ٦/١٦ ، والبيهقى فى سننه: ٤/١٤ ، وغيرهم ، وفى بعضها تفاصيل مهمه، ذكرنا بعضها فى المسأله ٦٩ من كتاب: (ألف سؤال وإشكال على المخالفين).

٩ - فتنه هذه الأمة بالأئمة المضلين ، على سنن من قبلها !

شهدت عامه المصادر كالبخارى ومسلم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حذّر المسلمين مراراً وتكراراً من الانحراف بعده ، وفى نفس الوقت أخبرهم بأن ذلك سيكون ، فقال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبِّ تبعتموهم ! قلنا: يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال: فمن !؟) .

وقال لهم فى مناسبة أخرى: (والذى نفسى بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، وباعاً فباعاً ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبِّ لدخلتموه ! قالوا ومن هم يا رسول الله ، أهل الكتاب ؟ قال: فَمَهْ !؟) .

وقال فى مناسبة أخرى: (لاتقوم الساعة حتى تأخذ أمتى مأخذ الأمم والقرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، قالوا: يا رسول الله كما فعلت فارس والروم ؟ قال: وهل الناس إلا - أولئك !؟) . (روت ذلك عامه المصادر كالبخارى: ٩/١٢٦ و ٨/١٥١ ، ومسلم: ٤/٢٠٥٤ عن أبى سعيد الخدرى ، ونحوه ص ٢٠٥٥ ، وأحمد: ٢/٣٢٧ و ٣٢٥ و ٤٥٠ ، ونحوه ص ٣٣٦ و ٣٦٧ و ٥٢٧ و ٣/٨٤ و ٩ و ٩٤ و ٤/١٢٥ ، والرويانى: ح - ١٠٨٥ عن سهل بن سعد ، والبغوى فى المصابيح: ٣/٤٥٨ ، من صحاحه ، عن أبى سعيد ، كما فى روايه البخارى الثانية ، وجامع الأصول: ١٠/٤٠٩ ح - ٧٤٧٢ ، و ٧٤٧٣ ، وجمع الجوامع: ١/٩٠٢ ، والجامع الصغير: ١/٤٠١ ح - ٧٢٢٤ ، ومجمع الزوائد: ٧/٢٦١ ، وفيض القدير: ٥/٢٦١ ، ومسند ابن الجعد ص ٤٩١ ، والديباج على مسلم: ٦/٣٣ و ٣٤ ، ومصنف عبد الرزاق: ١١/٣٦٩ ، وكتر العمال: ١٤/٢٠٧) .

ورواه فى الكنى والأسماء: ٢/٣٠ وفيه: عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ولتركن سنن من كان قبلكم شبراً حتى لو أن أحدهم دخل جُحْرَ ضَبِّ دخلتم ، وحتى لو أن أحدهم ضاجع أمه بالطريق لفعلتم !

والحاكم: ١/٣٧ و ٤/٤٥٥ و صححه وفيه: حتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه .

ومصنف ابن أبى شيبة: ٨/٦٣٤ ، وفيه: (أنتم أشبه الناس سمناً وهدياً بنى إسرائيل لتسلكن طريقهم حدوالقذه بالقذه والنعل بالنعل) . قال عبد الله: إن من البيان سحراً .

وقال في هامشه: القُذَّة ريش السهم ، وللسهم ثلاث قذذ متقاربه الواحده بجانب الأخرى، ويقال حذو القذّه بالقذّه للشئيين يستويان ولا يتفاوتان).

وفي شرح النووى: ١٦/٢١٩: (السَّن بفتح السين والنون هو الطريق ، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب: التمثيل بشده الموافقه لهم).

وفي فتح البارى: ١٣/٢٥٥: (قال عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر ، تمثيلٌ للإقتداء بهم فى كل شئ مما نهى الشرع عنه وذمه.... وقد أخرج الطبرانى من حديث المستورد بن شداد رفعه: لا تترك هذه الأمه شيئاً من سننن الأولين حتى تأتية.... وحيث قيل اليهود والنصارى كان هناك قرينه تتعلق بأمر الديانات أصولها وفروعها.... وأخرج ابن أبى خيثمه من طريق مكحول عن أنس ، قيل: يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر فى بنى إسرائيل ، إذا ظهر الإدهان فى خياركم ، والفحش فى شراركم ، والملك فى صغاركم ، والفقه فى رذالكم). انتهى .

وفى مناسبة أخرى قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): (لتنقض عرى الإسلام عروه عروه، كلما نقضت عروه تشبث الناس بالتي تليها ، فأولهن نقضاً الحكم ، وآخرهن الصلاة).

(رواه من مصادرنا: الشيخ الطوسى (رحمه الله) وغيره ، قال فى الأمالى ص ١٨٦: أخبرنا محمد بن محمد قال: أخبرنى أبو محمد الحسن بن محمد العطشى قال: حدثنا أبو على محمد بن همام الإسكافى قال: حدثنا حمزه بن أبى جمه الجرجائى الكاتب قال: حدثنا أبو الحارث شريح قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد العزيز بن سليمان، عن سليمان بن حبيب ، عن أبى أمامه الباهلى عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم).

ورواه من مصادرهم: أحمد: ٥/٢٥١، والبخارى فى تاريخه: ٨/٣٣٣ ح ٣٢١٤، وابن حبان: ٨/٢٥٣ ح ٦٦٨٠، عن أبى أمامه . والطبرانى الكبير: ٨/١١٦، والجامع الصغير: ٢/٤٠٣ ح ٧٢٣٢، وص ٤٧٣، والحاكم: ٤/٩٢، وقال: والإسناد كله صحيح ولم يخرجاه. ومجمع الزوائد: ٧/٢٨١، وقال: رواه أحمد والطبرانى ، ورجالهما رجال الصحيح).

وفى هذه الأحاديث نقاط مهمه تعرضنا لها فى (ألف سؤال وإشكال) خلاصتها:

أولاً ، أن معناها أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نعى الأمة الى نفسها ، وأنها ستتحرف بعده ، وهى حقيقه مره وخطيره لكنها قطعيه !

ثانياً ، أن مقصوده (صلى الله عليه وآله وسلم) انحراف غالبية الأمة ، وليس فئه صغيره منها ، وإلا- لقال: ليتبعن فئه من أمتى ، أو مارقه من أمتى سنن من كان قبلهم . ولم يصح أن يوجه خطابه الى جميع الأمة فيقول (صلى الله عليه وآله وسلم): لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً...والذى نفسى بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم.. ولتركن سنن من كان قبلكم...

ثالثاً ، أن الإلحراف الموعود يشمل العقائد والشرائع والسياسه ، كما حدث فى بنى إسرائيل ، الذين شمل انحرافهم أصول عقيدتهم بالله تعالى ، وطعنهم بأنبيائهم ومخالفتهم لأوصيائهم (عليهم السلام) واتباعهم لغيرهم ! وقد نصت بعض صيغ الأحاديث على الشمول ، كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): لتنقض عرى الإسلام عروه عروه ، كلما نقضت عروه تشبث الناس بالتي تليها ، فأولهن

نقضاً الحكم ، وآخرهن الصلاه . وسواء أراد بالحكم الخلافه ، أو القضاء ، فهو يدل على انحراف السلطه الحاكمه .

رابعاً ، هذه الأحاديث النبويه تفسر آيه الانقلاب على الأعقاب: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران: ١٤٤) ، وأن الشرطييه والإستفهام فيها إنذارٌ واستنكار وإخبار ! وليس قضيه فرضيه لن تحدث !

خامساً ، أين هو هذا الإلحراف فى الأمة ، إن لم يكن ما تقوله الشيعة ؟ فلو سألت بعضهم: هل تحقق ما أخبر به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و آله واتبعت الأمة سنن اليهود والنصارى؟! لحاول أن ينفى ذلك ويثبت لك أن الأمة بعد نبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) مشت على طريق الهدى ، واتبعت خير أصحابه أبا بكر وعمر ، وأن الذين ارتدوا قبائل قليله تم إخضاعهم ، وأن الذين انحرفوا هم فئه قليله من أهل الأهواء والبدع ، وهم الرافضه الذين رفضوا خلافه أبى بكر وعمر ، وزعموا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى لعلى والعترة (عليهم السلام) !

ولو قلت له: لو كانت أغلبية الأمة مهتديه لما صح هذه الإطلاق والتعميم في كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكن اللّازم أن يقول مثلاً: لتبعن فئه من أمتى ، أو مارقه من أمتى سنن من كان قبلها؟!

إنه لاجواب عندهم على هذا التعميم المبين المتواتر في كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلا أن يطعن أحد في صدق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والعياذ بالله !

سادساً ، من أين يبدأ هذا الإنحراف الخطير في الأمة ؟

والجواب: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حدد مصدر الإنحراف وأساس الفتنة بأنه حكام قريش وأئمتهم المظلون وأغيلمه قريش ! ففي مجمع الزوائد: ٥/٢٣٩: (وعن ثوبان قال رسول الله (ص): إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين . رواه أحمد ورجاله ثقات... وعن سداد بن أوس قال قال رسول الله (ص): إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين... رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح..... قال قال عمر لكعب: إني سائلك عن أمر فلا تكتمني . قال: والله ما أكتمك شيئاً أعلمه ، قال: ما أخوف ما تخاف على أمه محمد (ص)؟ قال: أئمة مضلين ، قال عمر: صدقت قد أسرّ إليّ وأعلمنيه رسول الله (ص). رواه أحمد ورجاله ثقات .)

وروى أحمد: ٥/١٤٥، عن أبي ذر قال: كنت أمشي مع رسول الله (ص) فقال: لغير الدجال أخوفني على أمتي . قالها ثلاثاً! قال قلت يارسول الله ، ما هذا الذي غير الدجال أخوفك على أمتك قال: أئمة مضلون)! (ورواه أبو يعلى: ١/٣٥٩ ح ٤٦٦ ، والفردوس: ٣/١٣١ ح ٤١٦٣ عن علي) .

وفي سنن الترمذي: ٣/٣٤٢: (عن ثوبان قال قال رسول الله (ص): إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين . لا تزال طائفه من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله . هذا حديث صحيح). وقال في شرحه في تحفه الأحوذى: ٦/٤٠١:

(باب ما جاء فى الأئمة المضلين: قوله: إنما أخاف على أمتى أئمة مضلين ، أى داعين إلى البيع والفسق والفجور.... قوله (هذا حديث صحيح) ، وأخرجه مسلم وابن ماجه بدون ذكر إنما أخاف على أمتى أئمة مضلين . وأخرجه أبوداود مطولاً).

انتهى . وروى ابن أبى شيبه فى المصنف: ١٥/١٤٢: (عن على قال: كنا عند النبى (ص) جلوساً وهو نائم ، فذكرنا الدجال فاستيقظ محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم عندى من الدجال: أئمة مضلون). انتهى .

أما من طرق أهل البيت (عليهم السّلام) فقد روى الطوسى فى أماليه: ٢/١٢٦ حديث ابن أبى شيبه بدون حذف فقال: (عن عبد الله بن يحيى الحضرمى قال: سمعت علياً (عليه السّلام) يقول: كنا جلوساً عند النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو نائم ورأسه فى حجرى فتذاكرنا الدجال ، فاستيقظ النبى محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم من الدجال ، الأئمة المضلون، وسفكك دماء عترتى من بعدى، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم).

وفى كمال الدين للصدوق ص ٢٨١: (عن سعيد بن غزوان عن أبى بصير ، عن أبى عبد الله عن آبائه (عليهم السّلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): إن الله عز وجل اختار من الأيام الجمعة ، ومن الشهور شهر رمضان ، ومن الليالى ليله القدر ، واختارنى على جميع الأنبياء ، واختار منى علياً وفضله على جميع الأوصياء ، واختار من على الحسن والحسين ، واختار من الحسين الأوصياء من ولده ، ينفون عن التنزيل تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل المضلين ، تاسعهم قائمهم). انتهى .

ونختم بما رواه فى الكافى: ١/٦٢ ، وتفسير العياشى: ١/١٤ ، بسند صحيح عن سُلَيْم بن قيس الهلالى ، قال قلت لأمير المؤمنين (عليه السلام): إني سمعت من سلمان والمقداد وأبى ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبى الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) غير ما فى أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ، ورأيت فى أيدي الناس أشياء كثيرة

من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أن ذلك كله باطل ، أفترى الناس يكذبون على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متعمدين ؟ ويفسرون القرآن بآرائهم ؟ قال: فأقبل عليّ فقال:

قد سألت فافهم الجواب . إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ، ومحكماً و متشابهاً ، وحفظاً ووهماً ، وقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على عهده حتى قام خطيباً فقال: أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابه ، فمن كذب على متعمداً فليتبوء مقعده من النار ! ثم كُذِبَ عليه من بعده ! وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيمان، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (متعمداً ، فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورآه وسمع منه ، وأخذوا عنه ، وهم لا يعرفون حاله ، وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمِعُ لِقَوْلِهِمْ . ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاه إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال ، وحملوهم على رقاب الناس ، وأكلوا بهم الدنيا ! وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله ، فهذا أحد الأربعة .

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحمله على وجهه ووهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه فيقول: أنا سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه ، ولو علم هو أنه وهم لرفضه .

ورجل ثالث سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم ، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه ، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه . و آخر رابع لم يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لم ينسه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه

ولم ينقص منه ، وعلم الناسخ من المنسوخ ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل القرآن ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ، قد كان يكون من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الكلام له وجهان: كلام عام وكلام خاص مثل القرآن ، وقال الله عز وجل في كتابه: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا . فيشبهه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وليس كل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يسأله عن الشيء فيفهم ! وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجيب الأعرابي والطارئ فيسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يسمعوا . وقد كنت أدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل يوم دخله وكل ليله دخله فيخيلني فيها أدور معه حيث دار ، وقد علم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله وسلم أكثر ذلك في بيتي ، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلائي وأقام عنى نسائه ، فلا يبقى عنده غيري ، وإذا أتاني للخلوه معي في منزلي لم تقم عنى فاطمه ، ولا أحد من بنى ، وكنت إذا سألته أجابني ، وإذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني ، فما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آية من القرآن إلا - أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي ، وعلمني تأويلها وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا ، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ، ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعه أو معصيه إلا علمنيه وحفظته ، فلم أنس حرفاً واحداً ، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً ، فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه ، أفتتخوف عليّ النسيان فيما بعد ؟ فقال: لا ، لست أتخوف عليك النسيان والجهل . وقد أخبرني ربي أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك . فقلت: يا رسول الله ومن

شركائى من بعدى؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه وبى . فقال: الأوصياء منى إلى أن يردوا على الحوض ، كلهم هاد مهتد لا يضرهم من خذلهم ، هم مع القرآن والقرآن معهم ، لا يفارقهم ولا يفارقونه ، بهم تنصر أمتى وبهم يمطرون ، وبهم يدفع عنهم ، وبهم استجاب دعاءهم . فقلت: يا رسول الله سمهم لى فقال: ابنى هذا ، ووضع يده على رأس الحسن ، ثم ابنى هذا ووضع يده على رأس الحسين ، ثم ابن له يقال له على ، وسيولد فى حياتك فاقرأه منى السلام ، ثم تكمله اثنى عشر من ولد محمد . فقلت له: بأبى أنت وأمى فسمهم لى ، فسماهم رجلاً رجلاً فيهم والله يا أخا بنى هلال مهدي أمه محمد(صلى الله عليه وآله وسلم الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، والله إنى لأعرف من يبايعه بين الركن والمقام وأعرف أسماء آبائهم وقبائلهم). (ورواه النعمانى/٧٥ ، والطبرى الشيعى فى المسترشد/٢٩ ، والصدوق فى كمال الدين: ١/٢٨٤ ، والخصال: ١/٢٥٥ ، والحرانى فى تحف العقول/١٩٣ ، والطبرى فى الإحتجاج: ١/٢٦٤ ، وابن ميثم البحرانى فى شرح النهج: ٤/١٩ ، والحر العاملى فى إثبات الهداه: ١/٦٦٤ ، والمجلسى فى البحار: ٢/٢٢٨ ، و: ٣٦/٢٧٣ و ٢٧٦ ، و: ٩/٩٨ . ويوجد قسم منه فى نهج البلاغه ، شرح صبحى الصالح ، خطبه ٢١٠ ، وشرح محمد عبده: ٢١٤ . وروى ابن الجوزى قسماً منه فى تذكره الخواص ص ١٤٣ ، مرسلأ عن كميل بن زياد).

تكشف آيه الشجره الملعونه فى القرآن وأحاديثها ، قوانين صعبه التعقل فى إداره الله تعالى للبشر ، وحقائق صعبه التحمل عن مستقبل الأمة الإسلاميه !

قال الله تعالى: (وَإِنْ مِنْ قَوْمٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا . وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا . وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحْرَأُ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا . وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ اسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا . قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا . قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا . وَاسْتَفْزَزَ مِنْهُمُ الْجِبُّ مِمَّا عَمِلَ وَرَجَلَكَ وَشَارِكُكُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا . إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا .) (الإسراء: ٥٨ - ٦٥)

وخلصه تفسيرها: أن سنه الله تعالى أنه سيهلك الدول والحضارات التي يقيمها البشر على غير هداه أو يعذبها قبل يوم القيامة ، وذلك عندما يأتي الوقت لإقامه دوله العدل الإلهي . وسيمهل هذه الأمة الآخره ولن يعاجلها بآيات العقوبه كبعض الأمم السابقيه ، وأنها سوف تقيم دولاً وحضاره على غير هدى الله ، وقد أرى الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى منامه دوله الشجره الملعونه التي ستتسلط على أمته وصور له قادتها وهم ينزون نزو القروود على منبره ويضلون أمته !

ثم بيّن أن مشكله هؤلاء القروود حسدهم للنبي وآله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهى مشكله أعداء الأنبياء (عليهم السلام) المزمناه بل مشكله إبليس مع آدم (عليه السلام) !

وقد شرح ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: في نهج البلاغه: ١/٨٢: (والله ما تنقم منا قريش إلا- أن الله اختارنا عليهم ، فأدخلناهم في حيزنا ، فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمرى شربك المنخض صابحاً

وأكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن

علياً وحطنا حولك الجرد والشمرا) .

وقال (عليه السلام): (أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا ، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرّمهم ، وأدخلنا وأخرجهم !

بنا يستعطى الهدى ، ويستجلى العمى . إن الأئمة من قريش ، غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاه من غيرهم). (نهج البلاغه: ٢/٢٧) .

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): في قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) : نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامه دون خلق الله أجمعين . فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ، يقول: جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة ، فكيف يقرون به في آل إبراهيم (عليه السلام) وينكرونه في آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! وقال الراوى بريد العجلي: قلت: وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا؟ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله ، فهو الملك العظيم). (الكافي: ١/٢٠٥)

وقد صحت الأحاديث النبويه في مصادر الجميع ، في أن الشجره الملعونه في القرآن هم بنو أميه ! وأورد الأميني (رحمه الله) قسماً منها في الغدير: ٨/٢٤٨ قال: (وأخرج الطبري والقرطبي وغيرهما من طريق سهل بن سعد قال: رأى رسول الله (ص) بنى أميه ينزون على منبره نزو القرده فساء ذلك ! فما استجمع ضاحكاً حتى مات ، وأنزل الله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا . وروى القرطبي والنيسابوري عن ابن عباس: إن الشجره الملعونه هم بنو أميه . وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمرو أن

النبى(ص)قال: رأيت ولد الحكم بن أبى العاص على المنابر كأنهم القردة فأنزل الله: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ . يعنى الحكم وولده... الخ . راجع لزياده المصادر فيما روينا: تفسير الطبرى ١٥: ٧٧ ، تاريخ الطبرى ١١: ٦ ، ٣٥ ، مستدرك الحاكم ٤: ٤٨ ، تاريخ الخطيب ٨: ٢٨ و ج ٩: ٤٤ ، تفسير النيسابورى هامش الطبرانى ١٥: ٥٥ ، تفسير القرطبي: ١٠: ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، النزاع والتخاصم للمقريزى ص ٥٢ ، أسد الغابه: ٣/١٤ من طريق الترمذى ، تطهير الجنان لابن حجر هامش الصواعق ص ١٤٨ فقال: رجاله رجال الصحيح إلا واحداً فثقه . الخصايص الكبرى ٢: ١١٨ ، الدر المنثور ٤: ١٩١ ، كنز العمال ٦: ٩٠ ، تفسير الخازن ٣: ١٧٧ ، تفسير الشوكانى ٣: ٢٣٠ ، ٢٣١ ، تفسير الألوسى ١٥: ١٠٧ وقال: ومعنى جعل ذلك فتنه للناس جعله بلاء لهم ومختبراً ، وبذلك فسره ابن المسيب ، وكان هذا بالنسبه إلى خلفائهم الذين فعلوا ما فعلوا ، وعدلوا عن سنن الحق وما عدلوا وما بعده بالنسبه إلى ما عدا خلفاءهم منهم ممن كان عندهم عاملاً وللخباثت عاملاً ، أو ممن كان أعوانهم كيف ما كان . ويحتمل أن يكون المراد: ما جعلنا خلافتهم وما جعلنا أنفسهم إلا فتنه ، وفيه من المبالغه فى ذمهم ما فيه ، وجعل ضمير نخوفهم على هذا لما كان له أولاداً أو شجره باعتبار أن المراد بها بنو أميه ولعنهم لما صدر منهم من استباحه الدماء المعصومه ، والفروج المحصنه ، وأخذ الأموال من غير حلها ، ومنع الحقوق عن أهلها ، وتبديل الأحكام ، والحكم بغير ما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه عليه الصلاه والسلام ، إلى غير ذلك من القبائح العظام والمخازى الجسام التى لا تكاد تنسى ما دامت الليالى والأيام ، وجاء لعنهم فى القرآن إما على الخصوص كما زعمته الشيعة ، أو على العموم كما نقول فقد قال سبحانه وتعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وقال عز وجل: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ .. إلى آيات أخر

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) من طريق أبي ذر: إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً ، ومال الله نحلاً ، وكتاب الله دغلاً . وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) من طريق حمران بن جابر اليمامي: ويل لبنى أمية ، ثلاثاً ! أخرج ابن منده كما فى الإصابه ١: ٣٥٣ ، وحكاه عن ابن منده وأبى نعيم السيوطى فى الجامع الكبير ، كما فى ترتيبه ٦: ٣٩ ، ٩١ .

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) من طريق أبي ذر: إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً ، وعباد الله خولاً ، ودين الله دغلاً . قال حلام بن جفال: فأنكر على أبى ذر فشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه: إنى سمعت رسول الله يقول: ما أظلت الخضراء ولا- أقلت الغبراء على ذى لهجه أصدق من أبى ذر ، وأشهد أن رسول الله (ص) قاله . أخرج الحاكم من عده طرق وصححه هو والذهبي كما فى المستدرک ٤: ٤٨٠ ! وأخرجه أحمد ، وابن عساکر ، وأبو يعلى ، والطبرانى والدارقطنى ، من طريق أبى سعيد ، و أبى ذر ، وابن عباس ، ومعاوية ، وأبى هريره ، كما فى كتر العمال ٦/٣٩ ، ٩٠ .

وذكر ابن حجر فى تطهير الجنان هامش الصواعق ١٤٧ بسند حسن: أن مروان دخل على معاوية فى حاجه وقال: إن مؤنتى عظيمه أصبحت أبا عشره وأخا عشره وعم عشره ثم ذهب ، فقال معاوية لابن عباس وكان جالساً معه على سريره: أنشدك بالله يا بن عباس أما تعلم أن رسول الله (ص) قال: إذا بلغ بنو أبى الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا آيات الله بينهم دولاً ، وعباد الله خولاً ، وكتابه دخلاً فإذا بلغوا سبعة وأربعمائه كان هلاكهم أسرع من كذا ؟ قال: اللهم ، نعم). انتهى.

وقال ابن الأعمش فى الفتوح: ٧/٨٥ ، يصف تجهيز عبد الملك بن مروان لحرب عبد الرحمن بن الأشعث لما خرج عليه من كرمان: (ثم نزل عن المنبر ودخل الى منزله فجعل يعطى الناس ويجهزهم الى العراق ، وبعث الى خالد بن يزيد بن معاوية فدعاه ، وكان خالد بن يزيد علامه بأيام الناس عارفاً بكتب الفتن ، فقال له: ويحك يا أبا هاشم ، هل تتخوف علينا من الرايات السود شيئاً ، فإننا نجد فى

الكتب أن ذهاب ملكنا على أيديهم؟ قال له خالد: وما اسم بلد هذا الرجل الذي خرج عليك يا أمير المؤمنين؟ قال: سجستان ، قال خالد: الله أكبر ، لا تخف يا أمير المؤمنين ما لم يأتك الأمر من قعر مرو! قال وجعل عبد الملك بن مروان لا ينام الليل من الفكر والغم ، وربما هجع ثم يستيقظ كالفرع المرعوب وهو يقول: لقد تركني ابن الأشعث في هجوع! . انتهى .

ص: ٥٧

١١ - ما اختلفت أمه بعد نبيها إلا غلب أهل باطلها !

نقرأ في مصادر الشعية قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): (يا علي، ما بعث الله رسولا إلا وأسلم معه قوم طوعاً وقوم آخرون كرهاً، فسلط الله الذين أسلموا كرهاً على الذين أسلموا طوعاً فقتلوهم ليكون أعظم لأجورهم !

يا علي ، وإنه ما اختلفت أمه بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها ، وإن الله قضى الفرقة والاختلاف على هذه الأمة ، ولو شاء الله لجعلهم على الهدى حتى لا يختلف اثنان من خلقه ولا يتنازع في شئ من أمره ، ولا يجحد المفضول ذا الفضل فضله . ولو شاء عجل النقمه فكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ، ويعلم الحق أين مصيره . ولكن جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة دار القرار ، لِيَجْزَى

الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . (كتاب سليم (رحمه الله) ص ١٣٧) .

ورواه الطبراني في المعجم الأوسط: ٧/٣٧٠: (عن موسى بن عبيده ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): ما اختلفت أمه بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها . لم يرو هذا الحديث عن عبد الله بن دينار إلا موسى بن عبيده ، ولا عن موسى إلا أبو بكر بن عياش ، تفرد به منصور بن أبي نويره) . ورواه السيوطي في الجامع الصغير: ٢/ ٤٨١ ، والهندي في كنز العمال: ١/١٨٣ .

لكن الهيثمي ضعفه فقال في مجمع الزوائد: ١/١٥٧: (رواه الطبراني في الأوسط وفيه موسى بن عبيده وهو ضعيف) . انتهى .

وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص ١٣٧ ، قال عن حديث آخر: (هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيده . وموسى بن عبيده يضعف في الحديث من قبل حفظه وهو صدوق . وقد روى عنه شعبه والثوري) .

وقال في إرواء الغليل: ٥/٢٢٢: (قلت: وعلته موسى بن عبيده هذا فإنه ضعيف كما جزم الحافظ في التقريب . وقال الذهبي في الضعفاء والمتروكين: ضعفه ، وقال أحمد: لا تحل الروايه عنه) . انتهى .

ويبطل العجب عندما تعرف أن موسى بن عبيده شيعي ، وأنهم اتهموه بالوهم وحرّموا الروايه عنه ، مع شهادتهم بأنه صدوق ! قال في مستدركات علم رجال الحديث: ٨/٢١: (موسى بن عبيده أبو حسان العجلي الكوفي: من أصحاب الصادق (عليه السلام)، عُدَّ مجهولاً ، وروى عنه صفوان الجمال. تقدم في علقمه بن محمد ما يدل على مدحه وجلالته. وما يفيد حسنه في كفايه الأثر باب ٣ و ١٦ ، والإكمال باب ٢١). انتهى .

ومما يكشف تعصبهم في تضعيفهم لموسى بن عبيده ، أن الذهبي وغيره رووا هذا الحديث عن الشعبي وهو إمام عندهم ، ولا عذر لهم بأن الشعبي لم يرفعه ، لأنه لا يتكلم من عنده ، بل ينقل قاعده وسنه من سنن التاريخ لا يعرفها إلا نبي !

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٤/٣١١: (روى عطاء بن السائب ، عن الشعبي قال: ما اختلفت أمه بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها) .

ورواه عن الشعبي أيضاً في تذكره الحفاظ: ١/٨٧ وذكر مصدره في هامشه: الحليه: ٤/٣١٣.

ونظراً الى خطر هذا الحديث الشريف عليهم لأنه يهدم أساس السقيفه القرشيه وخلافتها ، فقد حاولوا أن يعارضوه بإثبات عصمه الأمم ، وأن الله تعالى ضمن لها أن يغلب فيها أهل الحق على أهل الباطل دائماً ، وسيأتي أن معاويه أقر بهذا الحديث لكنه استثنى منه أمه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)! ولا يتسع المجال لتفصيله هنا .

الفصل الأول : الموجه الأولى من اضطهاد عتره النبي وشيعتهم !

اشاره

ص: ٦١

فهرس لموجات الظلم والإضطهاد على أهل البيت (عليهم السّلام) وشيعتهم !

إن معرفه الجذور التاريخيه للقضايا الفكرية والعقائديه ، تكشف لنا حقيقه الواقع المعاصر فى مجتمعاتنا الإسلاميه . لذلك نحتاج الى فهرس لأهم موجات الظلم والإضطهاد التى تعرض لها أهل بيت النبي (عليهم السّلام) وشيعتهم الأبرار .

لكن هل يمكن تلخيص تاريخ معارضه امتدت أربعه عشر قرناً فى كتاب؟! وكيف نضع يدنا على جذور ظلامه أئمه وطائفه على مدى قرون ، كان اضطهادهم برنامجاً ثابتاً لحكومات تفننت فى تطويره والمبالغه فيه؟!!

وكيف نُعدّد موجات اضطهادهم الكبرى ، ونحدد الأصلية منها والفرعيه؟ والتاريخ ملئٌ بها طافح ، ناطقٌ صفحاته بما سبها وقيمها ونبلها ، حتى صار الشيعى يعنى المعارضه والظلامه ، وصار الحسين وكربلاء مثلاً عالمياً فى ضمير كل الشعوب لظلامه الإنسان!

اخترت تقسيم تاريخ اضطهاد أهل البيت (عليهم السّلام) وشيعتهم ، الى الأقسام الخمسه عشر التاليه ، لأنها أشد الموجات التى شَنّها علينا المخالفون ، ووصل إلينا قسم من تاريخها فيما سلم من مصادرنا ، وفيما تضمنته ثنايا مصادرهم .

الموجه الأولى: موجه السقيفه ، والهجوم القرشى على أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) !

الموجه الثانيه: ثوره قريش على إسلام على (عليه السّلام)، بقياده عائشه وطلحه والزبير.

الموجه الثالثه: فتنه بنى أميه ، وهى موجه قتل الإمام على والإمام الحسن (عليهما السلام) وتسلب معاويه على أمه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

الموجه الرابعه: قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وخطه الأمويين لاستئصال البيت النبوى وشيعتهم ، ثم قتل الإمام زين العابدين ، والإمام محمد الباقر (عليهما السلام) !

الموجه الخامسه: موجه المنصور العباسى ، أول خليفه عباسى تبنى خط بنى أميه ونشر فى العامه تقديس أبى بكر وعمر ، واضطهد شيعه على وأبنائه (عليهم السلام) ، وأسس المذاهب ضدهم ، وقتل الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) .

الموجه السادسه: فعاليات هارون الرشيد العباسى ، الذى عمل لترسيخ مذهب المنصور ، وقتل الإمام الكاظم (عليه السلام)، وقتل ابنه المأمون الإمام الرضا (عليه السلام) .

الموجه السابعه: فعاليات المعتصم العباسى والدم المتوكل ، الذى نقض قرارات أخيه المأمون المعاديه لبنى أميه ، واللينه مع أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم ، وقتل الإمام محمد الجواد (عليه السلام) .

الموجه الثامنه: فعاليات المتوكل العباسى ، الذى تبنى التجسيم بنى أميه ونصبهم بأشد منهم ، وخطط لإباده التشيع والشيعه ، وقتل هو ومن بعده الإمام على الهادى (عليه السلام) ، والإمام الحسن العسكرى (عليه السلام)، وحاولوا قتل الإمام المهدي (عليه السلام).

الموجه التاسعه: فعاليات حزب المتوكل الذين عرفوا باسم حنابله بغداد ، فى تكفير الشيعه وهدر دمائهم ، ومهاجمه مراسمهم فى عاشوراء ، وقد امتد ذلك من بعد المتوكل الى حكم السلاجقه !

الموجه العاشره: فعاليات السلاجقه، فى مناصره مجسمه الحنابله حزب المتوكل، طيله حكمهم الذى امتد نحو قرن ونصف .

الموجه الحادي عشره: فعاليات صلاح الدين الأيوبي ، فى القضاء على الدوله الفاطميه فى مصر وبلاد الشام ، وعلى التشيع والشيعة عموماً .

الموجه الثانيه عشره: فعاليات المماليك الشركسه ، فى تكريس المذاهب الأربعة واضطهاد الشيعة .

الموجه الثالثه عشره: فعاليات العثمانيين الأتراك ، فى محاربه التشيع ، وإباده الشيعة .

الموجه الرابعه عشره: فعاليات الروس والإنكليز والغربيين ، ضد الشيعة خاصه .

الموجه الخامسه عشره: فعاليات أتباع ابن تيميه الجدد ، الذين أحيوا حزب المتوكل ، ونشروا النصب والتجسيم فى المسلمين ، وكفروا من خالفهم ، وهدروا دماءهم ، وخاصه الشيعة ، وتبنوا مهاجمه مراسمهم ومشاهد أئمتهم(عليهم السلام) !

وبعض هذه الموجات طويلاً يمتد قروناً ، أو قصيراً يمتد سنين ، لكنى اعتبرت الميزان فى وحده الموجه أن تكون خطه واحده يبدأ بها شخص أو دوله أو جهه ويتابعها الذين بعده ، حتى لو امتدت طويلاً ، ما لم تتغير خطتها .

وعلى هذا الأساس اعتبرت الموجه القرشيه اثنتين: لأن أولاهما بدأت فى عهد النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) وكان هدفها غصب الخلافه وعزل أهل بيت النبى(صلى الله عليه وآله وسلم). بينما كان هدف الثانيه إسقاط حكم على(عليه السلام)الذى جاءت به موجه غضب شعبى قادها الصحابه والتابعون ضد ظلم الخليفه القرشى الأموى عثمان .

واعتبرت الفتنه الأمويه فى حكم معاويه ويزيد وبنى مروان ، موجتين أيضاً ، لأن الهدف العملى لمعاويه كان نفس الهدف القرشى ، وهو إسقاط حكم على والعترة(عليهم السلام) ، بينما كان هدف ابنه يزيد اجتثاث البيت النبوى وإباده وبيعتته

بالكامل ! ثم لم يختلف هذا الهدف عند بنى مروان إلا بقدر ما سمحت لهم به الظروف ، أو لم تسمح !

ثم اعتبرت أن موجه الظلم العباسى بدأت بالمنصور الدوانيقى ، لأن أخاه السفاح كان متسامحاً يحمل قدراً من الروح الهاشميه ، بينما كان المنصور سفاحاً مسرفاً فى سفك الدماء ! وقد ساءه أن يرى المرجعيه الفكرية للأئمه متمركزه فى الأئمه من ذريه الحسين (عليه السّلام) فقرر تأسيس مذهب فى مقابلهم وأمر مالك بن أنس أن يكتب له كتاباً موطأً ليلزم به المسلمين ، وحصر الفتوى بمالك ، ومنع أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) وفقهاء المدينة أن يفتوا مادام مالك موجوداً ، حتى صار قراره مثلاً: (لايفتين أحد ومالك فى المدينة) ، وقام باضطهاد الإمام جعفر الصادق (عليه السّلام) وقتله ، وقتل الكثير من شيعته ، وأمر المحدثين والفقهاء والولاه أن لا يرووا شيئاً فى فضائل على (عليه السّلام) ، ولا شيئاً يطعن بأبى بكر وعمر ، وأن يفضلوهما على على (عليه السّلام) ! ثم ابتدع مدح أبى بكر وعمر فى خطبه الجمعة وقال: (والله لأرغمن أنفى وأنوفهم ، وأرفع عليهم بنى تيم وعدى) . (منهاج الكرامه ص ٦٩) .

وكان السبب فى عمل المنصور هذا أن شركاءهم الحسنيين اتهموهم بسرقة الثوره وثاروا ضدهم وسيطروا على الحجاز واليمن والبصره ، وكاد جيشهم أن يطيح بالمنصور فى الكوفه ، فانتصر عليهم ونكّل بهم وقتلهم وشردهم ! ثم اتخذ قراراته غيظاً من أبناء على (عليه السّلام) كلهم ، بتغيير الخط الفكرى لثوره العباسيين ، وإعادة الإعتبار للخلفاء القرشيين ، بعد أن قامت الثوره الهاشميه على البراءه منهم ، ورفعت فى مقابل الأمويين شعار: يالثرات الحسين (عليه السّلام) ، وفى مقابل قريش: الدعوه الى الرضا من آل محمد . وقد استمرت خطه المنصور فى أولاده خلفاء بنى العباس ، لكن هارون الرشيد اتخذ إجراءات عمليه واسعه فى اضطهاد

أئمه أهل البيت (عليهم السّلام) وشيعتهم وقام بهدم قبر الحسين (عليه السّلام)، وسجن الإمام الكاظم (عليه السّلام) وقتله ، ونكّل بالشيعة ، فجعلنا عهده موجه ظلم جديده .

ثم جاء بعده المأمون فاتبع سياسته مركبه غريبه ، فكان فى النظرية قريباً من مذهب أهل البيت (عليهم السّلام) ، خاصه فى التنزيه ومحاربه التشبيه والتجسيم ، ومحاربه النواصب لأهل البيت (عليهم السّلام) المحبين لبنى أميه ! أما فى التطبيق فكان عدواً لعدواً لأهل البيت (عليهم السّلام) ، فقد أجبر الإمام الرضا (عليه السّلام) على أن يكون وليّ عهده ، ليسكت بذلك ثورات العلويين ، ويغيض بنى العباس الذين أيدوا أخاه الأمين فى عزله عن ولايه العهد ! لكنه بعد انتصاره على أخيه الأمين وقتله ، تصالح مع العباسيين وأعاد العاصمه من طوس الى بغداد وأقدم على سم الإمام الرضا (عليه السّلام) !

لذلك اعتبرنا ظلم المأمون للعترة النبويه وشيعتهم امتداداً لسياسه أبيه الرشيد .

واعتبرنا أخاه المعتصم بدايه موجه جديده ، لأنه نقض قرارات أخيه المأمون وأعاد ظلم أبيه الرشيد ، واضطهد الشيعة وقتل الإمام الجواد (عليه السّلام) !

واعتبرنا المتوكل بن المعتصم بدايه موجه اضطهاد جديده ، لأنه بالغ فى نقض مقررات عمه المأمون ، وزاد على أبيه المعتصم وجده الرشيد فكوّن (ميليشيا) عقائديه سياسيه لمعاداه أهل البيت (عليهم السّلام) وشيعتهم سماهم أهل الحديث ! وقتل الإمام على الهادى (عليه السّلام) ومنع زياره الإمام الحسين (عليه السّلام) وقام بهدم قبره !

الى آخر المبررات الموضوعيه ، التى قسمنا على أساسها اضطهاد أهل البيت الطاهرين (عليهم السّلام) وشيعتهم الأبرار ، الى مراحل أو موجات !

تاريخ البشرية قام على ثقافه الغاره والحق لمن غلب !

لا بد من الاعتراف بأن تاريخ البشرية من عصر أينا آدم(عليه السّلام)الى اليوم ، ملئٌ بنقض التعليمات الإلهيه والقيم الإنسانيه ، وأن الخط الحاكم فيه كان وما زال: ثقافه الغاره والقتل، وقانون: الحق لمن غلب ! لافرق في ذلك بين قديم وجديد ولا شرق وغرب ، ولا عرب وعجم ، وبدو وحضر !

نعم ، يوجد في تاريخ البشرية ظواهر وقيمٌ إنسانيه رائعه ، تجسدت في شخصيات أو جماعات ، لكنها استثناءات لا عموم لها ، والعموم لضدها !

إن تاريخ الأنبياء والأوصياء(عليهم السّلام) وكفاحهم المرير يتلخص فكرياً ، بأنه صراعٌ الهدى الإلهي مع الضلال البشري ، في النظره الى الكون والحياه والإنسان .

ويتلخص عملياً بأنه صراعٌ بين الهدى الإلهي الذي يريد احترام الإنسان وحقوقه ، وبين الطغيان البشري الذي يصرُّ على هدر إنسانيته ، والتشبث بثقافه الغاره والقتل وقانون الغلبه !

وفي تاريخنا الإسلامي تمكّن نبينا(صلّى الله عليه وآله وسلّم) في مده حكمه القصيره أن يوقف سلوكيه القتل والغاره ، ويفرض بدلها(حرمه دم الإنسان وماله وعرضه ، والمعتدى يعاقب) ، وأن يوقف عملياً قانون الجاهليه العالمى(الحق لمن غلب) ويفرض بدله قانون: (الحق لصاحب الحق ، والمعتدى يعاقب). وكان ما حققه(صلّى الله عليه وآله وسلّم) إنجازاً وإعجازاً في مجتمعات قبله جائعه ، تقوم حياتها على الغاره والقتل والغلبه !

ولم يقتصر الإعجاز النبوي في تطبيقه مبادئ حقوق الإنسان في قوله وفعله طوال حياته الشريفه ، بل في اهتمامه الشديد بتوعيه المسلمين على احترام هذه المبادئ ، وترسيخ ثقافه القرآن والوحى في أصلها وحدودها وتطبيقها .

فنحن نلاحظ في سنته وسيرته(صلّى الله عليه وآله وسلّم) تأكيدات المتواصله على هذه المبادئ

وتوصياته بها ، خاصة في خطبه الست في حجة الوداع ، التي تضمنت درراً نبويه حول حقوق الإنسان ، نلخص عناوينها في الأسس التاليه :

١ - أساس المساواه الإنسانيه .

- مبدأ الوحده الإنسانيه بين البشر ، وإلغاء التمايز القومى .

- مبدأ حسن معاملة النساء ، وعدم ظلمهن .

٢ - أساس وحده الأمة الإسلاميه .

- مبدأ إلغاء آثار الجاهليه وماآثرها وتشريعاتها المخالفه للإسلام .

- مبدأ الأخوه والتكافؤ بين المسلمين .

- مبدأ احترام حياه المسلم ، وتحريم دماء المسلمين على بعضهم .

- مبدأ احترام عرض المسلم وكرامته، وتحريم أعراضهم على بعضهم.

- مبدأ احترام الملكيه الشخصيه ، وتحريم أموال المسلمين على بعضهم .

- مبدأ من قال لاإله إلا الله ، فقد عصم ماله ودمه .

- مبدأ ختام النبوه به(صلى الله عليه و آله وسلم) ، وختام الأمم بأمته .

- مبدأ شهاده النبى(صلى الله عليه و آله وسلم)على الأمم فى الآخره ، وموافاتها له على الحوض .

- مبدأ ضروره الدقه والحذر من محقرات الأعمال التى تجر إلى الإنحراف .

- مبدأ التحذير من الكذب على النبى(صلى الله عليه و آله وسلم)ووجوب التحقق فيما ينقل عنه .

٣ - أساس وحده الشريعه ووحده ثقافه المسلمين .

- مبدأ أداء الأمانه .

- قوانين الإرث .

- قوانين الديات والقصاص .

- تشريعات مناسك الحج (خذوا عني مناسككم) .

٤ - مبادئ مسيره الدوله والحكم بعد النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) .

- مبدأ البشاره بالأئمه الإثني عشر من عترته (عليهم السلام) .

ص: ٦٩

- مبدأ التأكيد على الثقلين القرآن وأهل البيت (عليهم السلام) .

- مبدأ إعلان أن علياً (عليه السلام) ولى الأمة بعده والإمام الأول من الإثنى عشر (عليهم السلام) .

- مبدأ أداء الفرائض ، وإطاعه وولاه الأمر .

- مبدأ تخليد تعاهد قريش وكنانه على حصار بنى هاشم .

- مبدأ تحذير قريش من أن تطغى بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) .

- مبدأ تحذير الصحابه من الإرتداد بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) والصراع على السلطه .

٥ - أساس عقوبه المخالفين للخط النبوى .

- مبدأ تحذير الصحابه من تسبب انهيار الأمة بصراعهم على السلطه .

- مبدأ تحذيرهم من العقوبه الإلهيه ، يوم يلاقون نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم) على الحوض .

- مبدأ لعن من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه صلوات الله عليهم .

وفى كل واحد من هذه المبادئ آيات وأحاديث نبويه ، تشكل مع نصوص خطب الوداع منظومه فى الحقوق يكمل بعضها بعضاً ، فى وحده عقيديه وتشريعيه فريده ، من بناء صرح الإسلام الربانى .

وقد استوعبنا نصوص الخطب النبويه فى حجه الوداع فى (آيات الغدير) ، وغرضنا هنا أن نوضح أن أولى موجات الإضطهاد على أهل البيت النبوى (عليهم السلام) وشيعتهم ، بدأت بعوده ثقافه الغاره والقتل وقانون الغلبه !

الموجه الأولى: الهجوم القرشي على بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

اتفق الرواه والمؤرخون أن الذي حصل فى اليوم الثانى لوفاه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أن مجموعه من الصحابه جاؤوا الى بيت على و فاطمه (عليهما السلام) ، لا- لكى يعزؤهم بوفاه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بل كانوا حاملين سيوفهم وأكداساً من الحطب ومشعل نار، ووضعوا الحطب على باب الدار ، وأنذروا المجتمعين فيه أن يخرجوا ويبيعوا أبا بكر ، وإلا أحرقوا الدار بمن فيه ! وكان فى الدار فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيده نساء أهل الجنة ، وعلئى عضد رسول الله وابن عمه وصهره ، والحسنُ والحسينُ سبطا رسول الله ، وسيدا شباب أهل الجنة ، وعدد من كبار الصحابه ، من المهاجرين والأنصار !

وكان جرمهم أنهم كانوا مشغولين بمراسم تجهيز النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ودفنه ، فتفاجؤوا بأن عدداً من الصحابه الذين تركوا مراسم جنازه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وذهبوا جلسه عنهم واجتمعوا فى سقيفه ، وتحاجؤوا فيمن هو الأحق بوراثه سلطان محمد ، فبادر عمر وبيع صاحبه أبا بكر وبياعه بضعه أشخاص ، وتجمع معهم الطلقاء شاهرين سيوفهم يطلبون من المسلمين البيعه (بكامل اختيارهم وإرادتهم الحره) !

فلما سمع على (عليه السلام) والمشغولون بدفن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) اجتمعوا يتداولون فيما يفعلون فاستحقوا المهاجمه والتهديد بالقتل وحرق الدار على من فيه إن لم يبيعوا!!!

معنى هذا: أنه بمجرد أن أغمض النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عينيه عاد قانون: الحق لمن غلب وعادت ثقافه الغاره والقتل ، وأسلوب حرق البيوت على من فيها من أحياء !

ولم تقف المسأله عند عوده ثقافه الغاره والقتل وقانون الغلبه ! فالأفطع منها أن الحكومات القرشيه ربّت أجيال المسلمين على تقديس ذلك العنف والإفتخار به!

فصرت تقرأ تمجيد حادثه الهجوم على بيت على وفاطمه (عليهما السلام) لشاعر العرب حافظ إبراهيم ، فى قصيدته العمريه المشهوره ، التى يقول فيها:

وقولته لعلى قالها عمر

أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرقت دارك لا أبقي عليك بها

إن لم تباع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبى حفص بقائلها

أمام فارس عدنان وحميها !

فكان ذلك تربيته باسم الدين على شرعيه ديكتاتوريه الحاكم ، وشرعيه اضطهاده للمعارضه ! بل زادت ثقافه الخلافه فى الطنبور نغمه ، فجعلت قمع المعارضه مفرجه دينيه يرتلها المسلمون شعراً ونثراً !

فلماذا نعجب إذا رأينا حكامنا لا يتحملون المعارضه ، ويقمعونها بوحشيه ؟!

ص: ٧٢

الفصل الثاني : رفض قريش للعهد النبوي وترتيبها ببعه السقيفه

اشاره

ص: ٧٣

إن ما قام به الحزب القرشى فى مرض النبى من منعه (صلى الله عليه و آله وسلم) أن يكتب عهداً يؤمن به مستقبل أمته ، ويضمن هدايتها وتفوقها الى يوم القيامة !

ثم ما قام به بمجرد أن أغمض النبى عينيه (صلى الله عليه و آله وسلم) من إعلانه أبا بكر خليفه ، بدون مشوره المسلمين ، وتهديده آل الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) بحرقهم أحياء إن لم يبايعوا !

كان عملاً تاريخياً هائلاً ! تمّ فيه حَرْف سفينه الإسلام من مسارها الربانى النبوى المشرق ، الى مسارٍ قبلى قرشى مظلم !

وقد اعتبرناهما عملاً واحداً ، لأن وقوفهم ضد كتابه العهد النبوى ومواجهتهم الخشنه للنبى (صلى الله عليه و آله وسلم) يوم الخميس ، ليست إلا مقدمه لسقيفتهم يوم الإثنين ، بعد وفاه النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) بساعه واحده ! وغرضنا هنا تسليط ضوء على ظلامه هذا العمل ، ظلامه الإسلام ، وأمته ، ونبيه (صلى الله عليه و آله وسلم) ، وعترته الطاهرين (عليهم السلام) :

١ - أكبر الظلمات فى السقيفه مصادرهم لولاية الله تعالى

فالحزب القرشى عندما رفض الترتيب النبوى لوضع الأمه ، ومنع النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) من كتابه عهده لتأمين مستقبلها ، قد نصب نفسه ولياً على النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) ! فمن الذى أعطاه هذه الولاية على سيد الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه و آله وسلم) ؟!

إن إيمانهم بنبوته (صلى الله عليه و آله وسلم) يعنى إيمانهم بعصمته الشامله ، كما قال الله تعالى: وَمَا

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا- وَخِىُّ يُوْحَى ، وطلبه منهم أن يلتزموا بتنفيذ ما سيكتبه لهم ، إنما هو أمر الله تعالى ! فالتعارض في الحقيقه بين إرادتهم وإرادة الله تعالى ورفضهم للعرض النبوى رفضٌ لإرادة الله تعالى وفرضٌ لإرادتهم بدلها !

فمن الذى أعطاهم هذه الولاية على الأمة ونبياها(صلى الله عليه و آله وسلم) وقرآنها مقابل الله تعالى؟ بل من أعطاهم الولاية على رب العالمين عز وجل!!؟

إن كل حجتهم على عملهم هى أن بنى هاشم لا يصح أن يجمعوا بين النبوه والخلافه لأن ذلك ظلمٌ لقبائل قريش ! فهل النبوه قسمه قبائل ! ومن الذى أخبرهم أن كتابه النبى(صلى الله عليه و آله وسلم) لعهدده ظلم لقريش، بينما سقيفتهم حقٌ وعدل لقريش وللعالمين؟! أهُمْ يَفْسِدُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ . (الزخرف:٣٢)

فى تاريخ الطبرى:٣/٢٨٨، عن ابن عباس ، وفى شرح النهج:٦/٥٠ ، عن عبد الله بن عمر ، ولفظهما متقارب ، قال: (كنت عند أبى يوماً ، وعنده نفر من الناس ، فجرى ذكر الشعر ، فقال: من أشعر العرب ؟ فقالوا: فلان وفلان ، فطلع عبد الله بن عباس فسلم وجلس ، فقال عمر: قد جاءكم الخبير ، من أشعر الناس يا عبد الله؟ قال: زهير بن أبى سلمى .

قال: فأشدنى مما تستجيده له.

فقال: يا أمير المؤمنين ، إنه مدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان ، فقال:

لو كان يَتَّعِدُ فوق الشمس من كرم

قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم

طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

إنس إذا أمنوا ، جنُّ إذا فرعوا

مرزؤون بها ليلاً إذا جهدوا

محسّدون على ما كان من نعم

لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

فقال عمر: والله لقد أحسن ، وما أرى هذا المدح يصلح إلا لهذا البيت من

هاشم لقرابتهم من رسول الله (ص). فقال ابن عباس: وفقك الله يا أمير المؤمنين ، فلم تزل موقفاً . فقال: يا بن عباس ، أتدرى ما منع الناس منكم ؟ قال: لا ، يا أمير المؤمنين . قال: لكنى أدري . قال: ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوه والخلافه ، فتنجفوا جحفاً (تتكبروا

تكبراً) ، فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت ! فقال ابن عباس: أيميط أمير المؤمنين عنى غضبه فيسمع؟ قال: قل ما تشاء . قال: أما قول أمير المؤمنين: إن قريشاً كرهت ، فإن الله تعالى قال لقوم: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ . وأما قولك: إنا كنا نجحف ، فلو جحفنا بالخلافه جحفنا بالقرايه ، ولكننا قومٌ أخلاقنا مشتقه من خلق رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) الذي قال الله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ، وقال له: وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وأما قولك: فإن قريشاً اختارت ، فإن الله تعالى يقول: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ، وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار ، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت قريش !!

فقال عمر: على رسلك يا ابن عباس ، أبت قلوبكم يا بنى هاشم إلا غشاً فى أمر قريش لا يزول ، وحقداً عليها لا يحول ! فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين ، لا تنسب هاشماً إلى الغش فإن قلوبهم من قلب رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) الذى طهره الله وزكاه ، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لهم: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً . وأما قولك: حقداً فكيف لا يحقد من غضب شيئه ويراه فى يد غيره ! فقال عمر: أما أنت يا بن عباس فقد بلغنى عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندى . قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرنى به فإن يك باطلاً فمثلى أماط الباطل عن نفسه ، وإن يك حقاً فإن منزلتى لاتزول به . قال: بلغنى أنك لاتزال تقول: أخذ هذا الأمر منكم حسداً وظلماً .

قال: أما قولك يا أمير المؤمنين: حسداً ، فقد حسد إبليس آدم ، فأخرجه من الجنة ، فنحن بنو آدم المحسود . وأما قولك: ظلماً ، فأمر

المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو ! ثم قال: يا أمير المؤمنين ، ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله ! فنحن أحق برسول الله من سائر قريش ! فقال له عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك ! فقام ، فلما ولى هتف به عمر: أيها المنصرف إنى على ما كان منك لراع حقك ! فالتفت ابن عباس فقال: إن لى عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقاً برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن حفظه فحق نفسه حفظ ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع ، ثم مضى ! فقال عمر لجلسائه: واهاً لا بن عباس ما رأيت لاهى أحداً قط إلا خصمه)!! انتهى .

أقول: لابن عباس (رحمه الله) عدة محاورات مع عمر من نوع هذه المحاوره ، روتها المصادر ، وقد روى هذه المحاوره أو جزء منها: (جمهره الأمثال للعسكري: ١/ ٣٣٩ ، والعقد الفريد ص ١٣٧٨ ، ونثر الدرر للآبى ص ٢٣٨ ، وجمهره أشعار العرب للقرشى ص ٢٩ ، ونصره الإغريض فى نصره القريض للمظفر بن الفضل ص ١٠٥ . وفى هامش المراجعات للسيد شرف الدين ص ٣٩٥: (نقلناه من التاريخ الكامل لابن الأثير بعين لفظه ، وقد أورده فى آخر سيره عمر من حوادث سنه ٢٣ ص ٢٤ من جزئه الثالث ، وأوردها علامه المعتزله فى سيره عمر أيضا ص ١٠٧ من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغه . وفى هامش مواقف الشيعة للأحمدى: ١/١٥٤: (ابن أبى الحديد : ١٢/٥٢ ، والإيضاح ص ١٦٩ ، والبحار: ٨ ط الكمباني ص ٢٩٢ عن ابن الأثير وابن أبى الحديد . وفى هامش المناظرات فى الإمامه ص ٧٤: شرح النهج لابن أبى الحديد: ١٢/٥٢ ، تاريخ الطبرى: ٤/٢٢٣ ، الكامل لابن الأثير: ٣/٦٢ (فى حوادث سنه ٢٣) ، الإيضاح لابن شاذان ص ٨٧ . وفى هامش مجله تراثنا عدد ٥٨ ص ٨٨: شرح نهج البلاغه: ١٢/٥ ، قصص العرب: ٢/٦ ، الكامل فى التاريخ: ٦/ ٢٨٨).

إشاره

ونقصد بها الظلامه الفكرية للإسلام! لأن الإسلام علمٌ بكل معنى الكلمه ، بل هو علم العلوم ، لأن وظيفته أن يدير حياه الإنسان بكل علومه ، ويوجهها الى هدفها المعنوي والمادى الأسمى . لذلك يتوقف تحقيق أهدافه فى مجتمعه والعالم على شخص متخصص فيه يطبقه بعلم ، ولا يكفى أن يقول شخص إنى سمعت النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) يبلغ كتاب ربه ووحيه ، فأنا أستطيع أن أحكم بالإسلام وأطبقه! بل يحتاج الخليفه أو الإمام الى إعداد وإلهام إلهى ، ولذلك أعد الله عتره نبيه (صلى الله عليه و آله وسلم) لهدايه الأمه بهذا العلم وأورثهم علم الكتاب الذى هو تبيان كل شى فقال: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**. (فاطر: ٣٢) . ثم أمر الصحابه والأجيال بطاعتهم لعصمتهم فقال: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ**. (النساء: ٥٩) . فالذين يأمر الله الأمه بطاعتهم أناسٌ خاصون ، ومن المحال أن يأمر بطاعه كل من تغلب على الأمه وصار صاحب أمر!

وقد أجمع المسلمون على تميز علي (عليه السلام) فى علمه ، ورووا أن الله تعالى كما أقرأ الله رسوله فلا- ينسى: **سَيُنْفِرُكَ فَلَا تَنْسَى (الأعلى: ٦)** ، فقد أمره أن يعدّ علياً (عليه السلام) ويعلمه فلا ينسى! قال السيوطى فى الدر المنثور: ٦/٢٦٠: (وأخرج سعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، عن مكحول قال: لما نزلت: وتعيها أذن واعيه ، قال رسول الله (ص): سألت ربي أن يجعلها أذن علي. قال مكحول: فكان عليٌّ يقول: ما سمعت من رسول الله شيئاً فنسيته!

وأخرج ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، والواحدى ، وابن مردويه ، وابن عساكر ، وابن النجارى ، عن بريده قال: قال رسول الله (ص) لعلي: **إن الله أمرنى أن أدنيك**

ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعي ، وحق لك أن تعي ، فنزلت هذه الآية: وَتَعِيهَا أذُنٌ وَإِعْيَةٌ (الحاقة: ١٢). وأخرج أبو نعيم في الحلية عن علي قال: قال رسول الله (ص): يا علي إن الله أمرني أن أدنيك وأعلمك لتعي ، فأنزلت هذه الآية: وتعيها أذن وإعيه ، فأنت أذن وإعيه لعلمي . انتهى .

وقد عرف الجميع علم علي (عليه السلام) الذي أبعده بالسقيفه ، وضآله علم أبي بكر وعمر وعثمان ، الذين أتوا بهم من السقيفه ، ورووا أخطاءهم الفظيعة في تفسير أوليات القرآن ، وجهلهم بأوليات أحكام الشريعة ، كتفسير آيه: وفاكهة وأبًا ، وآيه الكلاله ، وآيه الربا ، وآيه التيمم ، وإرث العده ، وعشرات الأمثله !

قال في فتح الباري: ٩/٣٢٣: قوله: وقال علي: ألم تعلم أن القلم رفع عن ثلاثه عن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي حتى يدرك ، وعن النائم حتى يستيقظ . وصله البغوي في الجعديات عن علي بن الجعد ، عن شعبه ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، أن عمر أتى بمجنونه قد زنت وهي حبلى ، فأراد أن يرحمها ! فقال له علي: أما بلغك أن القلم قد وضع عن ثلاثه.. فذكره ، وتابعه بن نمير ، ووكيع وغير واحد ، عن الأعمش ، ورواه جرير بن حازم عن الأعمش فصرح فيه بالرفع . أخرجه أبو داود ، وابن حبان

من طريقه ، وأخرجه النسائي من وجهين آخرين.... وأخذ بمقتضى هذا الحديث الجمهور) ! انتهى .

فالذى حدث في السقيفه: أن أول أئمه العتره ، الذى عنده علم الكتاب قد أقصى وأجبر على البيعه لشخص لا يعرف حكم العاقل من المجنون ، ويأمر بقتل امرأه وجنينها بدون حق ، باسم الإسلام ! فأى ظلم لعلم وقانون تخصصى كالإسلام ، أكبر من أن تقوم بسجن الخبير المتخصص به ، وتأتى بمن يجهله ليطبقه ويحكم به !؟

كان ما تقدم كان فى ظلامه الإسلام فى شخص الخليفه أو رئيس الدوله الإسلاميه المكلف من الله بتطبيق أهداف الإسلام ، وأحكام شريعته الربانيه .

لكن الأمر فى السقيفه كان أبعد من شخص الخليفه وتطبيق الإسلام ! فقد جاء عملهم نفساً لنظام الدوله الربانيه ودوله النص الرسولى ، وتأسيساً لنظام دوله علمانيه تدور بين قبائل قريش ، مقابلين بها جعل الله النبوه لبنى هاشم !

إنه نظام حكم علمانى بمنطق قبلى محض ، وفعلٌ بشرىٌ لاعلاقه له بالوحى الإلهى والنص النبوى ، ولم يدع أحد من مؤسسيه استناده الى نص النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)!

وتسميته خلافةً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتسميه رئيسه خليفه ، لا يغير منه شيئاً ولا يجعله نظاماً دينياً ! فالخليفه هنا لاتعنى أكثر من البعديه الزمنيه المحضه ، كما تصف شخصاً أو نظاماً بأنه خليفه لنظام سابق ، ولو كان مضاداً له !

وعليه ، فكل الحقوق التى افترضها القرشيون على المسلمين لخليفه نظامهم ، لا- أساس لها فى الإسلام ! وغايه ما يمكنهم أن يثبتوه له حق الحاكم الزمنى على رأى الفقهي القائل بوجوب طاعته فى تنفيذ شريعته الإسلام ، وفى حدود ما شرط الناخبون عليه . هذا ، إذا انتخبوه بمحض إرادتهم بدون إجبار !

إشارة

حيث تمّ نقلها من المسار النبوي الى المسار القبلي! فقد أنشأ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الأمة بعين ربه وتوجيهه ، ووضع سفينتها في بحر العالم ، وأطلق مدّها الحضارى الإنسانى فى مسيره البشرىه ، فى أقصر وقت وأقل كلفه ! فتّم له ذلك فى عشر سنوات ، ولم يزد عدد القتلى فى كل حروبه من المسلمين وأعدائهم على ست مئه شخص ! فكانت أمته خير أمه أخرجت للناس ، لأنها مُنشأه بوحي ربها العليم الحكيم سبحانه ، وإداره رسوله المطيع الذى لاينطق عن الهوى (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقد وضع الله تعالى لهذه الأمة برنامجاً لتبقى خير أمه ، بقياده الأئمه من عتره نبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يكرر على أسماع المسلمين فى مناسبات عديده: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى ، وهو حديث متواتر عند الجميع .

ولكن قريشاً رفضت وصيه نبيها بإمامه عترته ، لنفس السبب الذى رفضت نبوته (صلى الله عليه وآله وسلم) ! واتهم منافقوها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفس ما اتهموه به على النبوه ! فكانوا يهمسون بينهم بأن محمداً يريد أن يؤسس ملكاً لبني هاشم كملك كسرى وقيصر ! فاليوم ابن عمه على ابن الثلاث وثلاثين سنه ، وبعده أولاد ابنته فاطمه وهم الآن دون العاشره (عليهم السلام) ! كانوا يقولون: إذا دخلت الخلافة فى بنى هاشم فلن تخرج منهم أبداً ، وسينتظر بها الجبالى ، ولن يصل الى بقيه القبائل شئ ! وهذا ظلم لقبائل قريش ما بعده ظلم !!

نعم ، لقد تبنت قريش هذا المنطق القبلى البعيد عن الدين ، واتخذت قرارها بإجماع طلقائها ومن وافقهم من مهاجريها بأن بنى هاشم تكفيهم النبوه ، أما الخلافة فيجب أن تكون لقبائل قريش الأخرى ! واتخذوا قراراً بأن على زعماء قريش بتأييد الطلقاء الذين حشدوهم فى المدينه ، أن يبادروا بمجرد وفاه النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم) ويأخذوا خلافته ، ويعزلوا عترته !

ولهذا السبب بادر الحزب القرشى بالرفض الخشن الشرس عندما جمعهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فى مرض وفاته ، وعرض عليهم أعظم عرض قدمه نبي لأمته ، أن يضمن لهم بقاءهم على الهدى ، وأن يكونوا سادة العالم الى يوم القيامة ! بشرط أن يلتزموا بتنفيذ ما سيكتبه لهم بأمر ربه ، فتصدى له عمر نيابه عن قريش ورفض كتابه العهد بصلافة ! فأطاعوه وصاحوا: القول ما قاله عمر ! وهذا معناه أنا لا نريد أن تكتب لنا عهداً ، لأنك ستسمى فيه الأئمة من عترتك ! ولا نريد أمانك من الضلال ! وها نحن نعلن أنه غلب عليك الوجد ، فلا اعتبار لكلامك وكتابتك!!

قال البخارى: ١/٣٦: (عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي (ص) وجعه قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده . قال عمر: إن النبي غلبه الوجد وعندنا كتاب الله حسبنا ! فاختلفوا وكثر اللغط قال (ص): قوموا عنى ولا ينبغى عندى التنازع ! فخرج ابن عباس يقول: إن الرزيئه كل الرزيئه ، ما حال بين رسول الله (ص) وبين كتابه) ! انتهى .

وفى مسند أحمد: ٣/٣٤٦: (عن جابر أن النبي (ص) دعا عند موته بصحيفه ليكتب فيها كتاباً لا يضلون بعده ، قال فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها)! انتهى.

وقال لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما فى البخارى: ٤/٣١: (دعونى، فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه) ! يعنى أن ما أنا فيه من قرب لقاء ربي ، خير مما تريدون أن تجرؤنى اليه من إعلانكم الكفر ! لذلك أنهى النقاش معكم ، وأمركم بالخروج من بيتى !

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (خير مما تدعونى إليه) يدل على أن لهم هدفاً خطيراً يعملون له و(يدعون) النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إليه وأن إصرار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على كتابه العهد سيحقق هدفهم الخطير ! وأن هذا الهدف أسوأ من ترك الأمة بدون ضمانه مستقبلها !!

ولا يمكن تفسير ذلك إلا أنهم أرادوا أن يصرَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على كتابه الكتاب وتسميه الأئمة من بعده ، فيصرون هم على أنه وحاشاه أخذ يهجر ويهذى ، ويريد فرض عترته على قريش والعرب ، ويعلمون الرده !!

وقد مهدوا لذلك بقولهم إنه يهجر ! وخففها البخارى فقال: ٤/٦٦٦: (ماله أهجر ، إستفهموه) ! ولعل بعضهم قال إنه يهجر ، وقال بعضهم: إستفهموه لتروا صحه كلامنا ! فأمر الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن لا يضغط على قريش فتكفر ، وكان جبرئيل حاضراً عنده ، فأمره أن ينهى المجلس ويتردهم ! فإنما عليه البلاغ عن ربه ، وقد بلغ وأتم عليهم الحجج !!

إنها قضيه واضحه كوضوح الشمس فقد اضطر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يصرف النظر عن كتابه العهد ويتنازل عن تأمين مستقبل أمته ، لأن ذلك أفضل مما يدعونه اليه !

فكانت المعادله عنده أن قبولهم بنبوته وقرآنه دون سنته وعترته ! خيرٌ من أن تعصف عاصفتهم بالإسلام من أصله ، فتعلن قريش ردتها وتطيعها بعض قبائل العرب ، وتشن الحرب على آل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن يبقى على الإسلام من الأنصار ، وتقضى عليهم !

أما الحزب القرشى ، فلم يهتم لطرد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم من بيته ! بل كانوا فرحين بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يتخذ إجراء عملياً ضدهم ، وبأنهم حققوا نتيجة هائله من ذلك المجلس حيث تراجع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمامهم فانتزعوا منه قياده الأمة ووضعوها فى يد زعيمهم الجديد عمر ! وأن عمر سيضعها فى مسار قبلى يخضع لقانون الغلبه ، بدل المسار الربانى وقانون النص !

وقد أثمر قانون الغلبه آنيأ ، أن حكم أبو بكر سنتين وشهرين ، ثم نص على عمر فحكم عشر سنين ، ونص عمر على عثمان فحكم اثنتى عشره سنه !

وعندما تفاقم ظلم عثمان اضطر نفس الصحابه أن يثوروا عليه ويقتلوه ،

ويختاروا علياً (عليه السلام) ليحكم خمس سنين ، ثم لتعيد قريش قانون الغلبة فيحكم الأمة ، ولا يفارقها الى يومنا هذا !

لقد فتح قانون قريش صراعاً دموياً على السلطه ، لم تعرف أمه بعد نبيا أسوأ منه ، ولا خلافةً لنبي أكثر منه سفكاً للدماء منه ! فلو أحصينا حروب الأمة وصراعاتها على السلطه لبلغت المئات ، وبلغ قتلها عشرات الملايين ! وخساراتها الماديه والمعنويه فوق التصور !

وكانت آخر ثمار قانون الغلبه: أن خلافة قريش وصلت الى غلمان بنى أميه وبنى العباس ، ثم الى غلمان الشراكسه والعثامنه ، حتى ضعفت الأمة ثم انهارت بيد الغربيين ، فدفنوا خلافة قريش فى استانبول ، بلا مراسم توديع ولا تشييع !

قد يقال: إن هذه النظرة الى تاريخ أمتنا الإسلاميه خاطئه ، لأنها ترى السلبيات وتنسى الإيجابيات ، فالأمة الإسلاميه كانت وما زالت خير أمه أخرجت للناس ، وقد فتحت أكثر العالم ، وأقامت أقوى دوله ، ونشرت نور الإسلام وحضارته .

ويقال: إن الصراع على السلطه وبعض الظلم للناس كالذى حدث لأهل البيت النبوى (عليهم السلام) ، أمرٌ طبيعى فى حياه الأمم وتاريخها ! كما أن ضعف الأمة وانهارها سنه إلهيه فى الدول ونشوتها وزوالها ، والأمة الإسلاميه ليست بدعاً من الدول ، فلا عجب أن تجرى عليها سنن التاريخ !

والجواب: أنا قد نقبل هذا الكلام لو لم يقل الله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ). (التوبه: ٣٣) ولم يقل النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) لصحابته: إيتوني بدواه وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدى أبداً !

أمّا وقد قال لهم ذلك ورفضوه ! فإن مسار الأمة بدون ذلك العهد النبوى لم يعد طبيعياً ، بل هو المسار الى وضعها فيه الراضون للتأمين النبوى ، ومهما

تصورت أنهم ربحوا للأمة فهي الخاسره !

إن مثل الأمة بعد النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) كسفينه قال لركابها ربّانهم الحكيم المؤمن: أعطوني عهداً بالتنفيذ لأعطيكم خريطة توصلكم الى بر النجاه والنصر ، فقال له أصحابه: لانريد خريطةك ونحن نقودها الى بر الأمان ! فقادوها من بعده واختلفوا فى قيادتها واقتتلوا ، حتى وصلت الى صخور شاهقه وأمواج عاتيه !

فهل يصح أن يقال إنهم مصيبون ! وإن ركاب السفينه ربحوا ولم يخسروا !

إن المسلم المؤمن بنبوه نبيه (صلى الله عليه و آله وسلم) وبأنه معصومٌ مؤيدٌ من ربه: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) يرى نفسه ملزماً بالإعتقاد بأن قريشاً مهما حققت للأمة بعد نبيها (صلى الله عليه و آله وسلم) ، فقد أوقعت بها أعظم خساره منيت بها أمة فى التاريخ ! وكيف يمكن لأحد أن يغفر لقريش أنها عصت نبيها (صلى الله عليه و آله وسلم) عن سبق إصرار وصادرت منه قياده أمته ، ووضعتها فى مسار الغلبه والصراع القبلى !

ص: ٨٦

قال الجوهري في كتابه (السقيفه) ص ٤٨ ، وهو من أقدم الكتب في هذا الموضوع: (سمعت البراء بن عازب ، يقول: لم أزل لبني هاشم محباً ، فلما قبض رسول الله خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم ، فأخذني ما يأخذ الوالهه العجول مع ما في نفسى من الحزن لوفاه رسول الله ! فكنت أتردد الى بني هاشم وهم عند النبي فى الحجره وأتفقد وجوه قريش ، فإني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر وعثمان ، وإذ قائل يقول: القوم فى سقيفه بنى ساعده ، وإذ قائل آخر يقول: قد بويح أبو بكر ! فلم ألبث وإذا أنا بأبى بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيده وجماعه من أصحاب السقيفه ، وهم محتجزون بالأزر الصنعانيه لا يمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبى بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى!

فأنكرت عقلى !! وخرجت أشدت حتى انتهيت الى بنى هاشم والباب مغلق ، فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد بايع الناس لأبى بكر بن أبى قحافه ، فقال العباس: تربت أيديكم إلى آخر الدهر ، أما إنى قد أمرتكم فعصيتمونى!

(عندما أغمض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عينيه قال العباس لعلى: مد يدك أبايعك ليقال عم رسول الله بايع ابن أخيه ، فلم يقبل على (عليه السلام) لأنه كان يعلم أن قريشاً جمعت الطلقاء فى المدينه وهى حاضره أن تعلن الرده)!

فمكثت أكابد ما فى نفسى ، ورأيت فى الليل المقداد ، وسلمان ، وأبا ذر ، وعباده بن الصامت ، وأبا الهيثم بن

التيهان ، وحذيفه ، وعماراً ، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين ! فلما كان بليل ، خرجت الى المسجد ، فلما صرت فيه تذكرت أنى كنت أسمع همهمه رسول الله بالقرآن ، فامتنعت من مكاني فخرجت الى الفضاء فضاء بنى قضاة ، وأجد نفراً يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم ، فعرفونى وما أعرفهم ، فأتيهم فأجد المقداد بن

الأسود ، وعباده بن الصامت ، وسلمان الفارسي ، وأبا ذر ، وحذيفه ، وأبا الهيثم بن التيهان ، وإذا حذيفه يقول لهم: والله ليكون ما أخبرتكم به ، والله ما كذبت ولا- كُذبت ، وإذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين ! ثم قال: إئتوا أبي بن كعب فقد علم كما علمت ، قال فانطلقنا الى أبي فضربنا عليه بابه حتى صار خلف الباب فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد فقال: ما حاجتكم؟ فقال له: ما أنا بفاتح بابي وقد عرفت ما جئتم له كأنكم أردتم النظر في هذا العقد؟ فقلنا: نعم ، فقال: أفيكم حذيفه؟ فقلنا: نعم ، قال: فالقول ما قال! وبالله ما أفتح عنى بابي حتى تجرى على ما هي جاريه ، ولَمَّا يكون بعدها شرٌّ منها ، والى الله المشتكى ! وبلغ الخبر أبا بكر وعمر ، فأرسلا الى أبي عبيده والمغيرة بن شعبه ، فسألهما عن الرأي ، فقال المغيرة: الرأي أن تلقوا العباس فتجعلوا له هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقبه ، فتقطعوا به من ناحيه على ، ويكون لكم حجه عند الناس على على إذا مال معكم العباس . فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيده والمغيرة ، حتى دخلوا على العباس ، وذلك في الليله الثانيه من وفاه رسول الله ، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وقال: إن الله ابتعث لكم محمداً نبياً ، وللمؤمنين ولياً ، فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم ، حتى اختار له ما عنده ، فخلي على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم ، متفقين غير مختلفين فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً ، فتوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا- حيره ولا- جبناً ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب ، وما انفكَّ يبلغنى عن طاعن يقول بخلاف قول عامه المسلمين ، يتخذ لكم لجأً فتكونوا حصنه المنيع وخطبه البديع ، فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس ، أو صرفتموهم عما مالوا إليه ، فقد جنناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ولمن بعدك من عقبك ، إذ كنت عم رسول الله ،

وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ومكان أهلك ، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم ، وعلى رسلكم بنى هاشم ، فإن رسول الله منا ومنكم .

فاعترض كلامه عمر ، وخرج الى مذهبه فى الخشونه والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته فقال: إى والله وأخرى أنا لم نأتكم عن حاجه اليكم ، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم ، فيتفاهم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم وعامتهم ، ثم سكت) . انتهى .

أقول: البراء بن عازب صحابى مجمع على جلالته وبطولته فى معارك الإسلام قال الذهبى فى سيره: ٣/١٩٤: (البراء بن عازب بن الحارث ، الفقيه الكبير ، أبو عماره الأنصارى الحارثى المدنى ، نزيل الكوفه ، من أعيان الصحابه . روى حديثاً كثيراً ، وشهد غزوات كثيره مع النبى (ص) .) انتهى .

وتدل شهادة البراء على أمور كثيره ، من أهمها أن خلفه أبى بكر كانت بعيده كل البعد عن النص النبوى ، وعن مشوره الأمه وحريتها ، وأنها كانت متزلزله أياماً ، حتى غلبت فيها تهديدات قريش الطلقاء وإرهابهم ، وتخاذل الأنصار !

٤ - ظلامه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) برفضهم عهده لأمته!

وهي أعجب ظلامه في تاريخ الأنبياء جميعاً (عليهم السلام) وأسوأ تصرف من صحابتهم معهم!

فلو أن نبي الله موسى (عليه السلام) قال لليهود: (إيتوني بدواه وقرطاس أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعدى أبداً ، ولا تغلبكم أمه أبداً ، بل تحكمون العالم الى يوم القيامة) . فقال له أحدهم: كلا ، لا نريد عهدك (حسبنا التوراه) ! ورفضوا أن يكتب لهم نبيهم عهده وعهد ربه ، وفضلوا عليه شخصاً من صحابته فصاحوا: القول ما قال صاحبنا وليس قولك يا موسى؟! فماذا نحكم عليهم؟!

لابد أننا سنحكم عليهم بأشد الأحكام ، لأن عملهم من أسوأ الأعمال !!

لكن المسلم المسكين ، المُشْرَب من طفولته حبَّ عمر بن الخطاب ، يخاف من محيطه أن يسأل نفسه: ما معنى رفض عمر لكتابه العهد النبوي والشعار الذي رفعه في وجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (حسبنا كتاب الله ! ألا يعرف أن أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم بأن يقبلوا عهده لمستقبل الأمة ، واجب الإطاعة كالقرآن؟!

أو يسأل نفسه: كيف أيد أغلب (الصحابه) عمر عندما صادر حق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في رسم مستقبل أمته ، وصاحوا في وجه نبيهم: القول ما قاله عمر؟!

وكيف أيدوه عندما صادر حق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كمسلم في أن يوصى بما يريد؟!

وصادر حقه (صلى الله عليه وآله وسلم) كصاحب بيت على فراش مرضه ، أن يتصرف كما يريد؟!

وصادر حقه (صلى الله عليه وآله وسلم) في تفسير القرآن ، وبيان من هم أولوا الأمر؟!

روحي فداك يا رسول الله ، فما أعظم جهادك ، وما أعجب ظلامتك؟!

لقد جاهدت ثلاثاً وعشرين عاماً في أصعب الظروف وأخطرها ، وبلغت رساله ربك على رغم قريش وعداوتها وحسدها ، لك ولأسرتك بني هاشم!

وأنشأت خير أمه ، على رغم قريش واليهود وعداوتهم وحسداهم !

وبنيت دوله قويه ، على رغم قريش واليهود وحروبهم ومؤامراتهم !

وكنت رحيماً بالقريب والبعيد ، والعدو والصديق..

حتى حان منك لقاء ربك وفراق أمتك ، وأردت وضعها فى المسار الربانى بعدك ، واجهك طلقاؤك من قريش ، الذين مننت عليهم بالحياه قبل سنتين ، فقالوا لك بقياده عمر: نقبل بنوتك لكن بدون سنتك وعترتك ، فنحن قبائل قريش أولى من بنى هاشم ، فالدوله لنا ، ومستقبل الأمه بيدنا ! فإن أبيت ذلك أعلننا الرده ، وأعلننا بعدك حرباً على عترتك كحرب بدر وأحد والخندق ، والنصر بعدك لنا !

فأمرك الله أن تقيم الحجه عليهم فقط ، فإنما عليك البلاغ وليفعلوا ما يشاؤون: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ. (الأنفال: ٤٢)

هل رأيتم ظلامه لزراع يزرع شجره وينميها بجهد جهيد ، ويدفع عنها الآفات والحيوانات والسراق ، حتى إذا كبرت وأثمرت ، وحضر زارعها الأجل ، جاءه شخص وقال له: هذه الشجره لى وإلا قطعتها من جذورها ! ومعه جماعه يحملون فؤوساً ومعاول ويقولون: القول ما قال صاحبنا !

قال عمر ، وهو يروى جانباً من الجلسه الصاخبه يوم الخميس بطريقته الخاصه وهو يهون من فداحه الأمر: (لما مرض النبى (ص) قال: أدعوا لى بصحيفه ودواه أكتب كتاباً لاتضلون بعدى أبداً ! فكرهنا ذلك أشد الكراهه ! ثم قال: أدعوا لى بصحيفه أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعده أبداً! فقال النسوه من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله (ص)؟! فقلت: إنكن صواحبات يوسف إذا مرض رسول الله (ص) عصرتن أعينكن ، وإذا صح ركبتن رقبته ! فقال رسول الله: دعوهن فإنهن خير منكم) !! انتهى. (مجمع الزوائد: ٩/٣٣).

نعم والله إنهن خير منهم ، وخيرهنَّ أم سلمه صاحبه هذا القول رضى الله عنها .

وفى المقابل وصف الطبرى عمر عند وفاه أبى بكر ، وبيده عصا من جريد النخل يسكت بها الناس ويقول إسمعوا وأطيعوا يريد أن يكتب لكم كتاباً !

قال الطبرى فى تاريخه: ٢/٦١٨: (عن إسماعيل ، عن قيس قال: رأيت عمر بن الخطاب وهو يجلس والناس معه ، وبيده جريده وهو يقول: أيها الناس إسمعوا وأطيعوا قول خليفه رسول الله(ص) إنه يقول إنى لم آلكم نصحاً ! قال: ومعه مولى لأبى بكر يقال له شديد ، معه الصحيفه التى فيها استخلاف عمر !

قال أبو جعفر: وقال الواقدى: حدثنى إبراهيم بن أبى النضر ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث قال: دعا أبو بكر عثمان خالياً ، فقال له: أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافه إلى المسلمين . أما بعد ، قال ثم أغمى عليه . فذهب عنه فكتب عثمان: أما بعد فإنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً منه! ثم أفاق أبو بكر فقال إقرأ علىّ ، فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس أن افتلنت نفسى فى غشيتى؟! قال: نعم . قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله . وأقرأها أبو بكر من هذا الموضع).

لك الله يارسول الله ، فقد صدقت إذ قلت: ما أوذى نبى بمثل ما أوذيت !!

(راجع كتاب ألف سؤال وإشكال ج ٢ المسأله: ١٥٩: انقلاب الأمة على النبى(صلى الله عليه و آله وسلم) فى حياته) !

بدأت قريش ظلمها لآل الرسول في عهده (صلى الله عليه وآله وسلم)! وقد زاد نشاطها ضدهم بعد أن فتح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة وأجبر قريشاً على خلع سلاحها ، وأعلن زعماءها وجنودهم أسرى حرب له ولأهل بيته ، وأعلن أنه أطلقهم وسماهم الطلقاء ، ولم يُعتقهم !

ثم كان الله يخبره بخطط قريش ورئيسها الجديد سهيل بن عمر ، ومن يتعاون معه من المنافقين في المدينة ، ويأمره أن يتابع تبليغه عن ربه ، ويبين لأمته مقام عترته أهل بيته (عليهم السلام) ، وأن الله فرض عليهم مودتهم وطاعتهم .

وأخبره الله تعالى أنه لا بد لقضائه أن يمضى ، وأن قريشَ الطلقاء ستغلب وتنحرف بالإسلام ، وتظلم أهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) أفدح ظلامه !

وبلغ الرسول الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) رسالات ربه في عترته ، وأنهم كالقرآن أمانه الله وأمانه رسوله في الأمة: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي) .

وحدد مصطلح عترته وأهل بيته بأنهم: عليٌّ وفاطمه والحسن والحسين وتسعه من ذرية الحسين ، فهؤلاء دون سواهم آله وأهل بيته وعترته الذين طهرهم الله تطهيراً ، وأدار عليهم كساء للتأكيد ، فسألته أم سلمه هل هي منهم ، فقال: كلا !

وبلغ أمته أن الله أكرم عترته فحرّم عليهم الزكاه ، وشرّع لهم ميزانيه خاصه في ماله الدوله الإسلاميه ، هي الخمس !

وبلغ أمته ، أنهم أولو القربى ، الذين أمر الله الأمة بكتابه بحبهم ومودتهم .

وبلغها أنهم أولو الأمر ، الذين فرض الله في كتابه طاعتهم .

وأنهم مع الحق لا يحدون عنه ، وإن حادت عنه الأمة !

وأن علياً أولهم ، وبه يعرف المؤمن من المنافق ، فلن يحبه إلا مؤمن ولن يبغضه

إلا مناقق ! وأنه مع الحق والحق معه ، ومع القرآن والقرآن معه !

وفى حجه الوداع كان أكبر همّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يُركز فى الأمة إمامه عترته أهل بيته (عليهم السلام) من بعده ، فقد خطب خمس خطب فى مكة وعرفات ومنى ، وأكد فى جميعها بصوره وأخرى على أن عترته هم الضمانه الوحيديه من بعده . وفى خطبته بعرفات بشرّ الأمم بأن الله اختار لها بعده اثنى عشر إماماً ربانياً من عترته !

ثم خطب السادسه فى طريق عودته الى المدينه فى غدیر خم ، فأمر أن يعمل له منبر مرتفع من الأحجار وأحداج الإبل ، وأصعد علياً (عليه السلام) معه على المنبر ورفع بيده ، وبلغّ الأمم أن الولايه التى جعلها الله له على الأممه جعلها لعلى بعده ! فقال: (أيها الناس: أأست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله . فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) ! وجاء فى روايه صحيحه روتها مصادرهم عن أبى هريره: (فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبى طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم فأنزل الله عز وجل: اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) . (راجع تصحيح الحديث فى كتاب آيات الغدير للمؤلف) .

نعم ، هذا كلام عمر وهذه تهنتته لعلى يوم الغدير حيث أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بنصب خيمه لعلى (عليه السلام) وأمر المسلمين أن يبايعوه فبايعوه ، وأمر زوجاته فجنن الى خيمه على وبايعنه ، فغمس على (عليه السلام) يده فى سطل ماء ، ثم غمسن فيه أيديهن !

ويطول الكلام حتى لو أردنا الإكتفاء بفهرس لتبليغات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مكانه أهل بيته وحقهم على كافه الأمم ، وقد روت ذلك مصادر الجميع !

فى هذا الجو ، نقرأ فى مصادر الطرفين أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يبكى لمستقبل أهل بيته الطاهرين ، وظلامتهم الفادحه المأساويه أمته ! والتى ستطول حتى يبعث الله ولده

المهدى(عليه السلام) ، فينهى الظلم عن أهل البيت النبوى وعن أهل الأرض !

فقد بكى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى ، وبكى لفاطمه ، وبكى للحسن ، وبكى للحسين ، وبكى لبقية العتره الطاهره ، مرات عديده ! لظلامتهم الفادحه التى أخبره بها جبرئيل عن ربه عز وجل ! ونقلت مصادر الشيعة والسنة على السواء أحاديثه فى ذلك وصححتها ، فمنها: ما رواه ابن حماد فى كتاب الفتن ص ٨٤ ، عن عبد الله بن مسعود قال: (بينما نحن عند رسول الله (ص) إذ جاء فتيه من بنى هاشم فتغير لونه ، قلنا: يا رسول الله ، ما نزال نرى فى وجهك شيئاً نكرهه ! فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة لنا على الدنيا ، وإن أهل بيتى هؤلاء سيلقون بعدى بلاء وتطريداً وتشريداً حتى يأتى قوم من ها هنا من

نحو المشرق ، أصحاب رايات سود ، يسألون الحق فلا يعطونه ، مرتين أو ثلاثاً ، فيقاتلون فينصرون ، فيعطون ما سألوا فلا يقبلوه ، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى ، فيملؤها عدلاً كما ملؤها ظلماً ، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج فإنه المهدى).

وفى روايه الحاكم: ٤/٤٦٤: (أتينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخرج إلينا مستبشراً يعرف السرور فى وجهه ، فما سألناه عن شئ إلا أخبرنا به ، ولا سكتنا إلا ابتدأنا ، حتى مرت فتيه من بنى هاشم فيهم الحسن والحسين ، فلما رأهم التزمهم وانهملت عيناه فقلنا... الخ).

وفى روايه دلائل الإمامه ص ٢٣٣: (كنت عند النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ مرَّ فتيه من بنى هاشم كأنَّ وجوههم المصابيح ، فبكى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قلت: ما يبكيك يا رسول الله؟

قال: إنا أهل بيت قد اختار الله الآخرة على الدنيا ، وإنه سيصيب أهل بيتى قتلٌ وتطريدٌ وتشريدٌ فى البلاد ، حتى يتيح الله لنا رايه تجئ من المشرق ، من يهزها يهز ، ومن يشاقها يشاق ، ثم يخرج عليهم رجل من أهل بيتى اسمه كاسمى وخلقه كخلقى ، تؤوب إليه أمتى كما تؤوب الطير إلى أوكارها ، فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً).

وفى تفسير فرات ص ١٦٤، عن أنس بن مالك: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتى ذات يوم ويده فى يد على بن أبى طالب ولقيه رجل إذ قال له: يا فلان لاتسبوا علياً فإنه من سبه فقد سبى ومن سبى فقد سب الله ! إنه والله يا فلان لا يؤمن بما يكون من على فى آخر الزمان إلا ملك مقرب ، أو عبد قد امتحن الله قلبه للإيمان ! يا فلان إنه سيصيب ولد عبد المطلب بلائاً شديداً وإثراً وقتلاً وتشريداً ! فالله الله يا فلان فى أصحابى وذريتى وذمتى ، فإن لله يوماً ينتصف فيه للمظلوم من الظالم) !!

(راجع مصادره العديده فى معجم أحاديث الإمام

المهدى (عليه السلام) ج ١ ، رقم الحديث ٢٤٥ ، وما بعده .).

هكذا كانت الإرادة الإلهيه فى هذه الأمه ، أن يعطيها الحريه فى أن تضلّ بعد نبياها إن شاءت ، وتهتدى إن شاءت ! وأخبر نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنها ستختار الضلال وستظلم عترته ، لكن ما على الرسول إلا البلاغ ، وليس له من الأمر شئ !

فى تفسير فرات ص ٣٩٢ ، بسنده عن عطاء بن أبى رباح قال: قلت لفاطمه بنت الحسين: أخبرينى جعلت فداك بحديث أحدث به ، وأحتج به على الناس . قالت: نعم ، أخبرنى أبى أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان نازلاً بالمدينه ، وأن من أتاه من المهاجرين كانوا ينزلون عليه ، فأرادوا أن يفرضوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فريضه يستعين بها على من أتاه ، فأتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا: قد رأينا ما ينوبك من النوائب ، وإنا أتيناك لتفرض فريضه تستعين بها على من أتاك .

قال: فأطرق النبى طويلاً ، ثم رفع رأسه فقال: إنى لم أؤمر أن آخذ منكم على ماجئت به شيئاً ، إنطلقوا فإنى لم أؤمر بشئ ، وإن أمرت به أعلمتكم .

قال: فنزل جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمد إن ربك قد سمع مقاله قومك وما عرضوا عليك ، وقد أنزل الله عليهم فريضه: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ...

قال فخرجوا وهم يقولون: ما أراد رسول الله إلا أن تذلل الأشياء وتخضع

قال: فبعث رسول الله إلى علي بن أبي طالب أن أصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل: أيها الناس من انتقص أجيراً أجره فليتبوأ مقعده من النار ، ومن ادعى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار ، ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار !

قال: فقام رجل وقال: يا أبا الحسن ما لهنّ من تأويل؟ فقال: الله ورسوله أعلم . فأتى رسول الله فأخبره فقال رسول الله: ويل لقريش من تأويلهن ! ثلاث مرات ! ثم قال: يا علي إنطلق فأخبرهم أني أنا الأجير الذي أثبت الله مودته من السماء ، ثم أنا وأنت مولى المؤمنين، وأنا وأنت أبوا المؤمنين ! ثم خرج رسول الله فقال: يا معشر قريش والمهاجرين والأنصار ، فلما اجتمعوا قال: يا أيها الناس ، إن علياً أولكم أيماناً بالله وأقومكم بأمر الله ، وأوفاكم بعهد الله ، وأعلمكم بالقضيه ، وأقسمكم بالسويه ، وأرحمكم بالرعيه ، وأفضلكم عند الله مزيه .

ثم قال: إن الله مثّل لى أمتى فى الطين ، وعلمنى أسماءهم كما علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم فمرّ بى أصحاب الرايات فاستغفرت لعلى وشيعته وسألت ربى أن تستقيم أمتى على على من بعدى ، فأبى إلا أن يُضللّ من يشاء ويهدى من يشاء) !

إنما هذا جزءٌ من أخبار رفض قريش للعهد النبوى ، ومسارعتهم الى أى مكان غير مسجد النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) للصفق على يد أبى بكر وإعلانه خليفه ! ثم هجومهم ومعهم حَمّاله الحطب والسيوف ، على أهل البيت النبوى لإجبارهم على البيعه !

الفصل الثالث : مأساه العتره النبويه (عليهم السلام) على يد قريش

اشاره

ص: ٩٩

إشارة

كانت الخلافة هي الثأر الأول الذي أخذته قريش الطلقاء من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! وقد رأوا أن ثأرهم لا يكتمل إلا بالهجوم على بيت عتره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإجبارهم على بيعه أبي بكر! فكان هجوماً قاسياً ، تكرر عدة مرات !

وفى مره منها خرجت الزهراء (عليها السلام) الى الدار ، وصاحت من وراء الباب: يا رسول الله ماذا لقينا من ابن أبي قحافه وابن الخطاب بعدك؟! يا عمر جئت لتحرق علينا دارنا؟! فدفعوا باب الدار بشده وهى خلفه ، فكسروا بعض أضلاعها ، وسببوا إسقاط جنينها ، ثم مرضها وشهادتها! صلوات الله عليها!

وطبيعي أن ينفي ذلك رواه الخلافة ويقولوا إنها مرضت بشكل طبيعي وتوفيت بُعِيد وفاه أبيها ، مع أنها كانت سالمه فى العشرينات من عمرها!

لكن أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم يؤكدون أن مرضها وشهادتها كانا بسبب ضغط الباب عليها ، وهى بينه وبين الحائط ، ثم بسبب ضربها! ولذا قال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): (إن فاطمه (عليها السلام) صديقه شهيدة) . (الكافي: ١/٤٥٨) .

الروايه الرسميه للخلافه لحادثه الهجوم على آل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) !

اتفق رواه الخلافة على أن عمر حمل الحطب وقبس النار وهدد بحرق الدار بمن فيه ، إذا لم يخرجوا ويبيعوا! وقد تقدم افتخار الشاعر حافظ ابراهيم بذلك!

ثم اختلفوا فى وصف أحداث الهجوم ونتائجه! فبعضهم توسع قليلاً ، وبعضهم قال كان الهجوم مختصراً ، واقتصر على كسر سيف الزبير وإجبار المعتصمين على البيعه ، إلا على (عليه السلام) فقد عفا عنه أبو بكر عفواً مؤقتاً مادامت فاطمه على قيد الحياة! وقد تبنى البخارى أن أبا بكر أمرهم بعدم إجبار على (عليه السلام) على بيعته حتى تموت فاطمه! وكأنه كان يعرف قرب موتها وهى شابه!

ويمكننا اعتبار روايه ابن قتيبه التاليه روايه الخلافه الرسميه ، قال فى كتابه الإمامه والسياسه: ١/٣٠: (إن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند على ، فبعث إليهم عمر ، فجاء فناداهم وهم فى دار على فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالحطب وقال: والذى نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها! فقيل له: يا أبا حفص إن

فيها فاطمه! فقال: وإن!! فخرجوا فبايعوا إلا علياً ، فوقفت فاطمه على بابها فقالت: لاعهد لى بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله جنازه بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم ، لم تستأمرونا ولم تروا لنا حقاً! فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعه؟ فقال

أبو بكر لقننذ وهو مولى له: إذهب فادع لى علياً ، قال فذهب إلى على فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفه رسول الله ، فقال على: لسريع ما كذبتم على رسول الله ، لا أعلم لرسول الله خليفه غيرى! فرجع فأبلغ الرساله قال: فبكى أبو بكر طويلاً . فقال عمر الثانيه: لاتمهل هذا المتخلف عنك بالبيعه ، فقال أبو بكر لقننذ: عد إليه فقل له: خليفه رسول الله يدعوك لتبايع ، فجاءه قننذ فأدى ما أمر به ، فرفع على صوتيه فقال: سبحان الله! لقد ادعى ما ليس له! فرجع قننذ فأبلغ الرساله فبكى أبو بكر طويلاً!

ثم قام عمر فمشى معه جماعه حتى أتوا باب فاطمه فدقوا الباب ، فلما سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله ، ماذا لقينا بعدك من ابن

الخطاب وابن أبي قحافه ! فلما سمع القوم صوتها وبكاءها ، انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر ! وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً ، فمضوا به إلى أبي بكر ، فقالوا له: بايع ، فقال: إن أنا لم أفعل فمه ؟ قالوا: إذاً والله الذى لا إله الا هو نضرب عنقك ، قال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله ! قال عمر: أما عبد الله فنعم ، وأما أخو رسوله فلا ، وأبو بكر ساكت لا يتكلم ! فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك ، فقال: لا أكرهه على شئ ما كانت فاطمه إلى جنبه ، فلحق على بقبر رسول الله يصيح ويبكى وينادى: ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَى حَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي ! فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمه ، فإننا قد أغضبناها ، فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمه فلم تأذن لهما ، فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها ، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط ، فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام ! فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبه رسول الله ! والله إن قرابه رسول الله أحب إلى من قرابتي ، وإنك لأحب إلى من عائشه ابنتي ، ولو ددت يوم مات أبوك أنى متُّ ولا أبقى بعده ، أفترانى أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله ، إلا أنى سمعت أباك رسول الله يقول: لا نورث ، ما تركنا فهو صدقه . فقالت: أرايتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تعرفانه وتفعلان به؟ قالوا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمه من رضاي ، وسخط فاطمه من سخطي ، فمن أحب فاطمه ابنتي فقد أحبني ، ومن أرضى فاطمه فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمه فقد أسخطني؟ قالوا: نعم سمعناه من رسول الله (ص) ! قالت: فإنى أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه !

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمه ، ثم انتحب أبو بكر يبكى حتى كادت نفسه أن تزهد ، وهى تقول: والله لأدعون الله عليك فى كل

صلاه أصلها! ثم خرج باكياً فاجتمع إليه الناس فقال لهم: بيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله ، وتركتموني وما أنا فيه ! لا حاجة لي في بيعتكم أقبولوني بيعتي ! قالوا: يا خليفه رسول الله ، إن هذا الأمر لا يستقيم ، وأنت أعلمنا بذلك ، إنه إن كان هذا لم يقم لله دين . فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوه هذه العروه ما بت ليله ولي في عنق مسلم يبعه ، بعدما سمعت ورأيت من فاطمه ! قال: فلم يبايع على كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمه رضى الله عنهما ، ولم تمكث بعد أبيها إلا خمساً وسبعين ليله . انتهى .

روايه أهل البيت(عليهم السلام) لحادثه الهجوم على العتره !

وقد رووا أحداثاً عديده ، لأكثر من هجوم:

منها: ما رواه سُليمان بن قيس الهلالي العامري المتوفى ٧٦ هجريه ، في كتابه المعروف ب- (كتاب سُليمان) قال ص ١٤٧: (وقال عمر لأبي بكر: أرسل إلى علي فليبايع ، فإننا لسنا في شيء حتى يبايع ولو قد بايع أمانه . فأرسل إليه أبو بكر: أجب خليفه رسول الله ، فأتاه الرسول فقال له ذلك . فقال له علي: سبحان الله ما أسرع ما كذبتم علي رسول الله ، إنه ليعلم ويعلم الذين حولته أن الله ورسوله لم يستخلفا غيري ! وذهب الرسول فأخبره بما قال له . قال: إذهب فقل له: أجب أمير المؤمنين أبا بكر ، فأتاه فأخبره بما قال . فقال له علي: سبحان الله ما والله طال العهد فينسى ! فوالله إنه ليعلم أن هذا الاسم لا يصلح إلا لي ، ولقد أمره رسول الله وهو سابع سبعة فسلموا علي بإمره المؤمنين ! فاستفهم هو وصاحبه عمر من بين السبعة فقالا: أحقُّ من الله ورسوله ؟ فقال لهما رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): نعم ، حقاً حقاً من الله ورسوله ، إنه أمير المؤمنين وسيد

المسلمين وصاحب لواء الغر المحجلين، يقعه الله عز وجل يوم القيامة على الصراط فيدخل أوليائه الجنة وأعداءه النار !

فانطلق الرسول فأخبره بما قال . قال: فسكتوا عنه يومهم ذلك !

فلما كان الليل حمل على فاطمه على حمار وأخذ بيدي ابنه الحسن والحسين فلم يدع أحداً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أتاه في منزله ، فناشدهم الله حقه ودعاهم إلى نصرته ، فما استجاب منهم رجل غيرنا الأربعة ، فإننا حلقتنا رؤوسنا وبذلنا له نصرتنا ، وكان الزبير أشدنا بصيره في نصرته ! فلما رأى على خذلان الناس إياه وتركهم نصرته واجتماع كلمتهم مع أبي بكر وطاعتهم له وتعظيمهم إياه لزم بيته ، فقال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع ، فإنه لم يبق أحد إلا وقد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة !

وكان أبو بكر أرق الرجلين وأرفقهما وأدهما وأبعدهما غوراً ، والآخر أفظهما وأغلظهما وأجفاهما ، فقال أبو بكر: من نرسل إليه ؟ فقال عمر: نرسل إليه قنفذاً ، وهو رجل فظ غليظ جاف من الطلقاء أحد بنى عدى بن كعب ! فأرسله إليه وأرسل معه أعواناً وانطلق فاستأذن على على فأبى أن يأذن لهم ! فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر وهما جالسان في المسجد والناس حولهما ، فقالوا: لم يؤذن لنا. فقال عمر: إذهبوا ، فإن أذن لكم وإلا فادخلوا عليه بغير إذن ! فانطلقوا فاستأذنوا فقالت فاطمه (عليها السلام): أخرج

عليكم أن تدخلوا على بيتي بغير إذن ! فرجعوا وثبت قنفذ فقالوا: إن فاطمه قالت كذا وكذا فتحرجنا أن ندخل بيتها بغير إذن ! فغضب عمر وقال: ما لنا وللنساء ! ثم أمر أناساً حوله أن يحملوا الحطب فحملوا الحطب وحمل معهم عمر ، فجعلوه حول منزل على وفاطمه وابنيهما ! ثم نادى عمر حتى أسمع علياً وفاطمة: والله لتخرجن يا على ولتبايعن خليفه رسول الله وإلا أضرت عليك بيتك النار ! فقالت فاطمه: يا عمر ، ما لنا ولك؟ فقال: إفتحى الباب وإلا أحرقتنا عليكم بيتكم ! فقالت: يا عمر أما تتقى الله

تدخل عليّ بيتي! فأبى أن ينصرف، ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، ثم دفعه فدخل فاستقبلته فاطمه وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله! فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت: يا أبتاه! فرفع السوط فضرب به ذراعها فنادت: يا رسول الله، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر! فوثب عليّ فأخذ بتلابيبه ثم نثره فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهم بقتله، فذكر قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أوصاه به، فقال: والذي كرم محمداً بالنبوه يا بن صهاك لولا كتاب من الله سبق وعهدٌ عهدهُ إليّ رسول الله لعلمت إنك لا تدخل بيتي. فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار وثار على إلى سيفه، فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوف أن يخرج على إليه بسيفه، لما قد عرف من بأسه وشدته، فقال أبو بكر لقنفذ: إرجع فإن خرج وإلا فاقحم عليه بيته فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم النار! فانطلق قنفذ فاقحم هو وأصحابه بغير إذن، وثار على إلى سيفه فسبقوه إليه وكأثروه وهم كثيرون، فتناول بعضهم سيوفهم فكأثروه وضبطوه، فألقوا في عنقه حبلاً وحالت بينهم وبينه فاطمه (عليها السلام) عند باب البيت فضربها قنفذ بالسوط! فماتت حين ماتت وإن في عضدها كمثل الدمليج من ضربته، ثم انطلقوا بعلي يُعتل عتلاً حتى انتهى به إلى أبي بكر، وعمر قائم بالسيف على رأسه، وخالد بن الوليد وأبو عبيده بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل والمغيرة بن شعبه وأسيد بن حضير وبشير بن سعيد وسائر الناس، جلوسٌ حول أبي بكر عليهم السلاح!

قال قلت لسلمان: أَدْخَلُوا عَلِيَّ فَاطِمَةَ بِغَيْرِ إِذْنٍ؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ خَمَارٍ فَنَادَتْ: يَا أَبَتَاهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا أَبَتَاهُ فَلَبَّسَ مَا خَلْفَكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ... قَالَ فَانْتَهَوْا بَعْلِي إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَقُولُ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَقَعَ سَيْفِي فِي يَدِي لَعَلَّمْتُمْ أَنْكُمْ لَنْ تَصَلُوا إِلَيَّ هَذَا أَبَدًا. أَمَا وَاللَّهِ مَا أَلُومُ نَفْسِي فِي جِهَادِكُمْ، وَلَوْ كُنْتُ اسْتَمَكَنْتُ مِنْ

الأربعين رجلاً لفرقت جماعتكم ، ولكن لعن الله أقواماً بايعوني ثم خذلوني .

ولما أن بصر به أبو بكر صاح: خلوا سبيله ! فقال على: يا أبا بكر ما أسرع ما توثبتم على رسول الله ! بأى حق وبأى منزله دعوت الناس إلى بيعتكم؟ ألم تبايعنى بالأمس بأمر الله وأمر رسول الله؟!

وقد كان قنفذ لعنه الله ضرب فاطمه (عليها السلام) بالسوط حين حالت بينه وبين زوجها ، وأرسل إليه عمر: إن حالت بينك وبينه فاطمه فاضربها ، فألجأها قنفذ لعنه الله إلى عضاده باب بيتها ودفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنيئاً من بطنها ! فلم تزل صاحبه فراش حتى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدته .

قال: ولما انتهى بعلى إلى أبى بكر انتهره عمر وقال له: بايع ودع عنك هذه الأباطيل ، فقال له: فإن لم أفعل فما أنتم صانعون؟ قالوا: نقتلك ذلاً- وصغاراً ! فقال: إذاً تقتلون عبد الله وأخ رسوله . فقال أبو بكر: أما عبد الله فنعم ، وأما أخو رسول الله فما نقر بهذا ! قال: أتجحدون أن رسول الله أخى بينى وبينه؟! قال: نعم! فأعاد ذلك عليهم ثلاث مرات . ثم أقبل عليهم على (عليه السلام) فقال: يا معشر المسلمين والمهاجرين والأنصار، أنشدكم الله أسمعتم رسول الله يقول يوم غدير خم كذا وكذا، وفى غزوه تبوك كذا وكذا؟ فلم يدع شيئاً قاله فيه رسول الله علانيه للعامه إلا ذكرهم إياه . قالوا: اللهم نعم !

فلما تخوف أبو بكر أن ينصره الناس وأن يمنعوه ، بادرهم فقال له: كل ما قلت حق قد سمعناه بأذاننا وعرفناه ووعدته قلوبنا ، ولكن قد سمعت رسول الله يقول بعد هذا: إنا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا واختار لنا الآخرة على الدنيا ، وإن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوه والخلافه ! فقال على: هل أحد من أصحاب رسول الله شهد هذا معك؟! فقال عمر: صدق خليفه رسول الله ، قد سمعته منه كما قال . وقال أبو عبيده وسالم مولى أبى حذيفه ومعاذ بن جبل: صدق ، قد

سمعنا ذلك من رسول الله ! فقال لهم على: لقد وفيتكم بصحيفتكم الملعونه التي تعاقدم عليها فى الكعبه: إن قتل الله محمداً أو مات لتزوّن هذا الأمر عنا أهل البيت ! فقال أبو بكر: فما علمك بذلك ؟ ما أطلعناك عليها ؟ فقال: أنت يا زبير ، وأنت يا سلمان ، وأنت يا أبا ذر ، وأنت يا مقداد ، أسألکم بالله وبالإسلام أما سمعتم رسول الله يقول ذلك وأنتم تسمعون: إن فلاناً وفلاناً حتى عد هؤلاء الخمسه قد كتبوا بينهم كتاباً وتعاهدوا فيه وتعاهدوا أيماناً على ما صنعوا إن قتلتم أو مت ؟! فقالوا: اللهم نعم ، قد سمعنا رسول الله يقول ذلك لك: إنهم قد تعاهدوا وتعاهدوا على ما صنعوا ، وكتبوا بينهم كتاباً إن قتلتم أو مت أن يتظاهروا عليك وأن يزووا عنك هذا يا على . قلت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، فما تأمرنى إذا كان ذلك أن أفعل ؟ فقال لك: إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم ونازدهم، وإن أنت لم تجد أعواناً فبايع واحقن دمك. فقال على: أما والله لو أن أولئك الأربعة رجالاً الذين بايعونى وفوا لى لجاهدتم فى الله ، ولكن أما والله لا ينالها أحد من عقبكما إلى يوم القيامة . وفيما يكذب قولكم على رسول الله قوله تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ، فالكتاب النبوه ، والحكمه السنه ، والملك الخلافه ، ونحن آل إبراهيم .

فقام المقداد فقال: يا علىّ بَم تأمرنى؟ والله إن أمرتنى لأضربن بسيفى وإن أمرتنى كففنُ . فقال علىّ: كفّ يا مقداد واذكر عهد رسول الله وما أوصاك به . فقلت وقلت: والذى نفسى بيده ، لو أنى أعلم أنى أدفع ضيماً وأعز الله ديناً لوضعت سيفى على عنقى ثم ضربت به قدماً قدماً ! أثبون على أخى رسول الله ووصيه وخليفته فى أمته وأبى ولده ! فأبشروا بالبلاء واقنطوا من الرخاء !

وقام أبو ذر فقال: أيتها الأمة المتحيره بعد نبيا المخذوله بعصيانها ، إن الله يقول: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ . ذُرِّيَّهُ بَعْضُهَا

مِنْ بَعْضِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. وآل محمد الأَخلاف من نوح وآل إبراهيم من إبراهيم والصفوه والسلاله من إسماعيل . وعتره محمد أهل بيت النبوه وموضع الرساله ومختلف الملائكه ، وهم كالسمااء المرفوعه والجبال المنصوبه والكعبه المستوره والعين الصافيه ، والنجوم الهاديه ، والشجره المباركه ، أضاء نورها وبورك زيتها. محمد خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم ، وعلى وصى الأوصياء وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وهو الصديق الأ-كبر ، والفاروق الأ-عظم ، ووصى محمد ووارث علمه ، وأولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم كما قال الله: النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ . فَقَدَّمُوا مِنْ قَدَمِ اللَّهِ ، وَأَخَّرُوا مِنْ آخِرِ اللَّهِ ، واجعلوا الولايه والوراثه لمن جعل الله...الخ). انتهى .

ومنها: ما رواه العياشى: ٢/٦٦٦، والإختصاص للمفيد ص ١٨٥: (عن عمرو بن أبى المقدم ، عن أبيه ، عن جده قال: ما أتى على على (عليه السّلام) يوم قط أعظم من يومين أتياه ، فأما أول يوم فاليوم الذى قبض فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وأما اليوم الثانى فوالله إنى لجالس فى سقيفه بنى ساعده عن يمين أبى بكر

والناس يبايعونه ، إذ قال له عمر: يا هذا ليس فى يدىك شىء ما لم يبايعك على ! فابعث إليه حتى يأتىك يبايعك ، فإنما هؤلاء رعاى ، فبعث إليه قنفذ فقال له: إذهب فقل لعلى: أجب خليفه رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، فذهب قنفذ فما لبث أن رجع فقال لأبى بكر: قال لك ما خلف رسول الله أحداً غيرى! قال: ارجع إليه فقل: أجب ، فإن الناس قد أجمعوا على بيعتهم إياه ، وهؤلاء المهاجرون والأنصار يبايعونه وقريش ، وإنما أنت رجل من المسلمين لك ما لهم وعليك ما عليهم ، فذهب إليه قنفذ ، فما لبث أن رجع فقال قال لك: إن رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال لى وأوصانى إذا وارىته فى حفرته لا

أخرج من بيتي حتى أولف كتاب الله ، فإنه في جرايد النخل وفي أكتاف الابل . قال عمر: قوموا بنا إليه، فقام أبو بكر ، وعمر ، وعثمان وخالد بن الوليد، والمغيره بن شعبه، وأبو عبيده بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفه ، و قنفذ ، وقمت معهم فلما انتهينا إلى الباب فرأتهم فاطمه (عليها السلام) فأغلقت الباب في وجوههم ، وهي لاتشك أن لا يدخل عليها إلا ياذنها ، فضرب عمر الباب برجله فكسره وكان من سعف ، ثم دخلوا فأخرجوا علياً ملبياً ! فخرجت فاطمه فقالت: يا أبا بكر أتريد أن ترمّني من زوجي ، والله لئن لم تكفّ عنه لأنشرن شعري ولأشقنّ جيبي ولآتين قبر أبي ولأصيحنّ إلى ربي ، فأخذت بيد الحسن والحسين وخرجت تريد قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال علي لسلمان: أدرك ابنه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنني أرى جنبتي المدينة تكفيان ، والله إن نشرت شعرها وشقت جيبيها وأتت قبر أبيها وصاحت إلى ربها ، لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها ، فأدركها سلمان فقال: يا بنت محمد إن الله إنما بعث أباك رحمه فارجعي ، فقالت: يا سلمان يريدون قتل علي ! ما علي عليّ صبر ، فدعني حتى آتي قبر أبي فأنشر شعري وأشق جيبي وأصيح إلى ربي ! فقال سلمان: إنني أخاف أن يخسف بالمدينة ، وعليّ بعثني اليك ويأمرك أن ترجعي إلى بيتك وتنصرفي ، فقالت: إذا أرجع وأصبر ، وأسمع له وأطيع .

قال: فأخرجوه من منزله ملبياً ومروا به على قبر النبي عليه وآله السلام قال: فسمعتة يقول: يا (ابن أمّ) إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) إلى آخر الآيه . وجلس أبو بكر في سقيفه بنى ساعده وقدم عليّ فقال له عمر: بايع ! فقال له علي: فإن أنا لم أفعل فمَه ؟ فقال له عمر: إذا أضرب والله عنقك ! فقال له علي: إذا والله أكون عبد الله المقتول وأخا رسول الله . فقال عمر: أما عبد الله المقتول فنعم ، وأما أخو رسول الله فلا ، حتى قالها ثلاثاً ! فبلغ ذلك العباس بن عبد المطلب فأقبل

مسرعاً يهرول فسمعته يقول: إرفقوا بابن أخى ولكم على أن يبايعكم ، فأقبل العباس وأخذ بيد على فمسحها على يد أبى بكر ، ثم خلوه مغضباً فسمعته يقول: ورفع رأسه إلى السماء: اللهم إنك تعلم أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قال لى: إن تموا عشرين فجاهدهم، وهو قولك فى كتابك:

إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ . قال: وسمعته يقول: اللهم وإنهم لم يتموا عشرين ، حتى قالها ثلاثاً ، ثم انصرف) . انتهى.

ومنها: ما رواه فى الإختصاص ص ١٨٤ ، من حديث فدك: (فقال على (عليه السلام) لها: إئت أبى بكر وحده فإنه أرق من الآخر وقولى له: ادعيت مجلس أبى وأنك خليفة وجلست مجلسه ولو كانت فدك لك ثم استوهبتها منك لوجب ردها على! فلما أتته وقالت له ذلك قال: صدقت قال: فدعا بكتاب فكتبه لها برد فدك ، فقال: فخرجت والكتاب معها ، فلقبها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذى معك ، فقالت: كتاب كتب لى أبو بكر برد فدك ، فقال: هلميه إلى ، فأبت أن تدفعه إليه فرفضها برجله! وكانت حامله بابن اسمه المحسن فأسقطت المحسن من بطنها ثم لطمها! فكأنى أنظر إلى قرط فى أذنها حين نقت! ثم أخذ الكتاب فخرقه، فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضه مما ضربها عمر ، ثم قبضت). انتهى. (راجع كتاب: مأساه الزهراء (عليها السلام) ، للعلامه السيد جعفر مرتضى) .

١ - يوم بكت وأبكت أباه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) !

كان ذلك أكثر من مره ، فى مجالس شهدها الصحابه ونطق فيها النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالغيب ، فكانت نوراً نبوياً تلقاه رواه أهل البيت (عليهم السلام) ونقلوه بأمانه .

روى الخزاز فى كفايه الأثر ص ١٢٤ عن عمار قال: (لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الوفاه دعا بعلى (عليه السلام) فسارّه طويلاً ، ثم قال: يا على أنت وصيى ووارثى قد أعطاك الله علمى وفهمى ، فإذا متُّ ظهرت لك ضغائن فى صدور قوم وغضب على حقد ! فبكت فاطمه وبكى الحسن والحسين فقال لفاطمه: ياسيده النسوان مم بكاؤك؟ قالت: يا أبه أخشى الضيعه بعدك ! قال: أبشرى يا فاطمه فإنك أول من يلحقنى من أهل بيتى ، ولا تبكى ولا تحزنى فإنك سيده نساء أهل الجنه ، وأباك سيد الأنبياء ، وابن عمك خير الأوصياء ، وابناك سيدا شباب أهل الجنه ، ومن صلب الحسين يخرج الله الأئمه التسعه ، مطهرون معصومون ، ومنا مهدي هذه الأمه) .

وروى الصدوق فى كمال الدين ص ٦٦٢ ، عن سلمان قال: (كنت جالساً بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى مرضته التى قبض فيها فدخلت فاطمه (عليها السلام) فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما يبكيك يا فاطمه؟ قالت: يا رسول الله أخشى على نفسى وولدى الضيعه بعدك ! فاغرورقت عينا رسول الله بالبكاء ثم قال: يا فاطمه أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخره على الدنيا ، وأنه حتم الفناء على جميع خلقه ، وأن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض إطلاعه فاخترانى من خلقه فجعلنى نبياً ، ثم اطلع إلى الأرض إطلاعه

ثانيه فاختر منها زوجك ، وأوحى إليّ أن أزوجك إياه ، وأتخذته ولياً ووزيراً ، وأن أجعله خليفتي في أمتي . فأبوك خير أنبياء الله ورسله ، وبعلك خير الأوصياء ، وأنت أول من يلحق بي من أهلي .

ثم أطلع إلى الأرض إطلاعه ثالثه فاخترتك وولديك ، فأنت سيده نساء أهل الجنة وبنائك حسن وحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة كلهم هادون مهديون ، وأول الأوصياء بعدى أخى على ، ثم حسن ، ثم حسين ، ثم تسعه من ولد الحسين في درجتي ، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي إبراهيم ! أما تعلمين يا بنيه أن من كرامه الله إياك أن زوجك خير أمتي ، وخير أهل بيتي ، أقدمهم سلماً وأعظمهم حليماً ، وأكثرهم علماً . فاستبشرت فاطمه (عليها السلام) وفرحت بما قال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ... الحديث وهو طويل). انتهى.

(ورواه القاضي النعمان في شرح الأخبار: ١/١٢٢، عن أبي سعيد الخدري ، والطبري الشيعي في المسترشد ص ٦١٣، بتفصيلات أخرى.. الخ.).

يارسول الله أخشى على نفسي وولدي الضيعه بعدك !

ممن؟ من هؤلاء الجالسين حول أبيها ، الذين حدثها بما هم فاعلون !

فاغرورقت عينا رسول الله بالبكاء ! ممن؟ من زعماء قريش الجالسين حوله ! الذين أخبره ربه أن عاصفتهم بالباب ، تنتظر أن يغمض عينيه لتعصف بالإسلام وبالترتيبات الربانيه له ! وأن بيت فاطمه (عليها السلام) سيكون أول هدفهم فيهددونهم بإحراق البيت على من فيه ، إن لم يعترفوا بشرعيه إمام بطون قبائل قريش !!

لقد أعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أهل بيته فاطمه وعلياً والحسين (عليهم السلام) لمرحلة ما بعده.. فلا تنقصهم المعلومات ولا التوجيهات ، ولا اليقين بما سيكون ، فقد حكاه الله لنيبه مفصلاً فحكاه لهم ، فأمنوا به على مستوى الحس لا الحدس ، وأخذ عليهم النبي العهد والميثاق أن يصبروا ويعملوا لإنقاذ ما يمكن ، وأعطوه العهد على ذلك عن

إيمان ورضا ، ووطنوا أنفسهم على العطاء لله من حقهم وكرامتهم حتى يرضى !

لكن هذا اليقين لا يمنع فاطمه (عليها السلام) أن تستشرف صور الفتنة ، وعواصفها المزمجرة ، كلما اقتربت أيام وصولها ، فتبكي لأبيها العطوف الحنون ، لكي يشاركها بدمعه قبل أن يرحل ! ويقول لهؤلاء في أنفسهم قولاً بليغاً ، فيسمع موقفه من أصحابه من لم يسمعه ، لعل ذلك يخفف من موج العاصفه !

أخبرها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الله تعالى قضى على هذه الأمة كما قضى على الأمم السابقة ، أن يعطيها الحريه لاختيار الضلال إن شاءت ، ما دامت لم ترتفع الى مستوى من التقوى فتفرق عملياً بين القيادة المعينه من الله تعالى ، والمعينه من القبائل المتغلبه ! وأن امتحان العتره قريب ! وأن عاصفه قريش الطلقاء لا تبعد أكثر من ساعه عن وفاته حتى تزمجر ! فقد ذهب الى السقيفه يتعاديان ليصفق عمر على يد أبي بكر ويعلنه خليفه ، بعد أن ناقشا لنصف ساعه أو أقل سعد بن عباده المريض وبضعه نفر حوله ! ثم جاء دور ألوف الطلقاء الذين حشدوهم فى المدينه لثبيت السلطه الجديده ، وتنفيذ اضطهاد

آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) !

أخبرها أنهم سيفتحون عليهم باب الإضطهاد حتى يضح منه التاريخ ! فيعيشون وشيعتهم مظلومين مقهورين ، ما بين مقتول ومسموم ومسجون ومشرّد وخائف على دمه ، حتى يظهر مهديهم الموعود .

بكى النبي لبكاء فاطمه ، وقال لها نعم سيكون ماتخشين ، لكن ربنا عز وجل أكرمنا وفضلنا ، وعلينا أن ندفع ضريبه العبوديه الكامله له ، وهى ضريبه لأيام قليله تعقبها راحه طويله . إن عمر الدنيا القصير يسهل الأمر ، يا بنيه !

كانت فاطمه ترى الأمور تسير نحو الكارثه على الاسلام وعتره نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بمجرد أن يغمض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عينيه ويلاقى ربه !

فأيدها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكى لها ، وهدأها ، طمأنها بأن ذلك ضريبه عبوديه هذه الأسره المصطفاه لربها عز وجل ، ففرحت الحزينه ! تقول فى فرحها لنعم الله : سمعاً وطاعه يا أبتاه.. تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى الرب فرضا الله رضانا أهل البيت ، وليقترب الناس ما هم مقتربون !

أما رواه الحكومات ، فرووا من هذا المشهد النبوى البليغ نتفاً مبتوره وصححوها بعضها ! ورووا منه فقرات طويله ولم يضعفها أحد غير الذهبى تحكماً وتعصباً فاتبعوه وغطوا عليه ! رواه الطبرانى فى الكبير: ٣/٥٧ ، والصغير: ١/٦٧ ، وابن عساكر: ٤٢/١٣٠ ، والطبرى فى ذخائر العقبى ص ١٣٥ ،

وابن الأثير فى أسد الغابه: ٤/٤٢ ، والهيثمى فى مجمع الزوائد: ٨/٢٥٣ ، وقال: (وهو بتمامه فى فضل أهل البيت ، رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير وفيه الهيثم بن حبيب ، وقد اتهم بهذا الحديث ! ورواه فى: ٩/١٦٤ ، وقال: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، وفيه الهيثم بن حبيب ، قال أبو حاتم منكر الحديث وهو متهم بهذا الحديث !)

ولا يتسع المجال لتفصيل تهافتهم وتعصبهم فى هذا الحديث ، فيكفى أن تعرف أن الهيثمى نفسه قال فى الزوائد: ٣/١٩٠: وأما الهيثم بن حبيب فلم أر من تكلم فيه غير الذهبى (القرن الثامن) اتهمه بخبر رواه ، وقد وثقه ابن حبان). انتهى .

وهو يقصد قول الذهبى فى ميزان الاعتدال: ٤/٣٢٠: (الهيثم بن حبيب عن سفيان بن عيينه بخبر باطل فى المهدي ، هو المتهم به . رواه أبو نعيم ، عن الطبرانى ، عن محمد بن رزيق بن جامع عنه). انتهى .

وواضح أن اتهام الذهبى لهذا الراوى بالوضع ، لا حجه له إلا أن الحديث لم يعجب الذهبى المتعصب ، لأنه يكشف سقيفه قريش ، وينص على إمامه على والحسينين وبقية العتره الى المهدي (عليهم السلام) ! ولا بد أن الذهبى رأى أن الهيثم من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) الموثقين عندنا وعندهم ! فازداد غيظاً !

أما قول الهيثمي: (قال أبو حاتم منكر الحديث) فهو خطأ أو كذب! لأن أبا حاتم وثق ابن حبيب بنص الذهبي في ميزان الإعتدال: ٤/٣٢٠ قال: (فوثقه أبو حاتم). وفي تهذيب التهذيب: ١١/٨١: أن أبا عوانه وثقه وقال: (قال لى شعبه: إلزم الهيثم الصيرفي . وقال الأثرم: أثنى عليه أحمد وقال: ما أحسن أحاديثه وأسد استقامتها ، ليس كما يروى عنه أصحاب الرأى . وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: الهيثم بن حبيب الصراف ثقة . وقال أبو زرعه وأبو حاتم: ثقته فى الحديث صدوق ، وذكره ابن حبان فى الثقات .) انتهى . وكذا فى تهذيب الكمال: ٣٠/٣٦٩ ، وفى سؤالات الآجرى لأبى داود: ١/١٩١: سألت أبا داود عن الهيثم بن حبيب ، قلت: يتقدم عبد الملك بن حبيب؟ قال: نعم . وقد روى شعبه عنهما . وفى شرح مسند أبى حنيفة للقارى ص ٣٩٨: الهيثم بن حبيب الصيرفي أحد التابعين الأجلاء).

لكن لا تعجب من هرب إمامهم الذهبى الشركسى من هذا الحديث وهجومه عليه وارتكابه الكذب من أجله ، ولا من حذفهم حذفه وتغطيتهم عليه ! لأن نص الحديث ثقيل على أعصابهم وأعصاب بطون قريش ، مع أنهم حذفوا منه ذكر بقيه الأئمة الإثنى عشر (عليهم السلام) ! وهذا نصه من مجمع الزوائد :

(عن على بن على الهلالى عن أبيه قال دخلت على رسول الله (ص) فى شكاته التى قبض فيها فإذا فاطمه رضى الله عنها عند رأسه ، قال فبكت حتى ارتفع صوتها فرفع رسول الله (ص) طرفه إليها فقال: حبيبتي فاطمه ما الذى يبكيك؟ فقالت أخشى الضيعه بعدك ! فقال: يا حبيبتي أما علمت أن الله عز وجل أطلع إلى الأرض اطلاعةً فاختار منها أباك فبعته برسالته ، ثم أطلع إلى الأرض اطلاعةً فاختار منها بعلك وأوحى إلى أن أنكحك إياه ! يا فاطمه ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم تعط لأحد قبلنا ولا تعطى أحداً بعدنا: أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله، وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل وأنا أبوك ، ووصيى خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك ،

وشهيدناخير الشهداء وأحبهم إلى الله وهو عمك حمزه بن عبد المطلب وعم بعلك ، ومنا من له جناحان أخضران يطير مع الملائكة فى الجنة حيث شاء وهو ابن عم أيبك وأخو بعلك ، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما والذى بعثنى بالحق خير منهما .

يا فاطمه والذى بعثنى بالحق إن منهما مهدي هذه الأمة ، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً ، وتظاهرت الفتن ، وتقطعت السبل ، وأغار بعضهم على بعض ، فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً ، فيبعث الله عز وجل عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً ! يقوم بالدين آخر الزمان كما قمت به فى أول الزمان ، ويملاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً .

يا فاطمه لاتحزنى ولا تبكى ، فإن الله عز وجل أرحم بك وأرأف عليك منى وذلك لمكانك من قلبى ، وزوجك الله زوجاً وهو أشرف أهل بيتك حسباً وأكرمهم منصباً ، وأرحمهم بالرعيه وأعدلهم بالسويه وأبصرهم بالقضيه ، وقد سألت ربي عز وجل أن تكونى أول من يلحقنى من أهل بيتى !

قال على رضى الله عنه: فلما قبض النبى (ص) لم تبق فاطمه رضى الله عنها بعده إلا خمسه وسبعين يوماً ، حتى ألحقها الله عز وجل به (ص). انتهى .

إنها واحده من الحجج النبويه التى أفلتت من سيطره رواه قريش ! فلا ينفعهم أن الذهبى فى القرن الثامن غضب منها ، وسعى فى خرابها !

٢ - يوم بكى أبوها (صلى الله عليه وآله وسلم) لظلامتها .. وبكت لفقده!

فى أمالى الشىخ الطوسى ص ١٨٨: (عن عبد الله بن العباس قال: لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الوفاه بكى حتى بلى دموعه لحيته فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: أبكى لذريتى ، وما تصنع بهم شرار أمتى من بعدى ! كأنى بفاطمه ابنتى وقد ظلمت بعدى وهى تنادى يا أبتاه يا أبتاه ، فلا يعينها أحد من أمتى ! فسمعت ذلك فاطمه فبكت فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لم تبكين يابنيه؟ فقالت: لست أبكى لما يصنع بى من بعدك ، ولكن أبكى لفراقك يا رسول الله ! فقال لها: أبشرى يا بنت محمد بسرعه اللحاق بى ، فإنك أول من يلحق بى من أهل بيتى) .

من بعد حجه الوداع ، لم يكن أحدٌ يعانى كما عانت فاطمه وعلئى والحسنان (عليهم السّلام) . كان وداع النبى بالنسبه لهم وداعاً لعالم أعلى فيه كل شئ ، واستعداداً للدخول فى عالم ملئ بالآلام والأحزان ، ومقارعه العواصف والأفاعى !

كانوا يدركون أن كل تأكيدات النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) واحتياطاته لم تؤثر فى قريش التى ركبت رأسها وأصرت على مؤامرتها ، وهيات الأجرء فى قبائلها وقبائل العرب وحتى فى بعض أوساط الأنصار ، لمقولتها أن بنى هاشم تكفيهم النبوه ، وليس من العدل أن يجمعوا بين النبوه والخلافه ، ويحرموا منها بطون قريش !!

لقد شاهدت فاطمه (عليها السّلام) فى حجه الوداع صوراً من الصراع بين الهدى النبوى والضلال القرشى ، ورأت أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) خطب خمس خطب ، وأوضح للأمم مراراً موقع عترته وأهل بيته من بعده ، بأساليبه المبتكره وبلاغته النبويه ، وأنه كلما وصل الى تعيين الولاة بعده ، وأن الله غرسهم فى هذا البيت من بنى هاشم ، لغطت قريش وشوش أتباعها المبتوثون فى مجلسه ، وصاحوا وقاموا وقعدوا

وكبروا! ثم قالوا: إن النبي قال: الأئمة من قريش، كل قريش، كل قريش!!

لقد أقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحجة لربه بينه صريحه في مكة وعرفات ومنى، ثم لم يُبقي يوم الغدير لأحد عذراً، على حد تعبير فاطمه (عليها السلام)!

لكن قريشاً كانت صماء، وكان حجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لاتعنيها بشئ! فهذا سهيل بن عمرو يمسك بزعامتها في مكة ويتصرف كأنه رئيس دوله مقابل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقول نحن، ومحمد! ويرسل جابر بن النضر العبدري ليعترض على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنه بزعمه لم يكتف بما فرضه على الناس من صلاة وصوم وزكاة وحج، حتى أخذ بضبع ابن عمه قائلاً: من كنت مولاه فعلى مولاه!

وهؤلاء طلقاء النبي من قريش صاروا ألوفاً في المدينة، وهم ملتفون حول أبي بكر وعمر، وعائشه وحفصه تواصلان تظاهرها على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتفشيان لهم سره! وكلما علم جبرئيل النبي خطه لترتيب الوضع لوصيه وعترته من بعده، عملت قريش في إبطالها وتخريبها!!

ومن أواخر ما خربوه أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عرض عليهم ما لم يعرضه نبي على أمته قط وطلب منهم أن يلتزموا له بعهد يكتبه ليؤمن الأئمة من الضلال إلى يوم القيامة، ويجعلها سيده العالم إلى يوم القيامة! فبادروا إلى رفضه، ودفعوا عمر لمواجهه النبي بكل صلافة: لاجاه لنا بكتابك، ومنعوه من كتابته!!

ثم أراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن تفرغ المدينة من دعاه الفتنة وأرسلهم جميعاً في جيش أسامة إلى فلسطين، وفيهم سبع مئة رجل من قريش! وأمره بالتحرك، ولعن من تخلف عن جيش أسامة! فافتعلوا المشاكل والأعداء حتى سوفوا الوقت وأفشلوا برنامج أسامة، وتسللوا من معسكره من الجرف لوأذاً عائدين إلى المدينة!

كانت فاطمه (عليها السلام) تشاهد ذلك، وتسمع كلام أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) عن عاصفه قريش التي تنتظر عترته، وترى دموعه الغزار من أجلهم، ومن أجلها خاصة! لكنها كانت اليوم تبكى

لأعظم من كل ذلك ، لفراق أبيها !

بعين الله ماسألناه بعدك يا أبتى ! يُغضب زوجى حقه ، ويهجمون علينا ويُضرمون النار فى دارنا ، وأهانُ أنا وأُضربُ ويُسقطُ جنينى ، ويُقاد زوجى بحمائل سيفه ! رضاُ برضا الله ورضاك يا رسول الله ، فكل هذه المصائب دون مصيبه فراقك يا خير الرسل وخير الآباء !

ص: ١٢٠

٣ - يوم واجهت المهاجرين لدارها !

فخاطبتهم من وراء باب الدار كما تقدم فى روايه ابن قتيبه: (لاعهد لى بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ! تركتم رسول الله جنازه بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقاً) ! ولما كرروا تهديدهم بإحراق الدار صاحت: (يا رسول الله ماذا لقينا من ابن أبى قحافه وابن الخطاب بعدك ! يا عمر جئت لتحرق علينا دارنا !). ثم تفاقم الأمر وأشعلوا النار بالباب ، ودفعوه والزهراء(عليها السلام) خلفه !!

قال السيد جعفر مرتضى فى كتاب مأساه الزهراء(عليها السلام): ٢/٩٦: (نقل جماعه سيأتى فى الموضوع المذكور ذكر أساميهم ، والكتب التى نقلوا فيها ، منهم الطبرى ، والجوهري ، والقتيبي ، والسيوطى ، وابن عبد ربه ، والواقدي ، وغيرهم خلق كثير: أن عمر بن الخطاب وجماعه معه ، منهم خالد بن الوليد ، أتوا بأمر أبى بكر إلى بيت فاطمه ، وفيه على والزبير ، وغيرهما ، فدقوا الباب ، وناداهم عمر ، فأبوا أن يخرجوا . فلما سمعت فاطمه أصواتهم نادى بأعلى صوتها باكيه: يا أبتاه ، يا رسول الله ، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب ، وابن أبى قحافه .

وفى روايه القتيبي وجمع غيره: أنهم لما أبوا أن يخرجوا دعا عمر بالحطب ، وقال: والذى نفس عمر بيده لتخرجن ، أو لأحرقنها عليكم على ما فيها . فقليل له: إن فيها فاطمه؟! فقال: وإن !! وفى روايه ابن عبد ربه: أن فاطمه قالت له: يا ابن الخطاب أجتتنا لتحرق دارنا ؟

قال: نعم . وفى روايه زيد بن أسلم: أنها قالت: تحرق عليّ وعلى ولدى؟ قال: إى والله ، أو ليخرجن وليبايعن .

ثم إن القوم الذين كانوا مع عمر لما سمعوا صوتها وبكاءها انصرف أكثرهم باكين ، وبقي عمر وقوم معه فأخرجوا علياً . حتى فى روايه أكثرهم: أن عمر دخل البيت وأخرج الزبير ثم علياً . واجتمع الناس ينظرون ، وصرخت فاطمه

وولدت ، حتى خرجت إلى باب حجرتها ، وقالت: ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت نبيكم . وقد ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل: أن النظام نقل أن عمر ضرب بطن فاطمه ذلك اليوم حتى ألفت المحسن من بطنها وكان يصيح: أحرقوها بمن فيها . وفي روايات أهل البيت(عليهم السّلام) : أن عمر دفع باب البيت ليدخل وكانت فاطمه وراء الباب ، فأصابت بطنها ، فأسقطت من ذلك جنينها المسمى بالمحسن ، وماتت بذلك الوجع . وفي بعض رواياته: أنه ضربها بالسوط على ظهرها . وفي روايه: أن قنفذ ضربها بأمره ..الخ). انتهى .

وفي كتاب مظلوميه الزهراء للسيد الميلاني ص ٦٢: (في العقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنه ٣٢٨: وأما علي والعباس والزبير ، فقعدوا في بيت فاطمه حتى بعث إليهم أبو بكر (ولم يكن عمر هو الذي بادر) بعث أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمه وقال له: إن أبوا فقاتلهم ، فأقبل بقبس من نار على أن يضرهم عليهم الدار فلقيته فاطمه فقالت: يا ابن الخطاب أجنث لتحرق دارنا؟! قال: نعم أو تدخلوا ما دخلت فيه الأمه)!. (الإستيعاب: ٣/٩٧٥ وهو في العقد الفريد: ٥/١٢).

ونقل الميلاني عبارته البلاذري في الأنساب: ١/٥٨٦: (فجاء عمر ومعه فتيله ، فتلقته فاطمه على الباب فقالت فاطمه: يا ابن الخطاب أتراك محرقاً علي بابي؟! الخ).

وفي تاريخ أبي الفداء: ١/١٩٧: (وكذلك تخلف عن بيعه أبي بكر أبو سفيان من بني أميه ، ثم إن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمه رضى الله عنها وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم !! فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرهم الدار ! فلقيته فاطمه رضى الله عنها وقالت: إلى أين يا ابن الخطاب أجنث لتحرق دارنا؟! قال: نعم أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمه ! فخرج علي حتى أتى أبا بكر فبايعه ، كذا نقله القاضي جمال الدين بن واصل وأسنده إلى ابن عبد ربه المغربي . وروى الزهري عن عائشه قالت: لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمه ، وذلك بعد ستة أشهر لموت أبيها). انتهى .

٤ - يوم أخذوا علياً (عليه السلام) فخرجت خلفه لتمنعهم من قتله !

فى الكافى: ٨/٢٣٧: (عن أبى هاشم قال: لما أُخرج بعلى (عليه السّلام) خرجت فاطمه (عليها السّلام) واضعه قميص رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على رأسها ، آخذه بيدي إبنها فقالت: مالى ومالك يا أبا بكر ، تريد أن تؤتم ابنى وترملنى من زوجى ، والله لولا أن تكون سيئه لنشرت شعرى ولصرخت إلى ربى ! فقال رجل من القوم: ما نريد إلى هذا ، ثم أخذت بيده فانطلقت به) ! انتهى .

وفى الإختصاص ص ١٨٦: (فخرجت فاطمه (عليها السّلام) فقالت: يا أبا بكر وعمر تريدان أن ترمّلانى من زوجى ! والله لئن لم تكفّا عنه لأنشرن شعرى ولأشقن جيبى ، ولآتين قبر أبى ولأصيحن إلى ربى ! فخرجت وأخذت بيد الحسن والحسين متوجهه إلى القبر ! فقال على لسلمان: يا سلمان أدرك ابنه محمد.. الخ.) .

وفى الإحتجاج: ١/١١٣: عن الإمام جعفر الصادق (عليه السّلام) أنه قال: (لما استُخرج أمير المؤمنين (عليه السّلام) من منزله خرجت فاطمه صلوات الله عليها خلفه ، فما بقيت امرأه هاشميه إلا- خرجت معها ، حتى انتهت قريباً من القبر فقالت لهم: خلوا عن ابن عمى فوالذى بعث محمداً أبى بالحق إن لم تخلوا عنه لأنشرن شعرى ولأضعن قميص رسول الله على رأسى ، ولأصرخن إلى الله تبارك وتعالى ، فما صالح بأكرم على الله من أبى ، ولا الناقه بأكرم منى ، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدى !

قال سلمان رضى الله عنه: كنت قريباً منها ، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله تقلت من أسفلها ، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ ، فدنوت منها فقلت: يا سيدتى ومولاتى إن الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمه فلا تكونى نومه ، فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبره من أسفلها ، فدخلت فى خياشيمنا) . انتهى .

وفى مثالب النواصب ص ١٤١: (عن عدى بن حاتم وعمرو بن حريث ، قال واحد منهما: ما رحمت أحداً كرحمى على بن أبى طالب ، رأيتـه حين أتى به إلى بيعه الأول ، فلما نظر إلى القبر قال: يا ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى! فقال بايع ، فقال: إن لم أفعل ؟ قال إذاً نقتلك !

قال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسول الله ! فبايع وأصابه مضمومه) !

ص: ١٢٤

٥ - يوم دارت مع علي (عليهما السلام) على زعماء الأنصار وأقامت عليهم الحجج

في كتاب سُلَيْم ص ٢١٦، من جواب أمير المؤمنين (عليه السلام) للأشعث بن قيس ، قال: (ثم حملتُ فاطمه وأخذت بيد ابني الحسن والحسين ، فلم أدع أحداً من أهل بدر وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار إلا ناشدتهم الله في حقي ودعوتهم إلى نصرتي . فلم يستجب لي من جميع الناس إلا أربعة رهط: سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير ، ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به ولا أقوى به، فقلت كما قال هارون لأخيه: ابْنِ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَّ عَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي ! فلي بهارون أسوه حسنه ولي بعهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حجه قويه...الخ).

وفي الإختصاص ص ١٨٣ ، من حديث فدك: (ثم خرَّجْتُ وَحَمَلَهَا عَلِيٌّ عَلَى أَتَانٍ عَلَيْهِ كِسَاءٌ لَهُ خَمَلٌ ، فدار بها) أربعين صباحاً) في بيوت المهاجرين والأنصار والحسن والحسين معها وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار أنصروا الله فإنني ابنة نبيكم ، وقد بايعتم رسول الله يوم بايعتموه أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذرايكم ، ففوا لرسول الله ببيعكم ! قال: فما أعانها أحد ولا أجابها ولا نصرها ! قال: فانتهدت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل إني قد جئتك مستنصره وقد بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على أن تنصره وذريته وتمنعه مما تمنع منه نفسك وذريتك ، وأن أبا بكر قد غصبني على فدك وأخرج وكيلي منها ! قال: فمعي غيري؟ قالت: لا ، ما أجابني أحد . قال: فأين أبلغ أنا من نصرتك؟ قال: فخرجت من عنده ودخل ابنه فقال: ما جاء بابنه محمد إليك؟ قال: جاءت تطلب نصرتي على أبي بكر فإنه أخذ منها فدكاً ، قال: فما أجبته به؟ قال قلت: وما يبلغ من نصرتي أنا وحدي؟ قال: فأبيت أن تنصرها ! قال: نعم ، قال: فأئتي شئ قلت لك؟ قال: قالت لي: والله لانازعنك الفصيح من رأسي حتى أرد على رسول الله ، قال فقال: أنا والله لانازعنك الفصيح من رأسي حتى أرد على

رسول الله إذ لم تجب ابنه محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)! قال وخرجت فاطمه من عنده وهي تقول: والله لا أكلمك كلمة حتى أجمع أنا وأنت عند رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم انصرفت!

أقول: قولها(عليها السلام) لا نازعتك الفصيح من رأسى: معناه لا كلمتك كل عمري .

ولعل معاذاً كان يراجع حسابه في خذلانه لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الرواية التي روتها مصادرهم وصححوها ، وهي أن عمر رآه عند قبر النبي يبكي فقال له: (ما يبكيك يا معاذ؟ قال: يبكينى شئ سمعته من صاحب هذا القبر! قال: وما سمعته؟ قال: سمعته يقول: إن اليسير من الرياء شرك ، وإن من عادى ولي الله فقد بارز الله تعالى بالمحاربه ، وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعدوا ولم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل غبراء مظلمه). (الحاكم: ٤/٣٢٨ ، وصححه ، والكبير للطبراني: ٢٠/١٥٤ ، ومسند الشهاب: ٢/١٤٨ ، و٢٥٢) .

وقال ابن قتيبه في الامامه والسياسه: ١/٢٩:

(وخرج على كرم الله وجهه يحمل فاطمه بنت رسول الله(ص) على دابه ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصره ، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبى بكر ماعدلنا به ، فيقول على كرم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله(ص) في بيته لم أدفنه ، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟! فقالت فاطمه: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم) .

وفي الخصال للصدوق ص ١٧٣: (قالت سيده النسوان فاطمه(عليها السلام) لما مُنعت فذك وخاطبت الأنصار فقالوا: يا بنت محمد لو سمعنا هذا الكلام منك قبل بيعتنا لأبى بكر ماعدلنا بعلى

ص: ١٢٦

أحداً، فقالت: وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحد عذراً!

٦ - يوم أقامت مجالس العزاء والبكاء على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصرت عليها!

إشاره

روت مصادر الجميع أن فاطمه (عليها السلام) كانت تندب أباهما (صلى الله عليه وآله وسلم) وتبكيه ، وروت فقرات مؤثره من نوحها عليه ، وأبيات شعر بليغه .

قال البخارى: ٥/١٤٤: (عن أنس قال لما ثقل النبي (ص) جعل يتغشاه فقالت فاطمه: واكرب أباه! فقال لها: ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم! فلما مات قالت: يا أبتاه أجب رباً دعاه . يا أبتاه من جنه الفردوس مأواه . يا أبتاه إلى جبريل ننعاه . فلما دفن قالت فاطمه (عليها السلام): يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله (ص)! . انتهى .

وروت مصادر الحديث والسيره أحاديث أخرى تهزُّ قلب الإنسان ، من ذلك (أنها أخذت قبضه من تراب النبي (ص) فوضعتها على عينيها ثم قالت:

ماذا على من شمَّ تربه أحمدٍ

أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا

صُبَّتْ عَلَيَّ مِصَابٌ لَوْ أَنَّهَا

صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُدْنَ لِيَالِيَا

(مسند أحمد: ٢/٤٨٩)

أين كانت تقيم فاطمه (عليها السلام) مجالس عزائها على أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

تدل الروايات على أنها كانت تقيمها عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي بيتها وفي البقيع ، وكانت تذهب الى قبر عمها حمزه (رحمه الله) كل يوم خميس وإثنين . واستمر برنامجها هذا طوال مدتها بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهى كما فى رواياتنا نحو ثلاثه أشهر وفى روايه البخارى سته أشهر ، وفيما يلي بعض الضوء على هذه المجالس:

من الطبيعى أن تكون نساء الأنصار والمهاجرين قد أقمن مجالس ندب على

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أحيائهن كما فعلن يوم شهادته حمزه (رحمه الله) وغيره وأن يحضر غالبهن مجلس فاطمه الزهراء (عليها السلام) فيعزينها ويندبن معها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) !

وطبيعي أن يكون لهذه المجالس دوراً اجتماعي وسياسي في ذلك الظرف الحساس ، الذي حدث فيه بيعه السقيفه ، وخالفها بنو هاشم وغيرهم ، وهاجم الطلقاء بيت فاطمه وعلي (عليهما السلام) لإجبار من فيه على البيعه .

والسؤال الذي يفرض نفسه: ما بال رواه السلطه لم يرووا أخبار هذه المجالس؟

والجواب: أن الوضع لم يكن طبيعياً لا في المسجد ولا في بيت علي وفاطمه ! فالحزب القرشي بعد بيعه أبي بكر جعلوا السقيفه مركز نشاطهم ، بعد أن أهانوا سعد بن عباده المريض ، فحملة أولاده الى بيته ، وتركوا لهم السقيفه !

لكنهم بعد الهجوم على بيت علي وفاطمه (عليهما السلام) جعلوا مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مركزهم! واتخذوا إجراءات مشدده في المسجد وحول القبر النبوي الشريف ، شبيهاً بالأحكام العرفيه ، ومنعوا إقامة مجالس العزاء ، ومطلق التجمع عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقد كان خوف السلطه القرشيه الجديده من أمرين:

الأول ، مجالس الندب التي تقيمها فاطمه (عليها السلام) ، أن توظفها لتأليب الأنصار وبعض المهاجرين ضد بيعه أبي بكر .

والثاني ، أن تستجير فاطمه وعلي بقبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما هي عادة العرب ، معلنين أنهم أهل الوصيه والخلافه ، مطالبين بالوفاء لهم بالبيعه ورد بيعه أبي بكر !

فكان الحل عند القرشيين أن أطلقوا نصاً دينياً يمنع التجمع عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى للصلاه ! وقالوا إن ذلك آخر ما قاله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في آخر لحظات حياته ، وأنه لعن اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، أي صلوا عندها ! وفروضوا تنفيذ هذه (الوصيه النبويه) بالقوه !

قالت عائشه: (لما نزل برسول الله (ص) طفق يطرح خميصه له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنه الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما صنعوا . البخارى: ١/٤٢٢ ، ٦/٣٨٦ ، ٨/١١٦ ، ومسلم: ٢/٦٧ ، والنسائي: ١/١١٥ ، والدارمي: ١/٣٢٦ ، والبيهقي: ٤/٨٠ ، وأحمد: ١/٢١٨ ، ٦/٣٤ ، ٢٢٩ ، ٢٧٥) . (الألبانى فى أحكام الجنائز ص ٢١٦)

وقالت عائشه: (قال رسول الله (ص) فى مرضه الذى لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالت: فلولا ذاك أُبرز قبره ، غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً). البخارى: ٣/١٥٦ ، ١٩٨ ، ٨/١١٤ ، وأبو عوانه: ٢/٣٩٩ ، وأحمد: ٨٠ / ٦ ، ١٢١ ، ٢٥٥) . (الألبانى فى أحكام الجنائز ص ٢١٦) .

وقال السرخسى فى المبسوط: ١/٢٠٦: (ورأى عمر رجلاً يصلى بالليل إلى قبر فناده: القبر القبر ، فظن الرجل أنه يقول القمر ، فجعل ينظر إلى السماء ، فما زال به حتى بينه). انتهى .

والى يومنا هذا لم يستطع عالم من أتباع الخلافة القرشيه أن يثبت أن اليهود والنصارى اتخذوا قبراً لنبى من أنبيائهم مسجداً! اللهم إلا المؤمنون الذين مدحهم الله بأنهم اتخذوا مسجداً على قبور أهل الكهف فقال تعالى: وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا). (الكهف: ٢١).

فقد غفل واضعوا الحديث فكذبوا على تاريخ اليهود والنصارى ، كما غفلوا عن هذه الآيه التى تكذب زعمهم ! لأن همهم كان منع مجالس فاطمه (عليها السلام) !

الأحكام العرفيه فى مسجد النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) وعند قبره !

ثم اخترع القرشيون حديثاً للتأكيد على تحريم التجمع عند قبر النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) ومنع

استجاره بنى هاشم به فقالوا إن النبي نفسه نهى أن يجعل قبره صنماً ومجمعاً ولو للعباده فقال: (لا تتخذوا قبري عيداً أو

وثناً!) وفسروه بالنهي عن قصد قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) في أوقات معينه ، أو مطلقاً للتعبد عنده أو لغير ذلك! (أحكام الجنائز للألباني ص ٢١٩) !

وبذلك ضمنوا (التبرير الشرعي) لمنع على (عليه السلام) إن أراد أن يستجير بقبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويطالب بالخلافه ! لأن الإستجاره بالقبر عند العرب تفرض الإستجابه لمطلب المستجير ، وإلا لحق العار بذوى صاحب القبر ومن يعز عليهم !

ولكنهم لم يكونوا يعرفون أن حرمه قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند على وفاطمه (عليهما السلام) أعظم من الخلافه ، وأنهما ليسا حاضرين لكسر حرمة (صلى الله عليه وآله وسلم) بأى ثمن !

قد يقال: إن عادة الإستجاره بالقبر قد نسخها الإسلام .

وجوابه: أن التاريخ يثبت أن العرب ما زالوا في الجاهليه والإسلام يستجرون بقبور عظمائهم فينصبون خيمه وقيمون عند القبر حتى يلبي طلبهم ! وقد روت المصادر استجاره جماعه بقبر غالب جد الفرزدق ، وهو بكازمه قرب الكويت ، قال في المستطرف: ٢١٧: (وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب بن صعصعه فمن استجار بقبر أبيه أجاره ، وإن امرأه من بنى جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر أن يسميها وينسبها ، فعادت بقبر أبيه ، فلم يذكر لها إسماً ولا نسباً ، ولكن قال: فلا والذي عادت به لا أضيروها...عجوزٌ تصلى الخمس عادت بغالبِ

(راجع أنساب الأشراف للبلاذري: ٢/٣٠٣٧ ، الإشتقاق لابن دريد ص ١٤٧ ، والتذكرة الحمدونية ص ٣١٧ ، والأعلام: ٥/١١٤ ، وغيرها) .

كما رووا استجاره الكميت بقبر معاويه بن هشام ، بعد أن قبض عليه الأمويون وأرادوا قتله فأجاره عبد الملك بن مروان: (فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهل؟ إن أمير المؤمنين قد أمرني بإحضارك ! قال أتسلمني يا أبا شاكر؟ قال: كلا ولكني أحتال لك . ثم قال له: إن معاويه بن هشام مات قريباً وقد جزع عليه جزعاً

ص: ١٣٠

شديداً ، فإذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره ، وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك فى الرواق ، فإذا دعا بك تقدمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولون: هذا استجار بقبر أبينا ونحن أحق بإجارتته ! فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر فقال: ما هذا؟ فقالوا: لعله مستجير بالقبر ! فقال: يجار من كان إلا الكميت فإنه لا جوار له . فقيل: فإنه الكميت . فقال: يحضر أعنف إحضار ! فلما دعى به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه ، فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر وهم يقولون: يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا وقد مات وما حظه من الدنيا ، فاجعله هبه له ولنا ، ولا تفضحنا فيمن استجار به ! فبكى هشام حتى انتحب ثم أقبل على الكميت فقال له....) (الغدیر: ٢/٢٠٧) وذكر عتابه للكميت على قصائده المدويه فى ذم بنى أميه ، واعتذار الكميت ، وعفوه عنه .

وروا قصه استجاره مجرد الشاعر بقبر سليمان بن على العباسى وعفو المنصور عنه ، ذكر ذلك الصولى فى (أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ص ٢) . الى آخر قصص الإستجاره بالقبر فى الجاهليه والإسلام .

إجراء جديد لمنع مجلس فاطمه (عليها السلام)

رغم كل هذه الإجراءات ، بقى مجلس فاطمه الزهراء (عليها السلام) مصدر قلق للحكومته الجديده ، فعملت لمنعته بحديث روته عن النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ينهى عن أصل البكاء على الميت ، لأن الله يعذبه ببكاء أهله عليه ! قال البخارى: ٢/٨٥: (وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه. وكان عمر يضرب فيه بالعصا ويرمى بالحجاره ويحشى بالتراب)!

لكن حديث عمر وتشدده فى تطبيقه لم ينفذ فى إيقاف مجالس فاطمه الزهراء (عليها السلام) ! خاصة أن نساء الأنصار كنّ ينحن فى عهد النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلم ينههن بل أقمن مجلس نياحه على حمزه عند باب المسجد يعزين بذلك النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فى عمه

حمزه (رحمه الله)! فقد روى أحمد في مسنده: ٢/٤٠، عن ابن عمر أن رسول الله لما رجع من أحد فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن ، قال فقال رسول الله(ص): ولكن حمزه لا بواكى له ! قال ثم نام فاستنبه وهنَّ يبكين ، قال: فهنَّ اليوم إذا يبكين يندبن بحمزه). انتهى .

وفي مسند ابن راهويه: ٢/٥٩٩: (فقال رسول الله(ص): لكن حمزه لا بواكى له ! قال فأمر سعد بن معاذ نساء بنى ساعده أن يبكين عند باب المسجد على حمزه ، فجعلت عائشه تبكى معهن ، فنام رسول الله(ص) فاستيقظ عند المغرب ، فصلى المغرب ثم نام ونحن نبكى ، فاستيقظ رسول الله(ص)العشاء الآخره فصلى العشاء ، ثم نام ونحن نبكى ، فاستيقظ رسول الله ونحن نبكى ، فقال: ألا أراهن يبكين حتى الآن؟ مروهن فليرجعن ، ثم دعا لهنَّ ولأزواجهن ولأولادهن). انتهى.

لكن رواه السلطه حرفوا هذا الحديث ووضعوا فيه أن النبي(صلى الله عليه و آله وسلم)عامل نساء الأنصار بفظاظه وسوء خلق ! مع أنهنَّ جئن من أجله ، وأقمن مجلس النياحه على عمه أمام باب داره ومسجده ! ففي مسند أحمد: ٢/٨٤، عن عبد الله بن عمر أيضاً! (أن رسول الله(ص) لما رجع من أحد سمع نساء الأنصار يبكين على أزواجهن فقال: لكن حمزه لا بواكى له ، فبلغ ذلك نساء الأنصار فجئن يبكين على حمزه ، قال فانتبه رسول الله(ص)من الليل فسمعهن وهن يبكين فقال: ويجهن لم يزلن يبكين بعد منذ الليله؟! مروهن فليرجعن ولا يبكين على هالكك بعد اليوم) ! انتهى .

ولا يمكن لعاقل أن يقبل أنه(صلى الله عليه و آله وسلم)خرَّب مجلسهن أو أنهاه بهذه الفظاظه ، فوبخهنَّ على تطويل النياحه ، ثم نهاهن عن البكاء على أى ميت !!

والخلاصه ، أن هذا الحديث العُمري لم ينفع فى منع مجلس فاطمه(عليها السلام)، لكن يبدو أنها نقلته بعد المسجد الى دارها !

وربما كان مجلسها فى الفتره الأولى لوفاه النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) صباحاً ومساءً ، وبعد انتهاء المجالس فى أحياء الأنصار ، كان هو المجلس الوحيد الذى تقصده نساء الأنصار وبعض نساء المهاجرين ، وربما بعض نساء الطلقاء !

هنا يأتى دور ما ذكرته مصادرنا من أن (بعض أهل المدينه) شكوا من استمرار مجالس فاطمه (عليها السلام) ليلاً ونهاراً ! قال الإمام الصادق (عليه السلام): (البكاؤون خمسه: آدم ، ويعقوب ، ويوسف ، وفاطمه بنت محمد ، وعلى بن الحسين) عليهم السلام) .

فأما آدم فبكى على الجنه حتى صار فى خديه أمثال الأوديه !

وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره ، وحتى قيل له: تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين .

وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا له: إما أن تبكى الليل وتسكت بالنهار ، وإما أن تبكى النهار وتسكت بالليل ، فصالحهم على واحد منهما .

وأما فاطمه فبكت على رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) حتى تأذى بها أهل المدينه فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك ! فكانت تخرج إلى المقابر فتبكى حتى تقضى حاجتها ثم تنصرف .

وأما على بن الحسين فبكى على الحسين (عليه السلام) عشرين سنه ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين ، قال: إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ، إني ما أذكر مصرع بنى فاطمه إلا خنقتنى لذلك عبره). انتهى . (الخصال للصدوق ص ٢٧٢ ورواه أيضاً فى الأمالى ص ٢٠٤ ، والنيسابورى فى روضه الواعظين ص ٤٥١ ، وابن شهر آشوب فى المناقب: ٣/١٠٤).

وقال المجلسى فى بحار الأنوار: ٤٣/١٧٧: (واجتمع شيوخ أهل المدينه وأقبلوا إلى

أمير المؤمنين فقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمه تبكى الليل والنهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فرشنا ، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معاشنا ، وإنما نخبرك أن تسألها إما أن تبكى ليلاً أو نهاراً ، فقال: حباً وكرامه ، فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى دخل على فاطمه وهى لاتفيق من البكاء ولا ينفع فيها العزاء ، فلما رآته سكنت هنيهة له ، فقال لها: يا بنت رسول الله إن شيوخ المدينة يسألونى أن أسألك إما أن تبكين أباك ليلاً وإما نهاراً . فقالت: يا أبا الحسن ما أقل مكثى بينهم وما أقرب مغيبى من بين أظهرهم ، فوالله لا- أسكت ليلاً- ولا نهاراً ، أو ألحق بأبى رسول الله ! فقال لها على: إفعلى يا بنت رسول الله ما بدا لك . ثم إنه بنى لها بيتاً فى البقيع نازحاً عن المدينة يسمى بيت الأحزان ، وكانت إذا أصبحت (عليها السلام) قدمت الحسن والحسين أمامها ، وخرجت إلى البقيع باكيه ، فلا- تزال بين القبور باكيه، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها وساقها بين يديه إلى منزلها) !

أقول: ينبغى الإلفات الى أن تأذى بعض أهل المدينة أو جماعه السلطه ، لا- يمكن أن يكون من مجرد بكاء فاطمه (عليها السلام) وذويها فى بيتها أو فى البقيع ، بل من مجلسها الذى كان يحضره نساء الأنصار فيأخذ قسماً من النهار وجزءاً من الليل ، وتندب فيه النادبات ، ويقرأن فيه القرآن والشعر ، وربما تحدثت فيه فاطمه ! ثم تنعكس

أخباره وأجواؤه على مدينة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحكومتها الجديده !

أراكه الأحزان.. وبيت الأحزان !

يقع مشهد الأئمه من أهل البيت (عليهم السلام) فى أعلى نقطه فى البقيع على يمين الداخل ، وقد هدمه الوهابيون فى سنه ١٣٤٨ هجرية ، وما زال قسم من جداره الشرقى موجوداً . وموضع بيت الأحزان فى البقيع خلف هذا المشهد الشريف من جهه الشرق ، وقد شمله الهدم ، ففي الذريعة: ٧/٥٢: (ولكن انهدم بيت الأحزان

فى بقيع الغرقد لمجاورته مراقده أئمه الشيعة (عليهم السّلام) ، وذلك لأجل أنه قد يؤخذ الجار بجرم الجار) . انتهى .

وقال السيد شرف الدين فى النص والإجتهااد ص ٣٠١: (وهنا نلفت أولى الأبواب إلى البحث عن السبب فى تنحى الزهراء (عليها السّلام) عن البلد فى نياحتها على أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وخروجها بولديها فى لُمة من نساؤها إلى البقيع يندبن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فى ظل أراكه كانت هناك ، فلما قطعت بنى لها على (عليه السّلام) بيتاً فى البقيع كانت تأوى إليه للنياحه يدعى بيت الأحران ، وكان هذا البيت يزار فى كل خلف من هذه الأمة ، كما تزار المشاهد المقدسه ، حتى هدم فى هذه الأيام بأمر الملك عبد العزيز بن سعود النجدى ، لما استولى على الحجاز وهدم المقدسات فى البقيع ، عملاً بما يقتضيه مذهبه الوهابى ، وذلك سنة ١٣٤٤ للهجره . وكنا سنة ١٣٣٩ تشرفنا بزياره هذا البيت بيت الأحران ، إذ من الله علينا فى تلك السنه بحج بيته وزياره نبيه ، ومشاهد أهل بيته الطيبين الطاهرين (عليهم السّلام) فى البقيع) .

وقال صاحب الذريعه: ٧ / ٥٢: (أقول: إن دار تميم الدارى معروفه بالمدينه وهو مشهد يزار حتى اليوم ، وكذا دار أبى بكر وعثمان ، ولكن انهدم بيت الأحران فى بقيع الغرقد لمجاورته مراقده أئمه الشيعة (عليهم السّلام) ، وذلك لأجل أنه: قد يؤخذ الجار بجرم الجار) ! انتهى .

ورحم الله صاحب الذريعه على حسن ظنه ، فقد تصور أن غرضهم هدم المشهد فقط ، وأن بيت الأحران لم يكن مقصودهم بالأصل بل بالعرض!

لكن الذى يعرف تفكيرهم أكثر يجزم بأن بيت الأحران كان مقصوداً لهم بالأصل كالمشهد وضريحه وقبته ، إن لم يكن مقصوداً بالكره أكثر منه !

لقد أصدر عمر الحكم بإعدام أراكه البقيع أو سدرته فقطعوها ، ولم يكن ذنبها إلا- أن الزهراء (عليها السّلام) ونساء الأنصار استظللن بها وندبن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) تحتها . أما بيت

الأحزان الذى بناه على (عليه السلام) لهذا الغرض فيظهر أنهم لم يستطيعوا هدمه يومذاك ، ثم توارث المسلمون تجديده ، معلماً وشاهداً !

ولئن كان بيت الأحزان وسدره البقيع ، اختصت شهرتهما بالشيعة ، وناقش فى أصل قصتهما مخالفوهم ، فإن شجرة الرضوان عمّ خبرها ورواه حتى رواه الحكومه ! واعترفوا بأن حكم الإعدام صدر فى حق الشجرة ومن يصلى تحتها !

قال السيد شرف الدين (رحمه الله) فى النص والإجتهد ص ٣٦٨:

(المورد ٦٥٥ قطعه شجر الحديدية: شجرة الحديدية هذه بويج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيعه الرضوان تحتها ، فكان من عواقب تلك البيعة أن فتح الله لعبده ورسوله فتحاً مبيناً ونصره نصراً عزيزاً ، وكان بعض المسلمين يصلون تحتها تبركاً بها ، وشكراً لله تعالى على ما بلغهم من أمانهم فى تلك البيعة المباركة . فبلغ عمر ما كان من صلاتهم تحتها فأمر بقطعها ! وقال (١): ألا لا أوتى منذ اليوم بأحد عاد إلى الصلاة عندها إلا قتلته بالسيف ، كما يقتل المرتد ! (٥١٩) .

سبحان الله وبحمده والله أكبر ! يأمره بالأمس رسول الله بقتل ذى الخويصرة وهو رأس المارقة ، فيمتنع عن قتله احتراماً لصلاته ثم يستلُّ اليوم سيفه لقتل من يصلى من أهل الإيمان تحت الشجرة شجرة الرضوان؟!

وى ، وى ! ما الذى أرخص له دماء المصلين من المخلصين لله تعالى فى صلاتهم؟! إن هذه لبذره أجذرت وآتت أكلها فى نجد (حيث يطلع قرن الشيطان)!

وقال فى هامشه: (١) كما فى السطر الأخير من ص ٥٩ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدى (منه قدس) . (٥١٩) الغدير للأمينى: ٦/١٤٦ ، شرح النهج الحديدى: ٣/١٢٢ ، سيره عمر لابن الجوزى ص ١٠٧ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ، السيره الحلبيه ج ٣ / ٢٩ ، فتح البارى: ٣٦١/٧ وقد صححه ، إرشاد السارى: ٦/٣٣٧ ، شرح المواهب للزرقانى: ٢/٢٠٧ ، الدر المنثور: ٦/٧٣ ، عمده القارى: ٨/٢٨٤ وقال: إسناد صحيح ..الى آخر ما ذكره من مصادر .

ورحم الله الشاعر الحلى الكواز حيث قال ، كما فى بيت الأحزان للقمى ص ١٢٨:

ص: ١٣٦

الواثين لظلم آل ومحمد

ومحمد ملقىً بلا تكفين

والقائلين لفاطم آذيتنا

فى طول نوح دائمٍ وحنينٍ

والقاطعين أراكه كيما ثقيلًا

بظلٍّ أوراقٍ لها وغصون

ومُجمِّعى حطبٍ على البيت الذى

لم يجتمع لولاه شملُ الدين

والهاجمين على البتوله بيبتها

والمسقطين لها أعزَّ جنين

والقائدين إمامهم بنجاده

والطهر تدعو خلفه برنين

خلوا ابن عمى أولاً كشف فى الدعا

رأسى وأشكو للاله شجونى

ما كان ناقه صالح وفصيلها

بالفضل عند الله إلا دونى

ورنت إلى القبر الشريف بمقله

عبرى وقلبٍ مُكمدٍ محزون

قالت وأظفار المصاب بقلبها

غوثة قلَّ على العداه معينى

أبتاه هذا السامري وعجله

تُبعا ومال الناس عن هارون

أى الرزايا أتقى بتجلدى

هو فى النوائب مُذ حيت قرينى

فقدى أبى أم غصب بعلى حقه

أم كسر ضلعى أم سقوط جنينى

أم أخذهم إرثى وفاضل نحلتي

أم جهلهم حقى وقد عرفونى

قهروا يتيميك الحسين وصنوه

وسألتهم حقى وقد نهرونى

ص: ١٣٧

مواظبه فاطمه (عليها السلام) على زياره قبر عمها حمزه (رحمه الله)

كان برنامج الصديقه الزهراء (عليها السلام) بعد وفاه أبيها خاصاً ، أبرز ما فيه التوديع والتأكيد ! توديعها لعلّي والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وأبرار الأئمه ، وتأكيدها قولاً وعملاً على ثوابت الإسلام أن تُعَيَّرَ وتُبَدَّل ! خاصة الترتيب الرباني لنظام الحكم الذي نقضته قريش ، وإجراءاتهم التحريفية حول قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)!

لقد أصرت على مجالسها في النوح والندب على أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) ، في مسجده عند قبره ، وفي بيتها ، وفي البقيع ، وفي أحد ! فأتت المجالس ثمارها .

وكانت تزور قبر أبيها الحبيب (صلى الله عليه وآله وسلم) باستمرار وتبكي عنده ، ثم تقيم مجلس عزائه وندبه في البقيع ، وتزور عمها حمزه (رحمه الله) والشهداء في أحد كل اثنين وخميس ، فهذان اليومان عزيزان عليها ، كان يصومهما أبوها (صلى الله عليه وآله وسلم) وتصومهما معه ، وفيهما تُعرض الأعمال على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وفيهما تفتح أبواب الجنه . (منتهى المطلب للعلامة الحلبي: ٢/٦١٤ ، ومجموع النووي: ٦/٣٨٦ عن الترمذي وحسنه) .

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (عاشت فاطمه بعد أبيها خمسه وسبعين يوماً لم تُرْ كاشرةً ولا ضاحكه ، تأتي قبور الشهداء في كل جمعه مرتين الإثنين والخميس فتقول: هاهنا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هاهنا كان المشركون. وفي روايه: كانت تصلي هناك وتدعو حتى ماتت (عليها السلام)). انتهى. (الكافي: ٣/٢٢٨) .

تقول بذلك صلوات الله عليها: من هاهنا وبهذه الدماء الطاهره ، وأغلاها دماء بني هاشم ، وبهذه الجهود المتواصله وأغلاها جهود بني هاشم ، جاء هذا الفتح ، وئبى هذا المجد ، الذي صادرته قريش ، واستحلت حرق بيوتنا علينا ، طمعاً فيه !

فهذا هو أبى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المؤسس لهذه الأئمه ، والشاهد على أعمالها .

وهذا هو حمزه عمى (رحمه الله)، وزير النبي وناصره ، يثوى هنا شاهداً .

وذاك هو علّي زوجى (عليه السلام) وزير النبي ووصيه ، الذى قام الإسلام على أكتافه ،

يتجرع الغصص من قريش الى اليوم ، يقولون له بايع وإلا قتلناك !

وذاك أخوه ابن عمى جعفر (رحمه الله) يثوى شهيداً وشاهداً فى مؤته ، على مشارف القدس ، داخل مملكه الروم ! فأين كانت قريش وطلقاؤها ؟!

أرادت فاطمه (عليها السلام) أن تُفهم الأمه أن ارتباطها برسول الله وعترته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والعيش فى أجوائهم ، ضروره لإيمانها ، وإلا انحرفت بعيداً !

وأن حقهم عليها أمواتاً كحقهم أحياء ، وأن الإنتقاص من حقهم والمنع من زياره قبورهم للرجال والنساء ، بدايه طريق قرشيه ، لإبعاد الأمه عنهم !

فى كشف الإرتياب للسيد الأمين ص ٣٣٩: (كانت تزور قبر عمها حمزه فى كل جمعه فتصلى وتبكي عنده... وابن تيميه يقول لم يذكر أحد من أئمه السلف أن الصلاة عند القبور وفى مشاهدتها مستحبه) !!

وفى كشف الإرتياب ص ٣٧٩: (ويظهر أن الوهابيه بعدما أباحوا للنساء زياره القبور فى العام الماضى منعوهن منها فى هذا العام ! فقد أخبرنا الحجاج أن النساء منعت من الدخول إلى البقيع فى هذا العام بدون استثناء ، وكأنهم بنوا على هذا الإحتمال الضعيف الذى ذكره السندى وقال به صاحب المهدب والبيان من بقائهن تحت النهى ، فظهرت لهم صحته هذا العام بعدما خفيت عنهم فى العام الأول "يمحو الوهابيه ما يشاؤون ويثبتون وعندهم أم الكتاب".

لسنا نعارضهم فى اجتهادهم أخطأوا فيه أم أصابوا ، ولكننا نسألهم ما الذى سوغ لهم حمل المسلمين على اتباع اجتهادهم المحتمل الخطأ والصواب ، بل هو إلى الخطأ أقرب لمخالفته لما قطع به الجمهور ولم يقل به إلا الشاذ كما سمعت ! والأمر الإجتهاديه لا يجوز المعارضه فيها كما بيناه فى المقدمات !

وما بالهم يسلبون المسلمين حريه مذاهبهم فى الأمور الإجتهاديه ، ويحملونهم على اتباع معتقداتهم فيها بالسوط والسيف .

كما زادوا في طنبور تعنتهم هذه السنه نغمات ، فعاقبوا الناس على البكاء عند زياره قبر النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) أو أحد القبور ومنعوه من البكاء أمر قهرى اضطرارى لا يعاقب الله عليه ، ولا يتعلق به تكليف لاشتراط التكليف بالقدره عقلاً ونقلاً ومنعوا من القراءه فى كتاب حال الزياره ، ومن إطاله الوقوف ! فمن رأوا فى يده كتاب زياره أخذوه منه ومزقوه أو أحرقوه وضربوا صاحبه وأهانوه ! ومن أطال الوقوف طردوه وضربوه !

حدثنى بعض الحجاج الثقات أنه تحيّل لقراءه الزياره من الكتاب بأن فصل أوراقاً منه وجعلها فى القرآن وجلس يظهر

قراءه القرآن ويزور ، فاتفق أنه أشار غفله بالسلام نحو قبر النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) فدفعه حتى أخرجوه من المسجد ، وأخذوا تلك الأوراق ومزقوها ! وأمثال هذا مما صدر منهم فى حق الحجاج فى مسجدي مكه والمدينه ومسجد الخيف والبقيع وغيرها ، مما سمعناه متواتراً من الحجاج ، كثيرٌ يطول الكلام بنقله !! انتهى .

وقد أورد السيد مهدي الروحاني فى كتابه فى أحاديث أهل البيت (عليهم السّلام) : ١/٥٤٨ ، تحت عنوان: باب زياره فاطمه (عليها السّلام) قبر عمها حمزه (رحمه الله) مجموعته مصادر سنينه روت ذلك ، منها مصنف عبد الرزاق: ٣/٥٧٢ وص ٥٧٤ ، وفيه: (كانت تأتي قبر حمزه وكانت قد وضعت عليه علماً) وطبقات ابن سعد: ٣/١٩ ، وتاريخ المدينه: ١/١٣٢ ، وفيهما: (ترمه وتصلحه). ونوادير الترمذى ص ٢٤ ، وفيه (فى كل عام فترمه وتصلحه) (وفى نسختنا: ١/١٢٦) ، والحاكم: ٣/٢٨ ، وفيه (فى الأيام فتصلى وتبكي عنده . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) . وإحياء الغزالي: ٤/٤٧٤ (وفى نسختنا: ٤/٤٩٠) ، وسنن البيهقي: ٤/٧٨ ، وفيه: (كل جمعه فتصلى وتبكي عنده). انتهى .

راجع أيضاً: التمهيد لابن عبد البر: ٣/٢٣٤: وفيه: (كل جمعه وعلمته بصخره) . وشرح الزرقاني: ٣/١٠١ ، ودرارى الشوكاني ص ١٩٧ ، وحاشيه الطحطاوى على مراقى الفلاح ص ٤١٢ ، وأنساب الأشراف للبلاذرى ص ١٠٨٠ . ومن مصادرنا: دعائم الإسلام: ١/٢٣٩ ، وكفايه الأثر ص ١٩٨).

سُبْحَةُ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مِنْ تَرْبِهِ حَمْزُهُ (رَحِمَهُ اللَّهُ)

ابتكرت الزهراء المهديه من ربها ، المعصومه بلطفه (عليها السَّلَامُ) ، عملاً بسيطاً ، لكنه بليغ لربط الأمة بالنبي وآله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، فاتخذت من ترابه قبر حمزه سبحة من أربع وثلاثين حبه ، لكي تُعَدَّ بها تسييحها لربها بعد كل صلاة !

تقول بذلك للأمة لقد علمكم رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) كيف تذكرون الله تعالى ذكراً كثيراً بعد صلواتكم ، فتكبروا الله أربعاً وثلاثين مره ، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين ، ويسبحوه ثلاثاً وثلاثين ، وسمى هذا التسييح باسمي تسييح فاطمه ، لكي تذكروني ولا- تنسوني ، كما سمي صلاة جعفر باسمه لكي تذكروه ولا- تنسوه ، وها أنا أتخذ سبحة من ترابه قبر عمي حمزه (رحمه الله) ، لكي تذكروه فلا تنسوه ، حتى يستشهد ولدي الحسين ، فلتخذوا سبحة من تربته ولا تنسوه !

في مستدرک الوسائل: ٥/٥٦: عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (وتكون السبحة بخيوط زرق ، أربعاً وثلاثين خرزة ، وهي سبحة مولاتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام) لما قتل حمزه عملت من طين قبره سبحة ، تسبح بها بعد كل صلاة) . انتهى .

وفي كتاب المزار للمفيد ص ١٥٠: (عن الصادق جعفر بن محمد (عليهما السَّلَامُ) أن فاطمه (عليها السَّلَامُ) كانت مسبحتها من خيط من صوف مَقْتَلٍ ، معقود عليه عدد التكبيرات ، فكانت بيدها تديرها تكبّر وتسبّح ، إلى أن قتل حمزه بن عبد المطلب فاستعملت تربته وعملت التساييح فاستعملها الناس . فلما قتل الحسين (عليه السَّلَامُ) عُبدل بالأمر عليه فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية) . (ورواه في جامع أحاديث الشيعة: ٢٦٨م٥ ، عن مكارم الأخلاق ص ١٤٧ ، والحدائق الناضرة: ٧/٢٦١ ، و وسائل الشيعة (آل البيت): ٦/٤٥٥)

وقصده بالمزىه لتربه الحسين (عليه السلام) ما تواتر عند المسلمين من أحاديث رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) في فضل ترابه كربلاء ، وأن جبرئيل أخبره بأن سبطه الحسين (عليه السلام) سيقتل

فيها، وجاء له بقبضه من ترابها، فأودعها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند أم سلمه فوضعتها في زجاجه، وأخبرها أنه حين يقتل ستظهر لله فيها آية وتتحول الى دم صاف!

(راجع: مسند أحمد: ٦/٢٩٤ روى عنه أحاديث بعضها رجاله رجال الصحيح، والحاكم: ٣/١٧٧ و: ٤/٣٩٨، روى أحاديث على شرط الشيخين، ومجمع الزوائد: ٩/١٨٥، باب مناقب الحسين بن علي).

ص: ١٤٢

اتفقت رواياتهم على أن موقف فاطمه (عليها السلام) في إدانته السقيفة واتهام أبي بكر وعمر ، كان أشد من مواقف الجميع حتى أمير المؤمنين (عليه السلام) !

وروت مصادرنا ، ومصادرهم كابن قتيبة ، أنها (عليها السلام) أدانتهمما بالقول والفعل ، وعندما طلب أبو بكر المجئى الى بيتها للاعتذار منها لهجومهم على بيتها ، لم تقبل دخولهما بيتها ، فتوسط لهما على (عليه السلام) ودخلا فلم ترد عليهما السلام وأدارت وجهها الى الحائط ، وناشدتهما وهى غاضبه ، ما سمعا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فى من أغضبها فشهدا بذلك ، فأعلنت غضبها عليهما ومقاطعتها لهما ، وأنها ستشكوهما الى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتدعو عليهما بعد كل صلاة !

فى كتاب سليم ص ٣٩١: (فدخلا وسلما وقالوا: إرضى عنا رضى الله عنك . فقالت: ما دعاكما إلى هذا؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة ، ورجونا أن تعفى عنا وتخرجى سخيمتك . فقالت: فإن كنتما صادقين فأخبرانى عما أسألكما عنه فإنى لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفه بأنكما تعلمانه ، فإن صدقتما علمت أنكما صادقان فى مجيئكما . قالوا: سلى عما بدا لك . قالت: نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: فاطمه بضعه منى فمن آذاها فقد آذانى؟ قالوا: نعم. فرفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم إنهما قد آذيانى فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك. لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبى رسول الله وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما ! قال:

فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور وجزع جزعاً شديداً. فقال عمر: تجزع يا خليفه رسول الله من قول امرأه). انتهى

وفى روايه علل الشرائع: ١/١٨٧: (قالا- نعم . قالت: الحمد لله ، ثم قالت: اللهم إنى أشهدك فاشهدوا يا من حضرنى أنهما قد آذيانى فى حياتى وعند موتى ! والله لا

أكلمكما من رأسى كلمه حتى ألقى ربي فأشكوكما بما صنعتما بي وارتكبتما منى ! فدعا أبو بكر بالويل والثبور وقال: ليت أمى لم تلدنى ! فقال عمر: عجيباً للناس كيف ولو كأمورهم وأنت شيخ قد خرفت ! تجزع لغضب امرأه وتفرح برضاها وما لمن أغضب إمرأه ! وقاما وخرجا !

وفى الغدير: ٧/٢٢٨، عن الإمامه والسياسه: ١/١٤، وأعلام النساء للجاحظ: ٣/١٢١٤: (قالت: فيانى أشهد الله وملائكته إنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه . فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمه ! ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهد ، وهي تقول: والله لأدعون عليك في كل صلاه أصليها . ثم خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم: بيت كل رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه لاحاجه لى فى بيعتكم ، أقيلونى بيعتى ...). انتهى.

وفى البخارى: ٤/٢١٠، قال النبي (صلى الله عليه و آله وسلّم): (فاطمه بضعه منى فمن أغضبها أغضبني) !

وفى البخارى: ٤/٤١، عن عائشه: (فغضبت فاطمه بنت رسول الله فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت . وعاشت بعد رسول الله (ص) ستة أشهر).

ص: ١٤٤

بلغت مواقف فاطمه (عليها السّلام) أوجها ، عندما خرجت خلف عليّ (عليه السّلام) وهددتهم بالدعاء بالعذاب عليهم ، إن قتلوه ، وهم يعلمون أن دعاءها لا يترد !

وعندما جاء الى بيتها ليعتذرا ويقولوا للناس إنا اعتذرنا من فاطمه فرضيت عنا وتركت دعاءها علينا ، فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام ، وأدارت وجهها الى الحائط ! وسألتهما فشهدا بأنهما سمعا من النبي (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أن من أغضب فاطمه فقد أغضبه ، ومن أغضبه فقد أغضب رب العلمين ، فشهدا بذلك !

فأعلنت وأشهدت المسلمين الى يوم الدين أنها غاضبه عليهما ، وأنها ستدعو عليهما بعد كل صلاه تصليها حتى تلقى ربها وأباها ، فتشكوها أمرّ شكوى وأشدّها | ، وتخاصمهما عند الله ورسوله !

على أن أوج مواقفها (عليها السّلام) التي وصلت الينا كلاماً مكتوباً شاملاً ، خطبتها في المسجد النبوي في حشد المهاجرين والأنصار ! وقد أعدت بنت أبيها لهذا الموقف واستعدت ، فأبلغت بالخطاب ، وأتمت الحججه ، وهزت حتى الجماد !

وهي خطبه مشهوره ، روتها المصادر المختلفه ، وشرحها العلماء والمؤرخون في رسائل خاصه ، وقد أدانت فيها الزهراء (عليها السّلام) نظام السقيفه القرشي ، وصرحت بأنه مؤامرة على الإسلام ، ودعت الأنصار الى مقاومته بالسلاح !

كما أدانت قرارات أبي بكر الإقتصادي لإضعاف أهل البيت (عليهم السّلام) ، ومنها منع الخمس عنهم ، ومصادره أوقاف النبي (صلّى الله عليه و آله وسلّم) وهي سبعة بساتين ، ومصادره مزرعه فدك التي منحها النبي لفاطمه ، ومنعه إياها من إرث أبيها !

في مواقف الشيعة للأحمدى: ١/٤٥٨: (روى عبد الله بن الحسن بإسناده ، عن

آبائه(عليهم السّلام) أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمه(عليها السّلام)فدكاً وبلغها ذلك ، لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها ، وأقبلت فى لُثمّه من حفدتها ونساء قومها ، تطأ ذبولها ، ماتخرم مشيتها مشيه رسول الله(صلى الله عليه و آله و سلم) ، حتى دخلت على أبى بكر وهو فى حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءه ، فجلست ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء ، فارتجّ المجلس ! ثم أمهلت هنيهة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم ، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاه على رسوله(صلى الله عليه و آله و سلم)فعاد القوم فى بكائهم ، فلما أمسكوا عادت فى كلامها ، فقالت(عليها السّلام):

الحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدم ، من عموم نعم ابتدأها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام منن أولها ، جم عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدّها ، وتفاوت عن الإدراك أبدها ، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها واستحمد إلى الخلائق بإجزالها ، وثنى بالنذب إلى أمثالها . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمه جعل الإخلاص تأويلها ، وضمن القلوب موصولها ، وأنار فى التفكير معقولها ، الممتنع من الأبصار رؤيته ، ومن الألسن صفته ، ومن الأوهام كيفيته ، ابتدع الأشياء لامن شئ كان قبلها ، وأنشأها بلا احتذاء أمثله امتثلها . كونها بقدرته ، وذراها بمشيتها ، من غير حاجه منه إلى تكوينها ، ولا فائده له فى تصويرها ، إلا تثبيتاً لحكمته وتنبهها على طاعته ، وإظهاراً لقدرته ، تعبداً لبريته ، وإعزازاً لدعوته ، ثم جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ، زيادةً لعباده من نعمته ، وحياشه لهم إلى جنته

وأشهد أن أبى محمداً(صلى الله عليه و آله و سلم)عبده ورسوله ، اختاره قبل أن أرسله ، وسماه قبل أن اجتباه ، واصطفاه قبل أن ابتعته ، إذ الخلائق بالغيب مكنونه ، وبستر الأهاويل مصونه ، وبنهايه العدم مقرونه ، علماً من الله تعالى بما يلى الأمور ، وإحاطه بحوادث الدهور ،

ومعرفه بمواقع الأمور .

ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزيمه على إمضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير رحمته ، فرأى الأمم فرقاً في أديانها ، عكفاً على نيرانها ، عابدةً لأوثانها ، منكرةً لله مع عرفانها ، فأنازل الله بأبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ظلماً ، وكشف عن القلوب بؤسها ، وجلى عن الأبصار عماها ، وقام في الناس بالهدايه ، فأنقذهم من الغوايه ، وبصرهم من العمايه ، وهداهم إلى الدين القويم ودعاهم إلى الطريق المستقيم .

ثم قبضه الله إليه قبض رافه واختيار ، ورغبه وإيثار ، فمحمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) من تعب هذه الدار في راحه ، قد حُفَّ بالملائكه الأبرار ، ورضوان الرب الغفار ، ومجاوره الملك الجبار ، صلى الله على أبي نبيه وأمينه وخيرته من الخلق وصفيه ، والسلام عليه ورحمه الله وبركاته .

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله ! نصب أمره ونهيه ، وحمله دينه ووحيه ، وأمناء الله على أنفسكم وبلغاؤه إلى الأمم ، زعيم حق له فيكم ، وعهد قدمه إليكم ، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق ، والقرآن

الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بينه بصائره ، منكشفه سرائره ، منجليه ظواهره ، مغتبطه به أشياعه ، قائد إلى الرضوان اتباعه ، مؤد إلى النجاه استماعه ، به تنال حجج الله المنوره ، وعزائمه المفسره ، ومحارمه المحذره ، وبيناته الجاليه ، وبراهينه الكافيه ، وفضائله المندوبه ، ورخصه الموهوبه ، وشرائعه المكتوبه .

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاه تنزيهاً لكم عن الكبر ، والزكاه تزكياً للنفس ونماء في الرزق ، والصيام تشبيهاً للإخلاص ، والحج تشبيهاً للدين ، والعدل تنسيقاً للقلوب ، وطاعتنا نظاماً للمله ، وإمامتنا أماناً للفرقه ، والجهاد عزاً للإسلام ، والصبر معونه على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف مصلحه للعامه ، وبر الوالدين وقايه من السخط ، وصله الأرحام منسأه في العمر ومنمأه للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالندى تعريضاً للمغفره ، وتوفيه المكائيل والموازين تغييراً

ص: ١٤٧

للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاً عن اللعنه، ترك السرقة إيجاباً للعهه، وحرمة الله الشرك إخلصاً له بالربوبية فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فإنه إنما يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ .

ثم قالت: أيها الناس إعلموا أنى فاطمه وأبى محمداً، أقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل شططاً لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبى دون نساءكم وأخا ابن عمى دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فبلغ الرسالة صادعاً بالنداره، مائلاً عن مدرجه المشركين، ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمه والموعظه الحسنه، يجف الأصنام، وينكت الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمه الإخلص فى نفر من البيض الخماصر، وكنتم على شفا حفره من النار، مئذقه الشارب، ونهزه الطامع، وقبسه العجلان، وموطى الأقدام، تشربون الطرق، وتقناتون القعد، أذله خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد بعد اللتيا والتى، وبعد أن منى بئهم الرجال وذؤبان العرب ومرده أهل الكتاب، كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغره من المشركين، قذف أخاه فى لهواتها، فلا ينكفى حتى يطاء صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكوداً فى ذات الله، مجتهداً فى أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً فى أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجدداً كادحاً، لا- تأخذه فى الله لومه لائم، وأنتم فى رفاهيه من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال !!

فلما اختار الله لنيبه دار أنبيائه ومأوى أصفياه، ظهرت فيكم حسيكه النفاق،

وسمل جلاب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ حامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغره فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير شربكم.

هذا، والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة! ألا في الفتنة سيقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين. فبهيات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون! وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهره، وأحكامه زاهره، وأعلامه باهره، وزواجره لائحته، وأوامره واضحه، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبه عنه تريدون، أم بغيره تحكمون؟ بنس للظالمين بدلاً! ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين!

ثم لم تلبثوا إلا-ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم توروبن وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوى، وإطفاء أنوار الدين الجلى، وإهمال سنن النبي الصفى، وتشربون حسواً فى ارتغاء، وتمشون لأهله وولده فى الخمره والضراء، ويصبر منكم على مثل حز المدى ووخز السنن فى الحشا. وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا! أفحكّم الجاهليّه (تبغون) ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون!؟

أفلا تعلمون؟! بلى، قد تجلى لكم كالشمس الضاحيه إنى ابنته أيها المسلمون! أغلب على إرثى يا ابن أبى قحافه! أفى كتاب الله أن ترث أباك ولا-أرث أبى؟ لقد جئت شيئاً فرياً! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول وورث سليمان داود، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا (عليهما السلام) إذ قال: فهب لى من لدنك ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب، وقال: وأولو الأرحام بغضهم أولى ببغض فى كتاب الله، وقال: يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين، وقال: إن ترك خيراً الوصيه للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين.

وزعمتم أن لا حظوه لى ولا- إرث من أبى ولارحم بيننا ، أفخصكم الله بآيه أخرج منها أبى! أم تقولون أهل ملتين لايتوارثان! أو لست أنا وأبى من أهل مله واحده؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى!؟

فدونكها مخطومه مرحوله ، تلقاك يوم حشر ك ! فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعدا القيامة، وعند الساعه يخسر المبطلون! ولاينفعكم إذ تندمون ، لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ

ثم رمت طرفها نحو الأنصار فقالت: يامعشر الفتيه ، وأعضاء المله ، وحضنه الإسلام ! ما هذه الغميزه فى حقى والسنه عن ظلامتى ! أما كان رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) أبى يقول: المرء يحفظ فى ولده؟! سرعان ما أحدثتم! وعجلان ذا إهاله! ولكم طاقه بما أحاول ، وقوه على ما أطلب وأزاول ، أتقولون مات محمد؟ فخطب جليل استوسع وهنه ، واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه ، وأظلمت الأرض لغيبته ، واكتأبت خيره الله لمصيبته ، وكسفت الشمس والقمر ، وانتشرت النجوم لمصيبته ، وأحدث الآمال ، وخشعت الجبال ، وأضيع الحريم ، وأزيلت الحرمه عند مماته ، فتلك والله النازله الكبرى والمصيبه العظمى لا مثلها نازله ، ولا بائقه عاجله ، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه يهتف فى أفنيتكم فى ممساكم ومصبحكم ، هتافاً وصراخاً وتلاوه وألحاناً! ولقبله ما حلت بأنبياء الله ورسله ، حكم فصل وقضاء حتم ، وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ .

إيهاً بنى قَيْله ! أهضم تراث أبى وأنتم بمرأى منى ومسمع ومنتدى ومجمع ، تلبسكم الدعوه وتشملكم الخبره ، وأنتم ذووا العدد والعهده والأداه والقوه ، وعندكم السلاح والجنه ، توافيكم الدعوه فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخه فلا تغيثون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح ، والنخبه التى انتخبت ، والخيره التى اختيرت لنا أهل البيت! قاتلتم العرب ، وتحملتكم الكد والتعب ، وناطحتم الأمم ،

وكافحتم البهيم ، لا- نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون ، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام ، ودر حلب الأيام ، وخضعت ثغره الشرك ، وسكنت فوره

الإفك ، وخمدت نيران الكفر ، وهدأت دعوه الهرج ، واستوسق نظام الدين ، فأنى حزتم بعد البيان ، وأسررتهم بعد الإعلان ، ونكصتم بعد الإقدام ، وأشركتم بعد الإيمان !؟

بؤساً لقوم نكثوا أيمانهم وهُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ !

ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض ، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض ، وخلوتم بالدعه ، ونجوتهم بالضيق من السعه ، فمجبجتم ما وعيتهم ، ودسعتهم الذى تسوغتم ! فإن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد ! وقد قلت ما قلت هذا على معرفه منى بالجذله التى خامرتكم ، والغدره التى استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضه النفس ، ونفته الغيظ ، وخور القناه ، وبثه الصدر ، وتقدمه الحججه ، فدونكموها ! فاحتقبوها دبره الظهر ، نعبه الخف ، باقيه العار ، موسومه بغضب الله وشنار الأبد ، موصوله بنار الله الموقده التى تطلع على الأفئده ! فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون !

أنا ابنه نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إننا عاملون ، وأنظروا إننا منتظرون !

فأجابها أبو بكر وقال: يا ابنه رسول الله ! لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً ، وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً ، إن عزوانه وجدناه أباك دون النساء ، وأخا إلفك دون الأخلاء ، آثره على كل حميم ، وساعده فى كل أمر جسيم ، لا يحبكم إلا- سعيد ولا- يبغضكم إلا- شقى بعيد ، فأنتم عتره رسول الله الطيبون الخيره المنتجبون ، على الخير أدلتنا وإلى الجنه مسالكنا ، وأنت يا خير النساء وابنه خير الأنبياء صادق فى قولك ، سابقه فى وفور عقلك ، غير مردوده عن حقك ، ولا مصدوده عن صدقك ، والله ما عدوت رأى رسول الله

ولا عملت إلا بإذنه ، وإن الرائد لا يكذب أهله ، فإنني أشهد الله وكفى به شهيداً أنى سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً ، وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوه ، وما كان لنا من طعمه فلولئى الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه. وقد جعلنا ما حاولته فى الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار ويجالدون المردة الفجار ، وذلك ياجماع من المسلمين لم أنفرد به وحدى ، ولم أستبد بما كان الرأى فيه عندى ، وهذه حالى ومالى هى لك وبين يديك لا نزوى عنك ولا ندخر دونك ، وإنك وأنت سيده أمه أيبك ، والشجره الطيبه لبنيك ، لا يُدفع مالك من فضلك ، ولا يُوضع فى فرعك وأصلك ، وحكمك نافذ فيما ملكت يداى ، فهل ترين أن أخالف فى ذلك أباك ؟!

فقال (عليها السلام): سبحان الله ! ما كان أبى رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) عن كتاب الله صادفاً ، ولا لأحكامه مخالفاً ، بل كان يتبع أثره ، ويقفو سوره ، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور ! وهذا بعد وفاته شبيه بما بُغى له من الغوائل فى حياته !! هذا كتاب الله حكماً عادلاً وناطقاً فصلاً يقول: يرثنى ويرث من آل يعقوب ، ويقول: وورث سليمان داود ، فبين عز وجل فيما وزع من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظ الذكران والإناث ، ما أزاح به عله المبطلين ، وأزال التظنى والشبهات فى الغابرين !

كلا! بل سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ !

فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله وصدق ابنته ! أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجة ، لا أبعد صوابك ، ولا- أنكر خطابك ، هؤلاء المسلمون بينى وبينك قلدونى ما تقلدت ، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت ، غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود !

فالتفت فاطمه (عليها السلام) إلى الناس وقالت: معاشر الناس المسرعه إلى قيل الباطل ، والمغضيه على الفعل القبيح الخاسر ! أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟ كلا- بل ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم ، فأخذ بسمعكم وأبصاركم ولبس ما تأولتم ، وساء ما به أشرتكم ، وشر ما منه اغتصبتكم ، لتجدن والله محمله ثقيلاً وغيه وبيلاً ، إذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه الضراء ، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون ، وخسر هنالك المبطلون . ثم عطفت على قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت:

قد كان بعدك أنباءً وهنبتهُ

لو كنت شاهداً لم تكثر الخطبُ

أبدت رجالاً لنا نجوى صدورهم

لما مضيتُ وحالت دونك التربُ

تجهمتنا رجال واستخف بنا

لما فُقدت وكل الأرض مغتصبُ

و كنت بدرأً ونوراً يستضاء به

عليك ينزل من ذى العزه الكتبُ

وكان جبرئيل بالآيات يؤنسنا

فقد فُقدت وكل الخير محتجبُ

فليت قبلك كان الموتُ صادفنا

لما مضيت وحالت دونك الكتبُ

ثم انكفأت وأمير المؤمنين يتوقع رجوعها إليه ويتطلع طلوعها عليه ، فلما استقرت بها الدار قالت لأمير المؤمنين:

يا ابن أبى طالب ! اشتملت شمله الجنين ، وقعدت حجره الظنين ، نقضت قادمه الأجدل ، فخانك ريش الأعزل ، هذا ابن أبى قحافه يبتزنى نحله أبى وبلغه ابنى ، لقد أجهد فى خصامى ، وألفيته الدَّ فى كلامى ، حتى حبستنى قتله نصرها ، والمهاجره وصلها ، وغضت الجماعه دونى طرفها ، فلا دافع ولا مانع ، خرجتُ كاظمه وعُدتُ راغمه ! أضرعتُ خدك يوم أضعت خدك ، افترست الذئاب وافترشت التراب ، ما كفتت قائللاً ولا أعنيت طائلاً ، ولا خيار لى ! ليتنى متُّ قبل هنيئتى ودون ذلتى ، عذيرى الله منه عادياً ومنك حامياً ، وىلاى فى كل شارق ! وىلاى فى كل غارب ! مات العمد ووهن العضد ، شكواى إلى أبى وعدواى إلى

ربى ! اللهم إنك أشد منهم قوةً وحولاً ، وأشد بأساً وتنكيلاً .

ص: ١٥٣

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): لا ويل لك ، بل الويل لشائتك ، ثم نهى عن وجدك يا ابنه الصفوه ، وبقية النبوه ، فما ونيت عن ديني ، ولا- أخطأت مقدوري ، فإن كنت تريدن البلغه فرزقك مضمون وكفيلك مأمون ، وما أعد لك أفضل مما قطع عنك ، فاحتسبي الله . فقالت: حسبي الله ، وأمسكت . انتهى .

وقال في شرح النهج: ١٦/٢٥٢: (فما رأينا يوماً أكثر باكياً أو باكية من ذلك اليوم).

ولهذه الخطبه وأجزائها مصادر عديده نكتفى منها بما ذكرنا وبالإحتجاج: ١/١٣١ .

تأثير خطبه الزهراء (عليها السلام) على السلطه القرشيه !

من الثابت أن وضع السلطه القرشيه كان ضعيفاً في الأسابيع الأولى ، وقد اعترف عمر بأن عامه الأنصار كانوا معارضين لهم ، فقال كما في البخارى: ٨/٢٦: (إنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفه بنى ساعده ، وخالف عنا على والزبير ومن معهما) . انتهى .

وعدَّ المؤرخون عشرات الصحابه من الأنصار والمهاجرين ، أدانوا السقيفه ، أو امتنعوا عن البيعه ، وإنما كان المعتصمون في بيت على وفاطمه (عليهما السلام) بعضهم !

وقد هزّت هذه الخطبه الفاطميه وضع السلطه القرشيه الجديده ، وذكر الرواه أن البكاء عمّ الناس ذلك اليوم ، وأن بعض الأنصار هتفوا باسم على (عليه السلام) للخلافه فخاف أبو بكر وعمر أن يتحرك الأنصار لنصره عتره النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) والإطاحه بهم ! ولذلك بادر أبو بكر وخطب فقال من على (عليه السلام) بدون أن يسميه ، وهدد الأنصار بطلاق قريش المتكاثرين في المدينه ! ولا بد أنهم قاموا بأعمال أخرى حتى استطاعوا أن يهدئوا الوضع ، ويسكتوا أنصار فاطمه والعتره النبويه !

قال الجوهرى في السقيفه ص ١٠٤: (فلما سمع أبو بكر خطبتها شق عليه مقالتها فصعد المنبر وقال: أيها الناس ما هذه الرعه إلى كل قاله ، أين كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله ، ألا من سمع فليقل ، ومن شهد فليتكلم ، إنما هو ثعالبه

شهيده ذنبه ، مُرَبُّ لكل فتنه ، هو الذى يقول كُرَّوها جذعه بعد ما هرمت ، يستعينون بالضعفه ، ويستنصرون بالنساء ، كأم طحال أحب أهلها إليها البغى ، ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت ، ولو قلت لُبِحتُ ، إني ساكت ما تركت .

ثم التفت إلى الأنصار فقال : قد بلغنى يا معشر الأنصار مقاله سفهائكم ، وأحق من لزم عهد رسول الله أنتم ، فقد جاءكم فأؤيتم ونصرتهم ، ألا إني لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا . ثم نزل !. انتهى .

وقال فى شرح النهج: ١٦/٢١٤، بعد نقل كلام أبى بكر هذا بروايه الجوهرى :

(قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبى يحيى جعفر بن يحيى بن أبى زيد البصرى وقلت له: بمن يعرّض؟ فقال: بل يصرح . قلت: لو صرح لم أسألك ! فضحك وقال: بعلى بن أبى طالب . قلت: هذا الكلام كله لعلى يقوله ! قال: نعم ، إنه الملك يا بنى ، قلت: فما مقاله الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر على فخاف من اضطراب الأمر عليهم ، فنهاهم .

فسألته عن غريبه ، فقال: أما الرّعه بالتخفيف ، أى الإستماع والإصغاء ، والقالة: القول ، وثعاله: اسم الثعلب علم غير مصروف ، ومثل ذؤاله للذئب ، وشهيده ذنبه أى لا شاهد له على ما يدعى إلا بعضه وجزء منه ، وأصله مثل ، قالوا: إن الثعلب أراد أن يغرى الأسد بالذئب ، فقال: إنه قد أكل الشاه التى كنت قد أعددتها لنفسك وكنّت حاضراً ، قال: فمن يشهد لك بذلك ؟ فرفع ذنبه وعليه دم ، وكان الأسد قد افتقد الشاه . فقبل شهادته وقتل الذئب . ومُرب: ملازم ، أربّ بالمكان .

وكُرَّوها جذعه: أعيدوها إلى الحال الأولى ، يعنى الفتنه والهرج . وأم طحال: امرأه بغى فى الجاهليه ويضرب بها المثل فيقال: أزنى من أم طحال). انتهى .

فى معانى الأخبار للصدوق ص ٣٥٤: عن فاطمه بنت الحسين (عليه السلام) قالت: (لما اشتدت عله فاطمه بنت رسول الله صلوات الله عليها ، اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك؟ فقالت:

أصبحت والله عائفه لديناكم قاله لرجالكم ! لفظتهم قبل أن عجمتهم ، وشنأتهم بعد أن سبرتهم ، فقبحاً لفلول الحد وخور القناه ، وخطل الرأى ، وبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون !

لاجرم لقد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم عارها ، فجدعاً وعقرأً وسحقاً للقوم الظالمين ! ويحهم أنى زحزحوها عن رواسى الرساله وقواعد النبوه ومهبط الوحى الأمين ، والطيبين بأمر الدنيا والدين ، ألا ذلك هو الخسران المبين ، وما نعموا من أبى حسن؟! نعموا والله منه نكير سيفه ، وشده وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره فى ذات الله عز وجل ! والله لو تكأفوا عن زمام نبذه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لاعتلقه ، ولسار بهم سيراً سجعاً ، لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً تطفح ضفتاه ولأصدرهم بطاناً قد تخير لهم الرى غير متحل منه بطائل إلا- بغمر الماء وردعه سوره الساغب ولفتح عليهم بركات السماء والأرض، وسياخذهم الله بما كانوا يكسبون !

ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب وإن تعجب وقد أعجبك الحادث ، إلى أى سناد استندوا؟ وبأيه عروه تمسكوا؟ استبدلوا الذنابى والله بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا! ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون.. أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون !

أما لعمري والله لقد لقت ، فنظره ريثما تنتجوا ، ثم احتلبوا طلاع القعب دمأ عبيطاً وزعافاً ممقراً ، هنالك يخسر المبتلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون!

ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً ، واطمأنوا للفتنه جاشاً ، وأبشروا بسيف صارم ، وهرج شامل واستبداد من الظالمين ، يدع فيئكم زهيداً ، وزرعكم حصيداً ! فباحسرتي لكم ، وأنى بكم وقد عُمِّيت عليكم ، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ! (ورواه الطوسي في الأمالي ص ٣٧٤ ، والجوهري في السقيفه ص ١٢٠) .

ص: ١٥٧

فى معانى الأخبار ص ٣٥٦ ، عن على (عليه السّلام) قال: لما حضرت فاطمه الوفاه دعتنى فقالت: أمنفذُ أنت وصيتى وعهدى؟ قال قلت: بلى أنفذها فأوصت إليّ وقالت: إذا أنا متُّ فادفنى ليلاً ، ولا تؤذنينّ رجلين ، ذكرتهما).

وفى كتاب سليم بن قيس ص ٣٩٢: (قال ابن عباس: فقبضت فاطمه من يومها فارتجّت المدينه بالبكاء من الرجال والنساء ، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان علياً ويقولان له: يا أبا الحسن لاتسبقنا بالصلاه على ابنه رسول الله.... فلما كان فى الليل دعا على العباس والفضل والمقداد وسلمان وأبا ذر وعماراً ، فقدم العباس فصلى عليها ودفنوها . فلما أصبح الناس أقبل أبو بكر وعمر والناس يريدون الصلاه على فاطمه (عليها السّلام) فقال المقداد: قد دفنا فاطمه البارحه . فالتفت عمر إلى أبى بكر فقال: ألم أقل لك إنهم سيفعلون؟! قال العباس: إنها أوصت أن لاتصليا عليها ! فقال عمر: والله لاتركون يا بنى هاشم حسدكم القديم لنا أبداً! إن هذه الضغائن التى فى صدوركم لن تذهب والله لقد هممت أن أنبشها فأصلى عليها ! فقال على: والله لو رمت ذلك يابن صهاك لارجعتُ إليك يمينك ! والله لئن سللت سيفى لا أغمدته دون إزهاق نفسك ، فَرَمَ ذلك ! فانكسر عمر وسكت ، وعلم أن علياً إذا حلف صدق). انتهى .

وفى أمالى المفيد ص ٢٨١: عن الحسين (عليه السّلام) قال: (فلما حضرتها الوفاه أوصت أمير المؤمنين (عليه السّلام) أن يتولى أمرها ويدفنها ليلاً- ويعفى قبرها ! فتولى ذلك أمير المؤمنين (عليه السّلام) ودفنها وعفى موضع قبرها ، فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن ، فأرسل دموعه على خديه ، وحول وجهه إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:

السلام عليك يا رسول الله منى ، والسلام عليك من ابنتك وحببتك وقره عينك وزائرتك ، والبائتة فى الثرى ببقعتك ، والمختار لها الله سرعه اللحاق بك .

قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبرى ، وضعف عن سيده النساء تجلدى ، إلا أن فى التأسى لى بسنتك والحزن الذى حل بى بفراقك ، موضع التعزى ، فلقد وسدتك فى ملحود قبرك ، بعد أن فاضت نفسك على صدرى ، وغمضتكم ييدى ، وتوليت أمرك بنفسى . نعم وفى كتاب الله أنعم القبول: إنا لله وإنا إليه راجعون . لقد استرجعت الوديعه ، وأخذت الرهينه ، واختلست الزهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء .

يا رسول الله ! أما حزنى فسرمد ، وأما ليلى فمسهد ، لا يبرح الحزن من قلبى ، أو يختار الله لى دارك التى أنت فيها مقيم . كمدُّ مُقيح ، وهَمُّ مُهيح ، سرعان ما فرق بيننا وإلى الله أشكو! وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على ، وعلى هضمها حقها ، فاستخبرها الحال ، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً! وستقول ويحكم الله ، وهو خير الحاكمين .

سلام عليك يا رسول الله سلام مودع ، لا- سئم ولا- قال ، فإن أنصرف فلا- عن ملاله وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين ، والصبر أيمن وأجمل ، ولولا غلبه المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاماً ، واللبث عنده معكوفاً ، ولأعولت إعوالم الثكلى على جليل الرزیه ! فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً ، وتهتضم حقها قهراً ، وتمنع إرثها جهراً ، ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر ! فإلى الله يا رسول الله المشتكى ، وفيك أجمل العزاء . وصلوات الله عليكم وعليها ، ورحمه الله وبركاته .

وفى روايه روضه الواعظين للنيسابورى ص ١٥١: (فقالت: يا ابن عم إنه قد نعت إلى نفسى لأرى ما بى لا أشك ، إلا أننى لاحقه بأبى ساعه بعد ساعه ، وأنا أوصيك بأشياء فى قلبى . قال لها على: أوصنى بما أحببت يا بنت رسول الله)

ثم قالت: جزاك الله عنى خير الجزاء ، يا ابن عم أوصيك أولاً أن تتزوج بعدى بابنه أختى أمامه ، فإنها تكون لولدى مثلى ، فإن الرجال لا بد لهم من النساء...

ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتى من هؤلاء الذين ظلمونى وأخذوا حقى فإنهم أعدائى وأعداء رسول الله ، وأن لا يصلى على أحد منهم ولا من أتباعهم ،

وادفنى فى الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار . ثم توفيت صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها ، فصاحت أهل المدينة صيحه واحده واجتمعت نساء بنى هاشم فى دارها ، فصرخن صرخه واحده كادت المدينة أن تززع من صراخهن وهن يقلن: ياسيدته يا بنت رسول الله ! وأقبل الناس مثل عُزف الفرس إلى على وهو جالس والحسن والحسين بين يديه يبكيان ، فبكى الناس لبكائهما ، وخرجت أم كلثوم وعليها برقعته وتجر ذيلها متجلله برداء عليها تسجبه وهى تقول: يا أبتاه يا رسول الله ، الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده ، واجتمع الناس فجلسوا وهم يرجون وينظرون أن تخرج الجنازه فيصلون عليها .

وخرج أبو ذر فقال: إنصرفوا فإن ابنه رسول الله قد أخر إخراجها فى هذه العشيّه فقام الناس وانصرفوا ، فلما أن هدأت العيون ومضى من الليل أخرجها على والحسن والحسين وعمار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذر وسلمان وبريده ، ونفر من بنى هاشم وخواصهم صلوا عليها ودفنوها فى جوف الليل ، وسوّى على حواليتها قبوراً مزوره مقدار سبعة ، حتى لا يعرف قبرها . انتهى .

أين هو قبر فاطمه ؟

لا أعرف أحداً استثمر موته وجنازته وموضع قبره فى معارضه السلطه ، كما استثمرت ذلك فاطمه الزهراء (عليها السلام) !

تقول بذلك للأجيال: إفهموا وفكروا لماذا غضبت فاطمه عليهم ، فقاطعتهم ولم تكلمهم حتى لقيت ربها وأباها ؟

ولماذا أوصت أن تدفن سراً حتى لا يحضروا جنازتها ولا يصلوا عليها ؟!

ولماذا أوصت أن يعفَى قبرها ولا يعرف مكانه ؟

ولماذا عمل الأئمه من أولادها بوصيتها ، فلم يحددوا قبرها ولم يبنوه ؟

فاطمه الزهراء.. أعطاهها الله ورسوله مقاماً عظيماً: سيده نساء العالمين ، وسيده نساء أهل الجنة ، واعترف به القريب والبعيد ، وأثبتت بسمو شخصيتها وتميز سلوكها ، أنها أهل لهذا المقام ، وأنها حقاً أمه الله الطيبه الطاهره المباركه ، التي بشرت بها التوراه والإنجيل ، وأن ذريه النبي الخاتم ستكون منها !

فما لها وقفت أشدّ موقف من السلطه القرشيه بعد وفاه أبيها ؟ وركزت غضبها على زعامه قريش الجديده أبي بكر وعمر وصاحبهم في مكه سهيل بن عمرو؟! فاتهمتاهما بأشدّ التهم ، ولم تقبل لهما عذراً ، ولا بردت عليهما السلام عندما جاءها معتذرين لها من الهجوم على دارها ، ومصادره أوقاف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وفدك ومنعها من إرث أبيها(صلى الله عليه وآله وسلم)! مع أن ردّ سلام المسلم واجبٌ ، وقبول عذره لازم !

ولا نظنها كانت ستقبل لهم عذراً حتى لو أرجعوا لها الأوقاف وفدك ، فقضيتها معهم ليست أوقاف أبيها ولا مزرعه فدك !

فماذا تصنع فاطمه بفدك والأوقاف ، وهى من هى زهداً وعباده ، وقد أخبرها أبوها أنها ستلتحق به عن قريب؟!!

فقضيتها أن تثبت للمسلمين أن الذى جلس مكان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لا يؤتمن على الدين والأمة ، لأنه سرق مزرعه من بنت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فأرسل مسلحين أخرجوا منها وكيها ووضعوا وكيه بدله ! فياويل بنات المسلمين ، وياويل الأمة !

قضيتها أنها تراهم غاصبين للخلافه التى هى حقٌ من الله لزوجها وولديها الحسن والحسين ، وبعدهما للأئمه من ذريتها الموعودين على لسان أبيها !

ترى سقيفتهم مؤامرة وردة قرشيه عن الإسلام ! (فلما اختار الله لنبه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه ، ظهرت فيكم حسيكه النفاق... هذا والعهد قريب ، والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل ، والرسول لما يُقبر ، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ! أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ!...ثم أخذتم تورون وقدتها ، وتهيجون جمرتها ،

وتستجيون لهتاف الشيطان الغوى ، وإطفاء أنوار الدين الجلى ، وإهمال سنن النبي الصفى ، تشربون حسواً فى ارتغاء ، وتمشون لأهله وولده فى الخمره والضراء) !!

وترى الخسارات العظمى التى أوقعوها بالإسلام والأمة والعالم ، بإبعادهم علياً عن الخلافة: (والله لو تكافؤوا عن زمام نبذه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا-عتلقه ، ولسار بهم سيراً سُدَّجِحاً ، لا-يكلم خشاشه ، ولا-يتعتع راكمه ، ولأوردهم منهلاً-نميراً فضفاضاً تطفح ضفتاه ، ولأصدرهم بطاناً قد تخير لهم الرى غير متحل منه بطائل ، إلا بغمر الماء وردعه سوره الساغب ، ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض ، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون)!

وقد سخرت الزهراء (عليها السلام) من منطقهم القبلى الذى برروا فيه اختيارهم لأبى بكر فقالت: (ألا هلم فاسمع وما عشت أراكم الدهر العجب... إلى أى سِنَادٍ استندوا ، وبأيه عروه تمسكوا ، استبدلوا الدنابى والله بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا! ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون.. أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وقد بلغت قضيتها المدى ، عندما دعت الأنصار علناً فى خطبتها القاصعه الى نصرتها ومقاومه سقيفه قريش وخليفتها بقوه السلاح ، وإلا فهم ناكثون لبيعتهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يحموه ويحموا عترته ، ولا ينازعوا الأمر أهله الشرعيين ! فقد قالت لهم صراحة:

(إيها بنى قيله ! أأهضم تراث أبى وأنتم بمرأى منى ومسمع ، ومنتدى ومجمع ، تلبسكم الدعوه وتشملكم الخبره ، وأنتم ذووا العدد والعدة ، والأداة والقوه ، وعندكم السلاح والجنه ، توافيكم الدعوه فلا تجييون ، وتأتيكم الصرخه فلا تغيثون...) !!

ثم عرفتهم فداحه ما حدث ، وأنذرتهم غباً ما عملوا فقالت: (أما لعمرى والله لقد لقحت ، فنظرة ريثما نتجوا ، ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً ، وزعافاً ممقراً ،

هنالك يخسر المبطلون ! ويعرف التالون غبَّ ما أسس الأولون...! أنا ابنه نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إِنَّا عَامِلُونَ ،
وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ! .

إن وصيه فاطمه الزهراء (عليها السلام) في تجهيزها ودفنها وقبرها ، كانت عملاً من سلسلة أعمالها المقصوده في خدمه قضيتها مع
قريش الطلقاء ، أرادت أن تثير به السؤال في الأجيال لعلها تفهم ما أسسه الأولون وتردد مع الشاعر:

ولأى الأمور تدفن سراً

بضعه المصطفى ويعفى ثراها

بنتٌ من أمٍّ من حليله من

ويلٌ لمن سنَّ ظلمها وأذاها

ص: ١٦٣

الفصل الرابع: الأحداث التي غطتها الحكومه أيام وفاه النبي (صلّى الله عليه و آله وسلّم)

اشاره

ص: ١٦٥

فهرس لأحداث أيام وفاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)!

حاولت أن أضع تقويماً زمنياً لمراسم تغسيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتكفينه والصلاه عليه ودفنه ، يضم الأحداث الخطيره التي وقعت أثناء ذلك وبعده ، الى أسبوعين من وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فوجدت ذلك مهمه صعبه ، لأن رواه الخلافه القرشيه حرصوا على التعظيم عليها وتشويشها ! فجاءت نصوصها متضاربه ، ينفي بعضها الآخر !

وتذكرت ماجرى للشيخ متولى شعراوى عندما قرأ فى محاضرتة فى التلفزيون المصرى كلام على فى وداع فاطمه بعد دفنها (عليهما السلام) ، وعلق عليه الشعراوى بأنه يدل على وجود أحداث خطيره بعد وفاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ينبغى أن نكشفها !

والكلام الذى قرأه الشعراوى هو كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذى تقدم بعد دفنه فاطمه الزهراء (عليها السلام): (السلام عليك يارسول الله ، عنى وعن ابنتك النازله فى جوارك....

وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها ، فأحفها السؤال واستخبرها الحال ! هذا ولم يطل العهد ، ولم يخل منك الذكر... الخ .). (وهو فى نهج البلاغه: ٢/١٨٢ ، وغيره) .

وفى اليوم الثانى لكلام الشعراوى خرجت صحيفه مصريه تتساءل: هل تشيع الشعراوى؟! وبذلك أسكتوه عن البحث فى تلك الأحداث ، بل عن ذكرها !

فإذا كانت هذه حال عالم سنى معروف كالشعراوى ، وبعد ألف وأربع مئه سنه من الحادثه ، وفى مصر التى يحب شعبها أهل البيت وفاطمه الزهراء (عليهما السلام) خاصه ! فما بال من يحاول كشف تلك الأحداث فى عصور حكم الخلافه القرشيه؟!!

إن العجيب حقاً هو ما وصل إلينا ، وليس العجيب ما أخفوه ولم يصل !

وهذا تقويم تقريبي لتلك الأحداث ، وهو قابل للإتساع:

١- يوم الأحد لَدَتْ عائشه وحفصه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أى سقته (دواء) فى حال إغمائه رغم نهيته المشدد عن ذلك كما فى البخارى ! فلما أفاق من إغمائه غضب من فعلهما ، وأمر أن يسقى كل من كان موجوداً غير بنى هاشم من ذلك الدواء ! وتدهورت حاله النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعد ذلك حتى توفى فى ظهر يوم الإثنين ! (راجع صحيح البخارى: ١٤٣/٥١٧٧، وغيره).

٢ - كان عدد الطلقاء الذين أرسلهم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فى جيش أسامه سبع مئه نفر وأرسل أبا بكر وعمر وغيرهم ، وقد تباطأ قسم منهم عن الإلتحاق بمعسكر أسامه فى الجرف ، ثم ترك المعسكر من التحق منهم يوم الأحد ، وعادوا الى المدينه !

قال فى فتح البارى: ٨/١١٦: (وعند الواقدي أيضاً أن عدده ذلك الجيش (جيش أسامه) كانت ثلاثه آلاف ، فيهم سبعمائيه من قريش) . انتهى.

٣ - باشر على (عليه السلام) بمراسم تجهيز النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعد ظهر الإثنين الى صباح الثلاثاء وأذن للمسلمين أن يصلوا على جنازته فرادى ، من ضحى ذلك اليوم الى العصر ، ثم أخذ يواجه ضغط أبى بكر وعمر ومبعوثيهما ، ثم مجيئهما الى بيته يطالبونه ومن معه بالبيعه لهم ، ويهدودنه بالهجوم على بيته إن لم يبيع !!

٤ - دَبَّرَ الحزب القرشى بيعه أبى بكر فى السقيفه بعد وفاه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بساعه أو ساعتين فقط ! وساعدهم بعض الأوس حسداً لسعد بن عباده رئيس الخزرج أن يصير هو الخليفه ! ولم يثبت أن سعداً أو أحداً من الأنصار دعا الى اجتماع فى السقيفه لبحث خلافه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ، بل كانت السقيفه محل ضيافه سعد ، وهى

فسحه من الشارع مسقوفه سميت باسم جيرانها بنى ساعده الخزرجيين ، وكان سعد مريضاً نائماً فيها يزوره الناس ، فاختارها الحزب القرشي مكاناً للصفق على يد أبي بكر لوجود سعد وبعض الأنصار حوله ، فتركا جنازه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأسرعوا الى السقيفه ، وفتحوا الموضوع وناقشا سعداً ومن حضر ، فقال بعض الأنصار لانباع إلا علياً ، وقال بعضهم إن لم تريدوا علياً فالأنصار وسعد أولى منكم ، فبادر أبو بكر الى القول إنى رضيت لكم أحد الرجلين عمر أو أبا عبيده فبايعوا أحدهما ! فقال عمر لا نتقدم عليك ، وأخذ يده وصفق عليها هو ثم أبو عبيده ، ثم بايعه ثلاثة أشخاص من الأوس المضادين لسعد! ولم يعيروا بالاً لاعتراض سعد بن

عباده زعيم الأنصار ! وهكذا أعلنوا بيعه أبي بكر التي بحيله من غير مشوره ، وساندهم كل القرشيين الطلقاء وكانوا أوفياً في المدينه !

وقد سمع عمر في أواخر خلافته أن بعضهم سيبادر بعد وفاته الى الصفق على يد أحد وبيعه بالخلافه كما فعل هو في السقيفه ، فخطب ووصف بيعه أبي بكر بأنها كانت فلتة ونجحت ، وأصدر أمراً بقتل من بادر الى مثلها ! (البخارى: ٨/٢٥) !

٥ - اعترض سعد بن عباده زعيم الأنصار وصاح رغم شدة مرضه ، وأدان تصرفهم ، لكن الحزب القرشي تغلبوا عليه وشتموه وداسوا بطنه ، فحملة أولاده الى بيته ! فاستولوا على السقيفه وجعلوها مقراً لبيعه أبي بكر ، ومركزاً لجلوسهم وعملياتهم !

٦ - ترك أبو بكر وعمر وكافة القرشيين الطلقاء جنازه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعترته ، وعشيرته بنى هاشم! حتى أن مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومحيطه كان بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) شبه خال ! وانشغل الصحابه إلا المنقطعون الى أهل البيت (عليهم السلام) بتأييد بيعه أبي بكر أو معارضتها ، وانشغلت فعاليات الحزب القرشي وهم: أبو بكر ، وعمر ، وعائشه

وحفصه ، وأبو عبيده ، وسالم مولى حذيفه ، ومعهم بعض الأوس ، بمعالجه موقف الأنصار ، وكانوا يزورون زعماءهم في أحيائهم لإقناعهم ببيعة أبي بكر ، ومنع تأثير سعد وعلی (عليه السلام) عليهم !

٧ - في اليوم الثاني جاء أنصار أبي بكر وعمر من الطلقاء الى مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مشتمين أزرهم يزفون أبا بكر زفة مسلحة ، يأخذون له البيعة بقوه السلاح ويهددون من لم يبايع بالقتل ! وأصعد عمر أبا بكر على منبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و آله وسلم (وبايعة بعض الناس ، وصلى بهم المغرب ثم عاد الى السقيفه ، ولم يزوروا بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولم يصلوا على جنازته !

٨ - مساء الثلاثاء ليله الأربعاء قام عليّ (عليه السلام) بدفن جنازه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد منتصف الليل ، وحضر مراسم الدفن بنو هاشم وبعض الأنصار ، ولم يحضرها أحد من قادة الحزب القرشي وجمهوره الطلقاء !

٩ - في ليله الخميس قام أمير المؤمنين ومعه فاطمه والحسنان (عليهم السلام) بجوله على بيوت الأنصار وطالبوهم بالوفاء ببيعتهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشرطه عليهم النصره وأن يمنعوه وأهل بيته وذريته (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يمنعون منه أنفسهم وذرايرهم.. فاستجاب له منهم أربعة وأربعون رجلاً ، فطلب منهم أن يأتوه غداً محلقين رؤوسهم مستعدين للموت ، فلم يأتته إلا أربعة !

ثم أعاد جولته على الأنصار وبعض المهاجرين ليله الجمعة ثم ليله السبت ! فلم يأتته غير أولئك الأربعة: المقداد ، وعمار ، وأبو ذر ، وسلمان !

١٠ - في هذا المده أرسل الحزب القرشي الى أسامه وهو في معسكره بالجرف خارج المدينة ، أن يغلق المعسكر ويأتي ومن بقي معه الى المدينة ،

ويبايعوا أبا بكر لأن المسلمين بايعوه ، فاحتج عليهم أسامه بأن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) توفي وأنا أمير على أبي بكر ، فأبو بكر ما زال جندياً تحت إمرتي !

قال الطبرسى فى إعلام الورى: ١/٢٦٩: (فما كان بين خروج أسامه ورجوعه إلى المدينة إلا- نحو من أربعين يوماً ، فلما قدم المدينة قام على باب المسجد ثم صاح: يا معشر المسلمين ، عجباً لرجل استعملنى عليه رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) فتأمر علىّ وعزلنى) ! انتهى .

١١ - تخوف الحزب القرشى من على (عليه السلام) أن يجد أنصاراً وينهض ضدهم ، لذا تابعت إليه رسل أبى بكر بالحضور الى السقيفه لبايعه ، فكان يتعلل بأنه مشغول بمراسم دفن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) ، ثم بجمع القرآن . لكنهم واصلوا الضغط عليه ، وصعدوا تهديدهم ، وجأؤوا مسلحين فى جمع من الطلقاء الى باب داره مرات ، فتلاسن معهم بعض أنصاره ، لكنهم تغلبوا عليهم واقترحوا البيت بالقوه ، وأخذوا علياً مقيداً الى السقيفه ، فحاججهم بقوه ، فسكتوا عنه ذلك اليوم .

وهذه الحادته هى الهجوم الأول على بيت على وفاطمه (عليهما السلام) ، وقد يكون وقتها يوم الأربعاء أو الخميس !

١٢ - اتفق اثنا عشر صحابياً من المهاجرين والأنصار على أن يخطبوا فى المسجد النبوى فى يوم الجمعة التى تلت وفاه النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) ، وقيموا الحجه على أبى بكر وعمر ، فتكلموا جميعاً وبينوا وصيه النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) لعلى (عليه السلام) وبيعه المسلمين له يوم الغدير ، وأدانوا مؤامره السقيفه ! ففى الإحتجاج للطبرسى: ١/٩٧: (عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام): جعلت فداك هل كان أحد فى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) أنكر على أبى بكر فعله وجلوسه مجلس رسول (صلى الله عليه و آله وسلم)؟ قال: نعم كان الذى أنكر على أبى بكر اثنا عشر رجلاً: من

المهاجرين خالد بن سعيد بن العاص ، وكان من بنى أميه ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر، وبريده الأسلمي .

ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان ، وسهل وعثمان ابنا حنيف ، وخزيمه بن ثابت ذو الشهادتين ، وأبي بن كعب ، وأبو أيوب الأنصاري .

قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم لبعض: والله لنا تينه ولننزله عن منبر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك إذا أعنتم على أنفسكم ، فقد قال الله عز وجل: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين(عليه السلام)لنستشيره ونستطلع رأيه ، فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين تركت حقاً أنت أحق به وأولى به من غيرك ، لأننا سمعنا رسول الله يقول:على مع الحق والحق مع على يميل مع الحق كيفما مال . ولقد هممنا أن نصير إليه فننزله عن منبر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، فجئناك لنستشيرك ونستطلع رأيك فما تأمرنا ؟ فقال أمير المؤمنين: وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً ، ولكنكم كالملاح في الزاد وكالكحل في العين.....

فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل فعرفوه ما سمعتم من قول نبيكم(صلى الله عليه وآله وسلم) ، ليكون ذلك أو كد للحجه وأبلغ للعدر ، وأبعد لهم من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إذا وردوا عليه .

فسار القوم حتى أهدقوا بمنبر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وكان يوم الجمعة ، فلما صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للأنصار: تقدموا وتكلموا ، فقال الأنصار للمهاجرين: بل تكلموا وتقدموا أنتم ، فإن الله عز وجل بدأ بكم في الكتاب.....

فأول من تكلم به خالد بن سعيد بن العاص ، ثم باقى المهاجرين ، ثم بعدهم الأنصار.... فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص (ابن العاص الأموي) وقال:

إتق الله يا أبا بكر ، فقد علمت أن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال ونحن محتشوه يوم بنى قريظه حين فتح الله له باب النصر ، وقد قتل على بن أبي طالب(عليه السلام)يومئذ عده

من صناديد رجالهم وأولى البأس والنجده منهم: يامعاشر المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصيه فاحفظوها ومودعكم أمراً فاحفظوه: ألا- إن على بن أبي طالب أميركم بعدى وخليفتى فيكم بذلك أوصانى ربي . ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتى وتوازروه وتنصروه ، اختلفتم فى أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم ، ووليكم أشراركم ! ألا- وإن أهل بيتى هم الوارثون لأمرى والعالمون لأمر أمتى من بعدى . اللهم من أطاعهم من أمتى وحفظ فيهم وصيتى فاحشرهم فى زمرتى ، واجعل لهم نصيباً من مرافقتى يدركون به نور الآخرة . اللهم ومن أساء خلافتى فى أهل بيتى فاحرمه الجنة التى عرضها كعرض السماء والأرض ! فقال له عمر بن الخطاب: أسكت يا خالد ، فلست من أهل المشوره ، ولا ممن يقتدى برأيه ! فقال

له خالد: بل أسكت أنت يا ابن الخطاب ، فإنك تنطق على لسان غيرك ! وأيم الله لقد علمت قريش أنك من الأمها حسباً ، وأدناها منصباً ، وأخسها قدراً ، وأخملها ذكراً ، وأقلهم غناءً عن الله ورسوله ، وإنك لجبان فى الحروب ، بخيل بالمال ، لئيم العنصر ، مالك فى قريش من فخر ، ولا- فى الحروب من ذكر ، وإنك فى هذا الأمر بمنزله الشيطان: إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ !! فأبلس عمر ! وجلس خالد بن سعيد.....).الخ .

١٣ - من المرجح أن الهجوم الثانى وقع بعد احتجاج وجهاء الصحابه يوم الجمعة فى المسجد ، وهو الهجوم الذى أشعلوا فيه النار حول البيت ، ثم دفعوا الباب على الزهراء (عليها السلام)، وضربوها وأسقطوا جنينها ، ثم أخذوا عليها (عليه السلام) ثانياً الى السقيفه وهددوه بالقتل إن لم يبيع أبا بكر !

١٤ - كان تأثير احتجاج الصحابه الإثنى عشر فى المسجد قوياً ، فقد أحدث

موجه ضد مؤامره السقيفه ، وضعف أبو بكر وانكسر أمام خطبهم ، ولزم بيته ثلاثه أيام ، وأخذ يلوم عمر على توريثه فى الأمر ، حتى أنه وآخرون من الحزب القرشى فكروا أن يعيدوا الخلافه شورى بين المسلمين! لكن عمر وبخهم ودبر موجه لمصلحه الحزب القرشى ، فاتفق مع جماعه من البدو القرييين أن يدخلوا المدينه ويبايعوا أبا بكر! قال الطبرى فى تاريخه: ٢/٤٥٨:

(حدثنى أبو بكر بن محمد الخزاعى أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايقت بهم السكك فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر)!

١٥ - فى يوم الجمعه الثانيه لوفاه النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) خطب على (عليه السلام) فى مسجد النبى خطبته البليغه القويه المعروفه ب- (خطبه الوسيله)! وكانت تأكيداً لإقامه الحجّه على أهل السقيفه وغيرهم ، بيّن فيها مقام النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) وأهل بيته (عليهم السلام) عند الله ، ويوم القيامه ، وواجب الأيمه تجاههم . وجاء فى مقدمتها قول الإمام الباقر (عليه السلام) لجابر بن يزيد الجعفى (رحمه الله): إسمع وع وبلغ حيث انتهت بك راحلتك إن أمير المؤمنين (عليه السلام) خطب الناس بالمدينه بعد سبعة أيام من وفاه رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ، وذلك حين فرغ من جمع القرآن وتأليفه ، فقال: الحمد لله الذى منع الأوهام أن تنال إلا وجوده ، وحجب العقول أن تتخيل ذاته ، لامتناعها من الشبه والتشاكل ، بل هو الذى لا يتفاوت فى ذاته ولا يتبعض بتجزئه العدد فى كماله... الخ. وهى طويله بليغه . (الكافى: ٨/ ١٨).

١٦- أما مجئ الصديقه الزهراء (عليها السلام) الى المسجد ، وخطبتها القويه المشهوره ، فوقتها بعد أحداث السقيفه وهجومهم على بيتها وضربها وإسقاط جينيتها! وبعد أن أجبروهم على البيعه ، شنوا عليهم حرباً اقتصاديه لإفقارهم ، فحرموهم الخمس الذى لهم ، وصادروا منهم أوقاف النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) وهى سبعة بساتين وكانت بيدهم، وصادروا منهم مزرعه فدك التى أعطاها النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) للزهراء (عليها السلام) عندما نزل

قوله تعالى (وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) ، ومنعوها أن ترث من أبيها(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أى شئ ، فرأت الصديقه الزهراء(عليها السّلام) فى ذلك مناسبة لأن تخطب فى المسجد ، وتؤكد إقامة الحجة عليهم ، وتفصح مؤامرتهم ، وقد تقدم ذلك !

١٧ - يبدو أن حادثه ضرب عمر للصديقه الزهراء(عليها السّلام) كانت فى الطريق بعد يوم أو أكثر من خطبتها فى المسجد النبوى ، فقد ذهبت الى أبى بكر وكان وحده واحتجت عليه ، فكتب لها كتاباً يارجاع فدك اليها ، فبلغ ذلك عمر ، فلحقها فى الطريق وضربها وأخذ منها الكتاب ومزقه !

ص: ١٧٥

أهل البيت (عليهم السلام) ارتفعوا على جراحهم

تعامل أهل البيت (عليهم السلام) مع مقاطع هذه الموجه بنبل رسالي ، و نفذوا ما أمرهم به حبيهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وسجلوا صبراً لا نظير له ، فكظموا غيظهم وصبروا أنصارهم .

ثم ارتفعوا على جراحهم ، فعملوا مخلصين في تسيير سفينه الإسلام وفتوحاته !

قال عليّ (عليه السلام) في كتابه إلى أهل مصر مع مالك الأشر لما ولاه إمارتها: (أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله نذيراً للعالمين ، ومهيماً على المرسلين ، فلما مضى تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أهل بيته ولا أنهم مُنحُوهُ عني من بعده ، (يقصد (عليه السلام) أن هذا كان أمراً غير معقول لا يتصور) فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه ، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعه الناس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ! فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أوهدماً ، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم ، التي إنما هي متاع أيام قلائل ، يزول منها ما كان كما يزول السراب ، أو كما يتفشع السحاب ، فنهضت في تلك الأحداث ، حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأن الدين وتنهت . (نهج البلاغه: ٣/١١٨) .

وقال (عليه السلام): (اللهم إني أستعديك على قريش ، فإنهم قد قطعوا رحمي ، وأكفؤوا إنائي ، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري ، وقالوا ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه ، فاصبر مغموماً أومت متأسفاً ، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذابٌّ ولا مساعد إلا- أهل بيتي ، فضننت بهم عن المنية ، فأغضيت على القذى ، وجرعت ريقى على الشجى ، وصبرت من كظم

الغيظ على أمرٍ من العلقم ، وآلم للقلب من حز الشفار) . (نهج البلاغه: ٢/٢٠٢)

وقال (عليه السلام): (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسه في سلطان ، ولا

التماس شئ من فضول الحطام ، ولكن لنردَّ المعالم من دينك ، ونُظهر الإصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطله من حدودك . اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب ، لم يسبقني إلا- رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بالصلاه وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامه المسلمين البخيل ، فتكون في أموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافى فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ، ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمه). (نهج البلاغه: ٢/١٣) .

وقال(عليه السلام): (ما رأيت منذ بعث الله محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) رخاءً فالحمد لله ، والله لقد خفت صغيراً ، وجاهدت كبيراً ، أقاتل المشركين وأعدى المنافقين ، حتى قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فكانت الطامه الكبرى ! فلم أزل حذراً وجللاً- أخاف أن يكون ما لايسعنى معه المقام ، فلم أرَ بحمد الله إلا خيراً . والله ما زلت أضرب بسيفى صبيماً حتى صرت شيخاً . وإنه ليصبرنى على ما أنا فيه ، أن ذلك كله فى الله ورسوله ، وأنا أرجو أن يكون الروح عاجلاً قريباً ، فقد رأيت أسبابه ! قالوا: فما بقى بعد هذه مقاله إلا- يسيراً حتى أصيب(عليه السلام)). انتهى. (الإرشاد: ١/٢٨٤ وأضاف له فى المناقب: ١/٣٨٧: كنت أحسب صبيماً أن الأمراء يظلمون الناس ، فإذا الناس يظلمون الأمراء) !!

يصلون على آل محمد في صلاتهم ، ويهدرون دماءهم

كانت أول نتائج هذه الموجه: أن عتره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين نزلت فيهم آيات الوحي ورووا في أصح كتبهم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علمهم أن يقرنوهم به فيصلوا عليهم معه في صلاتهم فقال: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم)! (البخارى: ٦/٣٤٥)

، و: (٤/١١٨).

وروا احتفاءه (صلى الله عليه وآله وسلم) بنزول آية التطهير فيهم وأنه حددهم بأشخاصهم فأدار عليهم كساء وقال: (اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد إنك حميد مجيد . قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجدبه من يدي وقال: إنك على خير) . (مسند أحمد: ٦/٢٩٢ و٢٩٨).

هؤلاء العتره النبويه العظماء صلوات الله عليهم ، الذين كانت الأمه وما زالت تصلى عليهم في صلواتها ، كان نصيبهم الهجوم على دارهم والتهديد بالقتل إن لم يبايعوا ! في غاره مبكره ، افتتح بها القرشيون تاريخ الإسلام بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ! ثم كان نصيبهم جميعاً القتل تحت نجوم السماء ، فلم يمت منهم واحدٌ موته طبيعياً ! ثم كان نصيب شيعتهم التكفير والتقتيل والإضطهاد ، الى يومنا هذا !

والبادئ في ذلك هو تحالف بطون قريش الذي هدر دم آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أن تدفن جنازته ! وكان مستعداً لأن يحرق الدار عليهم ثمناً لبيعه رئيس عشيره تيم ، ببيعته بلا نص ولا مشوره ، سماها عمر فلتة ، ودبرتها قريش خلسة ، واختاروا لها وقت ذهول المسلمين بموت نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم) وذهول

أهل بيته (عليهم السلام) وانشغالهم بمراسم جنازته (صلى الله عليه وآله وسلم) !

وأعجب من ذلك: أن علياً والزهراء (عليهما السلام) ، نفذا ما عاهدا عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاكفيا بتسجيل ظلامتهما وحجتهما ، فلم تدع الزهراء (عليها السلام) عليهم بالعذاب ، وهي

ص: ١٧٨

المستجابه الدعاء ! ولم يستجر بنو هاشم بقبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طالبين رفع ظلامتهم ، وهو من عادات العرب التي يحسبون لها حساباً !

ولم يجرد عليّ (عليه السلام) ذا الفقار ، بل رأينا بطلَ بدرٍ وأحدٍ والخندق وفاتح خيبر ، انقاد لأشخاص لا هم فرسان ولا شجعان ، يجزّونه الى السقيفه بحمائل سيفه ، ولم يدفعهم عن نفسه بيده ولا سيفه ! ولو فعل لفرّوا منه كالبغاث ! لكنه وفى بما التزم به لحبيبه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أن لا يدع التاريخ يجرى بما هو أكثر سوءاً !

علي (عليه السلام) يصف عهد أبي بكر و عمر و عثمان

وصف (عليه السلام) فتره الثلاثين سنه التي تحمّل فيها أهل البيت النبوي وشيعتهم أقسى مأساه جرت على عتره بعد نبينا ، فقال فى خطبته المعروفه بالشقشقيه :

(أما والله لقد تقمصها ابن أبى قحافه وإنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحي ، ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير ، فسدت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتئى بين أن أصول بيد جذاء ، أو أصبر على طخيه عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه !

فرايت أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفى العين قذى ، وفى الحلق شجى ، أرى ترائى نهياً ! حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده ! ثم تمثل بقول الأعشى : شتان ما يومى على كورها ويوم حيان أخى جابرفيا عجباً بينا هو يستقبلها فى حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته ! لشد ما تشطّراً ضرعيها ! فصيرها فى حوزة خشناء يغلظ كلامها ويخشن مسها ، ويكثر العثار فيها ، والإعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبه إن أشنق لها حَرَم ، وإن أسلس لها تقحّم ، فمنى الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض ، فصبرت على طول المده وشده المحنه . حتى إذا مضى لسبيله ، جعلها فى جماعه زعم أنى أحدهم ! فيا لله وللشورى متى اعترض الريب فى مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر !

لكنى أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا ، فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصره ، مع هنٍ وهن !

إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حُضنيه ، بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمه الإبل نبتة الربيع ! إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته ، فما راعنى إلا- والناس كعرف الضبع إلى ، ينثالون على من كل جانب ، حتى لقد وطئ الحسنان وشقَّ عطفای ، مجتمعين حولى كربيضه الغنم ، فلما نهضت بالأمر نكثت طائفه ومرقت أخرى وقسط آخرون ، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول : تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حليت الدنيا فى أعينهم ، وراقهم زبرجها !

أما والذى فلق الحبه ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجه بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كِظّه ظالم ولا سَيَغِبَ مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندى من عطفه عنز) ! انتهى .

وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضوع من خطبته فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه . قال له ابن

عباس : يا أمير المؤمنين لو اطَّردتَ خطبتك من حيث أفضيت ؟ فقال : هيهات يا ابن عباس ، تلك شقشقه هدرت ثم قرت ! قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفى على هذا الكلام أن لا- يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث أراد) !! (نهج البلاغه : ١/٣١) .

هذه خلاصه موجزه لموجه الظلم والإضطهاد الأولى على أهل البيت النبوى (عليهم السّلام) وأنصارهم ! امتدت ثلاثين سنه ، حتى جاءت الخلافة الى على (عليه السّلام) خاضعه ، واضطرت قريش أن تبايعه طائعه ، فكيف جرت الأحداث ؟!

الفصل الخامس: الموجه الثانيه من عداوه قريش للعترة

اشاره

ص: ١٨١

الصحابه يثرون على عثمان لتسليطه قبيلته بنى أميه على مقدرات المسلمين !

عانت الأمة فى كل أقاليمها من تسلط عثمان لأقاربه وقبيلته بنى أميه على أموال المسلمين وأبدانهم ، فقد كَوَّن من مقربيه طبقه (قوارين) استأثرت بأموال الدوله والفتوحات ، حتى كان بعضهم يكسر الذهب بالفؤوس ! فى حين كان عامه المسلمين يعيشون الفاقه ، وبعضهم يعانون جوعاً حقيقياً وعرياً حقيقياً ! حتى كان أبرار الأمة كأويس القرنى (رحمه الله) يعتذرون الى الله تعالى من موت من يموت من المسلمين من الجوع والعرى !

وقد استنكر الصحابه فى المدينه هذا الوضع ، وجأؤوا من الأمصار معترضين ! ونصحوا عثمان نصحاً ، ثم وبخوه توبيخاً ! ولما رأوا أن ذلك لاينفع ثاروا عليه وحاصروه فى دار الخلافه لأكثر من شهر ، طالبين منه أن يتوب ويصحح الأوضاع أو يخلع نفسه ، فلم يفعل فقتلوه ومنعوا دفنه فى مقابر المسلمين ! وخرجوا متظاهرين مطالبين علياً(عليه السلام) أن يتولى الخلافه .

قال عليّ(عليه السلام) واصفاً هتاف المسلمين ومجيئهم الى بيته بعد مقتل عثمان:

(فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون البيعه البيعه . قبضت كفى فبسطتموها ، ونازعتكم يدي فجادبتموها) . (نهج البلاغه: ٢/٢٠) .

ومعنى العوذ المطافيل: الأمهات من الظباء والإبل وغيرها ذوات الأطفال ، التى تهرع من أجل أطفالها ، أو عند فقدها !

صحابه يكسرون الذهب بالفؤوس ، وناس يموتون من الجوع !

روى المحدثون والمؤرخون السنيون كثيراً من أعمال عثمان فى تسليط بنى أميه على المسلمين ، وقصصاً من توزيعه أموال الدوله على المقربين اليه من بنى أميه وغيرهم كصهره عبد الرحمن بن عوف ، الذى اختاره للخلافه !

قال ابن سعد فى الطبقات: ٣/١٣٦: (إن عبد الرحمن بن عوف توفى وكان فيما ترك ذهبٌ قطع بالفؤوس ، حتى مَجَلت أيدي الرجال منه). انتهى .

وجاء فى هامش بحار الأنوار: ٣١/٢٢٢: (قال الحلبي فى سيرته: ٢/٨٧: وكان من جمله ما انتقم به على عثمان أنه أعطى ابن عمه مروان بن الحكم مائه ألف ، وخمسين أوقيه . وروى البلاذرى فى الأنساب: ٥/٢٥ ، وابن سعد فى الطبقات: ٣/٤٤: أن عثمان كتب لمروان بخمس مصر ، وأعطى أقرباءه المال ، وتأول فى ذلك الصلته التى أمر الله بها ، واتخذ الأموال (المزارع والعقارات) واستسلف من بيت المال).

وقال ابن الأثير فى الكامل: ٣/٣٨: (وظهر بهذا أن عثمان أعطى عبد الله بن سعد خمس الغزوه الأولى ، وأعطى مروان خمس الغزوه الثانية ، التى افتتحت فيها جميع إفريقيا).

وفى روايه الواقدي وابن كثير فى تاريخه: ٧/١٥٢: (صالح عثمان خمس إفريقيا بطريقها على ألفى ألف دينار ، فأطلقها كلها عثمان فى يوم واحد لآل الحكم ، ويقال: لآل مروان).

وفى تاريخ الطبرى: ٥/٥٠: (كان الذى صالحهم عليه ألفى ألف دينار وخمسائه ألف دينار وعشرين ألف دينار.... إلى أن قال: كان الذى صالحهم عبد الله بن سعد على ثلاثمائه قنطار ذهب ، فأمر بها عثمان لآل الحكم ، قلت: أو لمروان ؟

قال: لا أدري...). وقال اليعقوبي في تاريخه: ٢/١٤٥: زوج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد وأمر له بستمائه ألف درهم ، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة ! وجاء في شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ١/٦٧: أن عثمان أعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر لمروان بن الحكم بمائه ألف من بيت المال . وأورد فيه أيضاً أنه أعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه في فتح إفريقيه بالمغرب ، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجه ، من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين !

وأورد البلاذري في الأنساب: ٥/٤٩ وابن كثير في تاريخه: ٧/١٥٧ وغيرهما: أنه بعث عثمان إلى ابن أبي حذيفه بثلاثين ألف درهم وبجمل عليه كسوه ، فأمر فوضع في المسجد وقال: يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه ! كما وقد ذكره شيخنا الأميني في غديره: ٩/١٤٤ ، وأدرج في: ٨/٢٨٦ قائمه بجمله من هباته مع مصادرها ، (فقد أعطى لمروان ٥٠٠٠٠٠ دينار ذهب ، و ١٠٠٠٠٠٠ درهم فضه ، ولابن أبي سرح ١٠٠٠٠٠٠ دينار ، ولطلحه ضعفه مع ثلاثين مليون درهم مره ، ومليونين ومئتين ألف درهم فضه ، ولعبد الرحمن ٢٥٦٠٠٠٠ دينار ، وليعلى بن أميه نصف مليون دينار ، ولزيد بن ثابت مائه ألف دينار . . وهكذا دواليك للحكم وآل الحكم ، والحارث ، وسعيد ، والوليد ، وعبد الله ، وأبي سفيان ، والزبير وابن أبي الوقاص ، وغيرهم من حزبه وأعدائه يطول علينا درجها فضلا من إحصائها). انتهى .

أقول: لا- مانع شرعاً أن يملك الصحابي ويتاجر فيكون من كبار الأثرياء ، لكن يجب أن يكون مصدر ماله من حلال ، وأن يراعى حاله الفقر الشديد الذي كان المسلمون يعيشونها في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعدة ! فقد كان الفقر عاماً في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حد أن بعضهم لم يكن يملك ثوباً سترًا مناسباً ! روى الصدوق في

مصادقه الإخوان ص ٣٦ بسنده قال: (أبطأ على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجلاً فقال: ما أبطأ بك؟ فقال: العزى يا رسول الله! فقال: أما كان لك جار له ثوبان فيعيرك أحدهما؟ فقال بلى يا رسول الله، فقال: ما هذا لك بأخ). انتهى.

لكن هل تغير الحال بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على عامة الناس بالرغم من ملايين الفتوحات وصناديق ذهبها في عصر أبى بكر وعمر وعثمان، وتحول الدولة الإسلامية الى دولة كبرى!؟

تقول الشواهد التاريخية الكثيره إن حالة الغنى واليسر كانت محصوره بالخليفه وبطانته، وقاده الفتوحات وبطانتهم التي حولهم.

ونكتفى من الأمثلة بأويس القرنى الذى كان معاصراً لأبى بكر وعمر وعثمان، والذى بشر به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أن يراه المسلمون، وأوصاهم أن يبلغوه سلامه وأن يحرص أحدهم على أن يحصل منه على كلمه دعاء: (غفر الله لك)! وقد دعا لبعض الصحابه، ولم يدع لبعضهم، فقد سجل الرواه مجتمع الكوفه فى عصره كان شديد الفقر، ونصوصهم فى ذلك كثيره وصحيحه، وقد استعرضنا سيرته فى أول المجلد الرابع من العقائد الإسلاميه.

(كان إذا أمسى تصدق بما فى بيته من الفضل من الطعام والشراب ثم قال: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذنى به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذنى به). (حليه الأولياء: ٢/٨٧).

(إن كان أويس القرنى ليتصدق بثيابه، حتى يجلس عرياناً لا يجد ما يروح فيه الى الجمعة). (سير أعلام النبلاء: ٤/٢٩٩ وحليه الأولياء: ٢/٨٣).

(اللهم إنى أعتذر إليك من كل كبد جائعه وجسد عار، وليس لى إلا ما على ظهري، وفى بطنى). (مستدرك الحاكم: ٣/٤٠٦ والبيهقى فى شعب الإيمان: ١/٥٢٤).

وفى لسان الميزان: ١/٢٨٠ وسير أعلام النبلاء: ٣٣/٢٩٤: (كان أويس يجالس رجلاً من فقهاء الكوفه يقال له يسير ففقده، فإذا هو فى حُص له قد انقطع من العرى)!

ولذلك قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إن من أمتى من لا يستطيع أن يأتى مسجده أو مصلاه من

العري ، يحجزه إيمانه أن يسأل الناس ، منهم أويس القرني). (أعلام النبلاء: ٢٩/٤)

وهذا يدل على أن ثروه الدوله والفتوحات كانت دُولَه بين فته قليله ! أما عامه الناس ، خاصه الذين لا يداهنون

الخليفه ورجاله كأويس القرني ، فكانوا في فقر مدقع ، وقد يعانى بعضهم من العري ، وقد يموت من الجوع !

والأخطر من الجوع والعري أن المسلم لم يكن له أمن على حياته ودمه من السلطه ، فقد يقتل الصحابي أو التابعي بتلفيق شكاية عليه بأنه طعن في الخليفه !

وإذا كانت السلطه لاتعرف حرمه للدم والكرامه فكيف تعرف حرمه للمال !؟

قال الحاكم في المستدرک: ٣/٤٠٥: (جاء رجل من مراد الى أويس القرني فقال: السلام عليكم ، قال: وعليكم . قال: كيف أنتم يا أويس؟ قال: الحمد لله . قال: كيف الزمان عليكم؟ قال: لا تسأل ! الرجل إذا أمسى لم ير أنه يصبح ، وإذا أصبح لم ير أنه يمسي ! يا أخا مراد ، إن الموت لم يبق لمؤمن فرحاً .

يا أخا مراد ، إن عرفان المؤمن بحقوق الله لم تبق له فضه ولا ذهباً .

يا أخا مراد ، إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقاً ! والله إنا لنأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر فيتخذوننا أعداء ، ويجدون على ذلك من الفاسقين أعواناً ، حتى والله لقد يقذفوننا بالعظام ، والله لا يمنعني ذلك أن أقول بالحق) ! . انتهى . وقال ابن حبان في المجروحين: ٣/١٥١: (وكان ابن عم له يلزم السلطان تولع به ، فإن رآه مع قوم أغنياء قال ما هو إلا يشاكلهم ! وإن رآه مع قوم فقراء ، قال ما هو إلا يخدعهم ! وأويس لا يقول في ابن عمه إلا خيراً) ! . انتهى .

وقد تسأل لماذا قال أويس (رحمه الله): اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ، ومن مات عرياً فلا تؤاخذني به ! فهل يموت أحد من العري !؟

والجواب: أن العري والجوع متلازمان ، وقد يجزُّ العري الى الجوع ، فيكون هو السبب الأساس للموت !

صوره من محاصره الصحابه لعثمان وقتلهم إياه!

قال ابن سعد فى الطبقات: ٣/٧١: (كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائه ، رأسهم الصحأبى عبد الرحمن بن عديس البلوى ، وكنانه بن بشر بن عتاب الكندى ، وعمرو بن الحمق الخزاعى .

والذين قدموا من الكوفه مائتين ، رأسهم مالك الأشتر النخعى . والذين قدموا من البصره مائه رجل ، رأسهم حكيم بن جبله العبدى) .

وقال ابن عبد البر فى الإستيعاب: ٢/٤١١: (عبد الرحمن بن عديس البلوى ، مصرى شهد الحديبيه ... ممن بايع تحت الشجره رسول الله (ص) قال أبو عمر: هو كان الأمير على الجيش الذين حصروا عثمان وقتلوه) . انتهى .

وفى مجمع الزوائد: ٩/٩٥: (عن مالك يعنى ابن أنس قال: قتل عثمان فأقام مطروحاً على كناسه بنى فلان ثلاثاً ، وأتاه اثنا عشر رجلاً- منهم جدى مالك بن أبى عامر ، وحويطب بن عبد العزى ، وحكيم بن حزام ، وعبد الله بن الزبير وعائشه بنت عثمان ، معهم مصباح فى حُق ، فحملوه على باب وإن رأسه تقول على الباب طَقَّ طَقَّ ، حتى أتوا البقيع فاختلفوا فى الصلاه عليه فصلى عليه حكيم بن حزام أوحويطب بن عبدالعزى ، شك عبد الرحمن . ثم أرادوا دفنه فقام رجل من بنى مازن فقال: لئن دفنتموه مع المسلمين لأخبرن الناس غداً!! فحملوه حتى أتوا به حِشَّ كوكب ، فلما دلوه فى قبره صاحت عائشه بنت عثمان فقال لها ابن الزبير: أسكتى فوالله لئن عدت لأضربن الذى فيه عينك ، فلما دفنوه وسووا عليه التراب ، قال لها ابن الزبير: صيحي ما بدا لك أن تصيحي). انتهى. وقال: (رواه

الطبراني وقال الحش البستان ، ورجاله ثقات .(راجع المعجم الكبير للطبراني: ١/٧٨ ، وتاريخ دمشق: ٣٩/٥٣٢ ، وتهذيب الكمال: ١٩/٤٥٧ ، وتلخيص الحبير لابن حجر: ٥/٢٧٥).

وهذا النص الموثق ، يدل على مدى ما وصلت اليه نغمه الصحابه على عثمان ، حيث تركوا جنازته مرميه ثلاثه أيام في مكان غير مناسب ، وحرّموا الصلاه عليها ودفنها ! حتى تجرأ بضعه أشخاص في الليله الثالثه فأخذوا جنازته ليلاً سرّاً عن المسلمين ليدفنه في البقيع ، وكانوا على عجله وخوف أن يشعر بهم المسلمون ، فرآهم شخص وهددهم بأنهم إن صلوا عليه أودفنه في مقابر المسلمين فسيخبر الصحابه والتابعين غداً ! فخافوا وهربوا بجنازته الى خارج البقيع ، وكسروا جدار بستان نخل ليهودي (حش كوكب) ودفنه فيه طمّاً بلا- لحد ولا- لبن ، ولم يسمح ابن الزبير لابنه عثمان أن تبكي أباهما حتى لا يسمع المسلمون بكاءها ، فيحضروا ويأخذوا الجنازه منهم ويرمونها !

وينبغي التحفظ في أسماء الذين حضروا دفنه ، لأنهم كانوا يزعمون ذلك فيما بعد تقريباً الى معاويه ! وكذلك عدم ذكرهم حمايه على (عليه السلام) للذين دفنوه !

وفي روايه ابن قتبيّه في الإمامه والسياسه: ١/٦٤٤: (فاحتملوه على باب وإن رأسه ليقول: طق طق ، فوضعه في موضع الجنائز ، فقام إليهم رجال من الأنصار فقالوا لهم: لا والله لا تصلون عليه.... فاحتملوه ثم انطلقوا مسرعين.... فدفنوه ولم يلحدوه بلبن ، وحثوا عليه التراب حثواً). انتهى .

قال الأميني (رحمه الله) في الغدير: ٩/٩٣: (روى المدائني في كتاب مقتل عثمان: أن طلحه منع من دفنه ثلاثه أيام ، وإن علياً لم يبايع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسه أيام ، وأن حكيم بن حزام أحد بني أسد بن عبد العزى ، وجبير بن مطعم بن الحرث بن نوفل استنجدا بعلي على دفنه ، فأقعد طلحه لهم في الطريق ناساً بالحجاره

فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينه يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه ، فأرسل على إلى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه ، فكفوا فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب . وأخرج المدائني في الكتاب قال: دفن عثمان بين المغرب والعتمة ، ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وابنه عثمان وثلاثة من مواليه ، فرفعت ابنته صوتها تندبه وقد جعل طلحه ناساً هناك أكرمهم كميناً فأخذتهم الحجارة وصاحوا: نعثل نعثل ! فقالوا: الحائط الحائط ، فدفن في حائط هناك !

أخرج الواقدي قال: لما قتل عثمان تكلموا في دفنه فقال طلحه: يدفن بدير سلع. يعني مقابر اليهود. ورواه الطبري في تاريخه: ١٤٣/٥ غير أن فيه مكان طلحه: رجل). انتهى.

أقول: المرجح عندي روايه المدائني، وقد رواها الطبري في تاريخه: ٣/٤٣٩ ، وجاء في روايه أخرى له: (حتى انتهوا إلى نخلات عليها حائط ، فدقوا الجدار ثم قبروه في تلك النخلات... فذهبت نائله تريد أن تتكلم فزبرها القوم وقالوا أنا نخاف عليه من هؤلاء الغوغاء أن ينبشوه ، فرجعت نائله إلى منزلها). انتهى .

وفي تاريخ الطبري: ٣/٤٤٠ ، عن أبي عامر قال: (كنت أحد حملة عثمان حين قتل حملناه على باب ، وإن رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به ، وإن بنا من الخوف لأمرأ عظيماً حتى واريناه في قبره في حش كوكب). انتهى .

من نبل علي (عليه السلام) في محاصره المسلمين لعثمان !

قال ابن قتيبه في الإمامه والسياسيه: ١/٣٤: (أقام أهل الكوفه وأهل مصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً ، وطلحه يحرض الفريقين جميعاً على عثمان . ثم إن طلحه قال لهم: إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه ، وهو يدخل إليه الطعام والشراب ، فامنعوه الماء أن يدخل عليه) !

وفي شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ١/٣٤٤: (عن الزبير أنه قيل له (أى لطلحه) إن عثمان محصور وإنه قد منع الماء ! فقال: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) !

وفي أمالي الطوسي ص ٧١٤: (وقيل لعلي: إن عثمان قد منع الماء ، فأمر بالروايا فَعُكِمَتْ ، وجاء للناس عليّ فصاح بهم صيحاً فانفرجوا ، فدخلت الروايا ، فلما رأى علي اجتماع الناس ووجوههم ، دخل علي طلحه بن عبيدالله وهو متكئ على وسائد ، فقال: إن هذا الرجل مقتول فامنعوه . فقال: أما والله ، دون أن تعطى بنوأميه الحق من أنفسها) !

أرسل عثمان وهو محاصر رساله مع عبد الله بن عباس الى علي (عليه السلام)، يسأله فيها الخروج إلى أرضه لينبع ليقبل هتف الناس باسمه للخلافه ، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل ، فقال (عليه السلام): يا ابن عباس ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب ، أقبل وأدبر !

بعث إليّ أن أخرج ، ثم بعث إليّ أن أقدم ، ثم هو الآن يبعث إليّ أن أخرج ! والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً .). (نهج البلاغه: ٢/٢٣٣).

وقال الشيخ محمد عبده في هامشه: (كان الناس يهتفون باسم أمير المؤمنين

للخلافه ، أى ينادون به وعثمان محصور ، فأرسل إليه عثمان يأمره أن يخرج إلى ينبع ، وكان فيها رزق لأمير المؤمنين فخرج ، ثم استدعاه لينصره فحضر ، ثم عاود الأمر بالخروج مره ثانيه) ! انتهى .

أقول: وقد نصح أمير المؤمنين (عليه السّلام) عثمان مرات ، نصيحه مشفق على المسلمين وعليه ، كما توسط مرات بينه وبين الصحابه والتابعين الشاكين ، وكان (عليه السّلام) يعطى الرأى الشرعى فى حل المشكله ، ولكن حاشيه عثمان خاصه مروان بن الحكم ، كانوا يخربون ما يصلحه على (عليه السّلام) ! وكانت آخر وساطات على (عليه السّلام) بين عثمان والوفد المصرى الواسع الذى جاء شاكياً تعسف الوالى الأموى مطالباً بتغييره ، فخضع عثمان لمطلبهم ، وكتب مرسوماً بتعيين محمد بن أبى بكر حاكماً على مصر ، وسافر الوالى الجديد مع الوفد ، لكنهم بعد مسافه قصيره قبضوا على مبعوث من عثمان يحمل رساله الى الوالى الأموى فى مصر ، يأمره فيها بضرب أعناق الوفد المصرى ومحمد بن أبى بكر ! فرجع المصريون الى المدينه غاضبين وانضم اليهم الناقمون من الصحابه وأهل الكوفه ، وحاصروا دار الخلافه مطالبين باستقاله عثمان !

ويظهر أن طلب عثمان الثانى من على (عليه السّلام) أن يخرج من المدينه ، كان فى أواخر حصاره ، وأن علياً (عليه السّلام) أطاعه ، فخرج الى بستان أنشأه خارج المدينه .

ففى أنساب الأشراف للبلاذرى: ص ٢٠٦ ، (عن أبى المتوكل ، قال: قتل عثمان وعلى بأرض له يقال لها البغيغه ، فوق المدينه بأربعة فراسخ ، فأقبل عليٌّ فقال له عمار بن ياسر: لتنصبنّ لنا نفسك أولئبد أن بك ، فنصب لهم نفسه فبايعوه). انتهى .

وما نقله عن عمار قد يكون كلام غيره ، فعمار (رحمه الله) أجلُّ من ذلك .

وفى كمال الدين للصدوق ص ٥٤٦ ، عن أبى الدنيا: (لما حوصر عثمان بن عفان

فى داره دعانى فدفع الى كتاباً ونجيباً وأمرنى بالخروج الى على بن أبى طالب وكان غائباً بينبع فى ضياعه وأمواله ، فأخذت الكتاب وسرت حتى إذا كنت بموضع يقال له: جدار أبى عبايه فسمعت قرآناً فإذا أنا بعلى بن أبى طالب يسير مقبلاً من بينبع وهو يقول: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ، فلما نظر إلى قال: يا أبا الدنيا ما وراءك ؟ قلت: هذا كتاب أمير المؤمنين عثمان ، فأخذه فقرأه فإذا فيه: فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ أَنْتِ آكِلِي...وإلا فأدركنى ولما أمزق

فإذا قرأه قال: برّ سرّ ، فدخل إلى المدينة ساعه قتل عثمان بن عفان فمال إلى حديقه بنى النجار ، وعلم الناس بمكانه فجاؤوا إليه ركضاً وقد كانوا عازمين على أن يبايعوا طلحه بن عبید الله ، فلما نظروا إليه ارفضوا إليه ارفضاض

الغنم يشد عليها السبع ، فبايعه طلحه ثم الزبير ، ثم بايع المهاجرون والأنصار) . انتهى.

وفى الأنساب للبلاذرى: ٥/٨١: عن ابن سيرين: لم يكن من أصحاب النبى (ص) أشد على عثمان من طلحه !

وفى شرح نهج البلاغه: ٩/٣٥: (روى أن عثمان قال: ويلي على ابن الحضرميه يعنى طلحه ، أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً ، وهو يروم دمي يحرض على نفسى ! اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه) . انتهى .

والبهار جلد ثور ، يوضع فيه الذهب غير المسكوك ، وقد يصل الى ٣٠٠ كيلو .

قال الأمينى فى الغدير: ٩/٩٦: (أخرج البلاذرى من طريق يحيى بن سعيد قال: كان طلحه قد استولى على أمر الناس فى الحصار ، فبعث عثمان عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، إلى على بهذا البيت:

وإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلى

وإلا فأدركنى ولما أمزق

وقال أبو مخنف: صلى على بالناس يوم النحر وثمان محصور فبعث إليه عثمان بيت الممزق ، وكان رسوله به عبد الله بن الحارث ، ففرق على الناس عن طلحه ، فلما رأى ذلك طلحه دخل على عثمان فاعتذر ، فقال له عثمان: يا ابن الحضرميه ! أَلَبَّتْ عَلَيَّ الناس ودعوتهم إلى قتلى ، حتى إذا فاتك ما تريد جئت معتذراً ، لا قبل الله ممن قبل عذرک .

الأنساب: ٥/٧٧). انتهى .

وفي كتاب الجمل للمفيد ص ٢٣٢: (وروى محمد بن إسحاق عن أبي جعفر الأسدی ، عن أبيه عن عبد الله بن جعفر، قال: كنت مع عثمان وهو محصور ، فلما عرف أنه مقتول بعثني وعبد الرحمن بن أزهر إلى علي (عليه السّلام) وقد استولى طلحه على الأمر وقال: إنطلقا وقولا له: إنك أولى بالأمر من ابن الحضرميه ، فلا يغلبنك علي أمر ابن عمك). انتهى.

علي (عليه السّلام) يستجيب لإصرار الصحابه والتابعين على بيعته !

بعد خمسه أيام أو ثمانية أيام من مقتل عثمان ، وإصرار الصحابه على علي (عليه السّلام) أن يقبل البيعه وينهض لإصلاح الأمور أجابهم (عليه السّلام) وبايعه في المسجد الذين بايعوا أبا بكر ، وخطب فقال (عليه السّلام):

(ذمتي بما أقول رهينه وأنا به زعيم ، إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات ، حجزته التقوى عن تقحم الشبهات . ألا وإن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيكم (صلى الله عليه و آله وسلم) ! والذي بعثه بالحق لتبليبن ببله ، ولتغربلن غربله ، ولتساطن سوط القدر ، حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقن سابقون كانوا قصرنا ، وليقصرن سابقون كانوا سبقوا ! والله ما كتمت وشمه ، ولا كذبت كذبه ، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم ! ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار . ألا- وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزمته فأوردتهم الجنة . حقُّ وباطلٌ ولكل أهل ، فلئن أمر الباطل لقديماً فعل ،

ص: ١٩٤

ولئن قل الحق فربما ولعل ، ولقلما أدبر شئ فأقبل) . (نهج البلاغه: ١/٤٦) .

وروى فى كنز العمال: ٥/٧٤٧ ، عن اللالكائى عن محمد بن الحنفية قال: لما قتل عثمان استخفى علىّ فى دار لأبى عمرو بن حصين الأنصارى فاجتمع الناس فدخلوا عليه الدار ، فتداكُّوا على يده ليبايعوه تداكك الإبل البُهم على حياضها... وقالوا إن هذا الرجل قد قُتل ولا بد للناس من إمام ، ولا نجد لهذا الأمر أحق منك ولا أقدم سابقه ، ولا أقرب برسول الله برحم منك . قال: لا تفعلوا فإنى وزيراً لكم خيراً لكم منى أميراً ، قالوا: والله ما نحن بفاعلين أبداً حتى نبايعك ! وتداكُّوا على يده ، فلما رأى ذلك قال: إن بيعتى لا تكون فى خلوه إلا فى المسجد ظاهراً ، وأمر منادياً فنادى المسجد ، فخرج وخرج الناس معه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: حق وباطل ولكل أهل ، ولئن كثر الباطل لقديماً فعل...الخ. فهى أول خطبه خطبها بعد ما استخلف). انتهى.

ص: ١٩٥

على (عليه السلام) يعيد العهد النبوي في احترام حقوق الإنسان !

لا إجبار عند عليّ على بيعه، ولا حطبٌ عنده، ولا حرق بيوت !

فواجه الأول هو إعادته الإرادة الحرة للإنسان المسلم ، التي صادرها زعماء قريش بمجرد أن أغمض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عينيه !

وكيف يجبر عليّ أحداً على بيعته ، وهو الإنسان الصافي الإنسانيه ، أباً عن جد من أبي طالب الى إبراهيم ، والى آدم (عليهم السلام) ، والمؤمن بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أنزل عليه والمستوعب لقضيه الإنسان وحقوقه المقدسه في شريعته الإسلام .

كيف يجبر أحداً على بيعته وهو التقى الذي يخاف من معصيه ربه في نمله يسلبها جلب شعير ، فكيف بالتعدى على حق إنسان له كرامته وحرمة عند الله ؟!

وهو الصادق عندما قصّ للمسلمين على المنبر قصه الأشعث زعيم كنده ، الذى أراد أن يرشيه ليوليه على منطقه من مناطق المسلمين ، فوسط له الوسطاء ، وتملق اليه بالكلام ، وجاءه بطبق حلوى !

قال (عليه السلام): (وأعجب من ذلك طارق طرفنا بملفوفه فى وعائها ، ومعجونه شنتتها ، كأنما عجت بريق حيه أوقيتها) يقصد قطر السكر فيها) ، فقلت أصله أم زكاه أم صدقه ، فذلك محرم علينا أهل البيت . فقال: لا ذا ولا ذاك ولكنها هديه . فقلت: هبلك الهبول ، أعن دين الله أتيتنى لتخدعنى ، أمختبط أنت أم زوجته أم تهجر ! والله لو أعطيت الأقاليم السبعه بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله فى نمله أسلبها جلب شعيره ما فعلت ، وإن دنياكم عندى لأهون من ورقه فى فم جراده تفضمها ! ما لعلّي ولنعيم يفنى ولذه لاتبقى) ! (نهج البلاغه: ٢/١٨)

لقد كان على (عليه السلام) الخليفه الوحيد الذى لم يجبر أحداً على بيعته ، ففضح بذلك اضطهاد من قبله ومن بعده للمسلمين ، ومصادرتهم لحررياتهم !

قالوا له: إن عبد الله بن عمر وسعد بن وقاص وأسامة بن زيد تخلفوا عن بيعته ، واستأذنه عمار بن ياسر أن يأتي بهم ليجبرهم على البيعة كما جرت سنه قريش ! فقال له: (دع عنك هؤلاء الرهط الثلاثة ، أما ابن عمر فضعيف في دينه ، وأما سعد بن أبي وقاص فحسود ، وأما محمد بن مسلمه فذنبى إليه أنى قتلت قاتل أخيه ، مرحباً يوم خير) . (المعيار والموازنه للإسكافي ص ١٠٨) .

وكان علي (عليه السلام) الخليفة الوحيد ، الذى أعطى الحرية لمعارضيه وناقديه والعاملين ضده ، ولم ينقص من حقوقهم من بيت المال ولا غيره شيئاً ، حتى لودعوا الى الخروج عليه والثوره ، مالم يباشروا فى ذلك !

(كان (عليه السلام) جالساً فى أصحابه ، فمرت بهم امرأه جميله فرمقها القوم بأبصارهم ! فقال (عليه السلام): إن أبصار هذه الفحول طوامح ، وإن ذلك سبب هبابها ، فإذا نظر أحدكم إلى امرأه تعجبه فليلمس أهلها ، فإنما هى امرأه كامرأه !

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه ! فوثب القوم ليقتلوه ، فقال (عليه السلام): رويداً ، إنما هوسب بسب ، أو عفو عن ذنب) . (نهج البلاغه: ٤/٩٨)

وبهذه الحرية التى أعطها أمير المؤمنين (عليه السلام) لخصومه ، فضح القرشيين الذين بطشوا بالناس لتهمة والظنه ، وقتلوهم على الكلمه ، وجعلوا رئيس الدوله أعظم حرمه من الله تعالى ورسله !

وكان علي (عليه السلام) الخليفة الوحيد الذى لم يجبر أحداً من المسلمين على الحرب معه ، بل ندب المسلمين الى نصرته ، وأوضح لهم حقه وباطل أعدائه ، فاستجاب له من أراد ، وتخلف عنه من أراد ! ولم يُنقص من حقوقهم شيئاً !

ففضح بذلك سياسه إجبار الناس على القتال ، التى وجدت قبل حكمه ، ثم

تفاقت بعده ، حتى وصلت الى أن: (بشر بن مروان بن الحكم كان إذا ضرب البعث على أحد من جنده ثم وجدته قد أدخل بمركزه ، أقامه على كرسى ثم سَمَّر يديه فى الحائط ثم انتزع الكرسى من تحت رجله ، فلا يزال يتشطح حتى يموت ! وإنه ضرب البعث على رجل حديث عهد بعرس ابنه عمه ، فلما صار فى مركزه كتب إلى ابنه عمه كتاباً ، ثم كتب فى أسفله:

لولا خلفه بشرٍ أو عقوبته

وأن يرى حاسدٌ كفى بمسما

إذا لعطلت ثغرى ثم زرتكم

إن المحب إذا ما اشتاق زوّار) .

(تاريخ دمشق: ١٠/٢٥٦)

ص: ١٩٨

على (عليه السلام) يلغى تمييز عمر بين المسلمين في العطاء

وعلى (عليه السلام) هو الخليفة الوحيد الذي أعاد العدالة النبويه في التسويه بين المسلمين في العطاء ، بعد أن ميزوا بينهم بعناوين ألبسوها ثوباً دينياً وشرفاً قُبلياً ! فمن كلام له (عليه السلام) في أواخر خلافته لما عوتب على التسويه في العطاء: (أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه ، والله ما أطورُ به ما سمر سمير ، وما أمَّ نجمٌ في السماء نجماً . لو كان المال لى لسويت بينهم ، فكيف وإنما المال مال الله . ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله ! ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم ، وكان لغيره ودهم ، فإن زلت به النعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم ، فشُرُّ خدين وألمُ خليل !) . (نهج البلاغه: ٢/٦) .

ولم يميز نفسه ولا عشيرته بنى هاشم عن فقراء المسلمين

وعلى (عليه السلام) هو الخليفة الوحيد ، الذي لم يميز نفسه وقبيلته عن عامه المسلمين بدرهم واحد ، وكان بعضهم في حاجه ماسه ! فمن كلام له (عليه السلام):

(والله لأين أبيت على حسك السعدان مسهداً ، وأجرٌ في الأغلال مصفداً ، أحبُّ إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، أو غاصباً لشيء من الحطام . وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ، ويطول في الثرى حلولها ! والله لقد رأيت عقياً وقد أملق ، حتى استماحنى من بر كم صاعاً ، ورأيت صبيانه شعث

الشعور غُبر الألوان من فقرهم ، كأنما سُودت وجوههم بالعِظلم ، وعاودنى مؤكداً وكرر على القول مردداً ، فأصغيت إليه سمعى فظن أنى أبيعه دينى وأتبع قياده مفارقاً طريقتى ، فأحميت له حديده ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها ، فضج ضجيج ذى دنف من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها ! فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل أئنن من

حديده أحماها إنسانها للعبه ، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه ! أثن من الأذى ولا أئن من لظى). (نهج البلاغه: ٢/٢١٦) .

وفى تاريخ اليعقوبى: ٢/١٨٣: (وأعطى الناس بالسويه لم يفضل أحداً على أحد ، وأعطى الموالى كما أعطى الصليبه ، وقيل له فى ذلك فقال: قرأت ما بين الدفتين

فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضل هذا ، وأخذ عوداً من الأرض ، فوضعه بين إصبعيه) . انتهى .

وروى فى دعائم الإسلام: ١/٣٨٤: أن علياً (عليه السّلام) أمر عمار بن ياسر ، وعبيد الله بن أبى رافع ، وأبا الهيثم بن التيهان ، أن يقسموا فيئاً بين المسلمين ، وقال لهم: إعدلوا فيه ولا تفضلوا أحد على أحد . فحسبوا فوجدوا الذى يصيب كل رجل من المسلمين ثلاثه دنانير ، فأعطوا الناس . فأقبل إليهم طلحه والزبير ومع كل واحد منهما ابنه ، فدفعوا إلى كل واحد منهم ثلاثه دنانير ، فقال طلحه والزبير: ليس هكذا كان يعطينا عمر ، فهذا منكم أو عن أمر صاحبكم ؟ قالوا: بل هكذا أمرنا أمير المؤمنين (عليه السّلام) ، فمضيا إليه فوجداه فى بعض أمواله قائماً فى الشمس على أجير له يعمل بين يديه ، فقالا: ترى أن ترتفع معنا إلى الظل ؟ قال: نعم ، فقالا له:

إننا أتينا إلى عمالك على قسمه هذا الفئ ، فأعطوا كل واحد منا مثل ما أعطوا سائر الناس ، قال: وما تريدان ؟ قالا: ليس كذلك كان يعطينا عمر . قال: فما كان رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) يعطيكما ؟ فسكتا ، فقال: أليس كان (صلى الله عليه و آله وسلم) يقسم بالسويه بين المسلمين من غير زياده ؟ قالا: نعم . قال: أفسنه رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) أولى بالإتباع عندكما أم سنه عمر ؟ قالا: سنه رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) ، ولكن يا أمير المؤمنين لنا سابقه وعناء وقرابه ، فإن رأيت أن لا تسوينا بالناس فافعل ، قال: سابقتكما أسبق أم سابقتى ؟ قالا: سابقتك ، قال: فقرابتكما أقرب أم قرابتى ؟ قالا: قرابتك ، قال:

ص: ٢٠٠

فَعَنَّاؤُكُمْ أَعْظَمُ أَمْ عَنَّاؤِي؟ قَالَ: بَلْ أَنْتَ أَعْظَمُ عَنَاءً ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَنَا وَأَجِيرِي هَذَا فِي هَذَا الْمَالِ إِلَّا بِمَنْزِلِهِ وَاحِدِهِ ، وَأَوْمِي بِيَدِهِ إِلَى الْأَجِيرِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ !

قَالَ: جِئْنَا لِهَذَا وَغَيْرِهِ ، قَالَ: وَمَا غَيْرُهُ؟

قَالَ: أَرَدْنَا الْعَمْرَةَ فَأُذِنَ لَنَا ، قَالَ: إِنِّ نَظَرْنَا فَمَا الْعَمْرَةَ تَرِيدَانِ! وَلَقَدْ أُنْبِئْتُ بِأَمْرِكُمَا وَأُرَيْتُ مَضَاجِعَكُمَا! فَمَضِيَا ، وَهُوَ يَتَلَوُ وَهُمَا يَسْمَعَانِ: فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)!

وفى نهج البلاغه: ٢/١٨٥، فى كلام له (عليه السلام) مع طلحه والزبير: (وأما ما ذكرتما من أمر الأسوه ، فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأى ، ولا- وليته هوى منى ، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد فرغ منه ، فلم أحتج إليكما فيما فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه ، فليس لكما والله عندى ولا لغير كما فى هذا عتبي . أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق ، وألهمنا وإياكم الصبر). انتهى .

ص: ٢٠١

وكان عمر مَيَّز بين المسلمين بالعطاء تمييزاً فاحشاً!

وقد أدى ذلك الى فساد الصحابه حكام الولايات الذين اختارهم هو ، فحكم عليهم بالخيانة وصادر نصف أموالهم ، لأنهم بتعبيره أكثروا من السرقة !

قال فى أسد الغابه: ٤/٣٣٠: (محمد بن مسلمة.... وهو كان صاحب العمال أيام عمر كان عمر ، إذا شكى إليه عامل أرسل محمداً يكشف الحال ، وهو الذى أرسله عمر إلى عماله ليأخذ شطر أموالهم).

وقال اليعقوبى فى تاريخه: ٢/١٥: (وشاطر عمر جماعه من عماله أموالهم . قيل إن فيهم سعد بن أبى وقاص عامله على الكوفه ، وعمرو بن العاص عامله على مصر ، وأبا هريره عامله على البحرين ، والنعمان بن عدى بن حريثان عامله على ميسان ، ونافع بن عمرو والخزاعى عامله على مكه ، ويعلى بن منيه عامله على اليمن . وامتنع أبو بكره من المشاطره وقال: والله لئن كان هذا المال لله ، فما يحل لك أن تأخذ بعضاً وتترك بعضاً ، وإن كان لنا فما لك أخذه)!

وفى تاريخ دمشق: ٥٥/٢٧٨ ، وتاريخ ابن خياط ص ٨١ وغيرهما: (بعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة إلى عمرو بن العاص وكتب إليه: أما بعد فإنكم معشر العمال تقدمتم على عيون الأموال، فجيتتم الحرام، وأكلتم الحرام، وأورثتم الحرام! وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصارى فيقاسمك مالك، فأحضره مالك. والسلام).

وقال ابن كثير فى النهايه: ٧/٢٣: (وكتب عمر إلى أبى عبيده: إن أكذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه، وإن لم يكذب نفسه فهو معزول ، فانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين!.... فقاسمه أبو عبيده حتى أخذ إحدى نعليه وترك له الأخرى) !! انتهى . ومعنى أكذب نفسه أى تراجع عن الطعن فى حسب عمر !

وقال عمر لأبى هريره: (يا عدو الله وعدو الإسلام خنت مال الله ! قال قلت: لست عدو الله ولا عدو الإسلام ، ولكنى عدو من عاداهما ولم أحن مال الله

ولكنها أثمان إبلى وسهام اجتمعت . قال فأعادها عليّ ، وأعدت عليه هذا الكلام ! قال فغَرَمَنِي اثني عشر ألفاً) !! (مستدرك الحاكم: ٢/٣٤٧) .

وفى العقد الفريد: ١/٤٥ ، أن عمر عزل أبا موسى الأشعري عن البصره وشاطره ماله ، وعزل الحارث بن وهب وشاطره ماله ، وكتب الى عمرو بن العاص: بلغني أنه قد فشت لك فاشيه من خيل وإبل وبقر وعبيد ، فمن أين لك هذا ؟ فكتب: إني أعالج من الزراعة ما لا يعالجه الناس ، فشاطره ماله حتى أخذ إحدى نعليه ، فغضب ابن العاص وقال: قبح الله زماناً عمل فيه ابن العاص لابن الخطاب ، والله إني لأعرف الخطاب يحمل على رأسه حزمه من حطب ، وعلى ابنه مثلها) .

وفى كنز العمال: ٥/٨٥١: (كان سبب مقاسمه عمر بن الخطاب مال العمال أن خالد بن الصعق قال شعراً ، كتب به إلى عمر بن الخطاب :

أبلغ أمير المؤمنين رسالته

فأنت ولئى الله فى المال والأمر

فلا تدعن أهل الرساتيق والجزا

يشيعون مال الله فى الأدم الوفير

فأرسل إلى النعمان فاعلم حسابه

وأرسل إلى جزء وأرسل إلى بشر

ولا تنسين النافقين كليهما

وصهر بنى غزوان عندك ذو وفر

ولا تدعوني للشهاده إننى

أغيب ولكننى أرى عجب الدهر

من الخيل كالغزلان والبيض والدمى

وما ليس ينسى من قرام ومن ستر

ومن ريطه مطويه فى صوانها

ومن طى أستار معصفره حمر

إِذَا التَّاجِرُ الْهِنْدِيُّ جَاءَ بِفَارِهِ

مِنَ الْمَسْكِ رَاحَتْ فِي مَفَارِقِهِمْ تَجْرِي

نَبِيْعٌ إِذَا بَاعُوا وَنَغَزُوا إِذَا غَزَوْا

فَأَنَّى لَهُمْ مَالٌ وَلَسْنَا بَدَىٰ وَفِرٍ

فَقَاسَمَهُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكَ إِنَّهُمْ

سِيرَ ضُونَ إِنْ قَاسَمْتَهُمْ مِنْكَ بِالشَّطْرِ

فقاسمهم عمر نصف أموالهم ، وفي روايه فقال: فإننا قد أعفيناه من الشهاده ونأخذ منهم النصف) !! انتهى .

ص: ٢٠٣

والى الآن لم يستطع قانونى ولا فقيه أن يبين الوجه الشرعى لعمل عمر هذا!

أما الذين كان يثق عمر بأمانتهم من قادة الفتوحات وعمال الأمصار ، فهم شيعة على (عليه السلام) ! كعمار ، وسلمان ، وحذيفه ،
وخالد بن سعيد بن العاص الأموى وأخيه أبان ، وعثمان بن حنيف ، وهاشم المرقال ، وعمرو بن الحمق ، والأشتر ، وغيرهم من
القاده الفرسان ، فهؤلاء فوق التهمة وليس عندهم ما يقاسمهم إياه !

نعم ، ذكرت المصادر اثنين من الحكام خصهما عمر بالإعفاء من مصادره نصف أموالهما ، هما معاوية الأموى وقنفذ العدوى !
أما معاوية فكان الوحيد من بين أصدقائه وأولاده ، الذى لم يوبخه عمر يوماً على أعماله ولم يحاسبه على أمواله ! وكان يعجبه
بذخه ويقول هذا كسرى العرب ! (أسد الغابه: ٤/٣٨٦)

وأما قنفذ العدوى ، فلم يحاسبه عمر لأنه كلفه بمهمه خاصه جداً لا يجسر عليها أحد من المسلمين ، فنفذه ، وكان معروفاً
بالقسوه ! (فقال العباس لعلى: ما ترى عمر منعه من أن يغرم قنفذاً كما أغرم جميع عماله؟ فنظر على إلى من حوله ثم اغرورقت
عيناه بالدموع ثم قال: شكر له ضربهً ضربها فاطمه بالسوط ، فماتت وفى عضدها أثره كأنه الدمليج ! ثم قال (عليه السلام): العجب
مما أشربت قلوب هذه الأمه من حب هذا الرجل وصاحبه من قبله ، والتسليم له فى كل شئ أحدثه ! لئن كان عماله خونه وكان
هذا المال فى أيديهم خيانه ما كان حل له تركه ، وكان له أن يأخذه كله فإنه فىئ المسلمين ، فما له يأخذ نصفه ويترك نصفه؟!
ولئن كانوا غير خونه فما حل له أن يأخذ أموالهم ولا شيئاً منهم قليلاً ولا كثيراً ، وإنما أخذ أنصافها . ولو كانت فى أيديهم خيانه
ثم لم يقرؤا بها ولم تقم عليهم البيهه ما حل له أن يأخذ منهم قليلاً ولا كثيراً! وأعجب من ذلك إعادته إياهم إلى أعمالهم ! لئن
كانوا خونه ما حل له أن يستعملهم ، ولئن كانوا غير خونه ما حلت له أموالهم). (كتاب سليم ص ٢٢٣).

ص: ٢٠٤

وعلى (عليه السلام) هو الخليفة الوحيد الذي لم تشتك رعيته من ظلمه

بل كان هو يشكو هو من ظلم رعيته له ويقول:

(أما والذي نفسى بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ، ليس لأنهم أولى بالحق منكم ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم عن حقى !

ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها ، وأصبحت أخاف ظلم رعيتى !

إستنفرتكم للجهاد فلم تنفروا ، وأسماعتكم فلم تسمعوا ، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا . أشهدُ كغياب ، وعبيدُ كأرباب ! أتلو عليكم الحِكم فتنفرون منها ، وأعظكم بالموعظه البالغه فتتفرقون عنها ! وأحثكم على جهاد أهل البغى فما آتى على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيادى سبا ، ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم ! أفومكم غدوةً وترجعون إلى عشيهِ كظهر الحيه عجز المقوم وأعضل المقوم ! أيها الشاهده أبدانهم ، الغائبه عقولهم ، المختلفه أهواؤهم ، المبتلى بهم أمراؤهم ! صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه ! وصاحب أهل الشام يعصى الله وهم يطيعونه ! لوددتُ والله أن معاويه صاربنى بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذ منى عشره منكم وأعطانى رجلاً منهم) . (نهج البلاغه: ١/١٨٧) .

ص: ٢٠٥

الموجه الثانيه ضد العتره وشيعتهم حروب قريش على إسلام علي (عليه السلام)

قاد الفئه التي خرجت على علي (عليه السلام) في خلافته: عائشه بنت أبي بكر ، وابن عمها طلحه التيمي ، وزوج أختها الزبير بن العوام من بني أسد عبد العزى ، ومعاويه الأموى وارث أبيه أبي سفيان ، ووالى الشام لعمر وعثمان . ثم الخوارج . ودبروا له ثلاثه حروب هي: حرب الجمل ، وحرب صفين ، وحرب النهروان !

كانت عائشه تريد الخلفه لبني تيم !

نقمت عائشه على عثمان حتى حرضت المسلمين عليه بفتواها المشهوره: (أقتلوا نعتلاً فقد كفر) ! وكان هدفها أن تتفاهم النقمه عليه فيقتله الصحابه والناقمون من الأمصار ، ويباع المسلمون قرابتها طلحه التيمي ، ثم يعهد طلحه بالخلفه الى أحد إخوتها من أبناء أبي بكر !

وكان حسابها في ذلك مبنياً على مكانه أبي بكر ، وأن طلحه من كبار الصحابه وصاحب ثروه خياليه ، فهو يستطيع بمساعدته ابنه عمه أم المؤمنين ، أن يطرح نفسه عند مقتل عثمان ، ويقنع الصحابه ببيعتة !

وقد استعانت عائشه لهدفها بكل وسيله ، ومنها حديث تفردت بروايته ، قالت فيه: (قال لى رسول الله (ص) فى مرضه: أدعى لى أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإنى أخاف أن يتمنى متمنٌ ويقول قائل: أنا أولى!) (مسلم: ٧/١١٠) .

ولا بد أن يكون كلامها هذا بعد وفاه عمر ، لأن أبا بكر وعمر لم يحتجاً بالنص أبداً ، وإنما احتجاً بأن محمداً من قريش وهما يمثلان قبائل قريش فهما أولى بسلطانه ، قال عمر: (ولنا بذلك على من أبى من العرب الحججه الظاهره والسلطان

المبين . من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلا مدلّ بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكه . (تاريخ الطبري: ٢/٤٥٧) .

ومع أن حديث عائشه في صحيح مسلم ، فلو كان صحيحاً لكان أكبر حجة لأبي بكر وعمر! ولاحتج به طلحه على أبي بكر عندما اعترض عليه كيف أخرج الخلفه من بنى تيمم وأوصى بها الى عمر !

قال السيد ناصر حسين الهندي في إفحام الأعداء والخصوم ص ١٠٠:

(قال ابن تيميه ، في منهاج السنه ، في ضمن كلام له يذكر فيه عمر ما لفظه: ولهذا لما استخلفه أبو بكر كره خلافته طائفه ، حتى قال له طلحه: ماذا تقول لربك إذا وليت علينا فظاً غليظاً؟! فقال: أبا الله تخوفوني ، أقول: وليت عليهم خير أهلك) . (منهاج السنه ٢: ١٧٠ ط بولاق) .

بل كان عمر الى آخر حياته يؤكد أن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) لم يوص ولم يستخلف أبداً!

قال البخارى: ٨/١٢٦: (قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير منى رسول الله).

ولكن عائشه رأت أن الخلفه ذهبت بعيداً عن عشيرتها بنى تيمم ، مع أن منها أبو بكر وابنته أم المؤمنين عائشه ، وإخوتها أولاد أبي بكر ، وابن عمها طلحه بن عبيدالله ! فنقمت على عثمان ثم على على (عليه السلام) ، وأيدت هدفها بهذا الحديث ، تضاهى فيه حديث الدواه المتواتر حيث أمرهم النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) أن يلتزموا له بالتنفيذ ليكتب لهم كتاباً بخلافه على والعترة الطاهره من ذريته (عليهم السلام) فلا يضلوا بعده أبداً!

أفت عائشه بقتل عثمان..ثم طالبت بئاره!

يظهر أن طلحه هو الذى كان ينفق على عائشه ، بعد أن قطع عثمان ميزانيتها الشخصيه الكبيره التى ميزها بها عمر ، فقد روى الطبرى (الشيعى) فى المسترشد

ص: ٢٠٧

ص ٥٠٧: (أن عائشه وحفصه أتتا عثمان بن عفان تطلبان منه ما كان أبواهما يعطيانهما ، فقال لهما: لا والله ولا كرامه ، ما زاد لكما عندي ! فألحّتا ، وكان متكئاً فجلس وقال: ستعلم فاطمه أئى ابن عم لها أنا اليوم ! ثم قال لهما: ألستما اللتين شهدتما عند أبويكما ولفقتما معكما أعرابياً يتطهر ببوله ، مالك بن أوس بن الحدّثان ، فشهدتما معه أن النبي(ص)قال: لا نورث ما تركناه صدقه !؟ فمرة تشهدون أن ما تركه رسول الله صدقه ، ومرة تطالبون ميراثه) ! انتهى.

وفى أمالى المفيد ص ١٢٥: (فقال لها: لا- أجد لك موضعاً فى الكتاب ولا- فى السنه ، وإنما كان أبوك وعمر بن الخطاب يعطيانك بطيبه من أنفسهما ، وأنا لا أفعل . قالت

له: فأعطني ميراثي من رسول الله(ص) فقال لها: أولم تجيئى أنت ومالك بن أوس النصرى فشهدتما أن رسول الله(ص) لا يورث ، حتى منعتما فاطمه ميراثها وأبطلتما حقها ، فكيف تطلبين اليوم ميراثاً من النبي(ص)؟!)

فتركته وانصرفت ! وكان عثمان إذا خرج إلى الصلاه أخذت قميص رسول الله(ص)على قصبه فرفعته عليها ثم قالت: إن عثمان قد خالف صاحب هذا القميص ، وترك سنته !!). انتهى .

وقال الرازى فى المحصول:٤/٣٤٣: (الحكاية الثانية أن عثمان عنه آخر عن عائشه بعض أرزاقها فغضبت ثم قالت: يا عثمان أكلت أمانتك وضيعت الرعيه وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتك ! والله لولا- الصلوات الخمس لمشى إليك أقوام ذووا بصائر يذبونك كما يذبح الجمل !

فقال عثمان: ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا- لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغَيِّرْنَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ . فكانت عائشه تحرض عليه جهدها وطاقتها وتقول: أيها الناس هذا

قميص رسول الله (ص) لم يَلِّ وقد بليت سنته ! أقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً .

ثم إن عائشه ذهبت إلى مكه ، فلما قضت حجها وقربت من المدينه أخبرت بقتل عثمان فقالت: ثم ماذا؟ فقالوا: بايع الناس على بن أبي طالب ، فقالت عائشه: قتل عثمان والله مظلوماً وأنا طالبه بدمه، والله ليومٌ من عثمان خير من على الدهر كله !! فقال لها عبيد بن أم كلاب: ولم تقولين ذلك ، فوالله ما أظن أن بين السماء والأرض أحداً في هذا اليوم أكرم على الله من على بن أبي طالب ، فلم تكرهين ولايته ؟ ألم تكوني تحرضين الناس على قتله فقلت: أقتلوا النعتل فقد كفر؟!!

فقالت عائشه: لقد قلت ذلك ، ثم رجعت عما قلت ! وذلك أنكم أسلمتموه حتى إذا جعلتموه في القبضه قتلتموه ، والله لأطلبن بدمه !

فقال عبيد بن أم كلاب: هذا والله تخليط يا أم المؤمنين). انتهى .

وينبغي الإشارة الى أن الفخر الرازي من ذريه أبي بكر ، فعائشه عمته !

وفى شرح النهج: ٦/٢١٥: (وروى المدائني في كتاب الجمل ، قال: لما قتل عثمان كانت عائشه بمكه وبلغ قتله إليها وهي بسراف ، فلم تشك في أن طلحه هو صاحب الأمر ، وقالت: بعداً لنعتل وسحقاً ! إيه ذا الإصبع ! إيه أبا شبل ! إيه يا ابن عم ! لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له: حُثُوا الإبل ودعدعوها .

قال: وقد كان طلحه حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال ، وأخذ نجائب كانت لعثمان في داره ، ثم فسد أمره فدفعها إلى على بن أبي طالب !

وقال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه: إن عائشه لما بلغها قتل عثمان وهي بمكه أقبلت مسرعه وهي تقول: إيه ذا الإصبع لله أبوك ! أما إنهم وجدوا طلحه لها كفواً . فلما انتهت إلى سراف استقبلها عبيد بن أبي سلمه الليثي ، فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان ،

قالت: ثم ماذا؟ قال: ثم حارت بهم الأمور إلى خير محار ، بايعوا علياً ، فقالت: لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن

تم هذا! ويحك! أنظر ما تقول؟! قال: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين ، فولوت! فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين! والله ما أعرف بين لابتئها أحداً أولى بها منه ولا- أحق ، ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته ، فلماذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردت عليه جواباً! قال: وقد روى من طرق مختلفه أن عائشه لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة ، قالت: أبعد الله! ذلك بما قدمت يداه ، وما الله بظلام للعبيد .

قال: وقد روى قيس بن أبي حازم أنه حج في العام الذي قتل فيه عثمان وكان مع عائشه لما بلغها قتله ، فتُحْمَلُ إلى المدينة ، قال: فسمعها تقول في بعض الطريق: إبه ذا الإصبع! وإذا ذكرت عثمان قالت: أبعد الله! حتى أتاها خبر بيعه على فقالت: لوددت أن هذه وقعت على هذه! ثم أمرت برد ركائبها إلى مكة فردت معها ، ورأيتها في سيرها إلى مكة تخاطب نفسها ، كأنها تخاطب أحداً: قتلوا ابن عفان مظلوماً! فقلت لها: يا أم المؤمنين ، ألم أسمعك آنفاً تقولين: أبعد الله ، وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً!

فقالت: لقد كان ذلك ، ولكنني نظرت في أمره ، فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضه البيضاء ، أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه!

قال: وروى من طرق أخرى أنها قالت لما بلغها قتله: أبعد الله ، قتله ذنبه ، وأقاده الله بعمله! يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان ، كما سام أحيمر ثمود قومه! إن أحق الناس بهذا الأمر ذو الإصبع (تقصد طلحه ، وكانت إصبغه مشلوله) فلما جاءت الأخبار ببيعه على قالت: تَعَسُوا تَعَسُوا! لا يردون الأمر في تيم أبداً!!

وكتب طلحه والزبير إلى عائشه وهي بمكة كتاباً: أن خذلي الناس عن بيعه على وأظهرى الطلب بدم عثمان ، وحملا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير فلما قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان (!!)

وأكد الطبري روايه المدائني ، فقال في تاريخه: ٣/٤٧٦: (إن عائشه لما انتهت إلى سرف راجعه في طريقها إلى مكه ، لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد بن أبي سلمه ينسب إلى أمه فقالت له: مهيم؟ قال: قتلوا عثمان فمكثوا ثمانياً . قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالإجماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز ، إجتمعوا على علي بن أبي طالب! فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تمّ الأمر لصاحبك! ردوني ردوني! فانصرفت إلى مكه وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً والله لأطلبن بدمه! فقال لها ابن أم كلاب: ولم ، فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ، ولقد كنت تقولين: أقتلوا نعثلاً فقد كفر!

قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأول! فقال لها ابن أم كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير

ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الإمام

وقلت لنا إنه قد كفر

فهبنا أطعناك في قتله

وقاتله عندنا من أمر

فلم يسقط السقف من فوقنا

ولم تنكسف شمسنا والقمر

وقد بايع الناس ذا تدراً

يزيل الشبا ويقيم الصعز

ويلبس للحرب أثوابها

وما من وفي مثل من قد غدر

فانصرفت إلى مكه فنزلت على باب المسجد ، فقصدت للحجر فسترت ، واجتمع إليها الناس فقالت: يا أيها الناس إن عثمان قتل مظلوماً والله لأطلبن بدمه!.

طلحه ويعلى يمّولان حرب الجمل ضد علي (عليه السلام)!

تحدث الرواه عن ثروه عثمان ، وطلحه ، والزبير ، وابن عوف ، وبقية الصحابه أركان حكم أبي بكر وعمر وعثمان ، فقال ابن خلدون فى تاريخه: ١/٢٠٤: (فى أيام عثمان اقتنى الصحابه الضياع والمال ، فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائه ألف دينار ، وألف ألف درهم ، وقيمه ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائتا ألف دينار ، وخلف إبلاً وخيلاً كثيره .

وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار ، وخلف ألف فرس وألف أمه . وكانت غله طلحه من العراق ألف دينار كل يوم ، ومن ناحيه السراه أكثر من ذلك . وكان على مربوط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير ، وعشره آلاف من الغنم). انتهى .

وقال ابن سعد فى الطبقات: ٣/٢٢٢: (كانت قيمه ما ترك طلحه بن عبيد الله من العقار والأموال وما ترك من الناض ثلاثين ألف ألف درهم ، ترك من العين ألفى ألف ومائتى ألف درهم ، ومائتى ألف دينار ، والباقى عروض . . . قال عمرو بن العاص: حدثت أن طلحه بن عبيد الله ترك مائه بهار ، فى كل بهار ثلاث قناطر ذهب ، وسمعت أن البهار جلد ثور). انتهى .

أقول: ينبغى الإلتفات الى أن هذه الثروه تركها طلحه بعد أن أنفق ملايين منها على حرب الجمل ، التى قتل قبل بدايتها ! ويتعجب الإنسان من حرصه حيث استقرض أربعين ألف دينار من أحد ولاء عثمان الأمويين ، الذين جاؤوا بأموال المسلمين التى كانت بأيديهم ، لمساعدته الخارجين على أمير المؤمنين (عليه السلام) !

قال ابن حبان فى الثقات: ٢/٢٧٩: (وقدم يعلى بن أميه من اليمن وقد كان عاملاً عليها ، بأربعمائه من الإبل فدعاهم إلى الجملان (أن ينقل الجنود الى البصره مجاناً) ، فقال له الزبير: دعنا من إبلك هذه ، ولكن أقرضنا من هذا المال ! فأعطاه ستين

ألف دينار وأعطى طلحه أربعين ألف دينار ، فتهجزوا وأعطوا من خفّ معهم) !

ويعلی ابن أمیه ويقال له ابن منیه وهی أمه ، وهو تمیمی حلیف لبني أمیه ، كان عاملاً لعمر وعثمان على اليمن، وهو من رجال البخاری) (التاریخ الكبير: ۸/۲۵۵) ويظهر أن تمويله لحرب الجمل كان أساسياً ، وقد يكون كله عن طريق طلحه !

فقد قال علی (عليه السلام) في العهد الذي كتبه ليقراً على المسلمين كل جمعه: (وأعانهم عليّ يعلی بن منیه بأصوغ الدنانير ، والله لئن استقام أمری لأجعلن ماله فيئاً للمسلمين) ! (نهج السعادة: ۵/۱۹۴)

وينبغي أن تعرف أن القوه الشرائيه للدرهم أن الشاه كانت في عصر النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) بخمسه دراهم ، فالأربعون شاه في الزكاه تقابل مئتي درهم. (تذكره الفقهاء: ۲/۲۰۸ ، ومبسوط السرخسي: ۲/۱۵۰). وفي أعلام النبلاء: ۲/۳۲۰: (أن عمر وجه عثمان بن حنيف على خراج السواد، ورزقه كل يوم ربع شاه وخمسه دراهم). فراتب الوالي على خراج العراق ألف وخمس مئه درهم ، مع ربع ذبيحه يومياً لعائلته وضيوفه .

وقد استمرت هذه القوه الشرائيه الى القرن الثالث ، فقد جاء في الطبري: ۸/۱۶۶ في قصه هجوم الخليفه العباسي على بني شيبان في الموصل: (فأوقع بهم فقتل منهم

مقتله عظيمه وغرق منهم خلق كثير في الزابين ، وأخذ النساء والذراري ، وغنم أهل العسكر من أموالهم ما أعجزهم حمله ، وأخذ من غنمهم وإبلهم ما كثر في أيدي الناس ، حتى بيعت الشاه بدرهم ، والجمل بخمسه دراهم!). انتهى.

يقصد أن هذا السعر غير العادي كان بسبب كثره الغنائم ، وإلا فمعدل ثمن الشاه خمسه دراهم ، والجمل مئه درهم ، فهو معدل ثابت من زمن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) ، وقد ينقص الثمن عنه أو يزيد تبعاً لجوده السلعه ، ورغبه المشتري ، والظرف الطارئ . (راجع البخاری: ۳/۱۵ ، وفتح الباري: ۵/۲۳۴ ، وكنز العمال: ۶/۵۷۳).

أما ثمن جمل عائشه فكان استثنائياً أكثر من ألف درهم ، كما سيأتي !

طلحه والزبير .. الى العمره .. أم الغدره !!

كل شئ صار جاهزاً! فقد أعلنت عائشه الثوره على على (عليه السلام) بشعار المطالبه بدم الخليفه الشهيد المظلوم عثمان! والتحق بها بعض ولاء عثمان الذين عزلهم على (عليه السلام) أو عرفوا أنه سيعزلون ، فتركوا ولاياتهم وجاؤوا بملايينهم!

وأخذت عائشه وطلحه والزبير يجمعون الرجال ، ويشترون السلاح والجمال ، ويتجمع الثائرون في مكه حول أم المؤمنين التي نصبت خيمه في حجر إسماعيل ولم يبق إلا أن يحضر القائدان الآخران طلحه والزبير من المدينه ، التي لا فائده فيها للخارجين على على (عليه السلام) لأن

أهلها معه!

في خصائص الأئمه للشريف الرضى ص ٦١: عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (لما قدم عبد الله بن عامر بن كريز المدينه لقي طلحه والزبير فقال لهما: بايعتما على بن أبي طالب! فقال: أما والله لا يزال ينتظر بها الحبالى من بنى هاشم ، ومتى تصير اليكما؟! (أى سوف لا تخرج الخلافه من بنى هاشم بل سيُنْتَظَرُ بها المولود أن يولد)!

أما والله على ذلك (شهيد) ما جئت حتى ضربت على أيدي أربعه آلاف من أهل البصره كلهم يطلبون بدم عثمان ، فدونكما فاستقبلا أمركما! فَأَتِيَا عَلِيًّا فَقَالَا: له: إئذن لنا فى العمره ، فقال: والله إنكما تريدان العمره وما تريدان نكتاً ولا فراقاً لأمتكما ، وعليكما بذلك أشد ما أخذ الله على النبيين من ميثاق؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أَللّهُم اشهد ، إذهبوا وانطلقا ، والله لا أراكما إلا فى فئه تقاتلنى).

ص: ٢١٤

صاحبه الجمل الأدب..تنبحها كلاب الحوآب !

قال ابن حجر فى فتح البارى:١٣/٤٥: (عن ابن عباس أن رسول الله(ص)قال لنسائه: أيتكن صاحبه الجمل الأدب (بهمزه مفتوحه ودال ساكنه ثم موحدتين الأولى مفتوحه) تخرج حتى تنبحها كلاب الحوآب ، يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيره ، وتنجو من بعد ما كادت . وهذا رواه البزار ورجاله ثقات..... محمد بن قيس قال ذكر لعائشه يوم الجمل ، قالت: والناس يقولون يوم الجمل؟! قالوا: نعم ، قالت: وددت أنى جلست كما جلس غيرى ، فكان أحب الئى من أن أكون ولدت من رسول الله(ص)عشره).انتهى. وقد حذفوا من الحديث قوله(صلى الله عليه و آله وسلم):(كلهم فى النار)!

وفى تاريخ اليعقوبى:٢/١٨٠: (أتاه طلحه والزبير فقالا:- أنا نريد العمرة ، فأذن لنا فى الخروج . وروى بعضهم أن علياً قال لهما ، أولبعض أصحابه: والله ما أرادا العمرة ، ولكنهما أرادا الغدره ! فلحقاً عائشه بمكة فحرضها على الخروج ، فأنت أم سلمه بنت أبى أميه زوج رسول الله(ص)فقالت: إن ابن عمى وزوج أختى أعلمانى أن عثمان قتل مظلوماً ، وأن أكثر الناس لم يرض ببيعه على ، وأن جماعه ممن بالبصره قد خالفوا ، فلو خرجت بنا لعل الله أن يصلح أمر أمه محمد على أيدينا ؟ فقالت لها أم سلمه: إن عماد الدين لا- يقام بالنساء ، حماديات النساء غضُّ الأبصار وخفض الأطراف وجر الذيول . إن الله وضع عنى وعنك هذا ، ما أنت قائله لو أن رسول الله(صلى الله عليه و آله وسلم)عارضك بأطراف الفلوات قد هتكت حجاباً قد ضربه عليك! فنادى مناديتها: ألا إن أم المؤمنين مقيمه ، فأقيموا .

وأتاها طلحه والزبير وأزالاها عن رأيها ، وحملها على الخروج ، فسارت إلى البصره مخالفه على على ، ومعها طلحه والزبير فى خلق عظيم ، وقدم يعلى بن منيه بمال من مال اليمن قيل: إن مبلغه أربعمائه ألف دينار ، فأخذه منه طلحه

والزبير فاستعاننا به وسارا نحو البصره . ومَرَّ القوم في الليل بماء يقال له: مُرُّ الحوَاب فنبحتهم كلابه فقالت عائشه: ما هذا الماء؟ قال بعضهم: ماء الحوَاب . قالت: إنا لله وأنا إليه راجعون! ردوني ردوني! هذا الماء الذي قال لي رسول الله: لا تكوني التي تضحك كلاب الحوَاب . فأتاها القوم بأربعين رجلاً فأقسموا بالله أنه ليس بماء الحوَاب)! انتهى .

وفي تاريخ الطبري: ٣/٤٧٥: (عن العرنى صاحب الجمل (الذي باعه لعائشه) قال: بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال: يا صاحب الجمل تبع جملك؟ قلت: نعم ، قال: بكم؟ قلت: بألف درهم! قال: مجنون أنت! جملٌ يباع بألف درهم؟! قال قلت: نعم ، جملي هذا! قال: وممّ ذلك؟ قلت: ما طلبت عليه أحداً قط إلا أدركته ولا طلبني وأنا عليه أحد قط إلا فُتّه . قال: لو تعلم لمن نريده لأحسنت بيعنا . قال قلت: ولمن تريده؟ قال: لأمك . قلت: لقد تركت أمي في بيتها قاعده ما تريد براحاً! قال: إنما أريده لأم المؤمنين عائشه . قلت: فهو لك فخذ به غير ثمن! قال: لا ، ولكن إرجع معنا إلى الرجل فلنعطك ناقة مهرية ونزيدك دراهم . قال: فرجعت فأعطوني ناقة لها مهرية ، وزادوني أربعمائة أوستمائه درهم . فقال لي: يا أخا عرينه ، هل لك دلالة بالطريق؟ قال قلت: نعم ، أنا من أدرك الناس . قال: فسر معنا فسرت معهم ، فلا أمرٌ على واد ولا ماء إلا سألوني عنه ، حتى طرقنا ماء الحوَاب فنبحتنا كلابها! قالوا: أي ماء هذا؟ قلت: ماء الحوَاب! قال: فصرخت عائشه بأعلى صوتها ، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ، ثم قالت: أنا والله صاحبه كلاب الحوَاب ، طروقاً ردوني! تقول ذلك ثلاثاً! فأناخت وأناخوا حولها ، وهم على ذلك وهي تأبى حتى كانت الساعه التي أناخوا فيها من الغد ، فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء ، فقد أدرككم

والله على بن أبي طالب ! قال فارتحلوا وشموني ، فانصرفت فما سرت إلا قليلاً وإذا أنا بعلي وركب معه نحو من ثلثمائه ، فقال لي علي: يا أيها الراكب ، فأتيته ، فقال: أين أتيت الطعينة ؟ قلت في مكان كذا وكذا وهذه ناقتها وبعثهم جملي . قال: وقد ركبتك ؟ قلت: نعم وسرت معهم حتى أتينا ماء الحوآب فنبحت عليها كلابها فقالت كذا وكذا ! فلما رأيت اختلاط أمرهم انفلتت وارتحلوا (! انتهى .

وفى الكافئه فى رد توبه الخاطئه ص ١٨: (كتبت أم الفضل بنت الحارث مع عطاء مولى ابن عباس إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) بنفير طلحه والزبير وعائشه من مكه بمن نفر معهم من الناس ، فلما وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) على الكتاب قال محمد بن أبى بكر: ما للذين أوردوا ثم أصدروا ، غداه الحساب من نجاه ولا عذر .

ثم نودى من مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الصلاة جامعه ، فخرج الناس وخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ، فإن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) قلنا: نحن أهل بيته وعصبته وورثته وأوليائه وأحق الخلق به ، لا ننازع حقه وسلطانه ، فبينما نحن كذلك إذ نفر المنافقون وانتزعوا سلطان نبينا منا وولوه غيرنا . فبكت والله لذلك العيون والقلوب منا جميعاً معاً ، وخشنت له الصدور ، وجزعت النفوس منا جزعاً أرغم . وأيم الله لولا مخافتى الفرقه بين المسلمين ، وأن يعود أكثرهم إلى الكفر ويُعَوِّر الدين ، لكنا قد غيرنا ذلك ما استطعنا .

وقد بايعتموني الآن وبايعنى هذان الرجلان طلحه والزبير على الطوع منهما ومنكم والإيثار ، ثم نهضاً يريدان البصره ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم ، اللهم فخذهما لغشهما لهذه الأمه ، وسوء نظرهما للعامة . ثم قال: إنفروا رحمكم الله فى طلب هذين الناكثين القاسطين الباغيين ، قبل أن يفوت تدارك ما جناه .

وفى الكافئه: ص ١٩: (لما اتصل بأمر المؤمنين صلوات الله عليه مسير عائشه وطلحه والزبير من مكه إلى البصره ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد سارت

عائشه وطلحه والزبير كل منهما يدعى الخلافه دون صاحبه ! ولا يدعى طلحه الخلافه إلا أنه ابن عم عائشه ، ولا يدعيها الزبير إلا أنه صهر أبيها ! والله لئن ظفرا بما يريدان ليضربن الزبير عنق طلحه ، وليضربن طلحه عنق الزبير ، ينازع هذا على

الملك هذا ! ولقد علمت والله أن الراكبه الجمل لاتحل عقده ولاتسير عقبه ولاتنزل منزله إلا إلى معصيه الله حتى توردها نفسها ومن معها مورداً يقتل ثلثهم ويهرب ثلثهم ويرجع ثلثهم ! والله إن طلحه والزبير ليعلمان أنهما مخطئان وما يجهلان ، ولرب عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه . والله لتنبحنها كلاب الحوآب ! فهل يعتبر معتبر ويتفكر متفكر ، لقد قامت الفئه الباغيه فأين المحسنون ؟ مالى ولقريش ! أما والله لأقتلنهم كافرين ، ولأقتلنهم مفتونين ، وإنى لصاحبهم بالأمس ومالنا إليها من ذنب غير أنا خَيْرنا عليها فأدخلناهم فى خيرنا ! أما والله لا- أترك الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته إن شاء الله ، فلتضج منى قريش ضجيحاً !)

وفى مناقب آل أبى طالب: ٢/٣٣٦: (ذكر ابن الأَعمش فى الفتوح، والماوردى فى أعلام النبوه ، وشيروه فى الفردوس ، وأبويعلى فى المسند ، وابن مردويه فى فضائل أمير المؤمنين ، والموفق فى الأربعين ، وشعبه ، والشعبى ، وسالم بن أبى الجعد فى أحاديثهم ، والبلاذرى والطبرى فى تاريخهما: أن عائشه لما سمعت نباح الكلاب قالت أى ماء هذا ؟ فقالوا الحوآب ، قالت إنا لله وإنا إليه راجعون ، إنى لهيئة ! قد سمعت رسول الله (ص) وعنده نساؤه يقول: ليت شعرى أيتكن تنبحها كلاب الحوآب؟ وفى روايه الماوردى: أيتكن صاحبه الجمل الأدب تخرج فتنبحها كلاب الحوآب ، يقتل من يمينها ويسارها قتلى كثير ، وتنجو بعد ما كاد تقتل !؟

فلما نزلت الخريبه قصدهم عثمان بن حنيف (حاكم البصره من قبل على (عليه السلام)) وحاربهم ، فتداعوا إلى الصلح ، فكتبوا بينهم كتاباً أن لعثمان دار الإمارة وبيت المال والمسجد إلى أن يصل إليهم على . فقال طلحه لأصحابه فى السر: والله لئن

قدم على البصره لنؤخذن بأعناقنا ، فأتوا على عثمان يياتاً في ليله ظلماء وهو يصلى بالناس العشاء الآخره ، وقتلوا منهم خمسين رجلاً واستأسروه وبتفوا شعره وحلقوا رأسه وجسوه ، فبلغ ذلك سهل بن حنيف فكتب اليهما: أعطى الله عهداً لئن لم تخلوا سبيله لأبلغن من أقرب الناس اليكما ! فأطلقوه .

ثم بعثا عبد الله بن الزبير في جماعه إلى بيت المال فقتل أبا سلمه الزطى في خمسين رجلاً ، وبعثت عائشه إلى الأحنف تدعوه فأبى واعتزل بالجلحاء من البصره في فرسخين ، وهو في ستة آلاف) . انتهى .

ص: ٢١٩

قال اليعقوبي في تاريخه: ٢/١٨١: (وقدم القوم البصره ، وعامل على عثمان بن حنيف ، فمنعها ومن معها من الدخول فقالا: لم نأت لحرب وإنما جئنا لصلح ، فكتبوا بينهم وبينه كتاباً أنهم لا يحدثون حدثاً إلى قدوم على ، وأن كل فريق منهم آمن من صاحبه . ثم افترقوا ، فوضع عثمان بن حنيف السلاح ، فنتفوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه ، وانتهبوا بيت المال وأخذوا ما فيه ، فلما حضر وقت الصلاه تنازع طلحه والزبير ، وجذب كل واحد منهما صاحبه ، حتى فات وقت الصلاه ، وصاح الناس: الصلاه الصلاه يا أصحاب محمد ! فقالت عائشه: يصلى محمد بن طلحه يوماً وعبد الله بن الزبير يوماً ، فاصطلحوا على ذلك !!

فلما أتى علياً الخبر سار إلى البصره ، واستخلف على المدينه أبا حسن بن عبد عمرو أحد بنى النجار ، وخرج من المدينه ومعه أربعمائه راكب من أصحاب رسول الله ، فلما صاروا إلى أرض أسد وطئ تبعه منهم ستمائه ، ثم صار إلى ذى قار ، ووجه الحسن وعمار بن ياسر ، فاستنفر أهل الكوفه ، وعامله يومئذ على الكوفه أبو موسى الأشعري فخذل الناس عنه ، فوافاه منهم ستة آلاف رجل ، ولقيه عثمان بن حنيف فقال: يا أمير المؤمنين ، وجهتني ذالحيه فأتيتك أمرد ! وقص عليه القصة . انتهى .

وفي نهج السعاده للمحمودى: ١/٢٦٦: (ومن كلام له (عليه السّلام) قاله لما قدم عليه بذي قار ، عامله على البصره عثمان بن حنيف الأنصارى رحمه الله ، وقد نكل به طلحه والزبير واتفوا جميع ما فى وجهه من الشعر ، فنزل على أمير المؤمنين (عليه السّلام) وهو باك فقال له: يا عثمان بعثتك شيخاً فرددت إلى أمرد ! اللهم إنك تعلم أنهم

اجترؤا عليك واستحلوا حرمتك . اللهم اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي ، وعجل لهم النقمه بما صنعوا بخليفتي . (كتاب الجمل ص ١٥٤ وقريب منه فى تاريخ الطبرى). انتهى .

نتيجه معركه الجمل الأولى !

وقعه الجمل الصغرى ، أو الجمل الأصغر ، غسم للأحداث التى وقعت فى البصره منذ وصول أصحاب الجمل إليها ، الى وصول أمير المؤمنين (عليه السّلام). فقد كان لأصحاب الجمل أنصار فى البصره ، فنزلوا فى ضاحتها والتحق بهم أنصارهم ، وجرت محادثات بينهم وبين والى البصره الصحابى الجليل عثمان بن حنيف ، واتفقوا معه على الهدنه ، وتجنب الحرب حتى يصل على (عليه السّلام) ، وكتبوا بينهم عهداً بذلك ! لكن طلحه أشار عليهم بالغدر ونقض العهد والغاره ليلاً على والى بيت المال ! فهاجموهم وهم يصلون فى المسجد ! وقتلوا منهم أربعين رجلاً وأخذوا بيت المال ، وأخذوا والى أسيراً ، ثم واصلوا الحرب فى اليوم الثانى ، وقابلهم حكيم بن جبلة رئيس بنى عبد القيس ومعه جماعه من ربيعه ، فقتلوه وابنه الأشرف وأخاه رعل فى سبعين رجلاً ، وأرادوا قتل والى

عثمان بن حنيف الأنصارى فهددهم بأن أخاه سهل بن حنيف والى المدينه سيثار له من ذويهم هناك! فاكتفوا بضربه وبتفوا شعر لحيته ورأسه وشاربيه وحاجبيه ، وطرده من البصره !

وفى الكافئه ص ١٧: (رووا أنه (عليه السّلام) لما بلغه وهو بالربذه خبر طلحه والزبير وقتلهما حكيم بن جبلة ورجالاً من الشيعة ، وضربهما عثمان بن حنيف وقتلهما السبابجه (حراس بيت المال) قام على الغرائر (أكياس الحنطه المحموله معهم للخيز) فقال: إنه أتانى خبر متفطع ونبا جليل ، أن طلحه والزبير وردا البصره فوثبا على عاملى فضرباه ضرباً مبرحاً وتُرك لايدرى أحي هو أم ميت ! وقتلا العبد الصالح حكيم بن جبلة فى

عده من رجال المسلمين الصالحين ، لقوا الله موفين ببيعتهم ماضين على حقهم ! وقتلوا السباجه خزان بيت المال الذى للمسلمين ، قتلوهم صبراً ، وقتلوهم غدرًا ! فبكى الناس بكاءً شديداً ورفع أمير المؤمنين (عليه السّلام) يديه يدعو ويقول: اللهم اجزِ طلحه وزيراً جزاء الظالم الفاجر ، والخفور الغادر) . انتهى .

كتبت عائشه الى حفصه تبشرها بالنصر فاحتفلت حفصه !

فى الكافئه فى إبطال توبه الخاطئه ص ١٦: (ولما بلغ عائشه نزول أمير المؤمنين (عليه السّلام) بذي قار كتبت إلى حفصه بنت عمر: أما بعد ، فإننا نزلنا البصره ونزل على بذي قار ، والله دُقَّ عنقه كدق البيضه على الصفا ، إنه بذي قار بمنزله الأشقر ، إن تقدم نحر ، وإن تأخر عقر ! فلما وصل الكتاب إلى حفصه استبشرت بذلك ، ودعت صبيان

بنى تيم وعدى وأعطت جواريتها دفوفاً ، وأمرتهن أن يضربن بالدفوف ويقلن: ما الخبر ما الخبر ! علئى كالأشقر ! إن تقدم نحر ، وإن تأخر عقر !

فبلغ أم سلمه رضى الله عنها اجتماع النسوه على ما اجتمعن عليه من سب أمير المؤمنين (عليه السّلام) والمسره بالكتاب الوارد عليهن من عائشه ، فبكت وقالت: أعطونى ثيابى حتى أخرج إليهن وأقع بهن ! فقالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (عليه السّلام): أنا أنوب عنك فإننى أعرف منك ، فلبست ثيابها وتكرت وتخفرت ، واستصحت جواريتها متخفرت ، وجاءت حتى دخلت عليهن كأنها من النظاره ، فلما رأت ما هن فيه من العبث والسفه ، كشفت نقابها وأبرزت لهن وجهها ، ثم قالت لحفصه: إن تظاهرت أنت وأختك على أمير المؤمنين (عليه السّلام) فقد تظاهرتما على أخيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من قبل ، فأنزل الله عز وجل فيكما ما أنزل ! والله من وراء حربكما ! فانكسرت حفصه وأظهرت خجلاً - وقالت: إنهن فعلن هذا بجهل ، وفرقتهن فى الحال ، فانصرفن من المكان) !

في كفايه الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر ص ١١٤، في حديث طويل عن حرب الجمل: (ونزل أبو أيوب في بعض دور الهاشميين ، فجمعنا إليه ثلاثين نفساً من شيوخ أهل البصرة فدخلنا إليه وسلمنا عليه وقلنا: إنك قاتلت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببدر وأحد المشركين ، والآن جئت تقاتل المسلمين ! فقال: والله لقد سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لي: إنك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) قلنا: آله الله إنك سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في علي؟ قال: سمعته يقول: علي مع الحق والحق معه ، وهو الإمام والخليفة بعدى ، يقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل ، وابناه الحسن والحسين سبطاى من هذه الأمة ، إمامان إن قاما أوقعدا ، وأبوهما خير منهما ، والأئمة بعد الحسين تسعه من صلبه ، ومنهم القائم الذى يقوم فى آخر الزمان كما قمت فى أوله ، ويفتح حصون الضلالة... والحديث طويل فيه معراج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكر الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) ، جاء فى آخره: قلنا: فما لبى هاشم؟ قال: سمعته يقول لهم: أنتم المستضعفون من بعدى . قلنا: فمن القاسطين والناكثين والمارقين؟ قال: الناكثين الذين قاتلناهم ، وسوف نقاتل القاسطين والمارقين ، فإنى والله لا أعرفهم غير أنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: فى الطرقات بالنهروانات ! قلنا: فحدثنا بأحسن ما سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قال: سمعته يقول: مثل مؤمن عند الله عز وجل مثل ملك مقرب ، فإن المؤمن

عند الله تعالى أعظم من ذلك ، وليس شئ أحب الى الله عز وجل من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة . قلنا: زدنا يرحمك الله . قال: نعم سمعته يقول: من قال لا- إله إلا- الله مخلصاً فله الجنة . قلنا: زدنا يرحمك الله . قال: نعم سمعته (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع ، فإنى سمعت جبرئيل (عليه السلام) يقول: المكر والخديعة فى النار . قلنا: جزاك الله عن نبيك وعن الإسلام خيراً . انتهى .

وفى نهج البلاغه: ٣/٢: (ومن كتاب له (عليه السلام) إلى أهل الكوفة عند مسيره إلى البصره: من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة ، جبهه الأنصار ، و سنام العرب ، أما بعد: فإنني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه: إن الناس طعنوا عليه ، ف كنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعبابه وأقل عتابه ، وكان طلحه والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف ، وأرفق حدائهما العنيف ، وكان من عائشه فيه فلتة غضب ، فأتيح له قوم فقتلوه ، وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين. واعلموا أن دار الهجره قد قلعت بأهلها وقلعوا بها ، وجاشت جيش المرجل ، وقامت الفتنة على القطب ، فأسرعوا إلى أميركم وبادروا جهاد عدوكم ، إن شاء الله).

وفى مناقب آل أبي طالب: ٢/٣٣٦: (فأمر على (عليه السلام) سهل بن حنيف على المدينه وقتل بن العباس على مكه ، وخرج في سته آلاف إلى الربذه ، ومنها إلى ذى قار. وأرسل الحسن وعمار إلى الكوفه وكتب: من عبد الله ووليه على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفه جبهه الأنصار و سنام العرب ، ثم ذكر فيه قتل عثمان وفعل طلحه والزبير وعائشه.... فلما بلغا الكوفه قال أبو موسى الأشعري: يا أهل الكوفه إتقوا الله ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ، ومن يقتل مؤمناً متعمداً.. الآية . فسكته عمار ، فقال أبو موسى: هذا كتاب عائشه تأمرني أن تكف أهل الكوفه ، فلا تكونن لنا ولا علينا ، ليصل إليهم صلاحهم . فقال عمار: إن الله تعالى أمرها بالجلوس فقامت ! وأمرنا بالقيام لندفع الفتنة فنجلس!)

فقام زيد بن صوحان ومالك الأشر في أصحابهما وتهددوه.... فخرج قعقاع بن عمرو ، وهند بن عمر ، وهيثم بن شهاب ، وزيد بن صوحان ، والمسيب بن نجبه ويزيد بن قيس ، وحجر بن عدى ، وابن مخدوج ، والأشتر ، اليوم الثالث في تسعه آلاف ، فاستقبلهم على (عليه السلام) على فرسخ وقال مرحباً بكم أهل الكوفه وفتنه الإسلام ، ومركز الدين . فى كلام له...

وخرج إلى علي (عليه السلام) من شيعته من أهل البصره من ربيعه ثلاثه آلاف رجل . وبعث الأحنف إليه إن شئت أتيتك في مائتي فارس فكنت معك ، وإن شئت اعتزلت بيني سعد فكففت عنك سته آلاف سيف ، فاختر عليّ اعتزاله .

أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكد الحجة قبل الحرب !

في نهج البلاغه: ٣/١١١: (ومن كتاب له (عليه السلام) إلى طلحه والزبير: أما بعد فقد علمتما وإن كتمتما أني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني ، وإنكما ممن أرادني وبايعني ، وإن العامه لم تبايعني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر ، فإن كتمتما بايعتmani طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب ، وإن كتمتما بايعتmani كارهين فقد جعلتmani لى عليكم السبيل بإظهاركما الطاعه وإسراركما المعصيه ، ولعمري ما كتمتما بأحق المهاجرين بالتقيه والكتمان ، وإن دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكم من خروجكما منه بعد إقراركما به .

وقد زعمتما أني قتلت عثمان ، فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينه ، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل . فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما ، فإن الآن أعظم أمركما العار ، من قبل أن يجتمع العار والنار . والسلام .

وفي كشف الغمه في معرفه الأئمه للإيربلي: ١/٢٤٠: (وكتب علي (عليه السلام) إلى عايشه: أما بعد فإنك خرجت من بيتك عاصيه لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه و آله وسلم) تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً ، ثم تزعمين أنك تريدان الإصلاح بين الناس فخبيريني ما للنساء وقود العساكر ! وزعمت أنك طالبه بدم عثمان ، وعثمان رجل من بني أميه وأنت امرأه من بني تيم بن مره ! ولعمري إن الذي عرضك للبلاء وحملك على المعصيه لأعظم اليك ذنباً من قتله عثمان ، وما غضبت حتى أغضبت ، ولا هجت حتى هيجت فاتقى الله يا عايشه وارجعي إلى منزلك ، واسبلي عليك سترك . والسلام .

فجاء الجواب إليه (عليه السلام): يا ابن أبي طالب جل الأمر عن العتاب ، ولن ندخل في طاعتك أبداً ، فاقض ما أنت قاض . والسلام .

ثم تراءى الجمعان وتقاربا ، ورأى على (عليه السّلام) تصميم القوم على قتاله ، فجمع أصحابه وخطبهم خطبه بليغه قال (عليه السّلام) فيها: واعلموا أيها الناس أنى قد تأنيت هؤلاء القوم ، وراقبتهم وناشدتهم كيما يرجعوا ويرتدعوا ، فلم يفعلوا ولم يستجيبوا ، وقد بعثوا إليّ أن ابرز إلى الطعان واثبت للجلاد ! وقد كنت وما أهدد بالحرب ولا أدعى إليها ، وقد أنصف القاره من رامها ، منها: فأنا أبو الحسن الذى فلتت حدهم وفرقت جماعتهم ، فبذلك القلب ألقى عدوى ، وأنا على بينه من ربي ، لما وعدنى من النصر والظفر ، وإنى لعلى غير شبهه من أمرى . ألا وإن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ، ومن لم يقتل يمت فإن أفضل الموت القتل . والذى نفس على بيده لألفُ ضربه بالسيف أهون عليّ من ميتته على الفراش . ثم رفع يده الى السماء وقال: اللهم إن طلحه بن عبيد الله أعطانى صفقه يمينه طائعا ثم نكث بيعتى ، اللهم فعاجله ولا تمهله . وإن زبير بن العوام قطع قرابتى ونكث عهدى وظاهر عدوى ونصب الحرب لى ، وهو يعلم أنه ظالم لى ! اللهم فاكفنيه كيف شئت .

ثم تقاربوا وتعبوا لابسى سلاحهم ودروعهم متأهين للحرب ، كل ذلك وعلى (عليه السّلام) بين الصفين عليه قميص ورداء وعلى رأسه عمامه سوداء ، وهو راكب على بغله ، فلما رأى أنه لم يبق إلا مصافحه الصفاح والمطاعنه بالرماح صاح بأعلى صوته: أين الزبير بن العوام فليخرج إليّ؟ فقال الناس: يا أمير المؤمنين أخرج الى الزبير وأنت حاسر وهو مدجج فى الحديد؟ فقال (عليه السّلام): ليس عليّ منه بأس ، ثم نادى ثانيه: فخرج إليه ودنا منه حتى واقفه فقال له على (عليه السّلام): يا أبا عبد الله ما حملك على ما صنعت؟ فقال: الطلب بدم عثمان ، فقال (عليه السّلام): أنت وأصحابك قتلتموه فيجب عليك أن تقيد من نفسك ! ولكن أنشدك الله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل الفرقان على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): أما تذكر يوماً قال لك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا زبير أتحب علياً؟ فقلت: وما يمنعنى من حبه وهو ابن خالى ، فقال لك: أما إنك ستخرج عليه يوماً

وأنت له ظالم؟! فقال الزبير: اللهم بلى فقد كان ذلك! فقال علي (عليه السلام): فأنشذك الله الذى أنزل الفرقان على نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): أما تذكر يوماً جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عند ابن عوف وأنت معه وهو أخذ بيدك ، فاستقبلته أنا فسلمت عليه فضحك في وجهي وضحكت أنا إليه ، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً! فقال لك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): مهلاً يا زبير فليس به زهو، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له!؟

فقال الزبير: اللهم بلى ، ولكن أنسيت! فأما إذ ذكرتني ذلك فلا أنصرفن عنك ، ولو ذكرت ذلك لما خرجت عليك! ثم رجع الى عايشه فقالت: ما وراءك يا أبا عبد الله؟ فقال الزبير: والله ورائي أني ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلا ولى فيه بصيره ، وأنا اليوم على شك من أمرى ، وما أكاد أبصر موضع قدمي! ثم شق الصفوف وخرج من بينهم ونزل على قوم من بنى تميم ، فقام إليه عمرو بن جرموز المجاشعي فقتله حين نام، وكان في ضيافته ، فنفذت دعوه على (عليه السلام) فيه .

وأما طلحه فجاءه سهم وهو قائم للقتال فقتله ، ثم التحم القتال .

وقال علي (عليه السلام) يوم الجمل: (وَإِنْ نَكُنُوا أَيَّمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ، ثم حلف حين قرأها أنه ما قوتل عليها منذ نزلت حتى اليوم) ! انتهى .

وفي الإحتجاج: ١/٢٣٧: (عن سليم بن قيس الهلالي قال: لما التقى أمير المؤمنين (عليه السلام) أهل البصره يوم الجمل، نادى الزبير يا أبا عبد الله أخرج الئى: فخرج الزبير ومعه طلحه . فقال لهما: والله إنكما لتعلمان وأولوا العلم من آل محمد وعائشه بنت أبي بكر: أن كل أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد خاب من افترى! قالوا: كيف نكون ملعونين ونحن أصحاب بدر وأهل الجنه! فقال (عليه السلام): لو علمت أنكم من أهل الجنه لما استحلت قتالكم ، فقال له الزبير: أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل وهو يروى أنه سمع رسول الله يقول: عشره من

قريش في الجنة؟ قال علي (عليه السلام): سمعته يحدث بذلك عثمان في خلافته! فقال الزبير: أفتراه كذب علي رسول الله (ص)؟! فقال له علي (عليه السلام): لستُ أخبرك بشيء حتى تسميهم؟ قال الزبير: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيده بن الجراح، وسعيد بن عمرو بن نفيل. فقال له علي (عليه السلام): عددتُ تسعه فمن العاشر؟ قال له: أنت! قال علي (عليه السلام): قد أقررتُ أني من أهل الجنة، وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين! قال له: أفتراه كذب علي رسول الله؟! قال (عليه السلام): ما أراه كذب، ولكنه والله اليقين! فقال علي (عليه السلام): والله إن بعض من سميته لفي تابوت في شعب في جب في أسفل درك من جهنم، علي ذلك الجب صخره إذا أراد الله أن يسعر جهنم رفع تلك الصخره، سمعت ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلا - أظفرك الله بي وسفك دمي علي يديك، وإلا أظفرنني الله عليك وعلي أصحابك وسفك دمائكم علي يدي، وعجل أرواحكم إلى النار! فرجع الزبير إلى أصحابه وهويكي!! انتهى .

وقد أورد نحوه في كفايه الأثر ص ١١٤، ثم قال: فرجع الزبير وهو يقول:

نادى عليّ بصوت لست أجهله

قد كان عمرُ أبيك الحق من حين

فقلت حسبُك من لومي أبا حسنٍ

فبعضُ ما قلته ذا اليوم يكفيني

فاخترتُ عاراً علي نارٍ مؤججه

أنّي يقوم لها خلو من الطين

فاليوم أرجع من غيِّ الي رشَد

ومن مغالطه البُعْضا الي اللين

ثم حمل علي (عليه السلام) علي بنى ضبه، فما رأيتهم إلا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، ثم أخذت المرأة فحُملت الي قصر بنى خلف).

وفي قرب الإسناد للحميري ص ٩٦: عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (دخل عليّ أناس من أهل البصره فسألوني عن طلحه والزبير، فقلت لهم: كانا من أئمة الكفر، إن علياً (عليه السلام) يوم البصره لما صف الخيول، قال لأصحابه: لاتعجلوا علي القوم حتى

أعذر فيما بيني وبين الله عز وجل وبينهم! فقام إليهم فقال: يا أهل البصره هل تجدون علي جوراً في حكم؟ قالوا: لا. قال: فحيفاً في قسم؟ قالوا: لا. قال: فرغبه في دنيا أخذتها لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم علي فنكثتم بيعتي؟ قالوا: لا. قال: فأقمت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم؟ قالوا: لا. قال: فما بال بيعتي تنكث ويبيعه غيري لا تنكث! إني ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلا الكفر أو السيف...؟!).

وفى شرح الأخبار: ١/٣٩٤: (عن أبي البختری ، قال: لما انتهى علي صلوات الله عليه إلى البصره خرج إليه أهلها مع طلحه والزبير وعائشه ، فعبا على صلوات الله عليه أصحابه . ثم أخذ المصحف وبدأ بالصف الاول ، فقال: أيكم يتقدم إلى هؤلاء ويدعوهم إلى ما فيه ، وهو مقتول؟ فخرج إليه شاب يقال له: مسلم فقال: أنا يا أمير المؤمنين . فتركه ، ومال إلى الصف الثاني ، فقال: من منكم يأخذ هذا المصحف ويمضي إلى هؤلاء القوم ويدعوهم إلى ما فيه ، وهو مقتول؟ فلم يجبه أحد! وجاءه مسلم فقال: أنا أخرج إليهم به يا أمير المؤمنين . فأعرض عنه . وتقدم إلى الصف الثالث ، وقال لهم مثل ذلك . فلم يخرج الله منهم أحد ، وعرض له مسلم ، فقال: أنا يا أمير المؤمنين! فلما رأى أنه لم يخرج إليه أحد دفع إليه المصحف فمضى نحو القوم ، فلما رأوه رشقوه بالنبل ، وقرأه عليهم ودعاهم إلى ما فيه ، ثم خرج إليه رجل منهم فضربه بالسيف على جبل عاتقه من يده اليمنى التي فيها المصحف فأخذ المصحف بيده اليسرى فضربه الرجل حتى قتله!). انتهى. وفي هامشه عن كتاب الجمل ص ١٨٢: وكانت أمه حاضره وحملته وجاءت به إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي تبكي وتقول:

يا رب إن مسلماً دعاهم

يتلو كتاب الله لا يخشاهم

فخضبوا من دمه فناهم

وأمهم قائمه تراهم

تأمرهم بالقتل لا تنهاهم!

ص: ٢٢٩

ورموا أصحاب علي صلوات الله عليه بالنبل . قالوا: يا أمير المؤمنين أما ترى النبل فينا كالقطر ، وقد قتلوا مسلماً . فقال لهم علي صلوات الله عليه: قاتلوهم ، فقد طاب لكم القتال . انتهى .

الزبير ينسحب من المعركة ، ويُقتل في الطريق !

قال ابن قتيبة في الإمامه والسياسة: ١/٩١: (فخرج طلحه والزبير وعائشه ، وهي علي جمل عليه هودج ، قد ضرب عليه صفائح الحديد ، فبرزوا حتى خرجوا من الدور ومن أفضيه البصره ، فلما تواقفوا للقتال ، أمر عليّ منادياً ينادى من أصحابه: لا يرمين أحد سهماً ولا- حجراً ، ولا يطعن برمح ، حتى أعذر إلى القوم فأتخذ عليهم الحجج . قال: فكلم علي طلحه والزبير قبل القتال ، فقال لهما: إستحلفا عائشه بحق الله وبحق رسوله علي أربع خصال ، أن تصدق فيهما: هل تعلم رجلاً من قريش أولى مني بالله ورسوله ، وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين ، وكفايتي رسول الله كفارالعرب بسيفي ورمحي ، وعلى براءتي من دم عثمان ، وعلى أني لم أستكره أحداً ، وعلى أني لم أكن أحسن قولاً في عثمان منكما .

فأجابه طلحه جواباً غليظاً ورقاً له الزبير..الخ. قال: وذكروا أن الزبير دخل علي عائشه فقال: يا أمه ما شهدت موطناً قط في الشرك ولا- في الإسلام إلا- ولي فيه رأى وبصيره ، غير هذا الموطن فإنه لا- رأى لي فيه ولا بصيره ، وإني لعلی باطل ! قالت عائشه: يا أبا عبد الله ، خفت سيوف بني عبد المطلب ! فقال: أما والله إن سيوف بني عبد المطلب طوال حداد ، يحملها فتيه أنجاد ! ثم قال لابنه عبد الله: عليك بحزبك ، أما أنا فراجع إلى بيتي ! فقال له ابنه عبد الله: الآن حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان؟! والله لا نغسل رؤوسنا منها ! فقال الزبير لابنه: لا تعد هذا مني جنباً ، فوالله ما فارقت أحداً في جاهليه ولا إسلام ، قال: فما يردك ؟

قال: يردنى ما إن علمته كسرك ! فقام بأمر الناس عبد الله بن الزبير) ! انتهى.

وقال ابن حجر فى مقدمه فتح البارى ص ٢٩٠: (وقاتل الزبير فى يوم الجمل هو عمرو بن جرموز التيمى ، قتله غدرأ وهو نائم ، وكان قتل الزبير فى شهر رجب سنه ست وثلاثين انصرف من وقعه الجمل تاركأ للقتال ، فقتله عمرو بن جرموز بضم الجيم والميم بينهما راء ساكنه وآخره زاي ، التيمى ، غيله ، وجاء إلى على متقربأ إليه بذلك ، فبشره بالنار ! أخرجه أحمد والترمذى وغيرهما ، وصححه

الحاكم من طرق بعضها مرفوع) . انتهى. (الحاكم: ٣/٣٦٠ ، وأحمد: ١/٨٩).

وفى الكافئه ص ٤٠: (وأما قول على: بشر قاتل ابن صفيه بالنار . لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): بشر قاتل ابن صفيه بالنار ، وكان ممن خرج يوم النهروان ، ولم يقتله أمير المؤمنين (عليه السلام) بالبصره ، لأنه علم أنه يقتل فى فتنه النهروان).

مروان الأموى يغتال طلحه التيمى قبل بدء المعركه !

ترك الزبير المعركه بعد اصطفاف الصفوف للحرب ، لكنه كان وفيأ لعائشه أخت زوجته وخاله ابنه عبدالله ! فبعد لقائه المؤثر مع على (عليه السلام) اكتفى بالقول لعائشه إنه يشك ولا يرى نفسه على الحق ، وإنه قرر الإنسحاب والعوده الى المدينه ! ولما سأله ابنه عبدالله كما تقدم عن ابن قتيبه: (قال: فما يردك ؟ قال: يردنى ما إن علمته كسرك) ! فقد أراد من ابنه وخالته وشريكه طلحه ، أن يواصلوا المعركه ضد على (عليه السلام)! ولذا لم يخبرهم بحديث النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى ذكَّره به على (عليه السلام) ولا طلب منهم تجنب إراقه دماء المسلمين والصلح مع على (عليه السلام) !

وقد حاولت عائشه وابنه عبدالله أن يثيروا نخوته فاتهموه بالجبن أمام سيوف بنى عبد المطلب ! لكنه لم يخضع لذلك ، وأجابهم أنى سأبث لكم الآن أنى

لست جباناً وركب فرسه وأغار على جيش علي (عليه السلام) فعرف علي (عليه السلام) أنه هجوم لإثبات الشجاعه! فأمر الجيش أن يفتحوا له الطريق ولا يقاتلوه ، فشق الزبير الجيش وأكمل طريقه عائداً الى المدينة! وخسرت عائشه به ركناً من أركانها ، ولكنها تعزت بولده عبدالله ، فهو أشد بغضاً لعلي وبني هاشم !

وفي صباح نفس اليوم وقبل نشوب المعركه انهض الركن الثاني لعائشه ، حيث بادر مروان الى تنفيذ خطته في قتل طلحه! قال ابن سعد في الطبقات: ٣/٢٢٣: (عن محمد بن سيرين أن مروان اعترض طلحه لما جال الناس بسهم فأصابه فقتله.... عن عبد الملك بن مروان يقول: لولا- أن أمير المؤمنين مروان أخبرني أنه هو الذي قتل طلحه ما تركت من ولد طلحه أحداً إلا قتلته بعثمان بن عفان)!

وفي أحاديث عائشه للعسكري: ١/٢٢٨: (وروى ابن أعثم تفصيل قتل طلحه هكذا قال: قال مروان لغلامه: إني لأعجب من طلحه فإنه لم يكن أشد منه على عثمان ، فقد كان يحرض أعداءه ويسعى حثيثاً في إراقه دمه ، واليوم جاء يطلب ثاره! أريد أن أرميه وأريح المسلمين من شره ، فلوتقدمت أمامي وحجبتني كي لا أرى فيعلم أني رميته ، فأنت حرٌّ ، ففعل ، فأخرج مروان سهماً مسموماً من كنانته فرماه فشكك قدمه إلى ركابه . فقال طلحه لغلامه: فخذني إلى الظل فقال: لا- أرى ها هنا ظلاً ، فقال طلحه: سبحان الله! لا أرى في قریش اليوم أضيع دماً مني)!

عائشه قادت معركة الجمل وحدها لسبعة أيام!

قال الطبري في تاريخه: ٣/٥٣٠: (عن أبي البخري الطائي قال أطافت ضبه والأنزد بعائشه يوم الجمل ، وإذا رجال من الأنزد يأخذون بعرج الجمل فيفتونه ويشمونهم ويقولون: بعرج جمل أمنا ريحه ريح المسك)!

وقال ابن كثير في النهاية: ٧/٢٧٢: (وأحدق أهل النجدات والشجاعه بعائشه ، فكان لا يأخذ الرايه ولا بخطام الجمل إلا شجاع معروف ، فيقتل من قصده ثم يُقتل بعد ذلك ، وقد فقأ بعضهم عين عدى بن حاتم ذلك اليوم ، ثم تقدم عبد الله بن الزبير فأخذ بخطام الجمل وهو لا يتكلم ، فقيل لعائشه إنه ابنك ابن أختك فقالت: واثلث أسماء! وجاءه مالك بن الحارث الأشتر النخعي فاقتتلا فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً ، وضربه عبد الله ضربه خفيفه ثم اعتنقا وسقطا إلى الأرض يعتركان ، فجعل عبد الله بن الزبير يقول: أقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي! فجعل الناس لا يعرفون مالكاً من هو ، وإنما هو معروف بالأشتر ، فحمل أصحاب علي وعائشه فخلصوهما ، وقد جرح عبد الله بن الزبير يوم الجمل بهذه الجراحه سبعاً وثلاثين جراحه). انتهى .

أقول: يبدو أن ابن الزبير أخذ بزمام الجمل بعد أن اشتدت حملات أصحاب علي (عليه السلام) وقل الآخذون بزمامه من ضبه وتركوه ملقى ، قال الطبري: ٣/٥٣٣: (وانتهى إلى الجمل الأشتر وعدى بن حاتم ، فخرج عبدالله بن حكيم بن حزام إلى الأشتر فمشى إليه الأشتر ، فاختلفا ضربتين فقتله الأشتر ، ومشى إليه عبدالله بن الزبير فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً ، وضرب عبدالله الأشتر ضربه خفيفه ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه وخرًا إلى الأرض يعتركان ، فقال

عبدالله بن الزبير: أقتلونى ومالكاً). انتهى ، وهو يدل على أن الأشتر(رحمه الله)وصل الى مركز القيادة وقتل القرى صاحب الخطام ، فبقى الخطام ملقى فجاء ابن الزبير !

وفى مواقف الشيعة للأحمدى: ١/٢٦٦: (دخل عمار بن ياسر ، ومالك بن الحارث الأشتر على عائشه بعد انقضاء أمر الجمل . فقالت عائشه: يا عمار من معك ؟ قال: الأشتر . فقالت: يا مالك ! أنت الذى صنعت بابن أختى ما صنعت ؟

قال: نعم ، ولولا أننى كنت طاوياً ثلاثة لأرحت أمه محمد منه ! فقالت: أما علمت أن رسول الله قال: لا يحل دم مسلم إلا بإحدى أمور ثلاث: كفر بعد إيمان أوزنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير حق؟ فقال الأشتر: على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا أم المؤمنين ! وأيم الله ما خانى سيفى قبلها ، ولقد أقسمت ألا يصحبنى بعدها ! قال أبو مخنف: ففى ذلك يقول الأشتر من جملة هذا الشعر الذى ذكرناه:

أعائش لولا أننى كنت طاوياً

ثلاثاً لألفيت ابن أختك هالكا

غداه ينادى والرجال تحوزه

بأضعف صوت أقتلونى ومالكا

فلم يعرفوه إذ دعاهم وغمه

خدب عليه فى العجاجة باركا

فنجاه منى أكله وشبابه

وأنى شيخ لم أكن متماسكا

وقالت على أى الخصال صرعته

بقتل أتى أم رده لا أبا لكا

أم المحصن الزانى الذى حل قتله

فقلت لها لا بد من بعض ذلكا. انتهى .

(راجع الغدير: ١١/٦٤ . وشرح ابن أبى الحديد: ٦/٨٣) .

ومعنى قوله:(لولا- أننى كنت طاوياً ثلاثاً) ، أنه كان صائماً ثلاثة أيام ، فلم يُرد الأشتر(رحمه الله)أن يذكر صيامه فذكر أنه كان

جائعاً . وأصل الطاوى صفه للظبي عندما يشبع فيطوى عنقه وينام (لسان العرب: ١٨/١٥) واستعملوه فى الجائع من باب التفاؤل ، كتسميتهم الصحراء الصعبة مفازه ، واسمها فى الأصل مَهْلِكَة .

ص: ٢٣٤

ومن طرائف ما قرأته فى قياده عائشه للمعركه: أن مشايخ المملكه العربيه السعوديه أفتوا بحرمة قياده المرأه للسياره ، فعلق أحدهم قائلاً: أم المؤمنين عائشه قادت حرباً ، وهؤلاء يحرمون قياده المرأه للسياره !

عائشه تتلقى فى اليوم السابع هزيمه مره !

وصف ابن قتيبه فى الإمامه والسياسه: ١/٩٦، أيام حرب الجمل فقال: (وأقبل على وعمار والأشتر والأنصار معهم يريدون الجمل فاقتتل القوم حوله ، حتى حال بينهم الليل ! وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيام ، وإن علياً خرج إليهم بعد سبعة أيام فهزمهم).

ووصف حملة على (عليه السّلام) فى اليوم السابع من الحرب فقال: (ثم تقدم عليّ فنظر إلى أصحابه يهزمون ويقتلون ، فلما نظر إلى ذلك صاح بابنه محمد ومعه الرايه أن اقتحم ، فأبطأ وثبت ، فأتى عليّ من خلفه فضربه بين كتفيه ، وأخذ الرايه من يده ثم حمل فدخل عسكرهم ، وإن الميمنتين والميسرتين تضطربان ، فى إحداهما عمار ، وفى الأخرى عبد الله بن عباس ومحمد بن أبى بكر ، قال: فشق عليّ فى عسكر القوم يطعن ويقتل ، ثم خرج وهو يقول: الماء الماء ، فأتاه رجل بإداوه فيها غسل فقال له: يا أمير المؤمنين أما الماء فإنه لا يصلح لك فى هذا المقام ، ولكن أذوقك هذا العسل فقال: هات ، فحسا منه حسوه ، ثم قال: إن غسلك لطائفى ، قال الرجل: لعجباً منك والله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفى من غيره فى هذا اليوم ، وقد بلغت القلوب الحناجر ! فقال له على: إنه والله يا بن أخى ما ملأ صدر عمك شئ قط ولا هابه شئ ! ثم أعطى الرايه لابنه وقال: هكذا فاصنع ، فتقدم محمد بالرايه ومعه الأنصار حتى انتهى إلى الجمل والهودج وهزم ما يليه ، فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالاً شديداً حتى كانت الوقعه والضرب على الركب) .

وفى كتاب الجمل للمفيد ص ١٩٦: (وروى محمد بن عبد الله بن عمر بن دينار قال قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لابنه محمد خذ الرايه وامض ، وعلى (عليه السلام) خلفه فناداه يا أبا القاسم ؟ فقال لييك يا أبه ، فقال: يا بنى لا يستفزتك ما ترى ، قد حملت الرايه وأنا أصغر منك فما استفزنى عدوى ، وذلك أنى لم أبارز أحداً إلا حدثنى نفسى بقتله ، فحدث نفسك بعون الله تعالى بظهورك عليهم ، ولا يخذلك ضعف النفس من اليقين ، فإن ذلك أشد الخذلان . قال: قلت يا أبه ، أرجو أن أكون كما تحب إن شاء الله . قال فالزم رايتك فإن اختلفت الصفوف قف فى مكانك وبين أصحابك ، فإن لم تبين من أصحابك فاعلم أنهم سيرونك .

قال: والله إنى لفى وسط أصحابى فصاروا كلهم خلفى وما بينى وبين القوم أحد يردهم عنى ، وأنا أريد أن أتقدم فى وجوه القوم ، فما شعرت إلا بأبى خلفى قد جرد سيفه وهو يقول لا تَقْدَمْ حتى أكونَ أمامك ، فتقدم بين يديَّ يهرول ومعه طائفه من أصحابه ، فضرب الذين فى وجهه حتى نهضوهم ، ولحقتهم بالرايه فوقفوا وقفه ، واختلط الناس وكذت السيوف ساعه ، فنظرت إلى أبى يفرج الناس يميناً وشمالاً ويسوقهم أمامه ، فأردت أن أجول فكرهت خلافه ووصيته لى: لا تفارق الرايه ، حتى انتهى إلى الجمل وحوله أربعة آلاف مقاتل من بنى ضبه والأزد وتميم وغيرهم ، وصاح إقطعوا البطان ، فأسرع محمد بن أبى بكر فقطعه وأطلع اليهودج ! فقالت عائشه من أنت؟ قال أبغض أهلك اليك! قالت ابن الخثعميه؟ قال نعم ، ولم تكن دون أمهاتك !.....

ونادى أمير المؤمنين (عليه السلام) محمد بن أبى بكر فقال: سلها هل وصل إليها شئ من الرماح والسهام؟ فسألها قالت: نعم وصل إلى سهم خدش رأسى ، وسلمت من غيره . الله بينى وبينكم . فقال محمد: والله ليحكمن عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنين حتى تخرجى عليه وتؤلبن الناس على قتاله ، وتنبذى كتاب

الله وراء ظهره ك؟! فقالت: دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسني ، وكان الهودج كالكنفذ من النبل! فرجعت إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخبرته بما جرى بيني وبينها وما قلت وما قالت ، فقال (عليه السلام): هي امرأه والنساء ضعاف العقول ، فتول أمرها واحملها إلى دار عبد الله بن خلف ، حتى ننظر في أمرها . فحملتها إلى الموضع وإن لسانها لا- يفتر من السب لى ولعلي (عليه السلام) والترحم على أصحاب الجمل)!!

وفى الأخبار الطوال ص ١٥٠: (قالوا: ولما رأى على لوث أهل البصره بالجمل ، وأنهم كلما كشفوا عنه عادوا فلاتوا به ، قال لعمار وسعيد بن قيس وقيس بن سعد بن عباده والأشتر وابن بديل ومحمد بن أبي بكر ، وأشباهم من حماه أصحابه: إن هؤلاء لا يزالون يقاتلون ما دام هذا الجمل نصب أعينهم ، ولو قد عقر فسقط لم تثبت لهم ثابته ، فقصدوا بدوى الجد من أصحابه قصد الجمل حتى كشفوا أهل البصره عنه ، وأفضى إليه رجل من مراد الكوفه ، يقال له أعين بن ضبيعه فكشف عرقوبه بالسيف ، فسقط وله رغاء ، فغرق فى القتلى ، ومال الهودج بعائشه ، فقال على لمحمد بن أبي بكر: تقدم إلى أختك ، فدنا محمد ، فأدخل يده فى الهودج ، فنالت يده ثياب عائشه ، فقالت: إنا لله ، من أنت ثكلتك أمك ، فقال: أنا أخوك محمد !

ونادى على رضى الله عنه فى أصحابه: لاتتبعوا مولياً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولاتنتهبوا مالا ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن . قال: فجعلوا يمرون بالذهب والفضه فى معسكرهم والمتاع ، فلا يعرض له أحد إلا ما كان من السلاح الذى قاتلوا به ، و الدواب التى حاربوا عليها ، فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين ، كيف حلل لنا قتالهم ولم يحل لنا سبيهم وأموالهم؟! قال على رضى الله عنه: ليس على الموحدين سبى ، ولا يغنم من أموالهم إلا ما قاتلوا به وعليه ، فدعوا مالا تعرفون ، والزموا ما تؤمرون) .

وفى تاريخ الطبرى: ٣/٥٣٨: (أن محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر أتيا عائشه وقد عقر الجمل فقطعا غرضه الرجل ، واحتملا اليهودج فنجياه حتى أمرهما على فيه أمره بعد . قال: أدخلاها البصره ، فأدخلاها دار عبدالله بن خلف الخزاعى).

وفى الكافئه ص ٣٤: (عن الأصبغ بن نباته قال: لما عقر الجمل وقف على (عليه السّلام) على عائشه فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: ذيتّ وذيت! فقال: أما والذي فلق الحبه وبرأ النسمه لقد ملأت أذنيك من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو يلعن أصحاب الجمل وأصحاب النهروان! أما أحيائهم فيقتلون فى الفتنة ، وأما أمواتهم فى النار على مله اليهود!) وفى الكافئه ص ٣٦: (قال أبو رافع: سأحدثكم بحديث سمعته أذناى لا أحدثكم عن غيرى: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول لعلى: قاتل الله من قاتلك وعادى الله من عاداك . فقالت عائشه: يا رسول الله من يقاتله ومن يعاديه؟ قال: أنتِ ومن معك ، أنتِ ومن معك) .

وفى الكافئه ص ٢٩: (عن حبه العرنى أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعث إلى عائشه محمداً أخاها رحمه الله عليه ، وعمار بن ياسر رضوان الله عليه: أن ارتحلى والحقى ببيتك الذى تركك فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأخبراه بقولها ، فغضب ثم ردهما إليها وبعث معهما الأشر ، فقال: والله لتخرجن أولتُحملنّ احتمالاً .

ثم قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: يا معشر عبد القيس أندبوا إلى الحره الخيره من نساءكم ، فإن هذه المرأه من نساءكم ، فإنها قد أبت أن تخرج ، لتحملوها احتمالاً . فلما علمت بذلك قالت لهم: قولوا فليجهزنى! فأتوا أمير المؤمنين صلوات الله عيه فذكروا له ذلك ، فجهزها وبعث معها بالنساء....

عن محصن بن زياد الضبى قال: سمعت الأحنف بن قيس يقول: فقالت: لا أفعل! فقال لها: لئن لم تفعلى لأرسلن إليك نسوه من بكر بن وائل بشفار حداد يأخذنك بها . قال: فخرجت حينئذ) !

وفى تاريخ يعقوبى: ٢/١٨٣: (وأتاها على ، وهى فى دار عبد الله بن خلف الخزاعى وابنه المعروف بطلحه الطلحات ، فقال: إيتها يا حميراء ! ألم تُنهى عن هذا المسير ! فقالت: يا ابن أبى طالب قدرت فاسجح ! فقال: أخرجى إلى المدينة وارجعى إلى بيتك الذى أمرك رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) أن تقرى فيه . قالت: أفعل . فوجه معها سبعين امرأه من عبد القيس فى ثياب الرجال ، حتى وافوا بها المدينة .)

فى رقبه من .. قتلى حرب الجمل !!

فى تاريخ الطبرى: ٣/٥٤٣: (كان قتلى الجمل حول الجمل عشره آلاف ، نصفهم من أصحاب على ونصفهم من أصحاب عائشه .) انتهى .

ووصلت بهم الروايات الى خمسه وعشرين ألفاً ! ففى تاريخ خليفه بن خياط ص ١٣٩ ، عن جده المعلى أبى حاتم قالت: (خرجنا إلى قتلى الجمل فعددناهم بالقصب عشرين ألفاً... عن خالد بن العاص عن أبيه قال: قتل ثلاثه عشر ألفاً ، من أصحاب على ما بين الأربع مائه إلى الخمس مائه .) انتهى .

وفى مستدرک الوسائل: ١١/٥٩: فى حديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قال فيه: (ومسيرها من مكه إلى البصره ، وإشعالها حرباً قتل فيه طلحه والزبير وخمسه وعشرون ألفاً من المسلمين ، وقد علمتم أن الله عز وجل يقول: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمَدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا).

وفى كشف الغمه: ١/٢٤٣: (وكان عدده من قتل من جند الجمل سته عشر ألفاً وسبعمائه وتسعين إنساناً ، وكانوا ثلاثين ألفاً ، فأتى القتل على أكثر من نصفهم ، وقتل من أصحاب على (عليه السلام) ألف وسبعون رجلاً ، وكانوا عشرين ألفاً .) انتهى .

أقول: المرجح عندى مارواه فى الكافئه: ص ١٩ عن على (عليه السلام) قال: (ولقد علمت والله أن الراكبه الجمل لاتحل عقده ولا تسير عقبه ولا تنزل منزله إلا إلى معصيه الله ، حتى

تورد نفسها ومن معها مورداً يقتل ثلثهم ويهرب ثلثهم ويرجع ثلثهم). انتهى.

وقد روي أن جنود فتنه عائشه كانوا ثلاثين ألفاً ، فيكون قتلهم نحو عشرة آلاف جزاهم الله بسوء فعالهم ، وقد وصف علي(عليه السلام) قتلهم بأنه فُقُّ لعين الفتنة ، ففي كشف الغمه: ١/٢٤٤: (عن زر أنه سمع علياً(عليه السلام) يقول: أنا فقأت عين الفتنة ، ولولا أنا ما قتل أهل النهروان وأهل الجمل ، ولولا أنني أخشى أن تتركوا العمل لأنبأتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم(صلى الله عليه وآله وسلم) لمن قاتلهم مستبصراً ضلالهم ، عارفاً للهدى الذي نحن عليه). انتهى.

أما الشهداء من جنود علي(عليه السلام) فكانوا نحو ألفين ، رضوان الله عليهم .

ص: ٢٤٠

من نبل علي (عليه السلام) وعدالته في حرب الجمل

في تاريخ الطبري: ٣/٥٤٣: (ودخل على البصره يوم الإثنين فانتهى إلى المسجد فصلى فيه ثم دخل البصره فأتاه الناس ، ثم راح إلى عائشه على بغلته فلما انتهى إلى دار عبدالله بن خلف وهي أعظم دار بالبصره ، وجد النساء يبكين على عبدالله وعثمان ابني خلف مع عائشه ، وصفيه ابنه الحارث مختمره تبكي ، فلما رأته قالت: يا علي يا قاتل الأحبه يا مفرق الجمع ، أيتم الله بنيك منك كما أيتم وُلد عبدالله منه ! فلم يردَّ عليها شيئاً ، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشه فسلم عليها وقعد عندها ، وقال لها جَبَّهتنا صفيه ، أما إنى لم أرها منذ كانت جاريه حتى اليوم ! فلما خرج على أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام ، فكف بغلته وقال: أما لهممت - وأشار إلى الأبواب من الدار - أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه ، ثم هذا فأقتل من فيه ، ثم هذا فأقتل من فيه ! وكان أناس من الجرحى قد لجؤوا إلى عائشه فأخبر عليٌّ بمكانهم عندها فتغافل عنهم ، فسكتت !

فخرج على فقال رجل من الأزد: والله لا- تفلتنا هذه المرأة ! فغضب وقال: صه ، لا تهتكَن سترًا ، ولا تدخلنَ داراً ، ولا تهيجنَ امرأة بأذى ، وإن شَتَمَنَ أعراضكم وسَفَّهَنَ أمراءكم وصلحاءكم ، فإنهن ضعاف ! ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات ، وإن الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده ، فلايلغنى عن أحد عرض لامرأة ، فأنكَلُ به شرار الناس! انتهى .

أقول: صفيه هذه ، معروفه بأُم طلحه الطلحات ، هي بنت الحارث بن طلحه بن أبي طلحه من بني عبد الدار(تهذيب التهذيب: ١٢/٣٨٠) ، ولذلك أجابها أمير المؤمنين(عليه السلام)، عندما أعادت دعاءها عليه كما في مناقب آل أبي طالب: ٢/٩٨: (إنى

لا ألومك أن تبغضيني يا صفيه وقد قتلت جدك يوم بدر وعمك يوم أحد ، وزوجك الآن ، ولو كنت قاتل الأحمه لقتلت من في هذه البيوت!!

وروى الإبرلي في كشف الغمه: ٢٤٢/، قصه قتل على (عليه السلام) لزوجه ابن خلف في حرب الجمل ، وأن ابن خلف كان البادئ حيث تحدى علياً (عليه السلام) وأراد قتله ، قال:

(خرج رجل مدجج يظهر بأساً ، ويعرض بذكر على (عليه السلام) حتى قال:

أضربكم ولو أرى علياً

عمته أبيض مشرقياً

فخرج إليه علي (عليه السلام) متكرراً وضربه على وجهه فرمى بنصف قحف رأسه! فسمع صائحاً من ورائه فالتفت فرأى ابن أبي خلف الخزاعي من أصحاب الجمل فقال: هل لك في المبارزه يا علي؟ فقال علي (عليه السلام): ما أكره ذلك ، ولكن ويحك يا ابن أبي خلف ، ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا؟ فقال: ذرني يا ابن أبي طالب من بذحك بنفسك ، وادن مني لترى أيُّنا يقتل صاحبه ! فثنى علي (عليه السلام) عنان فرسه إليه فبدره ابن خلف بضربه فأخذها على في جحفته ، ثم عطف عليه بضربه أطار بها يمينه ، ثم ثنى بأخرى أطار بها قحف رأسه)!

وذكر القاضي المغربي في دعائم الإسلام: ١/٣٩٤

، أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لإحدى النساء (عائشه): (ألا تبعدين هؤلاء الكلبات عني! يزعمن أنني قاتل الأحمه ، ولو قتلت الأحمه لقتلت من في هذه الحجره ، ومن في هذه الحجره ، وأومى إلى ثلاث حجرات ، فما بقي في الدار صائحه إلا سكتت ، ولا قائمه إلا جلست !

قال الأصمغ: وهو صاحب الحديث: وكان في إحدى الحجر عائشه ومن معها من خاصتها ، وفي الأخرى مروان بن حكم وشباب من قريش ، وفي الأخرى عبد الله بن الزبير وأهله . فقيل له: فهلا- بسطتم أيديكم على هؤلاء فقتلتموهم؟ أليس هؤلاء كانوا أصحاب القرحة ، فلم استبقاهم؟ قال الأصمغ: قد ضربنا والله بأيدينا على قوائم السيوف ، وحددنا أبصارنا نحوه لكي يأمرنا فيهم بأمر ، فما

ص: ٢٤٢

فعل ووسعهم عفوه ! وذكر باقى الحديث بطوله .). انتهى .

وفى تاريخ الطبرى: ٣/٥٤١: (وأوى عبدالله بن الزبير إلى دار رجل من الأزد يدعى وزيراً وقال: إئت أم المؤمنين فأعلمها بمكانى ، وإياك أن يطلع على هذا محمد بن أبى بكر ! فأتى عائشه فأخبرها فقالت علىّ بمحمد ، فقال: يا أم المؤمنين إنه قد نهانى أن يعلم به محمد ، فأرسلت إليه فقالت: إذهب مع هذا الرجل حتى تجيئنى بابن أختك ، فانطلق معه فدخل الأزدى على ابن الزبير قال: جئتك والله بما كرهت وأبت أم المؤمنين إلا ذلك ! فخرج عبدالله ومحمد وهما يتشاثمان ! فذكر محمد عثمان فشمته ، وشم عبدالله محمداً ، حتى انتهى إلى عائشه فى دار عبدالله بن خلف ! وأرسلت عائشه فى طلب من كان جريحاً فضمت منهم ناساً ، وضمت مروان فيمن ضمت فكانوا فى بيوت الدار .). انتهى .

أقول: هذا يدل على أن أمير المؤمنين (عليه السّلام) أمر محمد بن أبى بكر أن يكون مع أخته عائشه ويتحمل سبها وشمها ، ويطيعها فى خدماتها ويعفو عن أنصارها !

وفى تاريخ الطبرى: ٣/٥٤٧: (وجهز علىّ عائشه بكل شئ ينبغى لها من مركب أو زاد أو متاع ، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها ، إلا- من أحب المقام . واختار لها أربعين امرأه من نساء أهل البصره المعروفات ، وقال: تجهز يا محمد فبلغها ، فلما كان اليوم الذى ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها ، وحضر الناس فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم وقالت:

يا بَنِيَّ ، تَعْتَبُ بعضنا على بعض استبطاءً واستزاده ، فلا يَعْتَدَنَّ أحد منكم على أحد بشئ بلغه من ذلك ، إنه والله ما كان بينى وبين علىّ فى القديم إلا ما يكون بين المرأه وأحمائها ، وإنه عندى على معتبتي من الأخيار) ! انتهى .

ومعنى كلامها: يا أولادى ، نحن الصحابه قد يعتب بعضنا على بعض ، لأنه

يستبطنى منه ما يراه لازماً ، أو لأنه يريد منه المزيد من الخير الذى فعله ، فإن بلغكم من بعضنا غضب على بعض فلا تجعلوه سبياً للنزاع والحرب ! وأنا رغم عتبي على على فهو عندى من الأخيار ، ولم يكن بينى وبينه إلا- ما يكون بين الزوجه وأقارب زوجها من أمور صغيره !!

فهذا اعتراف عائشه بأن علياً رجل صالح وأن حربها له وألوف القتلى كانت بسبب حساسيه الزوجه من أقارب زوجها ! أما على (عليه السلام) فله فيها رأى آخر !!

وفى تاريخ الطبرى: ٣/٥٤٥: (عن محمد بن راشد عن أبيه قال: كان من سيره على: أن لا يقتل مدبراً ، ولا يدفع على جريح ، ولا يكشف سترأ ، ولا يأخذ مالاً ، فقال قوم يومئذ: ما يحلل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم؟! فقال على: القوم أمثالكم ، من صفح عنا فهو منا ونحن منه ، ومن لجج حتى يصاب فقتاله منى على الصدر والنحر ، وإن لكم فى خمسهِ لغنى . فيومئذ تكلمت الخوارج!) انتهى .

ومعنى قوله: (فيومئذ تكلمت الخوارج): أنهم تشكلوا فى ذلك اليوم كفته لها متكلمون باسمهم ، وكان أول اعتراضهم على أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه أحلّ قتال البغاه وحرّم سبيهم وغنائمهم ، إلا ما حوى معسكرهم !

وفى الإحتجاج: ١/٢٤٦: عن عبدالله بن الحسن قال: (كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يخطب بالبصره بعد دخوله بأيام فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى من أهل الجماعه ، ومن أهل الفرقة ، ومن أهل البدعه ومن أهل السنه ؟ فقال: ويحك أما إذا سألتنى فافهم عنى ، ولا عليك أن تسأل عنها أحداً بعدى:

أما أهل الجماعه فأنا ومن اتبعنى وإن قلوا ، وذلك الحق عن أمر الله تعالى وعن أمر رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم). وأهل الفرقة المخالفون لى ولمن اتبعنى وإن كثروا . وأما أهل السنه فالمتمسكون بما سنه الله لهم ورسوله وإن قلوا . وأما أهل البدعه فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ورسوله ، العاملون برأيهم وأهوائهم ، وإن كثروا ، وقد مضى منهم الفوج

الأول وبقيت أفواج ، وعلى الله قبضها واستيصالها عن جدد الأرض .

فقام إليه عمار فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس يذكرون الفيئ ويزعمون أن من قاتلنا فهو وماله وولده فيئ لنا . فقام إليه رجل من بكر بن وائل يدعى عباد بن قيس ، وكان ذا عارضه ولسان شديد ، فقال: يا أمير المؤمنين والله ما قسمت بالسويه ، ولا عدلت بالرعيه . فقال: ولم ويحك؟! قال لأنك قسمت ما فى العسكر وتركت الأموال والنساء والذرية . فقال: أيها الناس من كانت به جراحه فليداوها بالسمن ! فقال عباد: جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترهات !

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) إن كنت كاذباً فلا أماتك الله حتى يدركك غلام ثقيف (يقصد الحجاج) ! قيل: ومن غلام ثقيف؟ فقال: رجل لا يدع الله حرمه الا انتهكها ! فقيل: أفيموت أويقتل؟ فقال: يقصمه قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجرى من بطنه ! يا أخا بكر أنت أمرؤ ضعيف الرأى ، أو ما علمت أنا لا نأخذ الصغير بذنوب الكبير ، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقه ، وتزوجوا على رشده ، وولدوا على فطره ، وإنما لكم ما حوى عسكرهم ، وما كان فى دورهم فهو ميراث ، فإن عدا أحد منهم أخذناه بذنبه وإن كف عنا لم نحمل عليه ذنب غيره! يا أخا بكر لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى أهل مكة ، فقسم ما حوى العسكر ، ولم يتعرض لما سوى ذلك ، وإنما اتبعت أثره حذو النعل بالنعل !

يا أخا بكر أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها ، وأن دار الهجره يحرم ما فيها إلا- بالحق فمهلاً مهلاً رحمكم الله . فإن لم تصدقونى وأكثرتم على - وذلك أنه تكلم فى هذا غير واحد - فأيكم يأخذ عائشه بسهمه؟! فقالوا: يا أمير المؤمنين أصبت وأخطأنا ، وعلمت وجهلنا ، فنحن نستغفر الله تعالى! ونادى الناس من كل جانب: أصبت يا أمير المؤمنين ، أصاب الله بك الرشاد والسداد ، فقام عمار فقال:

أيها الناس إنكم والله لو اتبعتموه واطعتموه لن يضل بكم عن منهل نبيكم (صلى الله عليه وآله وسلم))

حتى قيس شعره ، وكيف لا يكون ذلك وقد استودعه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علم المنايا والقضايا وفصل الخطاب على منهج هارون ، وقال له: أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لاني بعدى ، فضلاً خصه الله به وإكراماً منه لنيبه (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث أعطاه ما لم يعط أحداً من خلقه.....

ثم قال أمير المؤمنين (عليه السلام): أنظروا رحمكم الله ما تؤمرون فامضوا له..... وأما عائشه فأدر كها رأى النساء ، ولها بعد ذلك حرمتها الأولى والحساب على الله ، يعفو عن يساء ويعذب من يساء). انتهى .

ص: ٢٤٦

أمير المؤمنين (عليه السلام) يرتب وضع البصره ويواصل فتح إيران والهند

في تاريخ اليعقوبي: ٢/١٨٣: (ولما فرغ من حرب أصحاب الجمل ، وجه جعده بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي إلى خراسان) .

وفي شرح نهج البلاغه: ١٨/٣٠٨: (هبيرة بن أبي وهب ، كان من الفرسان المذكورين ، وابنه جعده بن هبيرة ، وهو ابن أخت علي بن أبي طالب ، أمه أم هانئ بنت أبي طالب ، وابنه عبد الله بن جعده بن هبيرة ، هو الذي فتح القهندر وكثيراً من خراسان ، فقال فيه الشاعر:

لولا ابن جعده لم تُفتح قهندر كم ولا خراسان حتى ينفخ الصور . انتهى .

أقول: في معجم البلدان: ٤/٤١٩ ، وصحاح الجوهرى: ١/٤٣٣: قهندز بالزاي .

وقال الطبري في تاريخه: ٤/٤٦: (فانتهى إلى أبر شهر وقد كفروا وامتنعوا فقدم على علي فبعث خليل بن قره اليربوعي فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه وصالحه أهل مرو ، وأصاب جاريتين من أبناء الملوك نزلتا بأمان فبعث بهما إلى علي فعرض عليهما الإسلام وأن يزوجهما ، قالتا زوجنا ابنيك فأبى ، فقال له بعض الدهاقين إدفعهما إلي فإنه كرامه تكرمني بها ، فدفعهما إليه فكانتا عنده يفرش لهما الديباج ويطعمهما في آنيه الذهب ، ثم رجعتا إلى خراسان) . انتهى .

وقد وضعنا عنوان مواصلة علي (عليه السلام) للفتوحات عن قصد ، لإثبات أنه (عليه السلام) رغم أن أعداءه شغلوه بثلاث حروب داخلية ، فقد واصل اهتمامه بالفتوحات ، وفتح ولايته مناطق كثيرة من خراسان والهند وإفريقيا .

قال خليفه بن خياط في تاريخه ص ١٤٣ ، في حوادث سنة ٣٦: (وفيها ندب الحارث بن مره العبدي (من البحرين) الناس إلى غزو الهند ، فجاوز مكران إلى

وفي فتوح البلدان للبلاذري: ٣/٥٣١: (فلما كان آخر سنة ثمان وثلاثين وأول سنة تسع وثلاثين في خلافه على بن أبي طالب رضى الله عنه ، توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مره العبدي متطوعاً بإذن على ، فظفر وأصاب مغنماً وسبياً ، وقسم في يوم واحد ألف رأس). انتهى .

إن من ظلامات قريش لأُمير المؤمنين (عليه السَّلام) أنهم نسبوا الفتوحات لأبي بكر وعمر وعثمان ، وأخفوا دوره ودور تلاميذه وشيعته الفرسان أمثال: خالد بن سعيد بن العاص وإخوته أبان وعمرو ، وبريده الأسلمي ، وعمار ، وحذيفه ، وسلمان ، والمقداد ، وحجر بن عدى ، والأشتر ، وهاشم المرقال ، وأبي ذر ، وعباده بن الصامت ، والبراء بن عازب ، وأبي أيوب الأنصاري ، وبلال ، وعبدالله بن خليفة البجلي ، وعدى بن حاتم الطائي ، وبديل بن ورقاء الخزاعي ، وأبو عبيده بن مسعود الثقفي... وغيرهم وغيرهم ، من القادة الميدانيين الذين قامت الفتوحات على قيادتهم وجهودهم وبطولاتهم .

فقد حدث أن انهزم المسلمون في معركة الجسر في أوائل فتح العراق ، وأرسل حذيفه إلى عمر إن الفرس جمعوا مئة وخمسين ألف جندي وهم قاصدون إلى المدينة فخاف عمر فنهض على (عليه السَّلام) وطمأنه ، فأطلق عمر يده في إداره الفتوحات إلى حد ، فأخذ يرسل القادة ويوجههم ، حتى أزال الأخطار وحقق الانتصارات ، لكن قريشاً كانت تنسب الفتوح إلى عمر وعثمان والمقربين إليهم !

وقد حدث أن جمعت الروم أكثر من مئة ألف مقاتل لمعركة فاصله مع المسلمين في الشام ، وكان القادة الفرسان الذين حققوا النصر للمسلمين عليهم تلاميذ على (عليه السَّلام) مثل خالد بن سعيد ، ومالك الأشتر ، وهاشم المرقال.. الخ.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه: ٢٠/٢٩٨: (قال له قائل: يا أمير المؤمنين أرأيت لو كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحلم، وآنس منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟ قال: لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت، ولولا أن قريشاً جعلت إسمه ذريعه إلى الرياسة، وسلمت إلى العز والأمره، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً، ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقه، وتمولت بعد الجهد والمخمصه، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهه قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف .

وما عسى أن يكون الولد لو كان! إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقربني بما تعلمونه من القرب للنسب واللحمه، بل للجهاد والنصيحه، أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت! وكذاك لم يكن يقرب ما قربت، ثم لم يكن عند قريش والعرب سبباً للحظوه والمنزله، بل للحرمان والجفوه .

اللهم إنك تعلم أني لم أرد الأمره، ولا علو الملك والرياسه، وإنما أردت القيام بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الأمور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها والمضى على منهاج نبيك، وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك). انتهى .

وقد أشرنا الى موضوع المفتوحات استطراداً، وهو يحتاج الى دراسه خاصه،

كما ينبغي التنبيه على أن إمضاء أمير المؤمنين (عليه السلام) للفتوحات لا يعنى قبوله (عليه السلام) لأخطاءها الكثيره، ومنها أخطاء فادحه على مستوى الإسلام والتاريخ!

كيف استجابات الأمة لعلی (عليه السلام) وقاتلت معه قريشاً !

يتعجب الإنسان كيف تخَلَّت أمه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عن أهل بيت النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أيام وفاته فلم تُقَمِّ برده فعل على هجوم الحزب القرشي على بيت علي وفاطمه (عليهما السَّلَام) حتى فعلوا ما فعلوا ، وأجبروا أهل البيت (عليهم السَّلَام) على بيعه أبي بكر ! ثم كيف لم يستجب الأنصار لعلی (عليه السَّلَام) حين استعمل معهم أقوى وسائل التحريك وهي (الجاهه) التي يحسب لها العرب كل حساب ! فقد حَمَلَتْ عَلِيٌّ فاطمه الزهراء على دابه بعد الهجوم على دارها ، وكانت مريضه ، وأخذ معه ولديه الحسن والحسين (عليهم السَّلَام) ، وطرق أبواب زعماء الأنصار واحداً واحداً ، وذكرهم هو وفاطمه (عليهما السَّلَام) ببيعتهم له يوم الغدير وبيعتهم للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قبل عشر سنوات يبعه العقبه ، يوم قالوا للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) : يارسول الله أشرطُ لنفسك ولربك ما شئت ، فأمر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) علياً فأخذ عليهم البيعه على أن يحموا النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حتى يبلغ رساله ربه مما يحمون منه أنفسهم ، ويحموا أهل بيته مما يحمون منه أهلهم وذرايرهم ، ولا ينازعوا الأمر أهله !!

فلم تؤثر فيهم هذه الجاهه أكثر من وعدهم لعلی (عليه السَّلَام) أن يوافوه غداً لدفع الظلم عنه والطلب بحقه ، فلم يحضروا !!

يتعجب ، عندما يرى هؤلاء أنفسهم أو أولادهم ، يهتفون في زمن عثمان باسم عليّ (عليه السَّلَام) للخلافه ، ويحتشدون بعد مقتل عثمان راجين أن يقبل بيعتهم بالخلافه !

وعندما خرجت عليه عائشه وطلحه والزبير استجابوا لدعوته الى قتالهم !

وعندما خرج عليه معاويه ومعه كل قبائل قريش ، استجابوا له وقاتلوا معه قريشاً كلها في صفين؟!!

فما الذي تغير في هذه الثلاثين سنه ، حتى صار قتال قريش سائغاً عند الأمة؟!!

الذي حدث ، أولاً: أن قبائل قريش حكمت في عهد أبي بكر وعمر اثنتي عشره

سنه ، ثم سلّمت الخلافة الى بنى أميه فاستأثروا وظلموا ، فضجّت الأمة من ظلم قريش! وصار

مطلب عامتها فى المدينة والولايات ، إصلاح ما أفسدته قريش ، ولا يوجد شخص عادل قوى يستطيع إصلاحه مثل على(عليه السلام) .

والذى حدث ثانياً: أن جمهور الطلقاء الذى حشدتهم قريش فى المدينة عند وفاة النبى(صلّى الله عليه وآله وسلّم) وعلموهم أن يصيحوا: القول ما قاله عمر ، لا يوجدون الآن !

وحتى لو كانوا موجودين فصياحهم اليوم لا ينفذ ، لغياب قادة قريش المحنكين المخططين وهم: سهيل بن عمرو ، وأبو بكر بن أبى قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيده بن الجراح ، وسالم الفارسى مولى حذيفه الأموى !

والذى حدث ثالثاً: أن شعور الأمة بتأنيب الضمير لظلامتها لأهل بيت نبىها(عليهم السّلام) قد نما فيها ، فأرادت أن تكفر عن ذلك ببيعها لعلى(عليه السّلام) !

فهذه العوامل الثلاثة كانت أسباباً فى استجابة الأمة لعلى(عليه السّلام) ، لكن العامل الأساسى الذى يعادلها جميعاً هو شخصيه علىّ الفريده ، فى تجسيده للنبى(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وتاريخ جهاده العظيم ، وشجاعته ، وبلاغته ، وعدله(عليه السّلام) !

ويعادل كل هذه العوامل والصفات: المعجزات التى رأتها الأمة من على(عليه السّلام) فخشعت لها قلوب المؤمنين ، وخضعت لها أعناق المنافقين ! فقد كان(عليه السّلام) يخبرهم بما سيكون من أحداث ، ويريهم آيات الله تعالى وآيات رسوله(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، وقد بلغت معجزاته التى رأتها الأمة فى خلافته أكثر من خمس مئة !!

ومن خصائص شخصيه على(عليه السّلام) التى كانت تعجب الأمة ، قوه قلبه وبصيرته ، بحيث استطاع أن يخوض الحرب مع الناكثين والقاسطين والمارقين ، بإمكانات بسيطه بالقياس الى إمكانات طلحه والزبير وعائشه ومعاويه ! فقد تقدم أن طلحه وحده كان يمكنه أن يمؤل ثلاث حروب كحرب الجمل ، مضافاً الى أن بيوت

أموال المسلمين فى الأمصار كانت فى يد الولاة الأمويين فجااء بعضهم بها الى عائشه وطلحه والزبير ، كيعلى بن أميه والى اليمن !
(ثقات ابن حبان: ٢/٢٧٩).

لقد استطاعت عائشه وشركاؤها بهذه الثروات أن يجندوا مئه وعشرين ألفاً !

وقد تقدم فى روايه الأخبار الطوال ص ١٥٠: (ونادى على رضى الله عنه فى أصحابه: لا تتبعوا مولياً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تنتهبوا مالاً ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن . قال: فجعلوا يمرون بالذهب والفضه فى معسكرهم والمتاع ، فلا يعرض له أحد...) . انتهى .

فهذا حال معسكرهم بعد الهزيمة! فى حين كان بيت مال المسلمين فى عاصمه الخلافة فارغاً ليس فيه ما يجهز جيشاً ، فاستعان على (عليه السلام) ببعض الصحابه (ثعلبه بن عمير بدرى ، وهو الذى أعطى علياً يوم الجمل مائه ألف درهم أعانه بها ، قتل يوم صفين). (شرح الأخبار: ٢/٢١) .

كما أن سياسته (عليه السلام) فى احترام الإنسان المسلم وعدم إجباره على القتال معه ، قللت من عدد جيشه ، فلم يزد فى حرب الجمل على اثنى عشر ألفاً !

أما فى حرب صفين فقد كانت ثروه معاويه وحدها كافيه لتمويل عده جيوش! فقد كان الحاكم المدلل الذى أطلق عمر ثم عثمان يده فى بيت مال بلاد الشام ولم يحاسبه أبداً ، وكان مع ذلك يتاجر حتى فى الخمور! وقصه الصحابييين عباده بن الصامت وعبدالله بن سهل مع قوافل معاويه المحمله بالخمير ، مشهوره !

وقد بالغ معاويه فى تجهيز جيشه لحرب على (عليه السلام) فى صفين عدداً وعُدَّةً ، فبلغ مئه وعشرين ألفاً ، بينما بلغ جيش على (عليه السلام) تسعين ألفاً . (التنبيه والإشراف ص ٢٥٥).

وقد وردت هذه الحقائق عن لسان أمير المؤمنين (عليه السلام)، فى جوابه للأشعث بن قيس عندما سأله مادمت وصى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وصاحب الحق ، فلماذا لم تقا تل أبأ

بكر وعمر؟ فقال (عليه السلام): (أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما الأمه صانعه بى بعده! فلم أك بما صنعوا حين عاينته بأعلم منى ولا أشد يقيناً منى به قبل ذلك ، بل أنا بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أشد يقيناً منى بما عاينت وشهدت . فقلت: يارسول الله فما تعهد إلتى إذا كان ذلك؟ قال: إن وجدت أعواناً فانبذ إلتهم وجاهدهم ، وإن لم تجد أعواناً فاكفف يدك واحقن دمك ، حتى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنتى أعواناً

ويلك يا ابن قيس ، كيف رأيتنى صنعت حين قتل عثمان إذ وجدت أعواناً؟! هل رأيت منى فشلاً أو تأخراً أو جنباً أو تقصيراً فى وقعتى يوم البصره ، وهم حول جملهم ، الملعون من معه ، الملعون من قتل حوله ، الملعون من رجع بعده لا تائباً ولا مستغفراً ، فإنهم قتلوا أنصارى ونكثوا بيعتى ومثلوا بعاملى وبغوا على !

فسرت إلتهم فى اثنى عشر ألفاً وهم نيف على

عشرين ومائه ألف ! فنصرنى الله إلتهم ، وقتلهم بإيدينا وشفى صدور قوم مؤمنين .

وكيف رأيت يا ابن قيس وقعتنا بصفين ، وما قتل الله منهم بإيدينا خمسين ألفاً فى صعيد واحد إلى النار !

وكيف رأيتنا يوم النهروان ، إذ لقيت المارقين وهم مستمسكون يومئذ بدين الذين ضل سعيهم فى الحياه الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؟ فقتلهم الله بإيدينا فى صعيد واحد إلى النار ، لم يبق منهم عشره ، ولم يقتلوا من المؤمنين عشره !

ويلك يا ابن قيس ، هل رأيت لى لواء رُد ، أو رايه رُدّت؟! إياى تعير يا ابن قيس؟ وأنا صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى جميع مواطنه ومشاهده ، والمتقدم إلى الشدائد بين يديه ، لأفر ولا أزول ، ولا أعيا ولا أنحاز ، ولا أمنح العدو دبرى ، لأنه لا ينبغى للنبي ولا للوصى إذا لبس لأتمه وقصد لعدوه أن يرجع أو ينثنى حتى يقتل أو يفتح الله له....

يا ابن قيس ، أما والذى فلق الحبه وبرأ النسمة ، إنى لو وجدت يوم بويح أخو تيم الذى غيرتنى بدخولى فى بيعته ، أربعين رجلاً كلهم على مثل بصيره الأربعة الذين قد وجدت ، لما كفت يدى ولناهضت القوم ، ولكن لم أجد خامساً فأمسكت) ! (كتاب سليم بن قيس ص ٢١٥)

لماذا كان الأمر يدور بين القتال أو الكفر

استفاض الحديث عن علي (عليه السلام) بأنه كان يقول إن قتاله للناكثين والقاسطين والمارقين فريضته مشدده ، وتنفيذ للعهد النبوي اليه ، وأن أمره يدور بين تنفيذ هذا العهد ، وبين أن يعصى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ويكفر بما أنزله الله تعالى عليه !

ففى علل الشرائع: ١/٢٢٢: (إنى قلبت أمرى وأمرهم ظهراً لبطن ، فما وجدت إلا قتالهم أو الكفر بما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) !

وفى تاريخ دمشق: ٤٢/٤٣٩: (فوالله ما وجدت إلا السيف أو الكفر بما أنزل على محمد). وفى: ٤٢/٤٧٤: (ما وجدت إلا القتال أو الكفر بما أنزل على محمد). ونحوه فى أسد الغابه: ٤/٣١ ، وأنساب الأشراف ص ٢٣٦ .

وجاء فى صفين لابن مزاحم ص ٤٧٤ ، وفى المعيار والموازنه للإسكافى ١٤٥ ، والأخبار الطوال للدينورى ص ١٨٧ ، واللفظ له: (وبرز رجل من أهل الشام مقنعاً بالحديد ، ونادى: يا أبا الحسن ، أدن منى أكلمك ، فدنا منه علي حتى اختلفت أعناق فرسيهما بين الصفيين ، فقال: إن لك قدماً فى الإسلام ليس لأحد ، وهجره مع رسول الله (ص) وجهاداً ، فهل لك أن تحقن هذه الدماء ، وتؤخر هذه الحرب برجوعك إلى عراقك ، ونرجع إلى شامنا الى أن تنظر وننظر فى أمرنا؟ . فقال علي: يا هذا ، إنى قد ضربت أنف هذا الأمر وعينييه ، فلم أجده يسعنى إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد ، إن الله لا يرضى من أوليائه أن يعصى فى الأرض وهم سكوت لا يأمرن بمعروف ولا ينهون عن منكر ، فوجدت القتال أهون من معالجه الأغلال فى

جهنم . قال: فانصرف الشامى وهو يسترجع). انتهى .

وهكذا كان علي (عليه السلام) مأموراً من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما فعل ، كما كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مأموراً من الله تعالى ! فلماذا ؟

لاتفسير لذلك إلا أن الله تعالى علم بعلمه المطلق أن قريشاً على رغم فتح عاصمتها مكة وإخضاعها عسكرياً ، ما تزال تشكل في المستقبل القريب خطراً على أصل الإسلام ، وأن بنى أمية أقدر القبائل على قياده قريش ، وأن تسليم قبائل قريش قيادتها الى سهيل بن عمرو السهمي ، وأبي بكر التيمي ، وعمر العدوي ، ليس إلا حاله طارئه قصيره تعود بعدها قيادتها الى أميه !

وأن نغمه الصحابه والأمه على عثمان ليست إلا- مقطعاً قصيراً أيضاً ، بإمكان بنى أميه أن يحتووه ، أما طلحه والزبير وعائشه فلو نجحوا في إسقاط حكم على (عليه السّلام) وأخذوا الخلافة ، فهم متناقضون عجولون ، ليست لهم القدره على قياده قريش ، وسرعان ما ينتهون ولا يكونون إلا كالزوج المحلل لرجوع الخلافة الى بنى أميه ، كما كان حال سهيل وأبي بكر وعمر !

لذلك كانت وصيه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لعلي (عليه السّلام) أن يستثمر نغمه الأمه على عثمان ويقا تل بنى أميه على التأويل كما قاتلهم مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على التنزيل ، وبذلك يتم بعث العهد النبوي مجدداً ل يبقى ماثلاً في تاريخ الأمه وضميرها ، حتى لو لم يتحقق لعلي (عليه السّلام) النصر الكامل على قريش وأميه !

وهذا يفسر لنا تأكيدات أمير المؤمنين (عليه السّلام) وأبرار الصحابه على أن بنى أميه ما أسلموا ولكن استسلموا ! وأنهم أصحاب مشروع خفي لتشويه شخصيه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وضرب أصل الإسلام! فقد كان عمار بن ياسر (رحمه الله) ينادى: (أيها الناس والله ما أسلموا ، ولكنهم استسلموا وأسرؤا الكفر ! فلما وجدوا أعواناً أظهروه) ! (صفين لابن مزاحم ص ٢٤٣ ، وشرح الأخبار: ٢/١٥٧ ، وعلل الشرائع: ١/٢٢٢).

وقد أخذ عمار ذلك من إمامه أمير المؤمنين (عليه السّلام) الذي أخذ من النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، ففي نهج البلاغه: ٣/١٦: (وكان (عليه السّلام) يقول لأصحابه عند الحرب: لاتشتدن عليكم فرّة بعدها كره ، ولا جوله بعدها حمله وأعطوا السيوف حقوقها ، ووطئوا للجنوب مصارعها ،

واذمروا أنفسكم على الطعن الدعسى والضرب الطلحفى، وأميتوا الأصوات فإنه أطرده للفشل . فوالذى فلق الحبه وبرأ النسمه ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر ، فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه !

وقال نصر بن مزاحم ص ٢١٥: (كنا مع على بصفين ، فرجع عمرو بن العاص شقه خميصه سوداء فى رأس رمح فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) فلم يزالوا كذلك حتى بلغ علياً ، فقال: هل تدرون ما أمر هذا اللواء؟ إن عدو الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله هذه الشقه فقال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: وما فيها يارسول الله ؟ قال: فيها أن لا تقاتل به مسلماً ، ولا تفر به من كافر ! فأخذها ، فقد والله فرَّ به من المشركين ، وقاتل به اليوم المسلمون !! والذى فلق الحبه وبرأ النسمه ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر ، فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عدواتهم لنا إلا أنهم لم يدعوا الصلاه) . انتهى .

ص: ٢٥٦

لتقاتلن بعدى على تأويل القرآن الناكثين والقاسطين والمارقين

روى المسلمون أحاديث صحيحة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبر قريشاً بأنهم يحتاجون الى من يقاتلهم بعده على تأويل القرآن ، كما قاتلهم هو على تنزيله !

ففى مستدرک الحاكم: ٢/١٣٨: (لما افتتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة أتاه ناس من قريش فقالوا: يا محمد إنا حلفاؤك وقومك ، وإنه لحق بك أرقاؤنا ليس لهم رغبة فى الإسلام ، وإنما فروا من العمل فارددهم علينا ! فشاور أبا بكر فى أمرهم فقال: صدقوا يا رسول الله ! فقال لعمر: ما ترى ؟ فقال مثل قول أبى بكر !

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا معشر قريش لبيعن الله عليكم رجلاً منكم امتحن الله قلبه للإيمان ، فيضرب رقابكم على الدين ! فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله ؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو يا رسول الله ؟ قال: لا ، ولكنه خاصف النعل فى المسجد! وقد كان ألقى نعله إلى على يخصفها. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه).

وفى مجمع الزوائد: ٧/٢٣٨: (عن على قال عهد إلى رسول الله (ص) فى قتال الناكثين والقاسطين والمارقين. رواه البزار والطبرانى فى الأوسط وأحد إسنادى البزار رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد ووثقه ابن حبان).

وفى أمالى الصدوق ٤٦٣ ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: بلغ أم سلمة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن مولى لها يتنقص علياً (عليه السلام) ويتناوله فأرسلت إليه ، فلما أن صار إليها قالت له: يا بنى بلغنى أنك تتنقص علياً وتتناوله ! قال لها: نعم يا أماه . قالت: أفعد ثكلتك أمك حتى أحدثك بحديث سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم اختر لنفسك... الى أن قالت: فدخلت وعلى جاث بين يديه ، وهو يقول: فداك أبى وأمى يا رسول الله ، إذا كان كذا وكذا ، فما تأمرنى ؟ قال: آمرك بالصبر . ثم أعاد عليه القول الثانى ، فأمره بالصبر ، فأعاد عليه القول الثالث ، فقال له: يا على يا أخى ، إذا

كان ذاك منهم فسئل سيفك وضعه على عاتقك واضرب به قداماً قدماً ، حتى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دماهم ! ثم التفت (عليه السلام) إلى فقال لي: ما هذه الكآبه يا أم سلمه؟ قلت: للذي كان من ردك لي يا رسول الله . فقال لي : والله ما رددتكم من مؤخده وإنك لعلي خير من الله ورسوله لكن أتيتني وجبرئيل عن يميني وعلي عن يساري ، وجبرئيل يخبرني بالأحداث التي تكون من بعدى ، وأمرني أن أوصي بذلك علياً ! يا أم سلمه إسمعي واشهدي: هذا علي بن أبي طالب ، أخي في الدنيا وأخي في الآخرة. يا أم سلمه إسمعي واشهدي ، هذا علي بن أبي طالب ، حامل لوائي في الدنيا وحامل لوائي غداً في القيامة . يا أم سلمه إسمعي واشهدي ، هذا علي بن أبي طالب وصي وخليفتي من بعدى ، وقاضي عداتي ، والذائد عن حوضي . يا أم سلمه إسمعي واشهدي ، هذا علي بن أبي طالب ، سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. قلت: يا رسول الله من الناكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينه وينكثون بالبصره. قلت: من القاسطون؟ قال: معاويه وأصحابه من أهل الشام. قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان. فقال مولى أم سلمه: فرجت عنى فرج الله عنك ، والله لا سببت علياً

أبداً) .

وفى من لا يحضره الفقيه: ٤/٤١٩: (عن الأصعب بن نباته قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فى بعض خطبه: أيها الناس إسمعوا قولى واعقلوه عنى فإن الفراق قريب : أنا إمام البريه ووصى خير الخلقه ، وزوج سيده نساء الأمم ، وأبو العتره الطاهره والأئمه الهاديه. أنا أخو رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ووصيه ووليه، ووزيره وصاحبه وصفيه، وحببيه وخليله أنا أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وسيد الوصيين ، حربى حرب الله ، وسلمى سلم الله ، وطاعتى طاعه الله وولايتى ولايه الله، وشيعتى أولياء الله ، وأنصارى أنصار الله . والذى خلقتى ولم أك شيئاً لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن الناكثين والقاسطين والمارقين ملعونون على لسان النبى الأمى وقد خاب من افترى) .

ص: ٢٥٨

عمل أمير المؤمنين (عليه السلام) في خلافته على جهات متعددة ، بفعاليه عجيبه !

فعلى صعيد نقل عاصمه الخلافه الى الكوفه: اتخذ إجراءات في تخطيط الكوفه وتنظيم مجتمعا ، وتعيين مسؤولين على أرباعها ، وكان يعقد الجلسات مع فقهاء وزعمائها ، ويتجول في مناطقها ، ويتفقد أسواقها ويوجه العاملين فيها.

وعلى صعيد الحريات العامه: أعاد حريات المسلمين المصادره بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي أولها حريه الرأي والتعبير ، والإمتناع عن البيعه ، وحريه نقد الحكومه ونظام الحكم ورئيسه ، بل أعطى الحريه لمعارضيه الخوارج أن يتسلحوا ويتجمعوا في معسكرات ، وأعلن أنه لا يتقص أحداً منهم من حقه في بيت المال ، ولا يتعرض لهم ، إلا إذا بدؤوا باعتداء ، أو قتال !

وعلى صعيد تقسيم الثروه: طبّق (عليه السلام) عداله العهد النبوي ، فساوى بين المسلمين في العطاء وفرص العمل ، وساوى بين نفسه وخادمه ، فكان يشتري قميصين ويعطى قنبراً أحسنهما ، لأنه شابٌ والشاب يحب الزينه ! (المناقب: ٢/٩٧) .

وكان يقسم الغنائم ، وما في بيت المال حتى يفرّغه ، ثم يصلى ركعتين ويقول: الحمد لله الذي أخرجني منه كما دخلته . (المناقب: ١/٣٦٤) .

وعلى صعيد العمال والضمان الإجتماعي: طبق

العداله النبويه ، فشرع الضمان الإجتماعي من بيت المال ، وحكم به للمواطنين حتى اليهود والنصارى ، فقد رأى شيخاً كبيراً يستعطي فقال: ما هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين نصراني. فقال (عليه السلام): استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعموه! أنفقوا عليه من بيت المال). (التهذيب: ٦/٢٩٣ ، ونلاحظ أنه هذه البادره من أمير المؤمنين (عليه السلام) في الضمان الإجتماعي سرقها الرواه ونسبها لعمر!).

وعلى صعيد تعيين ولاه الأمصار: قام باستبدال ولاه عثمان الأمويين ، وأصدر

مراسيم عيّن بموجبها حكماً لآذربيجان ، ومصر ، واليمن ، والمدينه ، ومكه ، والبصره ، وفتوح خراسان ، والبحرين ، وفتوح الهند ، ومناطق أخرى من بلاد الدوله الإسلاميه ، فلم يكن خارجاً عن سلطته إلا منطقه الشام .

وعلى صعيد منع الفساد الإدارى ورقابه حكام الولايات: كان يتابع عماله ويراسلهم باستمرار ، وأسس جهاز المراقبين ، وطبّقه بحزم على العمال ، وعزل بعضهم كالأشعث بن قيس عن آذربيجان ، وعاقب حاكم الأهواز وفضحه !

وأمر مالك الأشرع عندما ولاه مصر أن يشكل هذا الجهاز لمراقبه حكام المحافظات ، فكتب له: (ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا- تولهم محاباه وأثره ، فإنهما جماع من شعب الجور والخيانه ، وتوَّخَّ منهم أهل التجربه والحياء من أهل البيوتات الصالحه ، والقدم فى الإسلام المتقدمه ، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً ، وأقل فى المطامع إشرافاً ، وأبلغ فى عواقب الأمور نظراً .

ثم أسبغ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوه لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجه عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك . ثم تفقد أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك فى السر لأمرهم حدوه لهم على استعمال الأمانه والرفق بالرعيه .

وتحفّظ من الأعوان ، فإن أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانه اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبه فى بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذله ، ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمه) . (نهج البلاغه: ٣/٩٥) .

ووضع لنفسه ولحكام ولاياته برنامج سلوك ، كشفت عنه رسالته إلى حاكم البصره عثمان بن حنيف ، عندما بلغه أنه دُعِيَ إلى وليمه رجل ثرى فأجاب ، فكتب اليه: (أما بعد يا ابن حنيف ، فقد بلغنى أن رجلاً من فتيه أهل البصره دعاك

إلى مادبه فأسرعت إليها، تُستطابُّ لك الألوان ، وتنقل إليك الجفان ! وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ ،
وغنيهم مدعوّ ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجهه فنل منه .

ألا- وإن لكل مأوم إماما يقتدى به ويستضيء بنور علمه . ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه . ألا
وإنكم لا- تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفه وسداد ، فوالله ما كنت من دنياكم تبرا ، ولا ادخرت من
غنائمها وفرا ، ولا أعددت لبالي ثوبى طمراً ، ولا حزت من أرضها شبراً ، ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبره ، ولهى فى عيني
أوهى من عفصه مَقْرَه !

إلى أن قال (عليه السلام): ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز ، ولكن
هيهات أن يغلبنى هواي، ويقودنى جشعى إلى تخير الأظعمه ، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له فى القرص ولا عهد له
بالشبع أو أبيت مبطاناً وحولى بطون غرثى وأكباد حرى ؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنه

وحولك أكبادٌ تحنُّ إلى القدِّ

أفقع من نفسى بأن يقال أمير المؤمنين ولا- أشاركهم فى مكاره الدهر ، أو أكون أسوه لهم فى جشوبه العيش ! فما خلقت
ليشغلنى أكل الطيبات كالبهيمة المربوطه همها علفها ، أو المرسله شغلها تقمّمها ، تكثرش من أعلافها وتلهو عما يراد بها .
أو أترك سدى أو أهمل عابثاً ، أو أجزّ حبل الضلاله ، أو أعتسف طريق المتاهه .

وكأنى بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبى طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازله الشجعان ! ألا وإن الشجره
البريه أصلب عوداً ، والروائع الخضره أرق جلوداً ، والنباتات البدويه أقوى وقوداً وأبطأ خموداً ، وأنا من رسول الله كالصنو من
الصنو والذراع من العضد . والله لو تظاهرت العرب على قتالى لما وليت عنها ، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها ،
وسأجهد فى أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس ، حتى تخرج المدره من بين حب الحصيد .

إليك عنى يا دنيا فحبلك على غاربك ، قد انسلت من مخالبك ، وأفلت من حبالك ، واجتنبت الذهاب فى مداحضك. أين القرون الذين غررتهم بمداعبك؟ أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك؟ هاهم رهائن القبور ومضامين اللحد . والله لو كنت شخصاً مرئياً وقالياً حسياً لأقمت عليك حدود الله فى عباد غررتهم بالأمانى ، وأمم ألقيتهم فى المهاوى ، وملوك أسلمتهم إلى التلف ، وأوردتهم موارد البلاء ، إذ لا ورد ولا صدر . هيهات من وطأ دحضك زلق ، ومن ركب لججك غرق ، ومن أزور عن حبالك وُفق ، والسالم منك لايبالى إن ضاق به مناخه ، والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه . أغزبى عنى ، فوالله لا أدل لك فتستدلىنى ، ولا أسلس لك فتقودينى . وأيم الله يميناً أستثنى فيها بمشيئه الله ، لأروضن نفسى رياضه تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مآدوما ، ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها ، مستفرغه دموعها ! أتمتلى السائمه من رعيها فتبرك ، وتشيع الربيضه من عشها فتربض ، ويأكل على من زاده فيهجع ! قرئت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبيمه الهامله والسائمه المرعيه .

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها ، وعركت بجنبها بؤسها . وهجرت فى الليل غمضها ، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها، فى معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم ، وهممت بذكر ربهم شفاهم ، وتتشعت بطول استغفارهم ذنوبهم: **أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا - إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .** فاتق الله يا ابن حنيف ، ولتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك) . (نهج البلاغه: ٣/٧٢)

وعلى صعيد الثقافه: ألغى على (عليه السلام) حظر تدوين السنه الذى فرضه أبوبكر وعمر وعثمان ، وأمر بروايه السنه النبويه وتدوينها ، وشجع عليه . وأطلق (عليه السلام) للعلماء والطلبة البحث فى تفسير القرآن ، وألغى المنع الذى فرضه عمر .

كما أبعد عن المسلمين مصادر الكذب والتخريب الثقافى ، من الحاخامات

والقساوسه وتلاميذهم ، الذين قربهم عمر وعثمان وولائتهم ، وأطلقوا أيديهم فى تشويه ثقافه الإسلام ، ونشر ثقافه اليهود والنصارى !

إن تفصيل الكلام فى أعماله(عليه السّلام)وتوثيق مصادره يحتاج الى أكثر من كتاب ، فقد تنفّس المسلمون فى عهده(عليه السّلام)وتسّموا نسيم رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم)وعدله ، وصار حكم عليّ ، وأحكام عليّ ، وطريقه عمل عليّ ، وكلمات عليّ ، ومناقب عليّ وصفاته المميزه ، صلوات الله عليه ، مثلاً حياً للمسلمين ، ونموذجاً طالب به كل الذين عانوا من ظلم بنى أميه فيما بعد وثاروا عليه !

ص: ٢٦٣

الفصل السادس : استعدادات قريش لحرب صفين

اشاره

ص: ٢٦٥

بعد حرب الجمل: تجمعت قريش الطلقاء تحت قياده معاويه لحرب على (عليه السلام)!

لا يمكن لباحث أن يفهم تاريخ الإسلام ، سواءً في عصر النبوه أو بعده ، حتى يفهم التركيبه القبليه لقريش ، وقوه تأثير الإلتواء القبلى على سلوكك أشخاصها ومواقفهم السياسيه إلا من عصم الله ! فعندما بُعث النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) كانت قريش أكثر من عشرين قبيله صغيره وكبيره ، وكان عدد نفوسها جميعاً لا يزيد عن ثلاثين ألفاً ، وبعض القبائل صغيره لا يزيد عددها عن مئتي نسمة أو ثلاث مئه ، كبنى تيم وعدى ، قبيلتى أبى بكر وعمر .

فالقبائل المؤثره معدوده ، والباقيون تابعون لها ، فعندما بنت قريش الكعبه واختلفت من يضع الحجر الأسود فى مكانه ، مثلتها كلها خمس قبائل ورضى الجميع بها . ففى الكافى: ٤/٢١٨: (فلما بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود تشاجرت قريش فى موضعه ، فقال كل قبيله نحن أولى به نحن نضعه ، فلما كثر بينهم تراضوا بقضاء من يدخل من باب بنى شيبه ، فطلع رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) فقالوا: هذا الأمين قد جاء فحكموه ، فبسط رداءه ، وقال بعضهم كساء طارونى كان له (يعنى كساء خز) ووضع الحجر فيه ثم قال: يأتى من كل ربع من قريش رجل ، فكانوا عتبه بن ربيعه بن عبد شمس ، والأسود بن المطلب من بنى أسد بن عبد العزى ، وأبو حذيفه بن المغيره من بنى مخزوم ، وقيس بن عدى من بنى سهم ، فرفعوه ووضعوه النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) فى موضعه . انتهى .

وذكر المؤرخون والمحدثون ترتيب أهم قبائل قريش حسب ما رآه عمر ، من أجل عطاءات الدوله وتحمل الديه كالتالى: ١ - بنى هاشم وبنى المطلب . ٢ - بنى عبد شمس وبنى نوفل. ٣ - بنى أسد بن عبد العزى. ٤ - بنى عبد الدار. ٥ - بنى زهره . ٦ - بنى مخزوم ، وألحق بهم بنى تيم عشيره أبى بكر. ٧ - بنى سهم ولم يقبلوا بإلحاق بنى عدى بهم . ٨ - بنى جمح. ٩ - بنى عامر بن لؤى أو بنى فهر. ١٠ - بنى عدى.(الشافعى فى كتابه الأم: ١٦٦/٤).

وكانت قبائل العرب تحترم قريشاً ، لمكانه الكعبه عندها ، وكان لها نفوذ فيها وتحالفات مع بعضها ، من أبرزها تحالف بنى هاشم مع خزاعه ، وتحالف بنى عبد الدار وعبد شمس مع كنانه . وتكشف روايه ابن سعد التالیه عن نفوذ قبائل قريش المعاديه للنبي (صلى الله عليه و آله وسلم) فى قبائل العرب ، حيث شاركت معها فى معركة الأحزاب أو الخندق ، قال فى الطبقات: ٢/٦٦: (وتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف ، وعقدوا اللواء فى دار الندوه ، وحمله عثمان بن طلحه بن أبى طلحه ، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس ، وكان معهم ألف وخمسمائه بعير ، وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب بن أميه ووافتهم بنو سليم بمرّ الظهران وهم سبعمائه يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أميه ، وهو أبو أبى الأعمور السلمى الذى كان مع معاويه بصفين ، وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طلحه بن خويلد الأسدى ، وخرجت فزاره فأوعبت وهم ألف بعير يقودهم عينه بن حصن ، وخرجت أشجع وهم أربعمائه يقودهم مسعود بن رخيله ، وخرجت بنو مؤرّه وهم أربعمائه يقودهم الحارث بن عوف ، وخرج معهم غيرهم... فكان جميع القوم الذين وافوا الخندق ممن ذكر من القبائل عشره آلاف ، وهم الأحزاب ، وكانوا ثلاثه عساكر . وعناج الأمر (القياده والإداره العامه) إلى أبى سفيان بن حرب) . انتهى.

هذه هي كل قريش ، التي واجهت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصفها الله تعالى في قرآنه بأنهم الفراعنه وجنودهم ، وأئمه الكفر وأتباعهم ! وأخبر بأن أكثرهم حق عليهم القول فلن يؤمنوا في المستقبل أبداً ! (لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ . لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ .) (سوره يس: ٦- ٧)

وهذه هي قريش ، التي حاربت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته وأنصاره بكل ما استطاعت ، حتى انتصر عليها ودخل مكة فاتحاً ، فدخلت في الإسلام مرغمة ، ثم سيطرت على دولته بعد نبية (صلى الله عليه وآله وسلم) وعزلت عترته (عليهم السلام) واضطهدتهم وشيعتهم الى يومنا هذا !

وهذه هي قريش ، التي صنعت تاريخ الإسلام الرسمي وأسست مذاهبه ودوّنت فقهه ، وجعلت ولايه زعمائها جزءاً منه ربّت عليه أجيال المسلمين الى يومنا هذا !

قريش المشركه نزحت كلها الى ابن أبي سفيان في الشام !

تجمّعت عند معاوية بن أبي سفيان كل قبائل الطلقاء ، وهم نفس قبائل قريش المشركه المعاديه تاريخياً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبنى هاشم ، وفيهم عدد هم نفس الزعماء المشركين والطلقاء السابقين ، والباقون أولادهم وجنودهم ! وقد نزحوا من مكة والمدينه بنسائهم وعيالهم الى معاوية ابن قائدهم بالأمس أبي سفيان ، ووزيره يومذاك ، وخليفته اليوم !

قال التستري في الصوارم المهرقه ص ٧٤: (في الفتوح وغيره أنه في حرب صفين كان من قريش مع علي (عليه السلام) خمسه نفر وهم..... وكان مع معاوية ثلاث عشر قبيله من قريش ، مع أهلهم وعيالهم) . انتهى .

وفي اختيار معرفه الرجال: ١/٢٨١: عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (كان مع أمير

المؤمنين (عليه السلام) من قريش خمسه نفر ، وكانت ثلاثه عشر قبيله مع معاويه ! فأما الخمسه فمحمد بن أبى بكر رحمه الله عليه ، أخته النجابه من قبل أمه أسماء بنت عميس ، وكان معه هاشم بن عتبه بن أبى وقاص المرقال ، وكان معه جعده بن هبيره المخزومى ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) خاله وهو الذى قال له عتبه بن أبى سفيان: إنما لك هذه الشده فى الحرب من قبل خالك ! فقال له جعده: لو كان خالك مثل خالى لنسيت أباك ! ومحمد بن أبى حذيفه بن عتبه بن ربيعه ، والخامس سلف أمير المؤمنين ابن أبى العاص بن ربيعه ، وهو صهر النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أبو الربيع). انتهى .

والثلاث عشره قبيله هى كل قريش ، فلا ثقل ولا عدد فى قبائلها الباقية ! وتجمّعها ضد على (عليه السلام) وبني هاشم ، هو نفس تجمعها ضد النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ! فقد كان القرشيون يفكرون أنهم فوجؤوا بنتائج ثوره الصحابه على عثمان ووصول الخلافه الى بني هاشم ، وأن هذا خطأ تاريخى يجب على قريش أن تصححه !

كانوا يرون أن سهيل بن عمرو وأبا بكر وعمر وزعماءهم فى زمن النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كانوا أكثر يقظه حيث منعوا النبى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من كتابه عهده بالخلافه لأهل بيته بني هاشم ، وبذلك ضمنوا الخلافه لقريش ، وعزلوا بني هاشم . لكن طلحه والزبير كانا غيبين إذ سمحا ببيعة الصحابه لعلى (عليه السلام) بعد عثمان ، بل كانا أول المبايعين !

ولهذا سارعت قريش لإجابه دعوه عائشه وطلحه والزبير لحرب على (عليه السلام) وإسقاط حكمه ، وخاضوا ضده حرب الجمل الشرسه لسبعه أيام متواليه !

ولئن انهزموا فى حرب الجمل ، فيجب أن يخوضوا حرباً جديده بقياده معاويه ويتصروا ، ويجب أن تكون قياده قريش لبني أميه ، فهم قاده قريش التاريخيون وهم خير من بني هاشم ، أما ما يقوله المسلمون عن عثمان فهو كذب ، فعثمان

خليفه شرعى بنص عمر بن الخطاب ، وقد قتل مظلوماً وشاركت هاشم فى قتله !

وفى المقابل تجمّع مع على (عليه السّلام) الصحابه البديرون ، وكل الأنصار وبنى هاشم ! وبذلك عاد بنو هاشم وبنو أميه وحدهما قطبى صراع الخير والشر ، والهدى والضلال.. الى يومنا هذا ، والى ظهور الإمام المهدي الموعود (عليه السّلام) !

فمن عجائب التاريخ أن الجهود الضخمة التى بذلها سهيل بن عمرو وأبو بكر وعمر وبقية زعماء قريش ، لنزع الخلافه من بنى هاشم ، وجعلها تدور بين قبائل قريش حسب تصورهم ، لم تكن نتيجتها إلا نقل الخلافه من بنى هاشم غنيمه بارده الى بنى أميه ! ولم يكن سهم القبائل الأخرى منها إلا سهم أبى بكر سنتين وسهم عمر عشر سنوات ! شبيهاً بسهم المحلل للزوجه المطلقه ثلاثاً ! فقد عادت

قياده الصراع بقياده بنى أميه وبنى هاشم ! وعاد عِنَاجُ أمر قريش الى أميه !

وصدق الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه و آله وسلّم) حيث أخبر الأمه وحذرهما من أن قريشاً ستسيطر على دوله الإسلام وتحرف بها ، الى أن تضعف وتنهار ! وأن عترته ستلقى منها الظلم ! وأن الطرف المقابل لهم فى المستقبل إنما هم بنو أميه !

كانت خلافه على (عليه السّلام) خمس سنين ، واجهوه فيها بثلاث حروب ! انتصر فى اثنتين منها ، وتعادل فى الثالثه ، وكان يستعد لمعاودتها ، فاستشهد (عليه السّلام)!

واستطاع صلوات الله عليه أن يحقق فى خلافته وحروبه ، وما بينها ، نموذجاً فى السلم والحرب ، ومثلاً فى العدل ، سمّته الأمه: حكم على ، وبقى حياً فى ضميرها ، يطالب به عقلاؤها ، ويرفع شعاره ثوارها ، تطلعاً الى العهد النبوى !

لو سألنا القرشيين: لماذا ثلاثه حروب كبيره على خليفه بايعوه هم بحريتهم؟!!

فالجواب: أن الصحابه اختاروه فى موجه غضبهم على عثمان ، واضطرت قريش أن ترضى به وتبايعه ، لكنها الآن ندمت وأفاقت !!

نعم ، أفاقت قريش على أنها هزمت أربع مرات :

أولها عندما نَقَم الصحابه والتابعون على خلافه عثمان بن عفان ، فثاروا عليه وقتلوه ، وبذلك هزموا نظام حكم قبائل قريش المتحالفه ضد العتره النبويه !

ثم هُزمت زعامه قريش ثانيهً ببيعتهم لعلی (عليه السّلام) وإعراضهم عن طلحه والزبير!

ثم هزمهم علّی (عليه السّلام) ثالثهً ، بانتصاره الكاسح على جيش الجمل القرشى !

ثم هزمهم على (عليه السّلام) رابعهً عندما أخذ يعمل جاداً لإعاده عهد النبى وعترته (صلّى الله عليه و آله وسلّم)، ويستبعد الحكام القرشيين الفاسدين ، ويعيّن بدلهم صحابه صالحين من الأنصار والمهاجرين ، ويلغى امتيازات أبناء بطون قريش فى الفتوحات والتجارات ، ويساوى بينهم وبين كافه المسلمين أحمرهم وأسودهم !

فهل تسكت قريش وتهذأ؟! وهل هدأت على رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) بعد فتح مكه ، حتى تهدأ على ابن عمه ووصيه على (عليه السّلام)؟!!

وكيف تهدأ ، والشام بيدها ، وابنها معاويه خاتلٌ فى كمينه فيها يرقب الأحداث ، منذ الحصار الأول لعثمان ، الى حصاره الثانى ، الى خروج عائشه وطلحه والزبير للحرب ، ولم يتدخل رغم استغاثة عثمان به وهو محاصر !

قال الحافظ محمد عقيل فى النصائح الكافيه لمن يتولى معاويه ص ٤٠: (ذكر أهل السير ، واللفظ للبلاذرى ، أن معاويه لما استصرخه عثمان تناقل عنه ، وهو فى ذلك يعبه ، حتى إذا اشتد به الحصار ، بعث إليه يزيد بن أسد القسرى وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فأنا الشاهد وأنت الغائب ! قالوا: فأقام بذى خشب حتى قتل عثمان ، فاستقدمه حينئذ معاويه

فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان معه ! فكان في الظاهر نصره لعثمان بيعت الجيش وهو في الحقيقه خذلان له لحبسه الجيش كى يقتل عثمان فيدعو إلى نفسه كما وقع بالفعل) !! انتهى .

وفي تاريخ المدينة لابن شبة: ٤/١٢٨٨ ، بسنده عن جويريه: (أرسل عثمان إلى معاوية يستمده ، فبعث معاوية يزيد بن أسد جد خالد القسري وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال: أنا الشاهد وأنت الغائب . فأقام بذى خشب حتى قتل عثمان! فقلت لجويريه: لم صنع هذا؟ قال: صنعه عمداً ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه!! انتهى .

ولم يكن حظ عائشه من استنصار معاوية بأحسن من حظ عثمان ، وإن كانت أقل حاجه الى جيشه من عثمان ! فقد قال لها عمرو بن العاص بعد هزيمتها: (لوددت أنك قتلت يوم الجمل! قالت: ولم لا- أبا لك ! قال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنه ونجعلك أكبر التشيع على بنى علي بن أبي طالب!) (شرح النهج: ٦/٣٢٢).

أما بعد حرب الجمل ، فقد أجمعت قريش الطلقاء على تسليم عِناج أمرها الى معاوية ، فما عليه إلا أن يستعدَّ لحرب علي (عليه السلام) ، وهذه أفلاذ أكبادها من كل القبائل غير بنى هاشم ، أخذت تتوافد عليه وتنضم الى معسكره !

وفي المقابل كان بقيه الصحابه الأبرار من المهاجرين والأنصار ، يقفون الى جنب علي (عليه السلام) ويتوافدون الى معسكره .

وقد سأل معاوية عقيل بن أبي طالب عن رأيه في معسكره بصفين ومعسكر أخيه علي (عليه السلام)؟ فقال عقيل (رحمه الله): (مررت على عسكر عليّ فإذا

ليل كليل النبي ونهار كنهار النبي إلا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس فيهم ! ومررت على عسكرك فإذا

أول من استقبلني أبو الأعور وطائفه من المنافقين والمنفرين برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أن أبا سفيان ليس فيهم! (الغارات للثقفى: ٢/٩٣٦، وأمالى الطوسى ص ٧٢٤).

ومعنى قول عقيل: (المنافقين المنفرين برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)): القرشيين الذين تأمروا على قتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليله العقبة ، عندما كان عائداً بجيشه من غزوه تبوك ، وعرفوا أن الجيش سييمر من طريق حول الجبل ، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سيمر من طريق مختصر في الجبل ، فدبروا مؤامرة اغتياله وكانوا سبعة عشر منافقاً ، وصعدوا ليلاً الى الجبل وكمنوا في مكان مشرف على طريق العقبة ولما وصل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دحرجوا الصخور الضخمة عليه فجفلت ناقته وأنجاه الله من شرهم ، وأضاء الجبل وكشفهم ، فعرفهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لحذيفه وعمار اللذين كانا معه ، فهربوا وغيبوا أنفسهم في الجيش ! وكتم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أسماءهم حتى لا تأخذ قريش العزه بالاثم وتعلن ردتها عن الإسلام !

ص: ٢٧٤

الفصل السابع : خلاصه حرب صفين

اشاره

ص: ۲۷۵

دوّن المحدثون والمؤرخون القدماء والجدد ، مؤلفات خاصه بكل من حرب الجمل وصفين والنهروان ، كما قام الباحث السيد جعفر مرتضى أخيراً بدراسه الخوارج فى مجلدين ، باسم (على) (عليه السّلام) والخوارج) .

وغرضنا هنا أن نسجل عنها صورةً تبيّن معالم نبل أمير المؤمنين (عليه السّلام) وبقيه العتره الطاهره (عليهم السّلام) وشيعتهم الأبرار ، وظلامتهم على يد قريش الطلقاء وأتباعهم !

وقد رأينا كيف سارعت قريش الى نقض بيعتها لعلّى (عليه السّلام) وأعلنت خروجها عليه ، لا لسبب إلا لأنه على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم !

وكيف استطاع طلحه زعيم تيم ، والزبير زعيم عبد العزى ، أن يقنعا عائشه ، أو استطاعت هي أن تقنعهما ، بوجود حرب على (عليه السّلام) قبل أن يثبّت نظام حكمه !

وانهزم أصحاب الجمل وانتهت قيادتهم لكن قريشاً لم تقبل بخلافه على (عليه السّلام)! فسرعان ما جمعت فلولها عند معاويه ، وشجعتة على فتح حرب جديده أكبر وأطول ضد خلافة بنى هاشم ! فكانت حرب صفين الكبرى ، التى وقعت قرب الحدود السوريه العراقيه ، وكادت أن تختم بنصر على (عليه السّلام) وهزيمه معاويه ، لولا- أن قسماً من جيش على (عليه السّلام) ، هم الخوارج فيما بعد ، أصرّوا عليه أن يقبل الهدنه وتحكيم حكّمين ، عندما رفع

معاويه المصاحف طالباً بإيقاف القتال !

ثم سرعان ما ندم الخوارج وقالوا لقد كفرنا بقبولنا تحكيم الرجال فى دين الله ! وخرجوا على على (عليه السّلام) مطالبين أن يعترف بأنه كفر لقبوله رأيهم فى التحكيم !!

حريه الناس أصل عند أمير المؤمنين (عليه السلام) وإن أسأوا استغلاها !

كان عمرو بن حريث شاباً قرشياً مترفاً ، فى الثلاثينات من عمره ، فقد كان ابن ست سنين عند فتح مكه ، وهو مخزومى من قبيله أبى جهل وخالد بن الوليد ، وكان من رجال دوله بنى أميه فى الكوفه .

ولم يجبره أمير المؤمنين (عليه السلام) على بيعته ، بل بايعه مختاراً كغيره من كبار موظفى عثمان . ولم يجبره على القتال معه فى حرب الجمل أو صفين ، لكنه تهاى مع المستنفرين الى صفين ، وكان له (شله) أصدقاء من نوعه كالأشعث بن قيس وشبث بن ربعى ، وحجر بن حجر ، وجريير بن عبدالله النخعى ، فقالوا لبعضهم إن الناس يسرون يوم الأحد ونحن على خيولنا ، فلنتأخر عنهم أياماً ، ثم نلتحق بهم فى المدائن قبل صلاه الجمعة !

فخرجوا للنزاهه والصيد وشرب الخمر فى شاطئ الفرات بالحيره ، وكان مركزهم فى قصر الخورنق قرب النجف ، قصر الأشعث بن قيس رئيس كنده .

(عن الأصبغ بن نباته قال: أمرنا أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمسير إلى المدائن من الكوفه فسرنا يوم الأحد ، وتخلف عمرو بن حريث فى سبعة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيره يسمى الخورنق فقالوا: تنتزه فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلاحقنا علياً قبل أن يُجمّع ، فبينما هم يتغذون إذ خرج عليهم ضبٌ فصادوه ، فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفه وقال: بايعوا هذا أمير المؤمنين فبايعه السبعه وعمرو ثامنهم ، وارتحلوا ليله الأربعاء فقدموا المدائن يوم الجمعة وأمير المؤمنين (عليه السلام) يخطب ، ولم يفارق بعضهم بعضاً وكانوا جميعاً حتى نزلوا على باب المسجد ، فلما دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا أيها الناس إن

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسرَّ إلى ألف حديث في كل حديث ألف باب لكل باب ألف مفتاح ، وإنى سمعت الله جل جلاله يقول: يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ ، وإنى أقسم لكم بالله ليعثن يوم القيامة ثمانيه نفر يدعون بإمامهم وهو ضبُّ ولو شئت أن أسميهم لعلت ! قال: فلقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما تسقط السعفه حياءً ولوماً!) (الخصال ص ٦٤٤، وبصائر الدرجات ص ٣٢٦) .

وفى الهدايه الكبرى للخصيبى ص ١٣٤: (وخرج القوم إلى الخندق وذهبوا ومعهم سِيفره وبسطوا فى الموضع وجلسوا يشربون الخمر ، فمر بهم ضبُّ فأمروا غلمانهم فصادوه لهم وأتوهم به ، فخلعوا أمير المؤمنين وبايعوا الضب وبسطوا يده ، وقالوا له: أنت والله إمامنا ما بيعتنا لك ولعلى بن أبى طالب إلا واحده ، وإنك لأحب إلينا منه) ! انتهى .

أقول: يظهر أولاً ، أن هذه الصيغه لحديث الألف باب من العلم ، من أدق الصيغ فالأحاديث التى علمه إياها النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أوالموضوعات: ألف حديث ، وفى كل حديث منها ألف باب ، ولكل باب ألف مفتاح ! وكلها سرٌّ لا يمكن للإنسان العادى أن يستوعبها ، أو يؤتمن عيها ولايسئ استعمالها ! فهذا المستوى من القدره على الإستيعاب ، والأمانه والتحمل ، لايتحقق إلا فى أناس نادرين ، يصير أحدهم أهلاً لأن يصطفيه الله تعالى ، فيطوّر قدراته العقلية والنفسيه ، ويضع فى شخصيته جنبه ملائكيه يتلقى بها هذه العلوم !

وعندما يعطيه هذه العلوم يجعل معه ملائكه يحفظونها ويحفظونه ، ليعيش حياته الطبيعیه بالعلم الظاهرى، ويستعمل طرفاً من العلم اللدنى فى وقته المناسب! وهذا هو معنى قوله تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا . (الجن: ٢٦- ٢٧)

ويظهر ثانياً ، مقام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أعطاه ربه عز وجل ، وأنه فوق تصور أذهاننا

وإدراك عقولنا ! فقد استطاع أن يلقي تلك العلوم لعلي (عليه السلام) في جلسته واحده ، لم تزد على ساعه أو ساعتين ، فقد روى المسلمون أن هذا الحديث كانت في مرض وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنه دعا علياً (عليه السلام) وناجاه بمفرده طويلاً ، وكان المسلمون ينتظرونه خارج الغرفه ! وهذا مقام يشبه مقام جبرئيل (عليه السلام) في تلقيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) !!

ويظهر ثالثاً ، من نصوص الألف باب أن جزءاً منها علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب ، فهي إذن أعظم من ذلك .

ويظهر أن هذه المعجزه التي أظهرها علي (عليه السلام) في ابن حريث وأصحابه ، أنها إحدى ثمرات الألف باب ، وأن باستطاعته (عليه السلام) وهو يخطب على منبر المدائن أن يوجه نفسه الشريفه لمعرفة حال عمرو بن حريث وحزبه ، الذين وصلوا لتوهم من الكوفه ، فيريه الله تعالى سبب تأخرهم ، ومشهدهم عندما أخذ ابن حريث يد الضب وأعلن خلع علي (عليه السلام) وبيعه الضب أميراً لهم ، وطلب منهم أن يبايعوه بإمره المؤمنين ، فبايعوه كلهم سخره بأمر المؤمنين والدين !

ثم يريه الله تعالى مشهد هؤلاء في المحشر يوم يدعو كل أناس بإمامهم ، وأنهم يدعون وإمامهم الضب الذي بايعوه !!

ويظهر رابعاً ، أن تأثير هذه المعجزه وأمثالها من أمير المؤمنين (عليه السلام) كان بليغاً في إفحام المنافقين وخشوع المؤمنين ! ولكن المنافقين كانوا مع ذلك يتمادون في عنادهم ! وهذه سنه الله تعالى ، فقد واجهت قريش معجزات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقول إنها سحر ، وإن بنى عبد المطلب كلهم سحره !! وكذلك واجه أبناؤهم وأتباعهم عتره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ! فكان الأشعث بن قيس يقول لمعاويه إن علياً ساحر كذاب !

ويلاحظ أخيراً وأولاً ، أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يتخذ أى إجراء ضد ابن حريث وجماعته ! ولعله اعتبر عملهم من ناحيه حقوقيه عملاً استسروا به ،

فعقوبتهم عليه كشفهم فقط ! أما مقاضاتهم فلا تصح إلا على ما أعلنوه ، أو أضروا به الآخرين ! (راجع أحاديث الألف باب من العلم فى: بصائر الدرجات ص ٣٢٥ ، و ٣٣٣ ، و ٣٣٤ ، و ٤١١ ، والكافى: ١/٩٦ ، و ٧٩٢ ، والخصال للصدوق ص ٦٤٣ ، و نفحات الأزهار : ١٤/٢٤٩ وما بعدها ، ومواقف الشيعة: ٣/١١٦ . ومن مصادر غيرنا: كنز العمال: ١٣/١١٤ ، وفتح الملك العلى ص ٤٨ ، وتاريخ دمشق: ٤٢/٣٨٥ ، وقد حاولوا تضعيف الحديث فلم يجدوا إلا تضعيف بعضهم لابن لهيعة بدون حجه إلا تهمة بالتشيع ! مع أن العديد منهم وثقوه ورووا عنه . كما روت صحاحهم أصل هذا الحديث مبتوراً وبقي منه فيها أن النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) قال أدعوا لى علياً(عليه السلام) فدعت عائشه أباهها ودعت حفصه أباهها ! فنظر اليهما وأعرض عنها.. الى آخره: كما فى مسند أحمد: ١/٣٥٦ ، وابن ماجه: ١/٣٩١ ، وغيرهما .).

ص : ٢٨١

السماحه وبذل الماء والطعام فى بنى هاشم والصد فى بنى أميه وقريش !

قال نبى الله إبراهيم (عليه السلام): رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَكُنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ . (إبراهيم: ٣٧) ، فأعطاهم الله سقيا زمزم فى مكه ، وجبل الطائف !

وبعد ثلاثه آلاف سنه ، كانت زمزم غارت وضاعت ، فأعطاها الله ثانيه هديه لوارث إبراهيم (عليه السلام) ، عبد المطلب رضى الله عنه ، مقدمه لبعثه سيد الرسل (صلى الله عليه و آله وسلم)!

فقد أراه الله بئر زمزم فى المنام ، فحفرها عبد المطلب مع أولاده ، وأهل مكه يسخرون من عملهم ! حتى إذا انفجر نبعها طمعت فيها قريش فنازعوه فيها فغلبهم عبد المطلب ، لكنه بذل ماءها للناس ! وصار بنو عبد المطلب سيقاه قريش والحجيج ! كما كانوا من زمن هاشم أهل الرفاده وإطعام الحجيج !

وعندما حاصر المسلمون عثمان لأكثر من شهر ، ومنعوا عنه الماء بأمر طلحه التيمى ! أرسل على ولديه الحسن والحسين (عليهم السلام) بقرب الماء الى دار الخلافه ، ففكوا الحصار وسقوا عثمان ومن معه ! (تاريخ الطبرى: ٣/٤١٦ ، وغيره).

وفى أمالى الطوسى ص ٧١٥: (وقيل لعلى (عليه السلام) إن عثمان قد منع الماء ، فأمر بالروايا

فَعُكِمَتْ ، وجاء للناس على (عليه السلام) فصاح بهم صيحه فانفجروا ، فدخلت الروايا ، فلما رأى على (عليه السلام) اجتماع الناس ووجوههم ، دخل على طلحه بن عبيد الله وهو متكئ على وسائد فقال له: إن هذا الرجل مقتول فامنعوه . فقال: أما والله دون أن تعطى بنو أميه الحق من أنفسها !!)

وعندما ثار أهل المدينة على يزيد بعد مجزره كربلاء ، وأرادوا قتل الوالى ورجال الدوله من بنى أميه ، أخذ رجالهم بالهرب من المدينة ، وبحثوا عن يأوى نساءهم وأطفالهم ، فأواهم الإمام زين العابدين (عليه السّلام) وأطعمهم وسقاهم كعائلته ، وحماهم حتى بلغهم مأمنهم ! قال الطبرى فى تاريخه: ٤/٣٧٢: (وقد كان على بن الحسين لما خرج بنو أميه نحو الشام (أى هربوا بسبب ثوره أهل المدينة عليهم) آوى إليه ثقل مروان بن الحكم وامراته عائشه بنت عثمان بن عفان ، وهى أم أبان بن مروان ! وقد حدثت عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر قال: لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة كلم مروان بن الحكم ابن عمر أن يعيّب أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل ! وكلم على بن الحسين وقال: يا أبا الحسن إن لى رحماً وحرماً تكون مع حرمك فقال: أفعل ، فبعث بحرمه إلى على بن الحسين ، فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينع). انتهى .

فالسماحه والبذل والنبيل والشهامه وأخواتها من الصفات الإنسانيه ، خلقٌ ودينٌ فى بنى هاشم . والصفات المضاده للقيم الإنسانيه طبعٌ فى بنى أميه وقريش ! وقد جسدت كربلاء أعلى الدرجات فى هؤلاء ، وأحطّ الدركات فى أولئك!

وقبل كربلاء أيضاً ، كانت هذه الحادثه بين على (عليه السّلام) ومعاويه فى صِفِّين . فقد وصل جيش معاويه اليها قبل جيش على (عليه السّلام) ، وماء الفرات فى أرض صفيين سهل التناول ، بينما يصعب الإستقاء من غيرها لعمق مجرى النهر أو وعورته . ولذا بادر معاويه فحمى أماكن الورود ليمنع علياً (عليه السّلام) وأنصاره منه ، ليموتوا عطشاً بظنه ! وجرت بينهم مداولات فأصرّ معاويه على منعهم ، فحمل جيش على (عليه السّلام) وحرروا الفرات ، لكن علياً (عليه السّلام) بذله لهم لأن الناس فى الماء والكلاء والنار سواء !

فى نهج السعاده: ٢/١٤٩: (فوافى صفين قبل مجئى على (عليه السّلام) فعسكر فى موضع سهل على شريعه ، لم يكن على الفرات فى ذلك الموضع أسهل منها للورود على الماء ، وما عداها أخراق عاليه ومواضع إلى الماء وعره ، ووكل أبا الأعور السلمى بالشريعه مع أربعين ألفاً... وأخذوا الشريعه فهى فى أيديهم ، وقد صفّ أبو الأعور عليها الخيل والرجال وقدم المراميه ومعهم أصحاب الرماح والدرق ، وعلى رؤوسهم البيض ، وقد أجمعوا أن يمنعونا الماء ، ففزعنا إلى أمير المؤمنين فأخبرناه بذلك فدعا صعصعه بن صوحان فقال: إئت معاويه فقل إنا سرنا مسيرنا هذا ، وأنا أكره قتالكم قبل الأعذار إليكم ، وإنك قد قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالقتال ، ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك ، وهذه أخرى قد فعلتموها حتى حُلتم بين الناس وبين الماء ، فخلّ بينهم وبينه حتى نظر فيما بيننا وبينكم ، وفيما قدمنا له وقدمتم . وإن كان أحب إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب ، فعلنا . فأجابه معاويه: لا سقاني الله ولا سقى أبا سفيان إن شربتم منه أبداً حتى تقتلوا بأجمعكم عليه !! قال نصر...: فبقى أصحاب على يوماً وليله بلا- ماء... قال: خطب على (عليه السّلام) يوم الماء فقال: أما بعد فإن القوم قد بدؤوكم بالظلم ، وفاتحوكم بالبغى واستقبلوكم بالعدوان ، وقد استطعموكم القتال حيث منعوكم الماء ، فأقروا على مذهبه وتأخير محله ، أو رووا السيوف من الدماء تُرووا من الماء ، فالموت فى حياتكم مقهورين والحياه فى موتكم قاهرين . ألا وإن معاويه قاد لُمّه من الغواه ، وعمّس عليهم الخبر ، حتى جعلوا نحورهم أغراض المنيه . انتهى .

وفى البحار: ٣٢/٤٣٩ ، عن نسخه نصر بن مزاحم الصحيحه عنده: (قال عبد الله بن عوف: فوالله ما راعنا إلا- تسويه الرجال والصفوف والخيل ، فأرسل إلى أبى الأعور إمنعهم الماء ، فازدلفنا والله إليهم فارتمينا وأطعنا بالرماح واضطربنا

بالسيوف فطال ذلك بيننا وبينهم حتى صار الماء في أيدينا فقلنا: لا والله لا نسقيهم! فأرسل على أن خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا معسكركم ، واخلوا بينهم وبين الماء ، فإن الله قد نصركم عليهم بيغيهم وظلمهم....

قال: ولما غلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبة وقال معاوية: يا أهل الشام هذا والله أول الظفر لا سقاني الله ولا أبا سفيان إن شربوا منه أبداً حتى يقتلوا بأجمعهم عليه ، وتباشر أهل الشام . فقام إلى معاوية رجل من أهل الشام هممداني ناسك يقال له المعري بن الأقبل فقال: يا معاوية سبحان الله ألأن سبقتم القوم إلى الفرات تمنعونهم الماء؟ أما والله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه ، أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعونهم فرضه من الفرات فينزلون على فرضه أخرى فيجازونكم بما صنعتم ! أما تعلمون أن فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف ومن لا- ذنب له ؟ هذا والله أول الجهل ! فأغلظ له معاوية ! قال نصر: ثم سار الرجل الهمداني في سواد الليل حتى لحق بعلى ، ومكث أصحاب على بغير ماء واغتمَّ (عليه السلام) بما فيه أهل العراق من العطش فأتى الأشعث علياً فقال: يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا والسيوف في أيدينا ! خلّ عنا وعن القوم ، فوالله لا نرجع حتى نرده أو نموت ، ومُر الأشرع يعلو بخيله ويقف حيث تأمر . فقال على: ذاك إليكم . فنادى الأشعث في الناس من كان يريد الماء أو الموت فميعاده موضع كذا فإنى ناهض ، فأتاه اثنا عشر ألفاً من كنده وأفناء قحطان واضعى سيوفهم على عواتقهم ، فشد عليه سلاحه ونهض بهم حتى كاد أن يخالط أهل الشام ، وجعل يلقي رمحه ويقول لأصحابه: بأبى وأمى وأنتم تقدموا إليهم قاب رمحي هذا ، فلم يزل ذلك دأبه حتى خالط القوم وحسر عن رأسه ونادى: أنا الأشعث بن قيس خلوا عن الماء ! فنادى أبو الأعور: أما والله حتى

تأخذنا وإياكم السيوف ، فقال الأشعث: قد والله أظنها دنت منا ومنكم .

وكان الأشتر قد تعالی بخيله حيث أمره على فبعث إليه الأشعث: أقحم الخيل فأقحمها حتى وضعت بسنابكها في الفرات وأخذت أهل الشام السيوف فولوا مدبرين.... قال نصر: فروى لنا عمر بن سعد أن علياً قال ذاك اليوم: هذا يوم نصرتم فيه بالحمية . انتهى

وفي شرح النهج: ١/٢٣: (وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفه ، حتى أزالهم.... وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم ، فقال له أصحابه وشيعته: أمنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ولا تسقهم منه قطره ، واقتلهم بسيوف العطش ، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب ، فقال: لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم ، إفسحوا لهم عن بعض الشريعة ، ففي حد السيف ما يغني عن ذلك . فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بها جمالاً وحسناً ، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله (عليه السلام)).

وكانت أخلاق علي (عليه السلام) معروفة لأعدائه، فقد روى نصر بن مزاحم ص ١٨٥، أن ابن العاص قال: يامعاوية ما ظنك بالقوم إن منعوك الماء اليوم كما منعتهم أمس ، أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ قال: دع عنك ما مضى منه ما ظنك بعلي؟ قال: ظني أنه لا يستحل منك ما استحلت منه وأن الذي جاء له غير الماء!

ص: ٢٨٦

سياسة أمير المؤمنين (عليه السلام) في إتمام الحجج على أعدائه

ربما زادت الرسائل المتبادله بين علي (عليه السلام) ومعاويه على عشرين رساله ، مع أن المده الفاصله بين بيعته بالخلافه وبين حرب صفين كانت نحو سنه ! وقد اشتهر إسم جرير بن عبد الله البجلي ، الصحابي الذي كان مبعوثه الى معاويه .

ومن المفيد أن يقوم أحد بجمع نصوص الرسائل والمحادثات ، التي جرت بين علي (عليه السلام) وأعدائه: معاويه ، والخوارج ، وطلحه والزبير وعائشه ، وفي المصادر كثير منها ، فيدرسها من حيث العدد والتوقيت والمضامين ، لتوضيح وحده وجه الحق عند علي (عليه السلام) والنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ووحدته سياستهما في إتمام الحجج !

فالقضيه عند النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) ليست خصومه ، ولا قتالاً من أجل الغلبه والسلطه ، بل قضيه دقيقه ومسئوليه شرعيه أمام الله تعالى ، لا بد فيها من الإعذار فى دعوه الخصم الى الحق وإتمام الحجج عليه ، كما لا بد من توجيه المقاتلين لأن تكون دوافعهم ونياتهم لنصره الله تعالى ، وليس للحميه والغلبه والتعصب لقائدهم وقبيلتهم وبلدهم .

وقد تقدم آنفاً قول أمير المؤمنين (عليه السلام) لجيشه عندما قاتلوا جيش معاويه على الماء: (هذا يوم نصرتم فيه بالحميه) فالقضيه عنده (عليه السلام) ليست من يشرب من الفرات بل من يشرب من الكوثر ، وهو الذى يقاتل الله تعالى لا لشخصه وقومه !

وكذلك قوله (عليه السلام) لصعصعته عندما بعته الى معاويه: (إئت معاويه فقل إنا سرنا مسيرنا هذا ، وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم ، وإنك قد قدمت بخيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالقتال ، ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك) .

ومما نلاحظه أن أمير المؤمنين (عليه السلام) وقت وصول جيشه الى صفين قرب شهر محرم الحرام ، الذى هو هدنه إجباريه لحرمة القتال فيه ، وذلك من أجل إتمام

الحججه على معاويه وأهل الشام ، ورفع مستوى أصحابه ليكون قتالهم لهم خالصاً لله تعالى ، بعيداً عن التعصب للعراق والشام وشخص على ومعاويه .

وهذا الأسلوب المتأنى من أمير المؤمنين (عليه السّلام) لم يعجب كثيرين من جيشه فاشتكوا من تأخير القتال ، بل تجراً الخشنون منهم وكانوا كثره ، فأشاعوا أن علياً يكره الموت ! وأنه يشك في مشروعيه قتال أهل الشام !

ففى نهج البلاغه: ١/١٠٤: (ومن كلام له (عليه السّلام) وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم فى القتال بصفين: أما قولكم أكل ذلك كراهيه الموت؟ فوالله ما أبالى أدخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ . وأما قولكم شكاً فى أهل الشام ، فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا- وأنا أطمع أن تلحق بى طائفه فتهتدى بى وتعشوا إلى ضوئى ، وذلك أحب إليّ من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها).

وقد استعمل عليّ (عليه السّلام) أسلوبه الخاص فى إتمام الحججه ، ليثبت لمن كان له قلب أن معاويه على الباطل ، وأنه نفسه يعرف ذلك ! فدعا معاويه مراراً أن يجنب المسلمين المعركه ، وأن يبارزه شخصياً ، لتكون المبارزه مباهلة أمام الله تعالى لينصر المحق ويقتل المبطل منهما ! فقد كتب اليه ذلك فى رسائله ، وبعث اليه مع مبعوثيه ، ونادى به فى مقاطع من الحرب فى صفين !

كتب له كما فى نهج البلاغه: ٣/١١: (وقد دعوت إلى الحرب ، فدع الناس جانباً واخرج إليّ وأعف الفريقين من القتال ، ليعلم أئنا المرين على قلبه ، والمغطى على بصره ! فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شذخاً يوم بدر ، وذلك السيف معى ، وبذلك القلب ألقى عدوى ، ما استبدلت ديناً ، ولا- استحدثت نبياً ، وإنى لعلى المنهاج الذى تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين). انتهى .

وقد كرر (عليه السّلام) دعوته هذه لمعاويه فى صفين حتى صارت فضيحه روى المؤرخون لها قصصاً بين معاويه وابن العاص وبقية الطلقاء وشخصيات الشام!

أرقام من حرب صفين

كثرت المؤلفات في حرب صفين من زمن وقوعها ، كما تجد في تراجم الرواه ، والكتب المختصه ، ك فهرست ابن النديم ، والذريعه للطهراني .

قال ابن النديم ص ١٠٥ ، وبعدها: (وكان مخنف بن سليم من أصحاب علي ، وروى عن النبي وصحبه...وله من الكتب كتاب الرده. كتاب فتوح الشام . كتاب فتوح العراق. كتاب الجمل. كتاب صفين. كتاب أهل النهروان والخوارج.....

أبو الفضل نصر بن مزاحم من طبقه أبي مخنف ، من بني منقر... وله من الكتب كتاب الغارات . كتاب صفين . كتاب الجمل . كتاب مقتل حجر بن عدى . كتاب مقتل الحسين بن علي..... إسحاق بن بشر من أصحاب السير والأحداث . وله من الكتب ، كتاب المبتدأ . كتاب الرده . كتاب الجمل . . . كتاب صفين . . .

وقال عن الواقدي: وله من الكتب.... كتاب الجمل..... كتاب صفين .

وقال في ص ١٢٢: (محمد بن زكريا بن دينار الغلابي ، أحد الرواه للسير والأحداث والمغازي وغير ذلك . وكان ثقة صادقاً ، وله من الكتب: كتاب مقتل الحسين بن علي . كتاب وقعه صفين . كتاب الجمل . كتاب الحرّه...

أبو إسحاق إسماعيل بن عيسى العطار ، من أهل بغداد...وله من الكتب: كتاب المبتدأ . كتاب حفر زمزم... كتاب الجمل . كتاب صفين). انتهى .

وذكر النجاشي في رجاله ص ١١: كتاب أبان بن تغلب في صفين ، وكتاب إبراهيم بن هلال الثقفي ص ١٦ ، وكتاب عبد العزيز الجلودى ص ٢٤٠ .

وأورد في الذريعه: ١٤١/ ٥ ، نحو عشرين كتاباً لمؤلفين قدماء ، منهم ابراهيم بن ديزيل الهمداني الذي ينقل عنه ابن مزاحم . وعدّ في: ٢٢/٢٢٩: ثلاثه كتب لابن

السائب الكلبي: كتاب من شهد صفين مع علي من الصحابه ، كتاب من شهد صفين مع علي من الأنصار ، كتاب من شهد صفين مع علي من البدرين). انتهى.

كان جيش علي (عليه السلام) تسعين ألفاً ، فيهم عامه الصحابه من المهاجرين والأنصار وروى أنه كان معه (عليه السلام) سبع مئة صحابي فيهم أكثر من مئة من أهل بيعة الرضوان وثلاثون من البدرين . وقد استشهد معه (عليه السلام) في صفين خمسه وعشرون بدرياً . وكان جمهور جيشه من قبائل العراق والحجاز واليمن .

وكان جيش معاويه مئه وعشرين ألفاً ، وعمدتهم من أهل اليمن والشام ، وفيهم طلقاء قريش كلهم لكن القاده فيهم أكثر من الجنود ! ولم يكن معه من الصحابه أحدٌ إلا - من سموه صحابياً وهو طليقٌ أسلم تحت السيف ، ولا - من الأنصار إلا شخصان: النعمان بن بشير ومسلمه بن مخلد ! قال ابن الأعمش في الفتوح: ٢/١١٠: (ولم يكن معه من الأنصار غيرهما) !!

وقد استشهد من أصحاب علي (عليه السلام) خمسه وعشرون ألفاً ، وقتل من أصحاب معاويه نحو خمسين ألفاً ، وسبب هذه الكثره أن قاده جيش معاويه كان همهم نجاه أنفسهم ، فإذا حمى الوطيس فزوا وتركوا جنودهم ، فنكث فيهم القتلى !

قال ابن الأعمش في الفتوح: ٣/١٣٢) وأقبل الى معاويه رجل من أجلاء أهل الشام حتى وقف بين يديه فقال: يا معاويه إنه قتل منا في هذا اليوم سبع مئة رجل ، ولم يقتل من أصحاب علي إلا أقل من ذلك ، وأنت الذي تفعل بنا ذلك ! لأنك تولى علينا من لا يقاتل معنا ، مثل عمرو بن العاص ، وبسر بن أرطاه ، وعبد الرحمن بن خالد ، وعتبه بن أبي سفيان ، وكل واحد من هؤلاء إنما يقاتل ساعه ثم يخرج من الغبار) !!

ليله الهرير ويوم الهرير

ذكر بعض الرواه أن مداه إقامه الجيشين فى صفين مئه وعشره أيام ، وأن الوقائع كانت تسعين وقعه ، لكن ذلك مبالغه ، فهو لا يستقيم إلا بأن يقصدوا مجموع سفرهم من أول مقدمه الجيش التى أرسلها على (عليه السّلام) .

والظاهر أن الحرب استمرت اثنى عشر يوماً فقط ، من يوم الأربعاء أول شهر صفر سنه ٣٧ ، الى ليله الهرير ليله الجمعه الثانى عشر من صفر ، وفى صبيحتها رفع معاويه المصاحف داعياً الى وقف القتال وتحكيم حكيمين !

فقد كانت بيعه أمير المؤمنين (عليه السّلام) بالخلافه يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى الحجه سنه ٣٥ هجرية ، وكان الزمن صيفاً فى شهر حزيران . (اليعقوبى: ٢/١٧٦).

وكان ذلك بعد مقتل عثمان بسته أيام ، حيث قتل فى الثامن عشر من ذى الحجه سنه ٣٥ هجرية (الطبرى: ٣/٤١١). بعد أن حاصره الصحابه والتابعون فى دار الخلافه نحو شهرين ، طالبين من أن يخلع نفسه فلم يفعل

وبعد خمسه أشهر من بيعتهم لأمير المؤمنين (عليه السّلام) أشعلوا ضده حرب الجمل فى البصره ، واستمرت سبعة أيام ، كان أولها يوم الخميس العاشر من جمادى الآخره سنه ٣٦ . (التنبيه والإشراف ص ٢٥٥).

وبعد معركة الجمل قرر أمير المؤمنين (عليه السّلام) نقل العاصمه الإسلاميه من المدينه الى الكوفه ، فسار اليها من البصره فى يوم الإثنين ١٢ رجب سنه ٣٦ ، ووصل الى الكوفه يوم الإثنين ٢٢ رجب ، واستقر بها شهوراً ، ثم توجه مع من استجاب له الى صفين ، فوصلها فى أواخر ذى الحجه ، ولم يقاتل فى محرم لحرمة .

أما فى ذى الحجه فقد تكون حصلت مناوشات وقاتل جزئى بين مقدمات

الجيشين ، والذي أرجحه أنه لم يكن بينهم قبل صفر معركة إلا على الماء ، وأن أمير المؤمنين (عليه السلام) تعمد تأخير المعركة ليقوم بعمله في إتمام الحججه على معاويه وأهل الشام ، وتوعيه أصحابه ورفع مستواهم ، وأن أول أيام المعركة كان يوم الأربعاء أول شهر صفر سنة ٣٧ . ويدل على ذلك أن جيش الإمام (عليه السلام) ضجروا وشكوا له طول المقام وعدم إذنه (عليه السلام) لهم ببدء الحرب كما تقدم .

وفي شرح النهج: ٤/١٣: (لما ملك أمير المؤمنين (عليه السلام) الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة رجاء أن يعطفوا إليه ، واستماله لقلوبهم وإظهاراً للمعديله وحسن السيره فيهم ، مكث أياماً لا يرسل إلى معاويه ، ولا يأتيه من عند معاويه أحد ، واستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال ، وقالوا: يا أمير المؤمنين خلفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة ، وجئنا إلى أطراف الشام لتتخذها وطناً ! إئذن لنا في القتال فإن الناس قد قالوا ! قال لهم (عليه السلام): ما قالوا ؟ فقال منهم قائل: إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهيةً للموت ، وإن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام ! فقال (عليه السلام): ومتى كنتُ كارهاً للحرب قط ! إن من العجب حبي لها غلاماً ويفعاً ، وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاذ العمر وقرب الوقت ! وأما شكى في القوم ، فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصره ! والله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً وبتناً ، فما وجدت يسعني إلا القتال أو أن أعصى الله ورسوله ، ولكني أستاذني بالقوم عسى أن يهتدوا أو تهتدى منهم طائفه ، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لي يوم خيبر: لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس) .

ويؤيد ذلك أن الرويات التي ذكرت قتالاً في ذي الحججه لم تذكر غير القتال على الماء ، وقد تكون أحداثه وحربه استغرقت بضعة أيام .

ولعل أصل الروايات التي تذكر أن شهر ذي الحججه كان كله قتالاً ، قول نصر ص ١٩٦ في سياق الحرب على الماء: (فاقتل الناس ذا الحججه كله ، فلما مضى ذو

الحججه تداعى الناس أن يكف بعضهم عن بعض إلى أن ينقضى المحرم ، لعل الله أن يجرى صلحاً واجتماعاً . فكف الناس بعضهم عن بعض). انتهى .

لكن قوله: (ذا الحججه كله) لا يعنى أكثر من أن حرب الماء امتدت الى نهايته .

كانت طريقه الحرب بأن يعبؤوا الجيش بعد صلاه الفجر ويتقدموا الى مواجهه بعضهم ، فربما تقدم فارس يطلب المبارزه فيبرز اليه فارس من الطرف الآخر فيقف الناس يتفرجون عليهما ، وربما حملت مجموعه على من يقابلها ، وربما كانت الحرب زحفاً من الجيش جله أو كله . لكن القتال كان ينتهى عند الغروب فيحجز بينهم الليل ، ويدفنون قتلاهم ، ويعود كل الى معسكره .

وقد اشتدت الحرب فى الأيام الثلاثه الأخيره ، كما ذكر ابن سعد فى الطبقات : ٣/٢٤١ : (وكان القتال الشديد ثلاثه أيام ولياليهن ، آخرهن ليله الهرير) .

وقال البلاذرى فى أنساب الأشراف ص ٣١٨ : (وقال الواقدى فى إسناده: كان القتال الشديد بصفين ثلاثه أيام ولياليهن ، آخرهن ليله الهرير) . انتهى .

وسميت ليله الهرير لكثرة أصوات المقاتلين وهمتهم وهزهم على بعضهم ، وفيها استشهاد عمار بن ياسر(رحمه الله) بيد الفئه الباغيه كما أخبر النبى(صلى الله عليه و آله وسلم)، واتصلت فيها الحرب طول الليل تقريباً ، وفى صبيحتها رفع معاويه المصاحف ، وكان على اتفاق فى ذلك مع أحد قادة جيش على(عليه السلام)وهو الأشعث بن قيس رئيس قبيله كنده اليمانيه الكبيره ، وصاحب النفوذ فى عدد من قبائل اليمن !

قال فى فتح البارى: ١١/١٠٤ : (وقتل بين الفريقين تلك الليله عده آلاف وأصبحوا وقد أشرف على أصحابه على النصر ، ورفع معاويه وأصحابه المصاحف فكان ما كان من الإتفاق على التحكيم ، وانصراف كل منهم إلى بلاده) .

وقال ابن كثير فى النهايه: ٧/٣٠١: (وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام ، وذلك أن الأشتر النخعى صارت إليه إمره الميمنه ، فجعل بمن فيها على أهل الشام وتبعه عليّ فتنقضت غالب صفوفهم وكادوا يهزمون ، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح وقالوا: هذا بيننا وبينكم قد فنى الناس فمن للشغور؟ ومن لجهاد المشركين والكفار).

وفى تاريخ يعقوبى: ٢/١٨٨: (وزحف أصحاب عليّ وظهروا على أصحاب معاويه ظهوراً شديداً حتى لصقوا به ، فدعا معاويه بفرسه لينجو عليه ، فقال له عمرو بن العاص: إلى أين؟ قال: قد نزل ما ترى ، فما عندك؟ قال: لم يبق إلا حيله واحده أن ترفع المصاحف فتدعوهم إلى ما فيها ، فتستكفهم وتكسر من حدهم وتفتّ فى أعضادهم . قال معاويه: فشانك! فرفعوا المصاحف ودعوهم إلى التحكم بما فيما ، وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله! فقال عليّ: إنها مكيدة ، وليسوا بأصحاب قرآن! فاعترض الأشعث بن قيس الكندى ، وقد كان معاويه استماله وكتب إليه ودعاه إلى نفسه ، فقال: قد دعا القوم إلى الحق! فقال عليّ: إنهم إنما كادوكم وأرادوا صرفكم عنهم . فقال الأشعث: والله لئن لم تجبهم انصرفت عنك . ومالت اليمانيه مع الأشعث ، فقال الأشعث: والله لتجيبنهم إلى ما دعوا إليه ، أو لندفعنك إليهم برؤمتك! فتنازع الأشتر والأشعث فى هذا كلاماً عظيماً حتى كاد أن يكون الحرب بينهم ، وحتى خاف عليّ أن يفترق عنه أصحابه !

فلما رأى ما هو فيه أجابهم إلى الحكومه ، وقال عليّ: أرى أن أوجه بعبد الله بن عباس . فقال الأشعث: إن معاويه يوجه بعمر بن العاص ، ولا يحكم فينا مضربان ، ولكن توجه أبا موسى الأشعرى ، فإنه لم يدخل فى شىء من الحرب. وقال عليّ: إن أبا موسى عدوٌ وقد خدّل الناس عنى بالكوفه ونهاهم أن يخرجوا معى! قالوا: لا نرضى بغيره)! انتهى .

وقد جرت أحداث عديده يوم الجمعة صبيحه ليله الهرير، وفي الأيام الخمسه التي تلتها ، غلب فيها الذين أرادوا إيقاف الحرب بزعامه الأشعث وزعماء الخوارج فيما بعد ، وهددوا الأشر وأمير المؤمنين (عليه السلام) بالقتال إن لم يقبلوا !

وتم توقيع كتاب الهدنه بعد خمسه أيام ، فى يوم الأربعاء لثلاث عشره (بقيت) من صفر سنه سبع وثلاثين ، كما روى ابن مزاحم ص ٥١١: (وكتب عميره يوم الأربعاء لثلاث عشره بقيت من صفر سنه سبع وثلاثين) ، وكذا فى الأخبار الطوال ص ١٥٤ ، وشرح الأخبار: ٢/١٣٨ ، فتكون كلمه: (خلت) فى روايه بعضهم وقعت اشتباهاً بدل: بقيت ، ولعل هذا السبب فى تردد الطبرى فى تاريخه: ٤/٤٠ قال: (فكتب كتاب القضيه بين على ومعاويه فيما قيل يوم الأربعاء لثلاث عشره يوم الأربعاء لثلاث عشره خلّت من صفر ، سنه سبع وثلاثين من الهجره ، على أن يوافق على موضع الحكمين بدومه الجندل فى شهر رمضان ، ومعاويه ومع كل واحد منهما أربعمأه من أصحابه وأتباعه). انتهى.

ومهما فرضنا يوم كتابه وثيقه الصلح فقد انتهى القتال يوم الهرير ، وكانت بعده المفاوضات ، وكتابه الوثيقه وإعلان انتهاء الحرب .

ص: ٢٩٥

عمار وأويس .. من أعلام الهدى التي وضعها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمة

حاشا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يدع أمته دون أن يبين لها طريق الهدى بعده ! فقد بينه لها وأكد عليها أن طريق أمنها من الضلال منحصر في اتباع عترته أهل بيته (عليهم السلام) ، وأكد وصيته لها بالثقلين القرآن والعترة ، في مواطن عديده وأحاديث كثيرة ، وبشرها في حجة الوداع بأن الله حل مشكله القياده فيها ، كما حلها في الأمم بعد إبراهيم (عليه السلام) فاختر من عترته (صلى الله عليه وآله وسلم) اثني عشر إماماً ربانياً ، وخطب يوم الغدير ثم دعا علياً (عليه السلام) وأصعده معه على المنبر ورفع بيده ونصبه خليفه من بعده ، وأعلن أن الولاية التي جعلها الله له هي لعلي ما عدا النبوه ! (من كنت مولاه فعلى مولاه).

وأخبر أمته بأنها ستتحرف من بعده ، وتغدر بأهل بيته وتظلمهم وتقتلهم وتشردهم في البلاد ! وأن ذلك سيطول حتى تضعف الأمة فتتداعى عليها الأمم وتتغلب عليها ، حتى يبعث الله المهدي المنتظر من عترته فيعيد الحق الى نصابه ، وينهى الظلم على الأرض بإذن ربه ، ويظهر الله به دينه على الدين كله ، فتمتد دوله العدل الإلهي الى يوم القيامة !

ومضافاً الى هذه الأعلام الصريحة التي نصبها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر ربه ، وضع لأمة أعلاماً خاصه كثيرة ، اهتدى بها من كتب الله لهم الهدايه من أجيالها . وكان من هذه الأعلام: عمار بن ياسر ، وأويس القرني ، رحمهما الله ، فقد روى الجميع أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شهد بأنهما مع الحق ومن خالفهما مع الباطل والضلال !

أما أويس القرني فقد روى في الطبقات: ٦/١٦١: (قال رسول الله (ص): خليلي من هذه الأمة أويس القرني.... أن عمر قال لأويس: إستغفر لي . قال: كيف أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله (ص)؟ قال: سمعت رسول الله (ص): إن خير التابعين رجل يقال له أويس) !

وفى حليه الأولياء: ٢/٨٦: (نادى رجل من أهل الشام يوم صفين: أفيكم أويس القرني؟ قال قلنا: نعم، وما تريده منه؟ قال: إني سمعت رسول الله (ص) يقول: أويس القرني خير التابعين يا حسان. وعطف دابته فدخل مع أصحاب علي رضي الله تعالى عنهم). ورواه الحاكم في: ٣/٤٠٢ وأحمد: ٣/٤٨٠ نحوه، وقال في مجمع الزوائد: ١٠/٢٢: رواه أحمد وإسناده جيد.

وفى مستدرک الحاكم: ٢/٣٦٥: (فنادى عليّ يا خيل الله اركبي وأبشري. قال: فصفتُ الثلثين لهم، فانتضى صاحب القتيبة أويس سيفه حتى كسر جفنه فألقاه، ثم جعل يقول: يا أيها الناس: تَمُّوا تَمُّوا، لُتِّمَنَّ وجوهٌ ثم لاتنصرف حتى ترى الجنة. يا أيها الناس تَمُّوا تَمُّوا، جعل يقول ذلك ويمشى إذ جاءته رمية فأصابت فؤاده فبرد مكانه، كأنما مات منذ دهر.... هذا حديث صحيح على شرط مسلم). انتهى.

وفى ميزان الاعتدال: ١/٢٨١: (ثم عاد في أيام علي فقاتل بين يديه فاستشهد بصفين، فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحه). انتهى.

وفى خصائص الأئمة (عليهم السلام) للشريف الرضي (رحمه الله) ٥٣: (عن الأصمغ بن نباته قال: كنت مع أمير المؤمنين بصفين فبايعه تسعة وتسعون رجلاً، ثم قال: أين تمام المائة؟ فقد عهد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يبايعني في هذا اليوم مائة رجل! قال فجاء رجل عليه قباء صوف متقلد سيفين فقال: هلم يدك أبايعك. فقال: علي مَ تبايعني؟ قال: علي بذل مهجه نفسى دونك! قال: ومن أنت؟ قال: أويس القرني، فبايعه فلم يزل يقاتل بين يديه حتى قتل، فوجد في الرجاله مقتولاً).

ونحوه في اختيار معرفه الرجال: ١/٣١٥، وقال: (وفي روايه أخرى قال له أمير المؤمنين (عليه السلام): كن أويساً. قال: أنا أويس. قال: كن قرنياً، قال: أنا أويس القرني).

وفى البحار: ٢٩/٥٨٣: (وأتى أويس القرني متقلداً بسيفين ويقال: كان معه مرماه

ومخلاه من الحصى ، فسلم على أمير المؤمنين (عليه السّلام) وودعه ، وبرز مع رجاله ربيعه فقتل من يومه ، فصلى عليه أمير المؤمنين (عليه السّلام) ودفنه . انتهى .

وفى المناقب/٢٤٩: (وفى روايه: قتل من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) فى ذلك اليوم والليله ألفاً رجل وسبعون رجلاً ، وفيهم أويس القرنى زاهد زمانه ، وخزيمه بن ثابت الأنصارى ذو الشهادتين ، وقتل من أصحاب معاويه فى ذلك اليوم سبعة آلاف رجل) . انتهى .

وتدل النصوص على أن أويساً (رحمه الله) ملهم من الله تعالى حيث قال فى بيعته لأمير المؤمنين (عليه السّلام) يوم الجمل: (على السمع والطاعة والقتال بين يديك حتى أموت أو يفتح الله عليك) فكان الفتح . بينما قال يوم صفين: (على بذل مهجه نفسى دونك) ولم يذكر الفتح ، فاستشهد ! وتدل على مقادير الله تعالى لأويس ، أن يكون تمام الألف فى حرب الجمل ، ثم تمام المئه فى صفين ، مبايعاً على الموت فى سبيل الله تعالى . (راجع سيره أويس القرنى (رحمه الله) فى أول المجلد الرابع من كتابنا العقائد الإسلاميه) .

وأما عمار (رحمه الله) فقد أجمعت الأمة على أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبر أنه ستقتله الفئة الباغيه الذين يدعون الى النار . وتقدم من البخارى: ١٢٢/١ قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ويح عمار تقتله الفئة الباغيه، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار). انتهى .

قال السيد الميلانى فى نفحات الأزهار: ٣/٥٠: (وقال فى شرح الشفاء فى فصل الإخبار بالغيوب: وإن عماراً وهو ابن ياسر تقتله الفئة الباغيه . رواه الشيخان ، ولفظ مسلم: قال النبى (ص) لعمار: تقتلك الفئة الباغيه . وزاد: وقاتله فى النار . فقتله أى عماراً ، أصحاب معاويه أى بصفين ، ودفنه على رضى الله تعالى عنه فى ثيابه وقد تئف على سبعين سنه ، فكانوا هم البغاه على بدلاله هذا الحديث ونحوه ، وقد ورد: إذا اختلف الناس كان ابن سميّه مع الحق ، وقد كان مع على

رضى الله تعالى عنهما . وأما تأويل معاوية أو ابن العاص بأن الباغي عليّ وهو قتله حيث حمله على ما أدى إلى قتله ، فجوابه: ما نقل عن علي كرم الله وجهه أنه يلزم منه أن النبي(ص)قاتل حمزه عمه). انتهى .

وقد اشتهر هذا الحديث النبوي لأن عمرو بن العاص كان يرويه قبل صفين ويكرره ، فطالبه به عددٌ من أصحاب معاوية في صفين ، وأنه هو الذى رواه لهم وهذا عمار مع علي(عليه السلام) ! فأجابهم ابن العاص بأنه سوف يكون معنا !!

وقد روى نصر بن مزاحم فى كتاب وقعه صفين ، وابن الأعمش فى الفتوح ، مناظره عمار فى صفين مع ابن العاص ، وأنها استغرقت يوماً تقريباً من المعركة !

قال فى الفتوح: ٣/٧١: (ذكر ماجرى من المناظره بين أبى نوح وذى الكلاع الحميرى:

فأصبح القوم فدننا بعضهم من بعض ومع على بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ رجل من حمير يكنى بأبى نوح وكان مفوهاً متكلماً ، وكان له فضل وقدر وطاعه فى الناس ، فقال لعلى: يا أمير المؤمنين أتأذن لى فى كلام ذى الكلاع فإنه رجل من قومى وهو سيدٌ عند أهل الشام ، فلعلى أشككه فيما هو فيه؟

فقال له على: يا أبان نوح إن ردّ مثل ذى الكلاع شديداً عند أهل الشام ، فإن أحببت لقاءه فالقه بالجميل ، وإياك والكتب ! قال: فبعث أبو نوح إلى ذى الكلاع: إني أريد لقاءك فاخرج إليّ أكلمك . قال: فجاء ذو الكلاع إلى معاوية فقال: إن أبان نوح يريد كلامي ولست مكلمه إلا- بإذنك ، فما ترى فى كلامه أكلمه أم لا-؟ فقال معاوية: وما تريد إلى كلامه ؟ فوالله ما نشك فى هداك ، ولا فى ضلالتك ، ولا فى حقك ولا فى باطله !

فقال ذو الكلاع: على ذلك إذن لى فى كلامه ، فقال معاوية: ذاك إليك.....

وأقبل أبو نوح حتى وقف بين الجمعين ، وخرج ذو الكلاع حتى وقف قبالتك ،

فقال أبو نوح: يا ذا الكلاع! إنه ليس في هذين الجمعين أحد أولى بنصيحتك مني، إن معاوية بن أبي سفيان أخطأ وأخطأتم معه في خصال كثيرة، لخطأه واحده إنه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، فأخطأ بادعائه إياها وأخطأتم باتباعه. وأخطأ في الطلب بدم عثمان وأخطأتم معه، لأن غيره أولى بطلب دم عثمان منه. وأخطأ أنه رمى علياً بدم عثمان وأخطأتم بتصديقكم إياه ونصركم له وهذا أمر قد شهدناه وغبتم عنه، فاتفق الله ويحك يا ذا الكلاع، فإن عثمان بن عفان أتيح له قوم فقتلوه بدعوى ادعوا عليه، والله الحاكم في ذلك يوم القيامة، وقد بايعت الناس علياً برضاء منه ومنهم، لأنه لم يك للناس بد من إمام يقوم بأمرهم، وليس لأهل الشام مع المهاجرين والأنصار أمر. فإن قلت: إن علياً ليس بخير من معاوية ولا بأحق منه بهذا الأمر، فهات رجلاً من قريش ممن ترضى دينه حتى يعدل بينهم في شيء من الدين والشرف والسابقه في الإسلام.

فقال له ذو الكلاع: إنني قد سمعت كلامك أبا نوح ولم يخف على منه شيء، ولكن هل فيكم عمار بن ياسر؟ فقال أبو نوح: نعم هو فينا، قال: فهل يتهاى لك أن تجمع بينه وبين عمرو بن العاص فيتكلمان وأنا أسمع؟

فقال أبو نوح: نعم، ثم ولي إلى عسكره، فصار إلى عمار وطلب إليه وسأله أن يلقي عمرو بن العاص. قال: فخرج عمار في ثلاثين رجلاً من المهاجرين والأنصار ليس فيهم رجل إلا وقد شهد بدمراً مع رسول الله (ص) غير رجلين: عمرو بن الحمق الخزاعي، ومالك بن الحارث الأشتر. (وهذا دليل على أن الأشتر صحابي).

قال: وقام الصباح الحميري إلى معاوية، فقال له: إنني أرى لك أن لا تأذن لذي الكلاع أن يلقي أبا نوح فإنه قد طمع فيه، وأخاف أن يشككه في دينه! فقال معاوية: إنني قد نهيته فلم ينته عن ذلك، وهو رجل من سادات حمير، وأنا أرجو

أن لا- يخذع . قال: فأقبل ذو الكلاع إلى عمرو بن العاص إذ هو واقف يحرض الناس على القتال فقال له: أبا عبد الله ، هل لك في رجل ناصح صادق لبيب شفيق يخبرك عن عمار بن ياسر بالحق؟ فقال له عمرو: ومن هذا معك؟ فقال: هذا ابن عم لي من أهل العراق غير أنه جاء معي بالعهد والميثاق على أنه لا يؤذى ولا يهاج حتى يرجع إلى عسكره .

فقال عمرو: إنا لنرى عليه سيماء أبي تراب! فقال أبو نوح: بل سيماء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه عليّ ، وعليك سيماء جهل بن أبي جهل وسيماء فرعون ذى الأوتاد! قال: فوثب أبو الأعور السلمى فسلّ سيفه ثم قال: أرى هذا الكذاب الأثيم يشاتمنا وهو بين أظهرنا ، وعليه سيماء أبي تراب!

فقال ذو الكلاع: مهلاً يا أبا الأعور!

لأقسم بالله لو بسطت يدك إليه لأخطمن أنفك بالسيف! ابن عمي وجاري قد عقدت له ذمتي وجئت به إليكم ليخبركم عما تماريتم فيه ، فتسل عليه السيف؟!

قال: فسكت أبو الأعور وتكلم عمرو بن العاص ، فقال: ألسنت أبا نوح؟ فقال: بلى أنا أبو نوح! قال عمرو: فأنا أذكرك الله أبا نوح إلا- صدقتنا ولم تكذبنا ، أفيكم عمار بن ياسر؟ قال أبو نوح: ما أنا بمخبرك حتى تخبرني لم تسألني عنه ، فإن معنا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلهم جاداً في قتالكم ، فقال عمرو: لأنى سمعت رسول الله وهو يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية ، وإنه: ليس ينبغي لعمار بن ياسر أن يفارق الحق ولا تأكل النار منه شيئاً!

فقال أبو نوح: لا إله إلا الله والله أكبر! إن عماراً معنا وإنه لجاد في قتالكم ، فقال عمرو: إنه والله لجاد على قتالنا؟! فقال أبو نوح: والله لقد حدثني يوم الجمل إننا سنظهر عليهم ، فكان كما قال: ولقد حدثني بالأمس أن لو هزمتونا حتى

تبلغونا إلى سعفات هجر لعلنا بأننا على حق وأنكم على باطل ، وأن قتلنا في الجنه وقتلاكم في النار ! فقال عمرو: فهل تستطيع أن تجمع بيني وبينه؟

قال أبو نوح: نعم وها هو واقف في ثلاثين رجلاً من أصحاب أمير المؤمنين على بن أبي طالب . فأقبل عمرو بن العاص حتى وقف قريباً من أصحاب على ، ومعه نفر من أصحاب معاوية . قال ونظر إليهم عمار ، فأرسل إليهم برجل من عبد القيس يقال له عوف بن بشر ، فأقبل حتى إذا كان قريباً منهم نادى بأعلى صوته: أين عمرو بن العاص؟ فقال عمرو: ها أنا فهات ما عندك ، فقال: هذا عمار قد حضر ، فإن شئت فتقدم إليه . قال عمرو: فسر إلينا حتى نكلمك ، فقال: أنا أخاف غدراحتك . قال عمرو: فما الذي جرأك وأنت على هذه الحالة؟ فقال له عوف بن بشر: الله جرأني عليك وبصرني فيك وفي أصحابك ، فإن شئت نابذتك وإن شئت التقيت أنت وخصماؤك !

فقال له عمرو: من أنت يا أخي؟ قال: أنا عوف بن بشر الشنى رجل من عبد القيس . قال عمرو: فهل لك أن أبعث لك بفارس يوافقك؟ فقال له عوف: ما أنا بمستوحش من ذلك ، فابعث إلى أشقى أصحابك . فقال عمرو لأصحابه: أيكم يخرج إليه فيكلمه؟ فقال أبو الأعور: أنا إليه أسير ، ثم أقبل إليه أبو الأعور حتى واقفه فقال له عوف: إنى لأرى رجلاً لا أشك أنه من أهل النار إن كان مصراً على ما أرى ، فقال له أبو الأعور: لقد أعطيت لساناً حديداً ، أكبك الله في نار جهنم ! فقال عوف: كلا والله إنى لا أتكلم إلا بالحق ولا أنطق إلا بالصدق ، وإنى أدعو إلى الهدى ، وأقاتل أهل الضلال وأفر من النار ، وأنت رجل تشتري العقاب بالمغفره والضلاله بالهدى ، فانظر إلى وجوهنا ووجوهكم وسيمانا وسيماكم ، واسمع إلى دعوانا ودعواكم ، فليس منا أحد إلا وهو أولى بمحمد

(صلى الله عليه وآله وسلم) وأقرب إليه منكم . فقال أبو الأعور: أكثرت الكلام وذهب النهار ، فاذهب وادع أصحابك وأدعو أصحابي وأنا جار لك حتى تأتي موقفك هذا الذي أنت فيه ، ولست أبدأك بغدر حتى تأتي أنت وأصحابك .

قال: فرجع عوف بن بشر إلى عمار بن ياسر ومن معه ، فأخبرهم بذلك ، وأقبل عمار ومعه الأجلاء من أهل عسكره ، وتقدم عمرو بن العاص في أجلاء عسكره حتى اختلفت أعناق الخيل ، فنزلوا هؤلاء هؤلاء عن خيولهم واحتبوا بحمائل سيوفهم ، وذهب عمرو يتكلم التشهد ، فقال عمار: أسكت ! وقد تركتها في حياه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد موته ، ونحن أحق بها منك ، فاخطب بخطبه الجاهليه ، وقل قول من كان في الإسلام دنيئاً ذليلاً وفي الضلال رأساً محارباً ، فإنك ممن قاتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته وبعد موته ، وفتن أمته من بعده ، وأنت الأبتري الأبتري شاني محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله وشاني أهل بيته !!

قال: فغضب عمرو ثم قال: أما إن فيك لهنات ! ولو شئت أن أقول لقلت . فقال عمار: وما عسى أن تقول: إني كنت ضالاً فهداني الله ووضيعة فرفعني الله ، وذليلاً فأعزني الله ، فإن كنت تزعم هذا فقد صدقت ، وإن كنت تزعم أنني خنت الله ورسوله يوماً واحداً ، أو تولينا غير الله يوماً واحداً فقد كذبت ! ولكن هلم إلى ما نحن فيه الآن ، فإن شئت كانت خصومه فيدفع حقنا باطلك ، وإن شئت كانت خطباً فنحن أعلم بفصل الخطاب منك ، وإن شئت أخبرتك بكلمه تفصل بيننا وبينك ، وتكفرك قبل القيام من مجلسك ، وتشهد بها على نفسك ، ولا تستطيع أن تكذبنى: هل تعلم أن

عثمان بن عفان كان عليه الناس بين خاذل له ومعرض عليه وما هم فيه من نصره بيده ولا نهى عنه بلسانه؟ وقد حصر أربعين يوماً في جوف داره ليس له جمعه ولا جماعه ، وتظن ما كان فيه قبل أن يقتل ما كان من

طلحه والزبير وعائشه بنت أبي بكر حين منعها أرزاقها ، فقالت فيه ما قالت وحرضت على قتله ، فلما قتل خرجت فطلبت بدمه بغير حق ولا حكم من الله تعالى في يدها؟! ثم إن صاحبك هذا معاويه قد طلب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يترك له ما في يده ، فأبى علي ذلك ، فانظر في هذا ، ثم سلط الحق على نفسك فاحكم لك وعليك .

قال: فقال عمرو: صدقت أبا اليقظان ، قد كان ذلك كما ذكرت في أمر عائشه وطلحه والزبير . وأما معاويه فله أن يطلب بدم عثمان ، لأنه رجل من بني أميه وعثمان من بني أميه وليس لهذا جئت إذا رَسَل هذا الأمر الذي قد شجر بيننا وبينكم ، لأنى رأيتك أطوع هذا العسكر ، فاذكرك الله إلا كففت سلاحهم وحققت دماءهم وحرضت على ذلك ، ويحك أبا اليقظان على ماذا تقاتلنا ! ألسنا نعبد الله واحداً ؟ ألسنا نصلى إلى قبلتكم وندعو بدعوتكم ونقرأ كتابكم ونؤمن بنبيكم؟!

فقال عمار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك ! القبله والله لى ولأصحابى ، ولنا الدين والقرآن وعباده الرحمن ، ولنا النبي والكتاب من دونك ودون أصحابك ، وإن الله تبارك وتعالى ، قد جعلك ضالاً مضلاً ، وأنت لا تعلم أهدأ أنت أم ضال ، ولقد أمرنى رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) أن أقاتل الناكثين فقد فعلت ، وأمرنى أن أقاتل القاسطين فأنتم هم ، وأما المارقون فلا أدري أدر كههم أم لا .

أيها الأبتى ! ألسنت تعلم أن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) قال: من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله؟ فأنا مولى لله ولرسوله وعليّ مولاى من بعده ، وأنت فلا مولى لك . فقال عمرو بن العاص: ويحك أبا اليقظان ! لم تشتمنى ولست أشتمك ؟ فقال عمرو: فما ترى فى قتل عثمان ؟

فقال عمار: قد أخبرتكم كيف قتل عثمان . فقال عمرو: فعلتي قتله ، فقال عمار: بل الله قتله . قال عمرو: فهل كنت فيمن قتله ؟ قال عمار: أنا مع من قتله وأنا اليوم أقاتل لمن قتله ، لأنه أراد أن يقتل الدين فقتل !

فقال عمرو: يا أهل الشام إنه قد اعترف بقتل عثمان أمامكم ! فقال عمار: قد قالها فرعون لقومه: (ألا تسمعون)! أخبرني

يا ابن النابغه ! هل أقررت أنى أنا الذى قتلت عثمان حتى تُشهد على أهل الشام؟! فقال عمرو يا هذا: إنه كان من أمر عثمان ما كان ، وأنتم الذين وضعتم سيوفكم على عواتقكم وتحربتم علينا مثل لهب النيران حتى ظننا أن صاحبكم لا بقيه عنده ، فإن تنصفونا من أنفسكم فادفعوا إلينا قتله صاحبنا وارجعوا من حيث جئتم ، ودعوا لنا ما فى أيدينا ، وإن أبيتم ذلك فإن دون ما تطلبون منا والله خرط القتاد !

قال: ثم تبسم عمار ثم قال: ليس أول كلامك هذا يا ابن النابغه ، يا دعئى يا ابن الدعى! يا ابن حرار قريش ! يا من ضرب على خمسه بسهامهم كل يدعيك حتى قاربك شرمهم ! أفى أمير المؤمنين على بن أبى طالب تغتمز ؟ أما والله لقد علمت قريش قاطبه أن علياً لا يجلس له علا ، ولا يقعق له بالشنان ، ولا يغمز غمز التين! قال: فقام أهل الشام فركبوا خيولهم ولهم زجلٌ فصاروا إلى معاويه ، فقال له معاويه: ما وراءكم؟ فقالوا: وراءنا والله إنما قد سمعنا من عمار بن ياسر كلاماً يقطر الدم! ووالله لقد أخرس عمرو بن العاص حتى ما قدر له على الجواب!

فقال معاويه: هلكت العرب بعد هذا ورب الكعبة !

قال: ورجع عمار فى أصحابه إلى على بن أبى طالب فأخبره بالذى دار بينه وبين عمرو بن العاص ، فأنشأ رجل من أصحاب على يقول:

ما زلت يا عمرو قبل اليوم مبتدراً

تبغى الخصومه جهراً غير سرار

حتى رأيت أبا اليقظان منتصباً

لله درُّ أبي اليقظان عمار

ما زال يقرعُ منك العظم منتقياً

مخَّ العظام بحق غير إنكار

حتى رمى بك في بحر له لجج

يرمى بك الموج في لجج من النار

قال: وقد كان مع معاوية رجل من حمير يقال له: الحصين بن مالك ، وكان يكاتب علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ويدله على عورات معاوية ، وكان له صديق من أصحاب معاوية يقال له الحارث بن عوف السكسكى ، فلما كان ذلك اليوم قال الحصين بن مالك للحارث بن عوف: يا حارث إنه قد آتاك الله ما أردت ، هذا عمرو وعمار وأبو نوح وذو الكلاع قد التقوا ، فهل لك أن تسمع من كلامهم ؟ فقال الحارث بن عوف: إنما هو حق وباطل ، وفي يدي من الله هدى ، فسر بنا يا حصين . قال: فجاء الحصين والحارث حتى سمعا كلام عمرو وعمار ، فلما سمع الحارث بن عوف كلام عمار وتظاهر الحجج على عمرو بقى متحيراً ، فقال له الحصين: ما عندك الآن يا حارث؟ فقال الحارث: ما عندي وقعه والله بين العار والنار ، والله لا أقاتل مع معاوية بعد هذا اليوم أبداً ! فقال له: ولا أنا أقاتل عليك بعد هذا اليوم أبداً . قال: ثم هربا من عسكر معاوية جميعاً فصار أحدهم إلى حمص وأظهر التوبه ، وصار الحارث بن عوف إلى مصر تائباً من قتال على رضى الله عنه ، وأنشأ يقول:

قال الحصينُ ولم أعلم بنيته

يا حارِ هل لك في عمرو وعمارِ

يا حارِ هل لك في أمر له نبأ

فيه شريكان من عوف وإنكار

فاسمع وتسمع ما يأتى العيان به

إن العيان شفاء النفس يا حار

لما رأيت لججاج الأمر قلت له

قولاً ضعيفاً نعم والكراهة إضمارى

سرنا إلى ذلك المرأين مع نفر

شم كرام وجدنا زندهم واری

لما تشهد عمرو قال صاحبه

أسكت فإنك من ثوب الهدى عاری

ص: ۳۰۶

فارتد عمرو على عقبيه منكسراً

كالهر يرقب ختلاً عازم الفار

ما زال يرميه عماراً بحجته

حتى أقر له من غير إكثار

قال الحصين لما أبصرت حجته

غراء مثل بياض الصبح للسارة

ما بعد هذين من عيب لمنتظر

فاختر فدى لك بين العار والنار

قلت الحياه فراق القوم معترفاً

بالذنب حقاً وليس العار كالنار]

قال: وأقبل نفر من أصحاب معاوية إلى عمرو بن العاص ، فقال له بعضهم: أبا عبد الله ، ألسنت الذي رويت لنا أن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) قال: يدور الحق مع عمار حيث ما دار؟ فقال عمرو: بلى قد رويت ذلك ولكنه يصير إلينا ويكون معنا . فقال له ذو الكلاع: هذا والله محال من الكلام ! والله لقد أفحمتك عمار حيث بقيت وأنت لا تقدر على إجابته ! قال عمرو: صدقت وربما كان كلام ليس له جواب.....

قال: فأنشأ رجل من بني قيس يقول في ذلك:

والراقصات بركب عامدين له

إن الذي كان في عمرو لمأثور

قد كنت أسمع والأنباء شائعه

هذا الحديث فقلت الكذب والزور

حتى تلقيته عن أهل محنته

فاليوم أرجع والمغرور مغرور

واليوم أبرأ من عمرو وشيعته
ومن معاويه المحذو به العير
لا لا أقاتل عماراً على طمع
بعد الروايه حتى ينفخ الصور
تركت عمرواً وأشياءاً له نكراً
إني بتركهم يا صاح معذور
يا ذا الكلاع فدع لي معشراً كفروا
أو لا فديتك دين فيه تعزير
ما في مقال رسول الله في رجل
شك ولا في مقال الرسل تحيير

قال: ثم هرب صاحب هذا الشعر حتى لحق بعلي بن أبي طالب فصار معه .

قال: فدعا معاويه عمرو بن العاص ، فقال: يا هذا إنك أفسدت أهل الشام عليّ ، أكلّ ما سمعت من رسول الله تقوله وترويّه؟! ما
أكثر ما سمعنا منه فلم نروه !

ص: ٣٠٧

فقال عمرو: يا هذا والله لقد رويت هذا الحديث وأنا لا أظن أن صفيين تكون ، ولست أعلم الغيب! ولقد رويت أنت أيضاً فى عمار مثل الذى رويت أنا! انتهى.

وفى كفايه الأثر فى النص على الأئمة الإثنى عشر ص ١٢٠ عن أبى عبيده بن محمد بن عمار عن أبيه عن جده عمار(رحمه الله)قال: (كنت مع رسول الله(صلى الله عليه و آله وسلم) فى بعض غزواته وقتل على(عليه السلام) أصحاب الألويه وفرق جمعهم ، وقتل عمرواً بن عبد الله الجمجمى ، وقتل شيبه بن نافع ، أتيت رسول الله(صلى الله عليه و آله وسلم) فقلت له: يا رسول الله ، صلى الله عليك إن علياً قد جاهد فى الله حق جهاده. فقال: لأنه منى وأنا منه ، وهو وارث علمى وقاضى دينى ومنجز وعدى والخليفه بعدى ، ولولاه لم يعرف المؤمن المحض. حربه حربى وحربى حرب الله ، وسلمه سلمى وسلمى سلمى سلم الله ، ألا إنه أبو سبطى والأئمة من صلبه يخرج الله تعالى منه الأئمة الراشدين ، ومنهم مهدي هذه الأمة . فقلت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما هذا المهدي؟ قال: ياعمار إن الله تبارك وتعالى عهد إلى أن يخرج من صلب الحسين تسعه والتاسع من ولده

يغيب عنهم ، وذلك قوله عز وجل: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَضْيَحَ مَيَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ، يكون له غيبه طويله يرجع عنها قوم ويثبت عليها آخرون ، فإذا كان فى آخر الزمان يخرج فيملاً الدنيا قسطاً وعدلاً ، ويقا تل على التأويل كما قاتلت على التنزيل ، وهو سميى ، وأشبهه الناس بى .

ياعمار ستكون بعدى فتنه ، فإذا كان ذلك فاتبع علياً وحزبه ، فإنه مع الحق والحق معه . ياعمار إنك ستقاتل بعدى مع على صفيين: الناكثين والقاسطين ، ثم تقتلك الفئة الباغية . قلت: يا رسول الله أليس ذلك على رضا الله ورضاك؟ قال: نعم على رضا الله ورضاي ، ويكون آخر زادك من الدنيا شربه من لبن تشربه .

فلما كان يوم صفيين خرج عمار بن ياسر إلى أمير المؤمنين(عليه السلام)فقال له: يا أخا رسول الله ، أتأذن لى فى القتال؟ قال: مهلاً رحمك الله ، فلما كان بعد ساعه أعاد

عليه الكلام فأجابه بمثله فأعاد عليه ثالثاً ، فبكى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: إنه اليوم الذى وصفه لى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن بغلته وعانق عماراً وودعه ، ثم قال: يا أبا اليقظان جزاك الله عن نبيك خيراً ، فنعم الأخ كنت ، ونعم الصاحب كنت ! ثم بكى (عليه السلام) وبكى عمار ثم قال: والله يا أمير المؤمنين ما تبعتك إلا ببصيره ، فإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول يوم خيبر: يا عمار ستكون بعدى فتنه ، فإذا كان ذاك فاتبع علياً وحزبه فإنه مع الحق والحق معه ، وستقاتل الناكثين والقاسطين ، فجزاك الله يا أمير المؤمنين عن الإسلام أفضل الجزاء ، فلقد أدبت وأبلغت ونصحت . ثم ركب وركب أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم برز إلى القتال ثم دعا بشربه من ماء ، فقيل له: ما معنا ماء ، فقام إليه رجل من الأنصار فأسقاها شربه من لبن ، فشربه ثم قال: هكذا عهد إالى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكون آخر زادى من الدنيا شربه من لبن . ثم حمل على القوم فقتل ثمانية عشر نفساً ، فخرج إليه رجلا من أهل الشام فطعناه وقتل (رحمه الله) .

فلما كان فى الليل طاف أمير المؤمنين (عليه السلام) فى القتلى ، فوجد عماراً ملقى بين القتلى ، فجعل رأسه على فخذه ثم بكى (عليه السلام) وأنشأ يقول:

ألا أيها الموت الذى لست تاركى

أرحنى فقد أفنيت كل خليل

أراك بصيراً بالذين أحبهم

كأنك تمضى نحوهم بدليل). انتهى.

أقول: صدق الله تعالى حيث قال فى الأنبياء والأوصياء وأنصارهم الربانيين: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). (يوسف: ١١١)

الراهب شمعون .. شاهدٌ من أهل الكتاب في حرب صفين

روى في الخرائج والجرائح: ١/٢٢٢: (عن أبي سعيد عقيصا قال: خرجنا مع علي (عليه السّلام) نريد صفين ، فمررنا بكر بلاء فقال: هذا موضع الحسين (عليه السّلام) وأصحابه .

ثم سرنا حتى انتهينا إلى راهب في صومعه ، وتقطع الناس من العطش وشكوا إلى علي (عليه السّلام) ذلك ، وأنه قد أخذ بهم طريقاً لا ماء فيه من البر ، وترك طريق الفرات فدنا من الراهب ، فهتف به وأشرف إليه فقال: أقرّب صومعتك ماء ؟ قال: لا . فثنى رأس بغلته فنزل في موضع فيه رمل ، وأمر الناس أن يحفروا هذا الرمل فحفروا فأصابوا تحته صخره بيضاء ، فاجتمع ثلاثمائة رجل فلم يحركوها . فقال (عليه السّلام): تنحوا فإنني صاحبها ، ثم أدخل يده اليمنى تحت الصخره فقلعها من موضعها حتى رآها الناس على كفه فوضعها ناحيه ، فإذا تحتها عين ماء أرق من الزلال وأعذب من الفرات ، فشرب الناس وسقوا واستقوا وتزودوا ، ثم رد الصخره إلى موضعها وجعل الرمل كما كان ! وجاء الراهب فأسلم وقال: إن أبي أخبرني عن جده وكان من حوارى عيسى: إن تحت هذا الرمل عين ماء ، وإنه لا يستبطنها إلا نبي أو وصى نبي! وقال لعلي (عليه السّلام): أتأذن لي أن أصحبك في وجهك هذا؟ قال (عليه السّلام): إلزمني ودعا له ، ففعل فلما كان ليله الهرير قتل الراهب فدفنه (عليه السّلام) بيده وقال: لكأني أنظر إليه وإلى منزله في الجنة ودرجته التي أكرمه الله بها). (البحار: ١/٤٢، ومدينه المعاجز ص ٢٠٠) .

وفي المناقب لمحمد بن سليمان: ١/١٤٤: (عن

حبه العرنى قال: لما أن خرجنا مع علي بن أبي طالب (عليه السّلام) في مسيره إلى صفين حتى نزلنا بـ "البليخ" وكان فيه دير فيه راهب يقال له شمعون ، فنزل إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين إنه كان عند آبائي كتاب كتبه لهم أصحاب عيسى بن مريم فإن شئت تلوته عليك ؟ قال: قد

شئت قال شمعون: وهذا نصه: بسم الله الرحمن الرحيم الذى قضى فيما قضى وصدر فيما كتب أنه باعث فى الأميين رسولا يتلو عليهم آياته ويدلهم على سبيل الجنة لا فظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ، لا يجزى بالسيئه سيئه ، ولكن يعفو ويصفح . أمته الحامدون يحمدون الله على كل حال ، تذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير ، تنصر نبيهم على كل من ناواه ، فإذا توفي ذلك النبي اختلفت أمته ، ثم اجتمعت ، ثم اختلفت ، فيمر رجل من أمته يجر الجيش بشاطئ هذا الوادى وهو أولى الناس بذلك النبي الأمى فى الدين والقرايه ، يقضى بالحق ولا يرتشى فى الحكم ، يخاف الله فى السر وينصحه فى العلانيه ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لا تأخذه فى الله لومه لائم الدنيا ، أهون عليه من رماد عصفت به الريح والموت ، أهون عليه فى جنب الله من شربه الماء العذب على الظمان . فمن أدرك ذلك النبي فليؤمن به ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فليتبعه ، فإن القتل معه شهاده .

ثم قال: فلما سمعت بالنبي آمنت به ولم أره ، ولما مرت بي أنت الآن يا أمير المؤمنين نزلت إليك وأنت صاحبى ولست أفارقك حتى يصيبني ما أصابك ! قال: فبكى على (عليه السلام) طويلاً وبكى أصحابه لبكائه ثم قال: الحمد لله الذى لم يجعلنى عنده نسياً منسياً ، الحمد لله الذى ذكرنى فى كتاب الأبرار .

قال حبه العرنى: كان شمعون رفيقى وكان عليّ إذا تعشى أو تغدى أرسل إليه فلما كان يوم الهرير أصبح الناس يطلبون قتلاهم ، قال عليّ: أطلبوا لى شمعون . فطلبوه فوجدوه مقتولاً بين القتلى ، فصلى عليه ودفنه ، ثم التفت إلينا فقال: هذا منا أهل البيت . (راجع أيضاً: شرح الأخبار: ٢/٣٦٩ والهدايه للحضينى ص ١٤٨)

كان النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) يدعو الناس فى مكه الى الإسلام ويخبرهم بأن الله تعالى وعده أن يورث أمته ملك كسرى وقيصر! فكل من قرأ سيرته (صلى الله عليه و آله وسلم) يجد أن فتح فارس والروم كانا وعداً نبوياً من أول إعلان الدعوه ، وكان المشركون يسخرون من ذلك! واستمر هذا الوعد عنصراً ثابتاً فى مراحل دعوته (صلى الله عليه و آله وسلم)، فكان برنامجاً إلزامياً للسلطه الجديده بعد وفاته (صلى الله عليه و آله وسلم)، أيّاً كانت تلك السلطه .

وفى رأى أن السلطه بعد النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) خافت من حرب مسيلمه التى يسمونها حروب الرده ، كما خافت من التوجه الى فتح بلاد فارس والشام ، وأن الفضل فى دفعها الى الفتوحات يعود الى على (عليه السّلام) وتلاميذه الفرسان ، الذين لم تعطهم السلطه مناصب قياديه ، لكنهم كانوا القاده الميدانيين الذين حققوا الإنتصارات !

وكان بقيه هؤلاء القاده مع على (عليه السّلام) فى صفين ، وهم كثيرٌ منهم الأشر بطل معركة اليرموك الذى برز الى فارس الروم وقتله ، فعَيّر ميزان المعركه ! وهاشم المرقال الذى أبلى فيها بلاءً مميّزاً... الخ! وأشارنا الى ذلك فى آخر الفصل الثانى .

وفى السنه السابعه والثلاثين للهجره وهى سنه صفين ، كان الفُرس قد يشسوا من العراق وقسم من إيران ، وكان المسلمون يواصلون فتح بقيه إيران وما وراءها فى حاله كَرْ و فَرْ مع الفرس . فوجّه على (عليه السّلام) بعد حرب البصره ابن أخته جعده بن هبیره ، وكان فارساً بطلاً ، وقد تقدم ذكر فتحه لبقية خراسان وما وراءها .

كما كانت الشام وفلسطين ومصر استقرت فى حكم المسلمين ، وقد يئس منها الروم ، لكن عاصمتهم القسطنطينيه (استانبول) كانت قويه ، وكان أكثر تركيا

الحاليه فى حكمهم ، والمسلمون يغزونهم ، وربما غزا الروم المسلمين .

وعندما تفاقمت نغمه الصحابه على عثمان وحاصروه ، كانت خطه معاويه أن لا يدخل فى معركة مع الصحابه من أجل عثمان ، بل يصبر حتى يقتلوه ، فيطالب بدمه ! ويكون قتل الخليفه الأموى حجه له لادعاء الخلافه ! فقد تقدم أن عثمان استصرخه فلم ينصره على قرب المسافه بينهما ، بل أرسل جيشاً الى ذى حُشب ، وهو على مسيره ساعات من المدينه ! (معجم البلدان: ٢/٣٧٢). وحرّم على قائده أن يدخل المدينه مهما كان السبب ! قال ابن شبه فى تاريخ

المدينه: ٤/١٢٨٨: (أرسل عثمان إلى معاويه يستمده ، فبعث معاويه يزيد بن أسد جد خالد القسرى وقال له: إذا أتيت ذا حُشب فأقم بها ولا تتجاوزها ، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال: أنا الشاهد وأنت الغائب ! فأقام بذى حُشب حتى قتل عثمان ! فقلت لجويريه: لم صنع هذا؟ قال: صنعه عمداً ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه) !! انتهى

وعندما أشعلت عائشه وطلحه والزبير حرب الجمل على على (عليه السّلام) تعمّد معاويه الانتظار أيضاً ، وقد ساء انتصار على (عليه السّلام)، لكن وزيره ابن العاص كان يصرح بأنهما كانا يتمنيان أن يقتل على (عليه السّلام) عائشه ليستفيدا من ذلك ! فقد بلغت وقاحه ابن العاص أن قال لعائشه: (لوددت أنك قتلت يوم الجمل ! قالت: ولم لا أباً لك ! قال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنه ، ونجعلك أكبر التشيع على على بن أبى طالب). (شرح النهج: ٦/٣٢٢ ، وعن الكامل للمبرد ص ١٥١).

فقد كانت سياسه معاويه إذن ، إعداد قوته وتوفيرها استعداداً لمعركه الخلافه مع على (عليه السّلام) ! فمن الطبيعى أن يعقد اتفقيه هدنه مع الروم ، بل من الطبيعى أن نقرأ أنها كانت أكثر من هدنه ووصلت الى شبه اتفقيه بينه وبينهم أنه إذا انهزم

فى معركة مع على (عليه السلام) يتدخل الروم الى جانبه فى حربه لعلى (عليه السلام)!

فقد نقل ابن الأثم شهادة على (عليه السلام) بذلك! قال فى الفتوح: ٢/٥٣٩: (فنادى على فى الناس فجمعهم: أيها الناس إن معاوية بن أبى سفيان قد وادع ملك الروم ، وسار الى صفين عازماً على حربكم ، فإن غلبتموهم استعانوا عليكم بالروم ! وإن غلبوكم فلا عراق حجاز ولا عراق) . انتهى .

ويؤيد مضمون هذا النص مؤثران:

أولهما: أن بيت معاوية كان على صلة بالروم وكان أبو سفيان لا يخفى إعجابه بهم ! وعندما أرسل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) رساله الى هرقل يدعوه فيها الى الإسلام ، كان أبو سفيان فى الشام ، فأحضره هرقل يسأله عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فتنقص أبو سفيان من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ليحرك

هرقل عليه ، فرد عليه زميله علقمه بن علاثة العامرى !

قال ابن الاثير فى النهاية: ٢/٤٧٨: (لما بلغه (ص) هجاء الأعشى علقمه بن علاثة العامرى نهى أصحابه أن يرووا هجاءه وقال: إن أبا سفيان شعث منى عند قيصر فرد عليه علقمه وكذب أبا سفيان . يقال شعث من فلان إذا غضضت منه وتنقصته).

(ونحوه فى تاريخ دمشق: ٤١/١٤٨، ولسان العرب: ٢/١٦١)

وقال البخارى: ١/٦: (قال أبو سفيان فلما قال (هرقل) ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابى حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبى كبشه ! إنه يخافه ملك بنى الأصفر) . انتهى .

وأبو كبشه مولى للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان كفار قريش لعنهم الله ، يبنزونه به !

وقال ابن عقيل فى النصائح الكافية ص ١٠٩: (كان أبو سفيان فى الجاهلية أشد قريش عداوه للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعظمهم حرصاً على إطفاء نور الله ، وهو ممن أنزل الله فيهم قوله تعالى: فَاقْرَأُوا

أَيُّمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ . ولم يزل ذلك دأبه وديدنه إلى أن أرغم الله أنفه بفتح مكة ودخل فى الإسلام مكرهاً هو وبنوه وزوجته ، ثم

ص: ٣١٤

حضر مع المؤلفه غزوه حنين وكانت الأزمات فى كنانته ! ولما انهزم المسلمون قال: لاتنتهى هزيمتهم دون البحر ، والله قد غلبت هوازن !! فقال له صفوان: بفيك الكثكث ، أى الحجاره والتراب .

قال ابن عبد البر فى الإستيعاب: وقد اختلف فى حسن إسلامه ، فطائفه ترى أنه لما أسلم حسن إسلامه... قال: ونقل عن سعيد بن المسيب . وطائفه ترى أنه كان كهفأ للمنافقين منذ أسلم ، وكان فى الجاهليه زنديقأ .

ثم قال: وفى خبر ابن الزبير أنه رآه يوم اليرموك قال: فكانت الروم إذا ظهرت قال: أبو سفيان إيه بنى الأصفر ! وإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبنو الأصفر الملوك ملوك

الروم لم يبق منهم مذكور

فحدث به ابن الزبير أباه لما فتح الله على المسلمين ، فقال الزبير: قاتله الله يابى إلا نفاقأ ، أولسنا خيراً له من بنى الأصفر؟! . انتهى .

لهذه الأسباب وغيرها ، من الطبيعى أن يفضل الروم بيت أبى سفيان الذى قاد الحرب على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الى آخر نفس ، على آل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ! ويفضلوا معاويه على على (عليه السلام) لأنه كان محبأ لليهود والنصارى أليفاً لهم ، فقد تزوج منهم وأعطاهم مناصب مهمه فى دولته !

والمؤشر الثانى: أن كعب الأخبار وقف الى جانب معاويه وجاء الى صفين !

قال ابن الأعمش فى الفتوح: ٣/١٣٨: (وأصبح القوم وقدم كعب على معاويه من حمص ، فقرّبه معاويه وأذناه وكساه ، فجعل كعب يحدث معاويه بالرخص ، ولا- ينكر ما هو فيه من قتاله علياً) . انتهى . وكعب الأخبار صاحب ثقافه يهوديه يعمل لها ، فهو متعاطف بطبعه مع الروم !

ومن هنا نعرف كم هو التزوير فى خطه معاويه والأشعث بن قيس لوقف القتال

فى صفيين عندما لاحت الهزيمة لمعاويه ، فقد خطب الأشعث ليله الهرير أو قبلها بليه فى جيش على (عليه السلام) وطالب بوقف القتال بحجه الخوف من الروم والفرس !

قال نصر بن مزاحم ص ٤٨١: (قال صعصعه: فانطلقت عيون معاويه إليه بخطبه الأشعث فقال: أصاب ورب الكعبه ، لئن نحن التقينا غداً لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا ، ولتميلن أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم . وإنما يبصر هذا ذووا الأحلام والنهى . إربطوا المصاحف على أطراف القنا) !!

يقول ذلك معاويه وقد عقد هدنه مع الروم ، بل عقد اتفقيه معهم أنه إذا انهزم فى صفيين ، تدخلوا وفتحوا جبهه الى جانبه ضد على (عليه السلام) !

ص: ٣١٦

في مناقب آل الرسول لابن طلحة ص ٢٢٣: (خرج العباس بن ربيعة بن الحارث (بن عبد المطلب) فأبلى ، وخرج إليه من أصحاب معاوية فارس معروف يقال له غرار بن أدهم فقال: يا عباس هل لك في المبارزة؟ فقال له العباس: هل لك في النزول فإنه أيسر من القفول؟ فقال: نعم ، فرمى بنفسه عن فرسه وسلم فرسه إلى غلام له فأخذه ، ورمى غرار بن أدهم بنفسه عن فرسه ، ثم تلاقيا وكفَّ أهل الجيشين أعنه خيولهم ينظرون إلى الرجلين! ثم تضاربا بسيفيهما فما قدر أحدهما على صاحبه لكمال لأمته وعلني يراهما . ونظر العباس إلى وهن في درع الشامي فضربه العباس على ذلك الوهن فقدَّه باثنين! فكبر جيش علي (عليه السلام) وجيش معاوية ثم عطف العباس فركب فرسه . فقال معاوية لأصحابه: من خرج منكم إلى هذا فقتله فله عندي من المال كذا وكذا ، فوثب رجلان من بني لخم من اليمن فقلالا نحن نخرج إليه . فقال: أخرجنا فأيكما سبق إلى قتله فله من المال ما بذلت له ، وللاخر مثل ذلك! فخرجا جميعاً ووقفوا في مقر المبارزة ، ثم صاحا بالعباس ودعواه . فقال: أستأذن صاحبي وأبرز إليكما . وجاء إلى علي ليستأذنه فقال له علي (عليه السلام): ودَّ معاوية أنه لا يبقى من بني هاشم نافخ ضرمة . ثم قال: إلى هاهنا ، أدن مني ، فلما دنا منه أخذ منه سلاحه وأخذ فرسه ، وخلع علي (عليه السلام) لباسه ولبس سلاح العباس وما كان عليه ، وركب فرس العباس وخرج إلى بين الصفيين كأنه العباس ، فقال له اللخميان: استأذنت فأذن لك مولاك؟ فتحجَّج علي (عليه السلام) من الكذب فقرأ: أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ!

فتقدم إليه أحد الرجلين فالتقيا بضربتين فضربه علي على مرقا بطنه فقطعه

بائنتين ، فظن الناس بأنه أخطأه فلما تحرك الفرس سقط الرجل قطعتين ، وعاد فرسه و صار إلى عسكر علي (عليه السلام) ! فتقدم الآخر فضربه عليٌّ فألحقه بصاحبه ، ثم جال (عليه السلام) جوله ثم رجع إلى موضعه !

وعلم معاوية أنه عليٌّ فقال: قَبِحَ اللهُ اللجَاجَ إنه لَقَعُودٌ ما ركبته إلا حُذِلت . فقال له عمرو بن العاص: المخذول والله اللخميان لا أنت . فقال له معاوية: أسكت أيها الإنسان ليس هذه الساعه من ساعاتك . قال عمرو: فإن لم تكن من ساعاتي فرحم الله اللخميان ، ولا أظنه يفعل). انتهى. (راجع تفصله في ابن الأعمش: ٣/١٤٠)

وفى وقعه صفين لابن مزاحم ص ٣١٥: (عن صعصعه بن صوحان أن علي بن أبي طالب صافَّ أهل الشام حتى برز رجل من حمير من آل ذى يزن ، اسمه كريب بن الصباح ، ليس فى أهل الشام يومئذ رجل أشهر شدةً بالبأس منه ، ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه المرتفع بن الوضاح الزبيدى ، فقَتَلَ المرتفع . ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن الجلاح فقتله؟ ثم نادى:

من يبارز؟ فبرز إليه عائذ بن مسروق الهمداني فقتل عائذاً ، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض ، ثم قام عليها بغياً واعتداء ثم نادى: هل بقى من مبارز؟ فبرز إليه علي (عليه السلام) ثم ناداه: ويحك يا كريب ، إنى أحذرك الله وبأسه ونقمته وأدعوك إلى سنه الله وسنه رسوله ، ويحك لا يدخلنك ابن آكله الأكياد النار ! فكان جوابه أن قال: ما أكثر ما قد سمعنا هذه المقالة منك فلا حاجه لنا فيها ، أقدم إذا شئت. من يشتري سيفى وهذا أثره؟ فقال عليه (عليه السلام): لا حول ولا قوه إلا بالله . ثم مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربه خراً منها قتيلاً- يتشحط فى دمه . ثم نادى (عليه السلام): من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن وداعه الحميرى فقَتَلَ الحارث . ثم نادى: من يبارز؟ فبرز إليه المطاع بن المطلب القينى فقتل مطاعاً ، ثم نادى: من يبارز؟ فلم يبرز إليه أحد !

ثم إن علياً نادى: يا معشر المسلمين: الشَّهْرُ

الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَاتِ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ . ويحك يا معاوية هلمَّ إلَيَّ فبارزني ولا يقتلنَّ الناس فيما بيننا !

فقال عمرو: إغتنمه منتهزاً قد قتل ثلاثة من أبطال العرب ، وإنى أطمع أن يظفرك الله به . فقال معاوية: ويحك يا عمرو ، والله إن تريد إلا أن أقتل فتصيب الخلافة بعدى ! إذهب إليك ، فليس مثلى يخدع) !

وفى وقعه صفين ص ٤٥٧: (أن أبرهه بن الصباح بن أبرهه الحميرى قام فقال: ويلكم يا معشر أهل اليمن ، والله إنى لأظن أن قد أذن بفنائكم ، ويحكم خلوا بين هذين الرجلين فليقتلا-، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً . وكان أبرهه من رؤساء أصحاب معاوية . فبلغ ذلك علياً فقال: صدق أبرهه بن الصباح ، والله ما سمعت بخطبه منذ وردت الشام أنا بها أشد سروراً منى بهذه .

وبلغ معاوية كلام أبرهه فتأخر آخر الصفوف وقال لمن حوله: إنى لأظن أبرهه مصاباً فى عقله . فأقبل أهل الشام يقولون: والله إن أبرهه لأفضلنا ديناً ورأياً وبأساً ولكن معاوية كره مبارزه على . فقال أبرهه فى ذلك... انتهى .

ثم أورد أبياتاً لأبرهه يظهر منها أنه ترك معاوية ، ولو بقى معه لقتله !

قال ابن أبى الحديد: (وأما العبادة ، فكان أعبد الناس ، وأكثرهم صلاة وصوماً ، ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمه الأوراد وقيام النافلة ! وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليله الهرير فيصلى عليه ورده والسهام تقع بين يديه ، وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك ، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته ! وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنه البعير لطول

سجوده ! وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله ، وما تتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته والإستخذاء له عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص ، وفهمت من أى قلب خرجت ، وعلى أى لسان جرت! . (شرح النهج: ١/٢٧)

وفى كشف الغمه لابن أبى الفتح الإربلى: ١/٢٥٤: (وأمر المؤمنين فارس ذلك الجمع وأسده ، وإمامه ومولاه وسيده ، وهادى من اتبعه ومرشده ، يهدر كالفحل ويزأر كالأسد ، ويفرقهم ويجمعهم كفعله بالنقد ، لا يعترضه فى إقامه الحق وإدحاض الباطل فتور ، ولا- يلثم به فى إعلاء كلمه الله وخزى أعدائه قصور ، يختطف النفوس ويقتطف الرؤوس ، ويلقى بطلاقه وجهه اليوم العبوس ، ويدل بسطوه بأسه الأ-سود السود ، والفرسان الشؤوس ، ويخجل بأنواره فى ليل القتام الأقمار والشموس ، فما لقى شجاعاً إلا وأراق دمه ، ولا بطلاً إلا وزلزل قدمه ، ولا مريداً إلا أعدمه ، ولا قاسطاً إلا قصر عمره وأطال ندمه ، ولا جمع نفاق إلا فرقه ، ولا- بناء ضلال إلا- هدمه ، وكان كلما قتل فارساً أعلن بالتكبير فأحصيت تكبيراته ليله الهرير فكانت خمسمائه وثلاثاً وعشرين تكبيره ، بخمسمائه وثلاث وعشرين قتيلاً من أصحاب السعير ! وقيل: إنه فى تلك الليله فتق نَيْفَقَ درعه ، لثقل ما كان يسيل من الدم على ذراعه ! وقيل: إن قتلاه عرفوا فى النهار ، فإن ضرباته كانت على وتيره واحده ، إن ضرب طولاً قدماً أو عرضاً قط ! وكانت كأنها مكواه بالنار) !

وقال العلامة الحلى فى كشف اليقين ص ١٥٨: (وفى ليله الهرير باشر الحرب بنفسه خاصه ، وكان كلما قتل قتيلاً- كَبَّرَ ، فَعَدَّ تكبيره فبلغ خمسمائه وثلاثاً وعشرين تكبيره ، وعد قتلى الفريقين فى صبيحه تلك الليله ، فبلغت سته وثلاثين

ألف قتيل. واستظهر حينئذ أصحاب أمير المؤمنين (عليه السّلام) وزحف مالك الأشتر حتى ألجأهم إلى معسكرهم . فلما رأى عمرو بن العاص الحال قال لمعاوية: نرفع المصاحف وندعوهم إلى كتاب الله . فقال معاوية: أصبت . ورفعوها فرجع القراء عن القتال . فقال أمير المؤمنين (عليه السّلام): إنها خديعه عمرو العاص ، ليسوا من رجال القرآن ! فلم يقبلوا وقالوا: لا بد أن تردّ الأشتر وإلا قتلناك أو سلمناك إليهم !! فأنفذ يطلب الأشتر فقال: قد أشرفت على الفتح وليس وقت طلبى ! فعرفه اختلال أصحابه وأنه إن لم يرجع قتلوه أو سلموه إلى معاوية ! فرجع وعنف القراء وضرب وجه دوابهم فلم يرجعوا ! فوضعت الحرب أوزارها....!

فعين معاوية عمرو بن العاص ، وعيّن أمير المؤمنين (عليه السّلام) عبد الله بن العباس ، فلم يوافقوا قال: فأبو الأسود ، فأبوا واختاروا أبا موسى الأشعري . فقال (عليه السّلام): أبو موسى مستضعف وهواه مع غيرنا . فقالوا: لا بد منه ، وحكّموه ، فخدع عمرو بن العاص أبا موسى وحمله على خلع أمير المؤمنين وأنه يخلع معاوية ، وأمره بالتقدم حيث هو أكبر سنّاً ففعل أبو موسى ذلك ، ثم قال: يا عمرو قم فافعل كذلك . فقام وأقرأها فى معاوية ، فشتمه أبو موسى وتلاعنا !

من خساسة أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين

يعرف القرشيون جيداً السموّ الأخلاقي الذي يتصف به بنو هاشم ، ولذلك ابتكر فرسان قريش أسلوباً في الدفاع عن أنفسهم عند مبارزتهم لبني هاشم .

روى ابن كثير في السيرة: ٣/٣٩ ، ناقلاً عن ابن هشام: (لما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله (ص) تحت رايه الأنصار ، وأرسل إلى عليّ أن قدّم الرايه ، فقدم عليّ وهو يقول: أنا أبو القضم ، فناداه أبو سعد بن أبي طلحه ، وهو صاحب لواء المشركين: هل لك يا أبا القضم في البراز من حاجه ؟ قال: نعم. فبرزوا بين الصفين فاختلفا ضربتين ، فضربه عليّ فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه ! فقال له بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم ، وعرفت أن الله قد قتله ! وقد فعل ذلك على رضى الله عنه يوم صفين مع بئر بن أبي أرطاه ، لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته ، فرجع عنه .

وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه على في بعض أيام صفين ، أبدى عن عورته ، فرجع على أيضاً . ففي ذلك يقول الحارث بن النضر :

أفى كل يوم فارسٌ غير منتهٍ

وعورته وسط العجاجة بادية

يكفُّ لها عنه عليّ سنانه

ويضحك منها في الخلاء معاوية!!

انتهى كلام ابن كثير ، لكنه لم يورد بقية أبيات الحارث بن النضر ، وهي:

بدت أمس من عمرو ففنع رأسه

وعوره بسر مثلها حذو حاذيه

فقولا لعمرو وابن أرطاه أبصرا

سييلكما لا تلقيا الليث ثانيه

ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما

هما كانتا والله للنفس واقية

فلولا هما لم تنجوا من سنانه

وتلك بما فيها عن العود ناهيه

متى تلقيا الخيل المشيحه صبحه

وفيهما على فتركا الخيل ناحيه

ص: ٣٢٢

وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا

وحَمَى الوغى إن التجارب كافيهِ

وإن كان منه بعد في النفس حاجه

فعودا إلى ما شتتما هي ماهيه

فكان بسر بعد ذلك إذا لقي الخيل التي فيها على تنحي ناحيه .). انتهى .

وقد روى هذه التكملة نصر بن مزاحم ص ٤٦٢ وجاء في القصة: (فغدا عليّ منقطعاً من خيله ومعه الأشر ، وهو يريد التل... فاستقبله بسر قريباً من التل وهو مقنع في الحديد لا يُعرف ، فناده: أبرز إليّ أبا حسن ، فانحدر إليه عليّ على تؤدّه غير مكترث ، حتى إذا قاربه طعنه وهو دارع فألقاه على الأرض ، ومنع الدرع السنان أن يصل إليه ، فاتقاه بسر بعورته وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه ، فانصرف عنه على مستدبراً له ، فعرفه الأشر حين سقط فقال: يا أمير المؤمنين ، هذا بسر بن أرتاه ، عدو الله وعدوك . فقال: دعه عليه لعنه الله ، أبعد أن فعلها؟!)

....وقام بسر من طعنه على مولياً وولت خيله وناداه على: يا بسر ، معاويه كان أحق بهذا منك . فرجع بسر إلى معاويه فقال له معاويه: إرفع طرفك قد أدال الله

عمرأ منك . فقال في ذلك النضر بن الحارث.... الخ).

أما قصه ابن العاص فقد أوردتها العلامة الحلبي (رحمه الله) في كشف اليقين ، قال ١٥٧: (وخرج أمير المؤمنين (عليه السّلام) يوماً آخر متنكراً وطلب البراز ، فخرج إليه عمرو بن العاص وهو لا يعلم أنه على ، وعرفه علي (عليه السّلام) فأطرد بين يديه لبيعه عن عسكره فتبعه عمرو ، ثم عرفه فولى ركضاً ! فلحقه علي (عليه السّلام) فطعنه فوق الرمح في فضول درعه فسقط وخشى أن يقتله ، فرفع رجله فبدت سوءته ! فصرف أمير المؤمنين (عليه السّلام) عنه وجهه ، وانصرف إلى عسكره ! وجاء عمرو إلى معاويه فضحك منه . قال: ممّ تضحك ؟ والله لو بدا لعلي من صفحتك ما بدا له من صفحتي إذا لأوجع قذالك ، وأيتم عيالكم ، وانتهب مالك)! انتهى .

نجاح الأشعث والمنافقين في إجبار أمير المؤمنين (عليه السلام) على إيقاف الحرب!

قال البلاذري في أنساب الأشراف ص ٣٣٧: (عن علقمه بن قيس قال: قلت لعلي: أتقاضى معاوية علي أن يحكم حكمان! فقال: ما أصنع؟ أنا مضطهد!).

وفي تاريخ دمشق: ٣٢/٩٤، عن ابن عباس: (قلت لعلي يوم الحكمين: لاتحكّم الأشعري... قال: يا ابن عباس ما أصنع؟! إنما أوتى من أصحابي، قد شعفت نيّتهم وكّلوا في الحرب. هذا الأشعث يقول: لا يكون فيها مضرّيان أبداً حتى يكون أحدهما يمان! قال ابن عباس: فعذرته وعرفت أنه مضطهد، وأن أصحابه لا نيه لهم في الحرب). انتهى. (ونسبه الذهبي في سيره: ٢/٢١٦ إلى ابن سعد، ولم نجده في الطبقات).

وقال ابن مزاحم ص ٥٠٩: (فكتبت: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك. قال علي: فغضبت فقلت: بلى والله إنه لرسول الله وإن رغم أنفك. فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أكتب ما يأمرك، إن لك مثلها، ستعطيها وأنت مضطهد).

وقال ابن مزاحم ص ٤٧٨: عن تميم بن حذيم قال (لما أصبحنا من ليله الهرير نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام وسط الفيلق، من حيال موقف معاوية، فلما أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت على أطراف الرماح...!!

فقال عليّ: اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم، إنك أنت الحكم الحق المبين). انتهى.

وفي تاريخ الطبري: ٤/٣٥: عن جندب الأزدي (أن علياً قال: عباد الله أمضوا علي حركم وصدقكم قتال عدوكم، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبیب

بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ، ليسوا بأصحاب دين ولا- قرآن ! أنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم إنهم رفعوها ولا يعلمون بما فيها ، وما رفعوها لكم إلا خديعه ودهناً ومكيده! فقالوا له: ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله ! فقال لهم: فإني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب ، فإنهم قد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم ، ونسوا عهده ونبذوا كتابه ! فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السبسي في عصابه معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه وإلا- ندفعك برمتك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا ببن عفان ! إنه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل فقبلناه ، والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك !! قال قال: فاحفظوا عني نهى إياكم واحفظوا مقاتلكم لي ! أما أنا فإن تطيعوني تقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم ! قالوا له: أما لا ، فابعث إلى الأشتر فليأتك... قال فأرسل عليّ إلى الأشتر يزيد بن هاني السبيعي أن اتنى فأتاه فبلغه فقال: قل له ليس هذه الساعه التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي ، إني قد رجوت أن يفتح لي فلا تعجلني ! فرجع يزيد بن هاني إلى علي فأخبره ، فما هو إلا أن انتهى إلينا ، فارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر ! فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل ! قال: من أين ينبغي أن تروا ذلك رأيتموني ساررته أليس إنما كلمته على رؤسكم علانيه وأنتم تسمعوني ! قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا- والله اعترلناك ! قال له: ويحك يا يزيد قل له أقبل إليّ فإن الفتنه قد وقعت ! فأبلغه ذلك فقال له: لرفع المصاحف؟! قال نعم . قال: أما والله لقد ظننت حين رفعت أنها ستوقع اختلافاً وفرقه ، إنها مشوره ابن العاهره ! ألا- ترى ما صنع الله لنا ، أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم ! وقال يزيد بن هاني: فقلت له أتحب أنك ظفرت هاهنا ، وأن أمير المؤمنين بمكانه

الذى هو به يفرج عنه أو يُسَلِّم؟! قال: لا والله ، سبحان الله ! قال: فإنهم قد قالوا لترسلن إلى الأشر فليأتينك أو لنقتلنك كما قتلنا ابن عفان !! فأقبل حتى انتهى إليهم فقال: يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن ! حين علوتم القوم ظهراً وظنوا أنكم لهم قاهرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وقد والله تركوا ما أمر الله عز وجل به فيها ، وسنه من أنزلت عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا- تجيبوهم ! أمهلونى عَدُوَّ الفرس ، فإنى قد طمعت فى النصر ! قالوا: إذاً ندخل معك فى خطيئتك ! قال فحدثونى عنكم وقد قتل أمثالكم وبقي أراذلكم: متى كنتم محقين أحين كنتم تقاتلون وخياركم يقتلون ، فأنتم الآن إذ أمسكتم عن القتال مبطلون ، أم الآن أنتم محقون فقتل-كم الذين لا- تنكرون فضلهم فكانوا خيراً منكم فى النار إذاً؟! قالوا: دعنا منك يا أشر قاتلناهم فى الله عز وجل

وندع قتالهم لله سبحانه ، إنا لسنا مطيعيك ولا مطيعى صاحبك فاجتنبنا !

فقال: خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتهم ! يا أصحاب الجباه السود ! كنا نظن صلواتكم زهاده فى الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله عز وجل ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ! ألا قبحاً يا أشباه النيب الجلاله ! وما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً ! فأبعدوا كما بعد القوم الظالمون ! فسبوه فسبهم ، فضربوا وجه دابته بسياطهم ، وأقبل يضرب بسوطه وجوه دوابهم ! وصاح بهم على فكفوا ، وقال للناس: قد قبلنا أن تجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً .

فجاء الأشعث بن قيس إلى على فقال له: ما أرى الناس إلا قد رضوا وسرهم أن يجيوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن ، فإن شئت أتيت معاويه فسألته ما يريد فنظرت ما يسأل !! قال: إئتته إن شئت فسله ! فأتاه فقال يا معاويه لأى شئ رفعتم هذه المصاحف؟ قال لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عز وجل به فى

كتابه ، تبعثون منكم رجلاً ترضون به ونبعث منا رجلاً ، ثم نأخذ عليهما أن يعملما بما فى كتاب الله لا يعيدوانه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه !

فقال له الأشعث بن قيس: هذا الحق ، فانصرف إلى على فأخبره بالذى قال معاويه ، فقال الناس: فإننا قد رضينا وقبلنا .فقال أهل الشام: فإننا قد اخترنا عمرو بن العاص ، فقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج بعد: فإننا قد رضينا بأبى موسى الأشعرى . قال على: فإنكم قد عصيتمونى فى أول الأمر فلا تعصونى الآن! إنى لا أرى أن أولى أبا موسى ! فقال الأشعث وزيد بن حصين الطائى ومسعر بن فدىكى: لا نرضى إلا به فإنه ما كان يحذرنا وقعنا فيه . قال على: فإنه ليس لى بثقه قد فارقتى وخذل الناس عنى ثم هرب منى حتى آمنته بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك . قالوا: ما نبالى أنت كنت أم ابن عباس ، لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاويه سواء ، ليس إلى واحد منكم بأدنى منه إلى الآخر !

فقال على: فإنى أجعل الأشر ، قال أبو محنف حدثنى أبو جناب الكلبي أن الأشعث قال: وهل سَعَر الأرض غير الأشر ! قال أبو محنف عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه أن الأشعث قال: وهل نحن إلا فى حكم الأشر؟ قال على: وما حكمه؟ قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد! قال: فقد أبيتىم إلا أبا موسى؟! قالوا: نعم ، قال: فاصنعوا ما أردتم !! (

وفى الطبرى: ٤/٤٠: (أن علياً قال للناس يوم صفين: لقد فعلتم فعله ضَعَضَعْت قوه ، وأسقطت مننه ، وأوهنت وأورثت وهناً وذله ، ولما كنتم الأعلين وخاف عدوكم الإجتياح ، واستحَرَّ بهم القتل ووجدوا ألم الجراح ، رفعوا المصاحف ودعوكم إلى ما فيها ليفتؤوكم عنهم ، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم ، ويتربصوا ريب المنون خديعه ومكيدته ، فأعطيتموهم ما سألوا ، وأبيتىم إلا أن تدهنوا وتجاوزوا ! وأيم الله ما أظنكم بعدها توافقون رشداً ، ولا تصيبون باب حزم) !!

وفى نهج البلاغه: ٢/١٨٦: (ومن كلام له (عليه السلام) قاله لما اضطرب عليه أصحابه فى أمر الحكومه:

أيها الناس ، إنه لم يزل أمرى معكم على ما أحب حتى نهكتكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت ، وهى لعدوكم أنهك . لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً ! وكنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهيأ ! وقد أحببت البقاء وليس لى أن أحملكم على ما تكرهون) !

ص: ٣٢٨

فى تاريخ الطبرى: ٤/٣٧: (فبعثوا إليه (يعنى أبا موسى الأشعري) وقد اعتزل القتال وهو يعرض ، فأتاه موسى له فقال إن الناس قد اصطلحوا ، فقال: الحمد لله رب العالمين ، قال: قد جعلوك حكماً ، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون . وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر ، وجاء الأشتر حتى أتى علياً فقال: لُزنى بعمر بن العاص ، فوالله الذى لا إله الا هو لئن ملأت عينى منه لأقتلنه !

وجاء الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد رميت بحجر الأرض وبمن حارب الله ورسوله أنف الإسلام ، وإنى قد عجمتُ هذا الرجل وحببتُ أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر ، وإنه لا يصح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير فى أكفهم ، ويبعد حتى يصير بمنزله النجم منهم ، فإن أبيت أن تجعلنى حكماً فأجعلنى ثانياً أو ثالثاً ، فإنه لن يعقد عقده إلا حللتها ولن يحل عقده أعقدها إلا عقدت لك أخرى أحكم منها ! فأبى الناس إلا أبا موسى والرضى بالكتاب ، فقال الأحنف: فإن أبيت إلا أبا موسى فأدفنوا ظهره بالرجال...

فكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه على أمير المؤمنين ، فقال عمرو: أكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم ، فأما أميرنا فلا . وقال له الأحنف: لا- تمح اسم إماره المؤمنين ، فإنى أتخوف إن محتها ألا ترجع إليك أبداً ، لا تمحها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً ، فأبى ذلك عليّ ملياً من النهار ، ثم إن الأشعث بن قيس قال: أمح هذا الإسم ترحه الله ! فقال على: الله أكبر سنه بسنه ، ومثل بمثل ! والله إنى لكاتب بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الحديبيه إذ قالوا لست رسول الله ولا نشهد لك به ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فكتبه ، فقال عمرو بن العاص: سبحان الله ومثل هذا أن نُشبهه بالكفار ونحن مؤمنون ! فقال على: يا ابن

النابعه ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمسلمين عدواً ، وهل تشبه إلا أمك التي وضعت بك ! فقام فقال: لا يجمع بينى وبينك مجلس أبداً بعد هذا اليوم ! فقال له على: وإني لأرجو أن يطهر الله عز وجل مجلسى منك ومن أشباهك) !

وفى صفين لابن مزاحم ص ٥٠٩: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إني والله لأنا كتبت الكتاب بيدى يوم الحديبيه ، وكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل: لا أرضى أكتب: باسمك اللهم ، فكتبت: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال . لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك . قال على: فغضبت فقلت: بلى والله إنه لرسول الله وإن رغم أنفك . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أكتب ما يأمرك ، وإن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد) !

وفى تاريخ الطبرى: ٤/٣٨: (وكتب الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاويه بن أبى سفيان ، قاضى على أهل الكوفه ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى معاويه على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين: أنا نزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ، ولا- يجمع بيننا غيره ، وأن كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته ، نحى ما أحيا ونميت ما أمت ، فما وجد الحكمان فى كتاب الله عز وجل وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشى عملا به ، وما لم يجدا فى كتاب الله عز وجل فالسنه العادله الجامعه غير المفرقه .

وأخذ الحكمان من على ومعاويه ومن الجندين من العهود والميثاق والثقه من الناس ، أنهما آمان على أنفسهما وأهلهما ، والأمه لهما أنصار على الذى يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنا على ما فى هذه الصحف ، وأن قد وجبت قضيتهما على المؤمنين ، فإن الأمن والإستقامه ووضع السلاح بينهم أينما ساروا ، على أنفسهم وأهلهم وأموالهم

وشاهدتهم وغائبهم . وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة ، ولا يرداها في حرب ولا فرقه ، حتى يعصيا . وأجلُّ القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه على تراض منهما ، وإن توفي أحد الحكامين فإن أمير الشيعة يختار مكانه ولا يألو من أهل المعدله والقسط ، وإن مكان قضيتهما الذى يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام . وإن رضيا وأحبا فلا- يحضرهما فيه إلا- من أرادا ، ويأخذ الحكمان من أرادا من الشهود ، ثم يكتبان شهادتهما على ما فى هذه الصحيفة ، وهم أنصار على من ترك ما فى هذه الصحيفة ، وأراد فيه إلحاداً وظلماً .

اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما فى هذه الصحيفة . شهد من أصحاب على: الأشعث بن قيس الكندى ، وعبد الله بن عباس ، وسعيد بن قيس الهمدانى ، وورقاء بن سمى البجلي ، وعبد الله بن محل العجلي ، وحجر بن عدى الكندى ، وعبد الله بن الطفيل العامرى ، وعقبه بن زياد الحضرمى ويزيد بن حجية التيمى ، ومالك بن كعب الهمدانى . ومن أصحاب معاوية: أبو الأعمور السلمى عمرو بن سفيان ، وحبيب بن مسلمة الفهرى ، والمخارق بن الحارث الزبيدى ، وزمل بن عمرو العذرى ، وحمزه بن مالك الهمدانى ، وعبد الرحمن بن خالد المخزومى ، وسبيع بن يزيد الأنصارى ، وعلقمة بن يزيد الأنصارى ، وعتبة بن أبى سفيان ، ويزيد بن الحر العبسى . انتهى .

ملاحظه: تقدم من فتوح ابن الأعمش: ٢/١١٠: أن بقيه الصحابه غير الطلقاء والأنصار كلهم كانوا مع على (عليه السّلام) فى صفين ، وأنه لم يكن مع معاوية من الأنصار إلا النعمان بن بشير ومسلمه بن مخلد . بينما وصفت روايه الطبرى المتقدمه سبيع بن يزيد وعلقمة بن يزيد بالأنصاريين ، وهو وصف غير دقيق أو

مكذوب ، فقد نص البلاذرى فى أنساب الأشراف ص ٣٣٥ ، على أنهما أخوان وحضرميان ، قال: (ومن أهل الشام أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمى... وسبيع بن يزيد الحضرمى وعلقمه بن يزيد أخو سبيع هذا). انتهى.

وكذا وصفهما ابن عساكر فى تاريخه: ٢/١٤٠ ، و ٤١/٢٠١ ، بالحضرميين وأنهما من وجوه أصحاب معاوية . ووصف ابن مزاحم ص ٥٠٧ سبيحاً بالهمدانى وعلقمه بالجرمى . وورد فى الغارات ص ٢٧٥ إسم سبيع الحضرمى وأنه مولى لمعاوية !

فلا تصح نسبتهما الى الأنصار !

وقال نصر بن مزاحم ص ٥١٢ ، والطبرى: ٤/٨٤: (لما كتبت الصحيفة دُعى لها الأشر فقال: لاصحبتنى يمينى ولا نفعتنى بعدها الشمال ، إن كُتِب لى خطُّ فى هذه الصحيفة إسمٌ على صلح ولا موادعه ! أولستُ على بينه من ربي ، ويقينٍ من ضلاله عدوى؟! أو لستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور؟!)

فقال له الأشعث بن قيس: إنك والله رأيت ظفراً ولا خوراً ، هلم فاشهد على نفسك ، وأقرر بما كُتِب فى هذه الصحيفة ، فإنه لا رغبة بك عن الناس . قال: بلى والله ، إن بى لرغبة عنك فى الدنيا للدنيا وفى الآخرة للآخرة . ولقد سفك الله بسيفى هذا دماء رجال ما أنت بخير منهم عندى ولا أحرم دمأ . فقال عمار بن ربيعة: فنظرت إلى الأشعث وكأنما قُصِعَ على أنفه الحمم ! ثم قال (الأشعث): ولكن قد رضيت بما صنع عليّ أمير المؤمنين ، ودخلت فيما دخل فيه ، وخرجت مما خرج منه ، فإنه لا يدخل إلا فى هدى وصواب ! انتهى .

ومعنى قوله: (وكانما قُصِعَ على أنفه الحمم): كأنما فُرك أنف الأشعث بالفحم !

ص: ٣٣٢

زار عليّ كربلاء ومع الحسين (عليهما السلام) في ذهابهم الى صفين وإياهم منها !

روت ذلك مصادرهم ومصادرنا ، ففي مسند أحمد بن حنبل: ١/٨٥: (عن عبد الله بن نجى عن أبيه ، إنه سار مع علي كرم الله وجهه وكان صاحب مطهرته ، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى علي: إصبر أبا عبد الله ! إصبر أبا عبد الله بشط الفرات ! قلت وماذا ؟ قال: دخلت علي النبي (ص) ذات يوم وعيناه تفيضان قلت: يا نبي الله ، أغضبك أحد ؟ ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال: بل قام عندي جبريل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات. قال فقال: هل لك أن أشمك من تربته ؟ قال قلت: نعم . فمد يده فقبض قبضه من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا). (ورواه ابن أبي شيبة: ١٥/٩٨).

وروى ابن أبي شيبة: ١٥/٩٨: (عن أبي هرثمة قال: بعرت شاه له فقال لجاريه له: يا جرداء لقد أذكرني في هذا البعر حديثاً سمعته من أمير المؤمنين (عليه السلام) وكنت معه كربلاء فمر بشجره تحتها بعر غزلان ، فأخذ منه قبضه فشمها ثم قال: يحشرون من هذا الظهر سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب). (قال في الزوائد: ٩/١٩١: رواه الطبراني ورجاله ثقات).

وروى ابن أبي شيبة أيضاً: ٥/٩٧: (عن هانئ بن هانئ ، عن علي كرم الله وجهه قال: ليقتلن

الحسين (عليه السلام) قتلاً وإنى لأعرف ترابه الأرض التي بها يقتل يقتل قريباً من النهرين وليقتلن الحسين ظلماً). (وثق رجاله الزوائد: ٩/١٩٠ وكذا الآتي عن الطبراني).

وروى الطبراني في المعجم الكبير: ٣/١١٠: (عن علي كرم الله وجهه قال: ليقتلن الحسين وإنى لأعرف التربه التي يقتل فيها قريباً من النهرين).

وروته مصادرنا مفصلاً، ففي إرشاد المفيد: ١/٣٣٢: (عن جويريه بن مسهر العبدى قال: لما توجهنا مع أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) إلى صفين فبلغنا طفوف كربلاء وقف (عليه السلام) ناحيه من العسكر، ثم نظر يميناً وشمالاً واستعبر، ثم قال: هذا والله مناخ ركابهم وموضع منيتهم! فقليل له: يا أمير المؤمنين ما هذا الموضع؟ قال: هذا كربلاء، يقتل فيه قوم يدخلون الجنة بغير حساب! ثم سار. فكان الناس لا يعرفون تأويل ما قال حتى كان من أمر أبي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام) وأصحابه بالطف ما كان، فعرف حينئذ من سمع مقاله مصداق الخبر فيما أنبأهم به (عليه السلام)).

وفي كامل الزيارات ص ٤٥٣، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (مرَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) بكربلاء في أناس من أصحابه، فلما مر بها اغرورقت عيناه بالبكاء، ثم قال: هذا مناخ ركابهم وهذا ملقى رحالهم، وهنا تهرق دماؤهم، طوبى لك من تربه عليك تهرق دماء الأحبه). (ورواه في قرب الاسناد ص ٢٦، وخصائص الأئمه ص ٤٧)

وفي أمالي الصدوق ص ١٩٩: (عن جرداء بنت سمين، عن زوجها هرثمه بن أبي مسلم قال: غزونا مع على بن أبي طالب صفين، فلما انصرفنا نزل كربلاء فصلى بها الغداة، ثم رفع إليه من تربتها فشمها، ثم قال: واهاً لك أيتها التربه، ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب. فرجع هرثمه إلى زوجته، وكانت شيعه لعلى فقال: ألا أحدثك عن وليك أبي الحسن؟ نزل بكربلاء فصلى ثم رفع إليه من تربتها وقال: واهاً لك أيتها التربه، ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب! قالت: أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين لم يقل إلا حقاً. فلما قدم الحسين (عليه السلام) قال هرثمه: كنت في البعث الذين بعثهم عبيد الله ابن زياد، فلما رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث، فجلست على بعيرى، ثم صرت إلى الحسين (عليه السلام)، فسلمت عليه وأخبرته بما سمعت من أبيه في ذلك المنزل الذى نزل به الحسين (عليه السلام) فقال: معنا أنت أم علينا؟ فقلت: لا معك ولا عليك، خلفت صبيه أخاف

عليهم عبيد الله بن زياد . قال: فامض حيث لا ترى لنا مقتلاً ، ولا تسمع لنا صوتاً ، فوالذى نفس الحسين بيده ، لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا- يعيننا ، إلا- كبه الله لوجهه فى جهنم) . انتهى . (راجع أيضاً: كامل الزيارات: ١٠٨ / ٣ ، وشرح الأخبار: ٣/١٤١ ، والبحار: ٤٤: ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٨٤ ، والمناقب لمحمد بن سليمان: ٢/٢٦ ، وشرح الأخبار: ٣/١٤١) .

ورواه ابن مزاحم فى وقعه صفين ص ١٤٠ ، ثم روى (عن أبى جحيفه قال جاء عروه البارقى إلى سعيد بن وهب فسأله وأنا أسمع فقال: حديث حدثنيه عن على بن أبى طالب؟ قال: نعم ، بعثنى مخنف بن سليم إلى على فأتيته بكربلاء: فوجدته يشير بيده ويقول: هاهنا هاهنا . فقال له رجل: وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال: ثقل لآل محمد ينزل هاهنا فويلٌ لهم منكم ، وويلٌ لكم منهم . فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: ويلٌ لهم منكم: تقتلونهم ! وويلٌ لكم منهم: يدخلكم الله بقتلهم إلى النار.... عن الحسن بن كثير عن أبيه: أن علياً أتى كربلاء فوقف بها ، فقبل يا أمير المؤمنين هذه كربلاء . قال: ذات كرب

وبلاء . ثم أوماً بيده إلى مكان فقال: هاهنا موضع رحالهم ، ومناخ ركابهم ، وأوماً بيده إلى موضع آخر فقال: هاهنا مهراق دمائهم) !!

ص: ٣٣٥

محكمه لاهای القرشيه فى دومه الجندل !

الدومه: واحه الشجر الضخام .)

النهايه لابن الاثير: (٢/١٤١) ، والجندل: الصخر .

وفى معجم البلدان: ٢/٤٨٧: (دومه الجندل... وحصنها مارد ، وسميت دومه الجندل لأن حصنها مبنى بالجندل ، وقال أبو عبيد السكونى: دومه الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينه ، قرب جبل طى) . انتهى .

وفى التنبيه والإشراف ص ٢٥٥: (وبين وقعه صفين والتقاء الحكيمين أبى موسى الأشعري وعمرو بن العاص بدومه الجندل فى شهر رمضان سنه ٣٨ ، سنه وخمسه أشهر وأربعه وعشرون يوماً . وبين التقائهما وخروج على إلى الخوارج بالنهروان وقتله إياهم ، سنه وشهران) .

وفى تاريخ اليعقوبى: ٢/١٩٠ ، عن عبد الرحمن بن حصين بن سويد ، قال: إني لأسير أبا موسى الأشعري على شاطئ الفرات ، وهو إذ ذاك عامل لعمر ، فجعل يحدثني ، فقال: إن بنى إسرائيل لم تزل الفتن ترفعهم وتخفضهم أرضاً بعد أرض حتى حكموا ضالين أضلا من اتبعهما . قلت: فإن كنت يا أبا موسى أحد الحكيمين ، قال فقال لى: إذا لترك الله لى فى السماء مصعداً ولا فى الأرض مهرباً إن كنت أنا هو . فقال سويد: لربما كان البلاء موكللاً بالمنطق ! ولقيته بعد التحكيم ، فقلت: إن الله إذا قضى أمراً لم يغالب !). انتهى .

وروى نحوه فى المناقب: ٢/٣٦٣ ، قال: (وروى ابن مردويه بأسانيده ، عن سويد بن غفله أنه قال: كنت مع أبى موسى على شاطئ الفرات فقال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إن بنى إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكيمين ضالين ضل من اتبعهما، ولا تنفك أموركم تختلف حتى تبعثوا حكيمين يضلان ويضل

ص: ٣٣٦

من تبعهما! فقلت أعيذك بالله أن تكون أحدهما قال: فخلع قميصه فقال: برأني الله من ذلك كما برأني من قميصي): (ونحوه في شرح النهج: ١٣/٥٠٧).

وفي تاريخ خليفة بن خياط ص ١٤٤: (فبعث عليّ ابن عباس ولم يحضره ، وحضر معاوية . فلم يتفق الحكمان على شيء ، وافترق الناس وباع أهل الشام لمعاوية بالخلافه في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين). انتهى . والصحيح أنه عام ٣٨.

وفي تاريخ اليعقوبي: ٢/١٨٨: (ووجه عليّ بعبد الله بن عباس في أربعمائه من أصحابه ، ونفذ معاوية أربعمائه من أصحابه ، واجتمعوا بدومه الجندل في شهر ربيع الأول سنة ٣٨ . فخدع عمرو بن العاص أبا موسى ، وذكر له معاوية فقال: هو وليّ ثأر عثمان وله شرف في قریش ، فلم يجد عنده ما يحب ، قال: فابني عبد الله؟ قال: ليس بموضع لذلك . قال: فبعبد الله بن عمر؟ قال: إذا نحى سنة عمر الآن حيث به . فقال: فاخلع علياً وأخلع أنا معاوية ، ويختار المسلمون .

وقدم عمرو أبا موسى إلى المنبر فلما رآه عبد الله بن عباس قام إلى عبد الله بن قيس فدنا منه فقال: إن كان عمرو فارحك علي شيء ، فقدمه قبلك فإنه عُذْر . فقال: لا ، قد اتفقنا على أمر ، فصعد المنبر ، فخلع علياً ، ثم صعد عمرو بن العاص فقال: قد ثبت معاوية كما ثبت خاتمي هذا في يدي . فصاح به أبو موسى: غدرت يا منافق ، إنما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث !

قال عمرو: إنك مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً!! وتنادى الناس: حكم والله الحكمان بغير ما في الكتاب ، والشرط عليهما غير هذا ! وتضارب القوم بالسياط وأخذ قوم بشعور بعض ! وافترق الناس ونادت الخوارج: كفر الحكمان ، لاحكم إلا الله . وقيل: أول من نادى بذلك عروه بن أدية التميمي قبل أن يجتمع الحكمان وكانت الحكومه في شهر رمضان سنة ٣٨). انتهى .

وروت شبيهاً بما تقدم كل مصادر التاريخ والحديث ، بتفصيلات عديدة ، كالطبري : ٤ / ٤٨ ، وجاء فيه : (قال وشهد جماعتهم تلك عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري ، وأبو جهم بن حذيفة العدوي ، والمغيره بن شعبه الثقفي ...)

قال أبو موسى : أما والله لئن استطعت لأحيين إسم عمر بن الخطاب ، فقال له عمرو : إن كنت تحب بيعه ابن عمر فما يمنعك من ابني وأنت تعرف فضله وصلاحه؟! فقال إن ابنك رجل صدق ، ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة !

وقال الطبري : ٤ / ٥٢ : (أخذ عمرو يقدم أبا موسى في الكلام يقول : إنك صاحب رسول الله ، وأنت أسن مني فتكلم وأتكلم ! فكان عمرو قد عودّ أبا موسى أن يقدمه في كل شيء ، اغتره بذلك كله أن يقدمه فيبدأ بخلع على !

قال فنظر في أمرهما وما اجتماعا عليه فأراده عمرو على معاوية فأبى ، وأراده على ابنه فأبى ، وأراد أبو موسى عمرواً على عبد الله بن عمر فأبى عليه ، فقال له عمرو : خبرني ما رأيك؟ قال رأيي أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شوري بين المسلمين فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا ، فقال له عمرو : فإن الرأي ما رأيت....!! فتقدم أبو موسى ليتكلم فقال له ابن عباس : ويحك والله إنني لأظنه قد خدعك ، إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك ، ثم تكلم أنت بعده ، فإن عمرأ رجل غادر ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه ، فإذا قمت في الناس خالفك ! وكان أبو موسى مغفلاً ، فقال له إنا قد اتفقنا ! فتقدم أبو موسى فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا أئلمّ لشعتها من أمر قد جمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع علياً ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر

فيولوا منهم من أحبوا عليهم ، وإني قد خلعت علياً ومعاويه ، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ! ثم تنحى

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاويه ! فإنه ولئى عثمان بن عفان والطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه .

فقال أبو موسى: مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت؟! إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ! قال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً! وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه بالسوط ! وحمل على شريح ابن عمرو فضربه بالسوط ! وقام الناس فحجزوا بينهم ، وكان شريح بعد ذلك يقول ما ندمت على شئ ندامتى على ضرب عمرو بالسوط ، ألا أكون ضربته بالسيف آتياً به الدهر ما أتى . انتهى .

ومن الطبيعي أن أحداً من المسلمين لم يقبل نتيجة هذه المهزلة التي دبرها معاويه وابن العاص فى دومه الجندل ، فكانت نتيجةها أن المسلمون تمسكوا بخلافه على (عليه السلام) ، لكن معاويه اعتبر النتيجة شرعية وأن الحكمين حكما بكتاب الله تعالى ، وبدأ بأخذ البيعه لنفسه بالخلافه وإمره المؤمنين من أهل الشام !

أما انعكاس محكمه دومه الجندل فى أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان إدانته غاضباً لأبى موسى وعمرو العاص ، وتمسكاً بخلافه أمير المؤمنين (عليه السلام) وتجديداً لبيعته ، وقد استثمر ذلك (عليه السلام) فى دعوتهم الى الإستعداد لحرب معاويه ، وتحرك بالفعل الى معسكر الكوفة بالنخيله، وبدأت استجابة الناس وتجمعهم فى النخيله.

قال (عليه السلام) فى خطبته بعد التحكيم: كما فى نهج البلاغه: ١/٨٤:

(الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره وأن محمداً عبده ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسره ، وتعقب الندامه. وقد كنت أمرتكم فى هذه الحكومه أمرى ، ونخلت لكم مخزون رأبى ، لو كان يطاع لقصير أمر، فأببتم على إباء المخالفين الجفاه والمناذبين العصاه ! حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضمن الزند بقدحه ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمرى بمُنْعَرَج اللوى

فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد) !!

وقال (عليه السلام) كما فى نهج البلاغه: ٢/٩٦: (فأجمع رأى مثلكم على أن اختاروا رجلين ، فأخذنا عليهما أن يجعجا عند القرآن ولا يجاوزاه ، وتكون ألسنتهما معه وقلوبهما تبعه. فتأها عنه وترك الحق وهما يبصرانه ، وكان الجور هواهما ، والإعوجاج دأبهما، وقد سبق استثناءنا عليهما فى الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأبهما وجور حكمهما ، والثقه فى أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحق ، وأتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم) . انتهى .

لكن المشكله فى العراق كانت استفحال أمر الخوارج ، الذين رأوا فى لعبه ابن العاص وغباء أبى موسى الأشعري دليلاً على صحه موقفهم فى تكفير الذين قبلوا بالتحكيم وأولهم هم ، ولم ينفع معهم حث الإمام لهم على التوجه معه الى حرب معاويه ، بل أخذوا يتجمعون فى معسكرات مطالبين علياً (عليه السلام) بأن يشهد على نفسه بالكفر ويتوب مثلهم لكى يبأيعوه ويتوجهوا معه الى حرب معاويه !

ففى نهج البلاغه: ١/٢٣٣: (من كلامه (عليه السلام) وقد قام إليه رجل فقال: نهيتنا عن الحكومه ثم أمرتنا بها ، فما ندرى أى الأمرين أرشد ! فصفق (عليه السلام) إحدى يديه على الأخرى ثم قال: هذا جزء من ترك العقده ! أما والله لو أنى حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذى يجعل الله فيه خيراً، فإن استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قومتكم، وإن أببتم تداركتكم ، لكانت الوثقى ، ولكن بمن وإلى من؟ أريد أن أداوى بكم

وأنتم دائي ، كناقش الشوكه بالشوكه وهو يعلم أن ضَلَعَهَا معها . اللهم قد ملّت أطباء هذا الداء الدويّ ، وكَلَّتْ النزعه بأشطان الركيّ .

أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرأوا القرآن فأحكموه ، وهيجوا إلى القتال فولهوا وَكَلَّه اللقاح إلى أولادها ، وسلبوا السيوف أغمادها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً . بعضٌ هلك وبعضٌ نجا ، لا يبشرون بالأحياء ، ولا يعزون عن الموتى ! مُرَّةُ العيون من البكاء ، حُمصُ البطون من الصيام ، ذُبُلُ الشفاه من الدعاء ، صُفْرُ الألوان من السهر ! على وجوههم غُبْرُهُ الخاشعين . أولئك إخواني الذاهبون ، فحقُّ لنا أن نظماً إليهم ، ونعض الأيدي على فراقهم ! إن الشيطان يُسنى لكم طرقه ، ويريد أن يحل دينكم عقده عقده ، ويعطيكم بالجماعه الفرقة ، فاصدقوا عن نزغاته ونفثاته ، واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم ، واعقلوها على أنفسكم) .

وفى نهج البلاغه: ١/٥٦: من كلامه (عليه السّلام) للأشعث بن قيس عندما اعترض عليه في خطبته المتقدمه فقال له: (يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك ! فخفف (عليه السّلام) إليه بصره فقال: ما يدريك ما عليّ مما

لي؟! عليك لعنه الله ولعنه اللاعنين ! حائك بن حائك منافق بن كافر ! والله لقد أسرك الكفر مره والإسلام أخرى ، فما فداك من واحده منهما مالك ولا حسبك ! وإن امرأً دلَّ على قومه السيف ، وساق إليهم الحتف لحرئاً أن يمقته الأقرب ، ولا يأمنه الأبعد) .

وفى شرح النهج: ١/٢٩٦: (فصفق (عليه السّلام) بإحدى يديه على الأخرى ، وقال: هذا جزاء من ترك العقده . وكان مراده (عليه السّلام) هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي والحزم وأصررتم على إجابته القوم إلى التحكيم ، فظن الأشعث أنه أراد: هذا جزائي حيث تركت الرأي والحزم وحكمت فلما قال له: هذه عليك لا لك ، قال له: وما يدريك ما عليّ مما لي ، عليك لعنه الله ولعنه اللاعنين) !

وقال الشيخ محمد عبده في شرحه: (كان الأشعث في أصحاب علي كعبد الله

بن أبي بن سلول في أصحاب رسول الله (ص) كلَّ منهما رأس النفاق في زمنه! أسر مرتين مره وهو كافر في بعض حروب الجاهليه وذلك أن قبيله مراد قتلت قيساً الأشج أبا الأشعث فخرج الأشعث طالباً بثأر أبيه فخرجت كنده متساندين إلى ثلاثة ألويه على أحدها كبش بن هاني ، وعلى أحدها القشعم بن الأرقم وعلى أحدها الأشعث فأخطأوا مراداً ، ووقعوا على بني الحارث بن كعب ، فقتل كبش والقشعم ، وأسّر الأشعث وفدى بثلاثه آلاف بعير! لم يفد بها عربي قبله ولا بعده ، فمعنى قول أمير المؤمنين: فما فداك لم يمنعك من الأسر .

وأما أسر الإسلام له ، فذلك أن بني وليعه لما ارتدوا بعد موت النبي (ص) وقتلهم زياد بن لبيد البياضى الأنصارى لجؤوا إلى الأشعث مستنصرين به فقال: لا- أنصركم حتى تملكونى ، فتوجه كما يتوج الملك من قحطان! فخرج معهم مرتداً يقاتل المسلمين! وأمد أبو بكر زياداً بالمهاجرين أبى أميه ، فالتقوا بالأشعث فتحصن منهم فحاصروه أياماً ، ثم نزل إليهم على أن يؤمنوه وعشره من أقاربه حتى يأتى أبا بكر فيرى فيه رأيه ، وفتح لهم الحصن فقتلوا كل من فيه من قوم الأشعث إلا العشره الذين عزلهم ، وكان المقتولون ثمانمائه! ثم حملوه أسيراً مغلولاً إلى أبى بكر فعفا عنه وعمن كان معه ، وزوجه أخته أم فروه بنت أبى قحافه!... وكان نساء قومه يسمينه: عُرْف النار ، وهو اسم للغادر عندهم!

وفى تاريخ الطبرى: ٢/٥٤٨: (وبعث به إلى أبى بكر مع السبى فكان معهم يلعنه المسلمون ويلعنه سبايا قومه! وسماه نساء قومه عُرْف النار كلام يمان يسمون به الغادر.... فقدم القوم على أبى بكر.....فتجافى له عن دمه وقبل منه.... فزوجه أم فروه ابنه أبى قحافه). انتهى . وفى تاريخ دمشق: ٩/١٢٨ ، تفصيلات عن رده!

وقال ابن أبى الحديد فى شرح النهج: ٢/٢٧٩: (كل فساد كان فى خلافه على

وكل اضطراب حدث فأصله الأشعث ، ولولا محاqqته أمير المؤمنين فى معنى الحكومه فى هذه المره لم تكن حرب النهروان ، ولكان أمير المؤمنين ينهض بهم إلى معاويه ، ويملك الشام فإنه حاول أن يسلك معهم مسلك التعريض والمواربه ، وفى المثل النبوى صلوات الله على قائله: الحرب خدعه ، وذاك أنهم قالوا له: تب إلى الله مما فعلت كما تبنا ننهض معك إلى حرب أهل الشام ، فقال لهم كلمه مجمله مرسله قالها الأنبياء والمعصومون ، وهى قوله: أستغفر الله من كل ذنب ، فرضوا بها وعدوها إجابه لهم إلى سؤالهم ، وصفت له نياتهم ، واستخلص بها ضمائرهم ، من غير أن تتضمن تلك الكلمه اعترافاً بكفر أو ذنب ، فلم يتركه الأشعث ، وجاء إليه مستفسراً وكاشفاً عن الحال . انتهى .

وفى تاريخ اليعقوبى: ٢/١٣٧: قال أبوبكر فى مرضه الذى توفى فيه وهو يتحسّر على أشياء لفته لم يفعلها منها هجومه على بيت فاطمه الزهراء (عليها السلام) ، وأشياء لفته لم يفعلها منها قتل الأشعث قال: (فليتنى قدمت الأشعث بن قيس تضرب عنقه ، فإنه يخيّل إلى أنه لا يرى شيئاً من الشر إلا أعان عليه !) . انتهى

وتاريخ الأشعث ملئٌ بالغدر والنفاق ، فقد جاء فى وفد كنده الى النبى فى سنه وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم أعلن ارتداده مع قبيله بنى وليعه فى حضرموت كما رأيت ، ثم استطاع بدائه أن ينال عفو أبى بكر ويتزوج أخته أم فروه ! وكان على (عليه السلام) يعرف نفاقه وعمله مع معاويه ، لكنه كان مجبوراً على مداراته بسبب قبيلته ، وكان يقول له فى نفسه قولاً بليغاً !

وقد تأمر الأشعث مع معاويه فى صفين على على (عليه السلام) ، ثم تأمر مع الخوارج وربما مع معاويه على قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ! فى الكافى: ١٦٧/٨: عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الأشعث بن قيس شريك فى دم أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وابنته جعده سمّت الحسن (عليه السلام) ، ومحمد ابنه شريك فى دم الحسين (عليه السلام)) !!

الفصل الثامن : خلاصه حرب النهروان

اشاره

ص: ۳۴۵

اتفق الجميع على أن بذره الخوارج هو حرقوص بن زهير التميمي ، الذي اعترض على النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) في حنين ! وروى الجميع قصته ، و عرف بإسم المخدج ، و ذى الخويصره ، و ذى الثدييه ، لأن إحدى يديه كانت كئدى المرأة !

روى البخارى: ٤/١٧٩، عن أبى سعيد الخدرى قال: (بينما نحن عند رسول الله (ص) وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصره ، وهو رجل من بنى تميم فقال: يا رسول الله (يا محمد) إعدل ! فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ! فقال عمر: يا رسول الله إنذن لى فيه فأضرب عنقه ، فقال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم و صيامه مع صيامهم ، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّه ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شئ ، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شئ ، قد سبق الفرث والدم . آيتهم رجل أسود غحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعه تدردر ، ويخرجون على حين فرقه من الناس ! قال أبو سعيد: فأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله (ص) وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت النبي (ص) الذى نعته !

ورواه البخارى بنحوه فى مواضع متعدده ، ورواه غيره من رواتهم وروايتنا بتفاصيل أكثر و مديح عظيم لمن يقتلهم ، فى مجمع الزوائد: ٦/٢٢٨: (عن شريك

بن شهاب قال كنت أتمنى أن ألقى رجلاً من أصحاب رسول الله (ص) يحدثني عن الخوارج فلقيت أبا برزه في يوم عرفه في نفر من أصحابه ، فقلت يا أبا برزه حدثنا بشئ سمعته من رسول الله (ص) يقوله في الخوارج . قال: أحدثك بما سمعت أذناي ورأت عيناى: أتى رسول الله (ص) بدنانير فكان يقسمها وعنده رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان بين عينيه أثر السجود ، فتعرض لرسول الله (ص) فأتاه من قبل وجهه فلم يعطه شيئاً ، فأتاه من قبل يمينه فلم يعطه شيئاً ، ثم أتاه من خلفه فلم يعطه شيئاً ، فقال: والله يا محمد ما عدلت في القسمة منذ اليوم ! فغضب رسول الله (ص) غضباً شديداً ثم قال: والله لا تجدون بعدى أحداً أعدل عليكم منى قالها ثلاثاً ! ثم قال: يخرج من قبل المشرق رجال كأن هذا منهم هديهم هكذا ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، لا يرجعون إليه ووضع يده على صدره ، سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم ، فإذا رأيتموهم فاقتلوهم ! قالها ثلاثاً ، شر الخلق والخليقه ، قالها ثلاثاً . وقال حماد لا يرجعون فيه ، وفي روايه لا- يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع الدجال . رواه أحمد والأزرقي بن قيس وثقه ابن حبان ، وبقيه رجاله رجال الصحيح). انتهى . (راجع فتح الباري: ١٢/٢٥٣).

وفي الإرشاد: ١/١٤٨: (ولما قسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غنائم حنين أقبل رجل طوال آدم أجناً ، بين عينيه أثر السجود ، فسلم ولم يخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال: قد رأيتك وما صنعت في هذه الغنائم . قال: وكيف رأيت ؟ قال: لم أرك عدلت ! فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: ويلك ! إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟! فقال المسلمون: ألا نقتله؟ فقال: دعوه سيكون له أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلهم الله على يد أحب الخلق إليه من بعدى. فقتله أمير المؤمنين

على بن أبى طالب (عليه السلام) فى من قتل يوم النهروان من الخوارج .

ويظهر أن حرقوصاً أجاد العمل فى البصره والأهواز وكرمان ، فصار له حزب وأتباع ، فقد ظهروا فى حرب الجمل عندما نادى منادى أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد النصر: (أن لا يُقتل مدبرٌ ، ولا يُدْفَف على جريح ، ولا يُكشَف سترٌ ، ولا يُؤخذ مالٌ ، فقال قوم يومئذ: ما يُحلل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم؟! فيومئذ تكلمت الخوارج ! وكان متكلمهم رجل اسمه عباد بن قيس ، قال: يا أمير المؤمنين والله ما قسمت بالسويه ، ولا عدلت بالرعيه ! فقال: ولم ويحك؟! قال: لأنك قسمت ما فى العسكر وتركت الأموال والنساء والذرية . فقال: أيها الناس من كانت به جراحه فليداوها بالسمن ! (أى أعرض عنه ، وعلم المسلمين مداواه الجراحه) فقال عباد: جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترهات! فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): إن كنت كاذباً فلا أمتك الله حتى يدركك غلام ثقيف.... يا أخا بكر أنت أمرؤ ضعيف الرأى ، أو ما علمت أنا لا نأخذ الصغير بذنوب الكبير ، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة ، وتزوجوا على رشده ، وولدوا على فطره ، وإنما لكم ما حوى عسكرهم ، وما كان فى دورهم فهو ميراث ، فإن عدا أحد منهم أخذناه بذنبه ، وإن كف عنا لم نحمل عليه ذنب غيره... فمهلاً مهلاً رحمكم الله ، فإن لم تصدقونى وأكثرتم على ، وذلك أنه تكلم فى هذا غير واحد ، فأيكم يأخذ عائشه بسهمه؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين أصبت وأخطأنا وعلمت وجهلنا ، فنحن نستغفر الله تعالى) ! انتهى.

لكن حرقوصاً ، وعباداً ، ومسعر بن فدكى ، وعبدالله بن وهب الراسبى ، وغيرهم من قيادات الخوارج ، لم يقتنعوا ! وواصلوا عملهم فى نشر أفكارهم ووجدوا أتباعاً على شاكلتهم ، وكثروا فى البصره والكوفه والأهواز ومناطق أخرى ، يحملون أفكارهم العنيفه التى تُكفّر من خالفهم ، ثم وصلوا الى تكفير

أنفسهم! وكانت صفين فرصه لهم لإعلان وجودهم كطائفه لها قاداتها وجنودها ومنطقها الخشن ، وميلها الدائم الى القتال وإثبات الذات! وكانوا الجمهور الذين لعب بعقولهم الأشعث فى صفين ودفعهم الى مواجهه على (عليه السلام) فطالبوه أن يوقف القتال وقبول التحكيم والحكيم ، وإلا قتلوه أو سلموه الى معاويه!

لكنهم بعد توقيع وثيقه التحكيم التى أجبروا عليها (عليه السلام) عليها ، قلبوا موقفهم رأساً على عقب ، وقالوا إنهم كفروا بقبولهم تحكيم الرجال فى دين الله ، وإنهم تابوا ورجعوا الى الإسلام ، وطلبوا من على (عليه السلام) وشيعته أن يعترفوا مثلهم على أنفسهم بالكفر ، ويتوبوا ليصيروا مسلمين! وتدل الروايه التاليه على أن تغيير موقفهم حدث بعد توقيع الوثيقه مباشره ، وأنهم واجهوا به صاحبهم وعرايهم الأشعث!

قال الطبرى فى تاريخه: ٤/٣٨: (خرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه عليهم فيقرؤنه ، حتى مرَّ به على طائفه من بنى تميم فيهم عروه بن أدية وهو أخو أبى بلال ، فقرأه عليهم ، فقال عروه بن أدية: تحكّمون فى أمر الله عز وجل الرجال! لا تحكّم إلا الله ، ثم شدَّ بسيفه فضرب به عجز دابته ضربه خفيفه ، واندفعت الدابه وصاح به أصحابه: أن املك يدك ، فرجع فغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن ، فمشى الأحنف بن قيس السعدى ، ومعقل بن قيس الرياحى ، ومسعر بن فدى ، وناس كثير من بنى تميم ، فتنصلوا إليه واعتذروا فقبل وصفح) ! انتهى.

ويمكن أن نفسر هذا التغير الحاد فى موقفهم ، بعد إصرارهم الحاد على إيقاف الحرب والقبول بالتحكيم ، بأن (ماكنه) أذهانهم تعمل بشكل غير متناسق ، فقد توصلت أذهانهم بعد خطبه الأشعث وتوجيه بعض رؤسائهم الى وجوب التحكيم ، ثم توصلت بتوجيه بعض رؤسائهم الى أن التحكيم كفرٌ محض!

كما يمكن أن نفسره بأن معاوية أرسل أموالاً إلى الأشعث فوزع منها على بعض رؤسائهم فوقفوا معه ، ثم غلب على جوههم الرؤساء الذين لم يقبضوا ، وكان أكثرهم حماساً عروه بن أديه التميمي الذي صاح بشعار (لا حكم إلا لله) ونهض إلى الأشعث ليقتله ! وهذا الذي أرجحه !

وقد وصف نصر بن مزاحم في صفين ص ٥١٧ ، سرعه تغير موقفهم بعد إمضاء وثيقه الهدنه ، فقال: (فنادت الخوارج أيضاً في كل ناحيه: لا حكم إلا الله ، لا نرضى بأن نحكم الرجال في دين الله ، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم ، وقد كانت منا خطيئه وزله حين رضينا بالحكمين ، وقد تبنا إلى ربنا ورجعنا عن ذلك ، فارجع كما رجعنا وإلا فنحن منك براء . فقال علي (عليه السلام): ويحكم أبعـد الرضا والعهد والميثاق أرجع؟! أو ليس الله يقول: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . قال: فبرئوا من على وشهدوا عليه بالشرك ، وبرئ على منهم)! (راجع أيضاً كتاب صفين ص ٥١٤ و٥١٨).

ص: ٣٥١

يسهل على المسلم المعاصر أن يفهم أفكار الخوارج ، لأنه شاهد ورثتهم المتطرفين السلفيين ! ورأى أن دينهم وسلوكهم يقوم على (العيون الأربعة): العجب ، والعنف ، والعامية ، والعشوائيه فى انتقاء أدلتهم المزعومه !

١ - فعاميتهم تظهر لك فى أنهم جميعاً مجتهدون ! فهم يتكلمون فى المسائل ويفتون ، وَيَحْطُبُ أحدهم من الكتاب والسنة وأقوال الرواه ما يتصور أنه يسند رأيه المتطرف ، فيفرح بذلك ويردده ، دون أن يتعمق وينظر إلى مجموع الآيات والأحاديث ، وآراء أهل العلم فى المسأله !

فباب الإجتهد عندهم مفتوح لكل أحد ! وحتى نساؤهم تجتهد وتفتى فى الفقه والعقائد ، وتحكم بالكفر ، وتهدر الدماء ، وتبيح الأعراض !

وقد كان هذا الإفراط والتطرف هو السبب لما وقع بينهم من اختلاف وانشقاق وتكفير بعضهم لبعض وتكاثر فرقهم باستمرار ! حتى زادت على المئه !

ونلاحظ أنها زادت فى زمن أمير المؤمنين (عليه السّلام) على العشرين ، شبيهاً بتكاثر فرقهم فى عصرنا الى أكثر من عشرين طائفه وحزب ومجموعه !

٢ - ويتمثل العنف عندهم فى تكفيرهم لكل من خالفهم من المسلمين ، وهدرهم دمائهم ، وإباحتهم أعراضهم !

وأسباب التكفير عندهم سهله وكثيره ! فيكفى أن تخالفهم فى تفسير آيه ، أو فى رأيهم بشخص ، حتى يكفروك ويهدروا دمك !

قال الطبرى: ٤/٦٠: (فخرجت عصابه منهم فإذا هم برجل يسوق بامرأه على حمار ، فعبروا إليه فدعوه فتهددوه وأفرعوه ، وقالوا له: من أنت ؟ قال: أنا عبد الله

ابن خباب صاحب رسول الله (ص) ثم أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض وكان سقط عنه لما أفرعوه ، فقالوا له: أفرعناك ؟ قال: نعم ، قالوا: له لا- روع عليك فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي (ص) لعل الله ينفعنا به . قال: حدثني أبي عن رسول الله (ص) أن فتنه تكون يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً ، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً . فقالوا: لهذا الحديث سألناك ، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها قال: إنه كان محققاً في أولها وفي آخرها . قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنه أعلم بالله منكم وأشد توكيفاً على دينه وأنفذ بصيره . فقالوا: إنك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها ! والله لنقتلنك قتله ما قتلناها أحداً ! فأخذوه فكتفوه ثم أقبلوا به وبامراته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل موافر فسقطت منه رطبه فأخذها أحدهم فحذف بها في فمه ، فقال أحدهم: بغير حلها وبغير ثمن ! فلفظها وألقاها من فمه ! ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه ، فمر به خنزير لأهل الذمه فضربه بسيفه ، فقالوا: هذا فساد في الأرض ! فأتى صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره ! فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى فما على منكم بأس ، إني لمسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً ، ولقد آمنتونى قلتم لاروع عليك ! فجاءوا به فأضجعوه فذبحوه وسال دمه في الماء ! وأقبلوا إلى المرأة فقالت إني إنما أنا امرأه ألا تتقون الله ! فبقروا بطنها !

وقتلوا ثلاث نسوة من طيء وقتلوا أم سنان الصيداويه ! فبلغ ذلك علياً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم الناس ، فبعث إليهم الحارث بن مره العبدى ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم ، ويكتب به إليه على وجهه ولا يكتبه ، فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسألهم فخرج القوم إليه فقتلوه ! وأتى

الخبر أمير المؤمنين والناس فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا ، سر بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام....

ثم جاء مقبلاً إليهم ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر ، وبعث إلى أهل النهر: إدفخوا إلينا قتله إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشام ، فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أتم عليه من أمركم ، فبعثوا إليه فقالوا: كلنا قتلتم ، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم !! انتهى .

فقد رأينا أنهم لم يستوعبوا في حرب الجمل التفريق بين جواز قتال البغاه ، وتحريم أموالهم إلا ما حواه معسكرهم ، فطالبوا أمير المؤمنين (عليه السلام) بإباحه أموال أنصار عائشه ونساءهم ، لأن جواز قتالهم حسب فهمهم يستوجب إباحه نساءهم !

ورأينا أنهم كفروا الصحابي عبد الله بن خباب (رحمه الله) لأنه خالف رأيهم في علي (عليه السلام) ولم يتبرأ منه ! ثم قتلوا امرأته وجنينها من شدة تقواهم !

ثم رأينا استحلالهم لدم علي (عليه السلام) ودماء المسلمين الذين خالفوهم جميعاً .

وفي نفس الوقت رأيناهم يحرمون علي أنفسهم التمره الساقطه من النخله ! ويحكمون علي صاحبهم بأنه مفسد في الأرض لأنه قتل خنزيراً اعترضه !

أما لماذا صار التكفير عندهم سهلاً محبباً إلى قلوبهم كالماء البارد في الصحراء القاحله؟! فجوابه: أن الجماعه لشده تقواهم يعيشون شوقاً قوياً إلى (الجهاد في سبيل الله تعالى) والروح الى الجنه ! وجهاد من خالفهم يتوقف على تكفيرهم واستحلال قتلهم ! فهم مضطرون إلى ترتيب مواد (شرعيه) متعدده ، إذا انطبقت واحده منها على المسلم يصير كافراً واجب القتل شرعاً ، ويكون قتاله جهاداً !!

وهذا نفس منهج خوارج عصرنا ، لافرق فيه إلا في تغيير بعض مواد التكفير !

٣ - وتظهر لك عشوائيتهم ، من انتقائهم لعقائدهم وفتاواهم وأفكارهم ، فهم يبحثون عن أى شئ يوافق أمرجتهم المتطرفه ، فى أى مصدر من حديث أو فقه أو تفسير ، أو كلام شخص مهما كان ، فيأخذونه علماً ويزينونه لأنفسهم !

ويكفيك لذلك أن الأصل الذى قامت عليه دعوتهم كلها (لاحكم إلا الله) والذى صار شعارهم أخذوه من قوله تعالى: قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (الأنعام:٥٧).

وقوله تعالى: (مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (يوسف:٤٠). وقوله تعالى: (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَاذْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) . (يوسف:٦٧).

ففهموا من هذه الآيات أن تحكيم رجلين فى الحرب بين المسلمين كفرٌ ، ويجب على المسلمين قتال من يفعله ! مع أن الله تعالى أمر بتحكيم شخصين بين الزوجين فقال: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا). (النساء:٣٥) .

وأمر بتحكيم شخصين فى تقدير كفاره صيد المحرم فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَيْدِيًا بِالْعُكْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ) (المائدة:٩٥) ولكنهم كانوا وما زالوا عندما يصطدمون بآيات وأحاديث وأدله تخالف آراءهم ، يعرضون عن نصها الصريح ويؤولونها ، ويتشبهون بمتشابهات تؤيد آراءهم فى العنف والتكفير والقتل والقتال !

٤ - أما عجبهم بأنفسهم فهو الداء الدويُّ حسب تعبير أمير المؤمنين (عليه السّلام) وهو أصل بلائهم وأبرز (جينات) شخصياتهم ! فهم من أبرز من قال الله تعالى فيهم: (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). (غافر: ٥٦).

ويكفي دليلاً على ذلك أن حرقوصاً مؤسس مذهبهم واجه النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) في حنين بمقولته المتكبره: إعدل يا محمد ! أو : لم تعدل يا محمد! وفي روايه البخارى: ٤/١٧٩: يا رسول الله إعدل ! ومعناها أنك لست عادلاً وأنا أعدل منك وآمرك أن تعدل ! وقد عرف الله تعالى رسوله (صلى الله عليه و آله وسلم) بأن مصيبه حرقوص هذا من عجبه بنفسه حتى انه ليرى أنه أفضل من رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) والناس أجمعين !

ففى مسند أبى يعلى: ١/٩٠: (فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل قلنا: ها هو ذا ! قال (ص): إنكم لتخبرونى عن رجل إن على وجهه سفعه من الشيطان ، فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم ! فقال له رسول الله: أنشدتك بالله هل قلت حين وقفت على المجلس: ما فى القوم أحد أفضل منى أو أخير منى؟ قال: اللهم نعم !!

ثم دخل يصلى ! فقال رسول الله: من يقتل الرجل؟ فقال أبو بكر أنا ، فدخل عليه فوجده قائماً يصلى فقال: سبحان الله أقتل رجلاً يصلى وقد نهى رسول الله عن قتل المصلين ! فخرج ! فقال رسول الله: ما فعلت؟ قال: كرهت أن أقتله وهو يصلى وقد نهيت عن قتل المصلين ! قال عمر: أنا ، فدخل فوجده واضعاً وجهه فقال عمر: أبو بكر أفضل منى فخرج ! فقال رسول الله: مه؟ قال وجدته واضعاً وجهه فكرهت أن أقتله ! فقال: من يقتل الرجل؟ فقال على: أنا ، قال: أنت إن أدركته . قال فدخل على فوجده قد خرج فرجع إلى رسول الله ، فقال: مه؟ قال

وجدته قد خرج ! قال: لو قتل ما اختلف فى أمتى رجلاً ، كان أولهم آخرهم .

قال موسى سمعت محمد بن كعب يقول: هو الذى قتله على ذا الشديه)! انتهى. (وهو حديث موثق على موازينهم رواه الدارقطنى: ٢/٤١، ومجمع الزوائد: ٦/٢٢٦، وغيرهما).

فالذى يزايد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى الدين، ويرى أنه أعدل منه وأفضل منه! إنما هو صاحب مشروع دنيوى، لا يعرف رباً ولا نبياً إلا نفسه! مهما ظهر تقياً!

ولذلك كان أمير المؤمنين (عليه السلام) ينصحهم بأن لا يقاتلوا من أجل الدنيا!

قال الطبرى فى تاريخه: ٤/٥٢: (أتاه رجلان من الخوارج زرعه بن البرج الطائى وحر قوص بن زهير السعدى فدخلا عليه فقالا له: لاحكم الا لله! فقال على: لا حكم إلا لله. فقال له حر قوص: تَبُّ من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا. فقال لهم على: قد أردتكم على ذلك فعصيتمونى وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهدونا وموآثيقنا وقد قال الله عز وجل: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ .

فقال له حر قوص: ذلك ذنب ينبغى أن تتوب منه! فقال على: ما هو ذنب ولكنه عجز من الرأى وضعف من الفعل، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه. فقال له زرعه بن البرج: أما والله يا على لئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله عز وجل قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه! فقال له على: بؤساً لك ما أشقاك كأنى بك قتيلاً تسفى عليك الريح! قال: وددت أن قد كان ذلك!

فقال له على: لو كنت محقاً كان فى الموت على الحق تعزیه عن الدنيا! إن الشيطان قد استهواكم فاتقوا الله عز وجل، إنه لا خير لكم فى دنياً تقاتلون عليها! فخرجا من عنده يحكمان). انتهى.

وللإمام الصادق (عليه السلام) تعليل عميق لشجاعتهم ودعوتهم الى المبارزه، فقد سأله

جميل بن دراج هل يرى أنهم شكاك لا يقين لهم؟ فقال نعم . فقال بعض أصحابه: كيف وهم يدعون إلى البراز؟ قال: ذلك مما يجدون في أنفسهم). (تهذيب الأحكام: ١٤٥/٦) . يقصد(عليه السلام) أن ادعاءهم وتصورهم الخيالي عن أنفسهم ، وكبرهم الذي ماهم بباليغيه ، يولد فيهم مركب نقص يدفعهم لإثبات أنهم على يقين! وقد ظهر ذلك في رئيسهم ابن وهب الراسبي ، عندما دعا أصحابه الى بدء القتال ونادوا: (روحوا بنا رَوْحَةً إلى الجنة . فقال عبد الله بن وهب الراسبي: لعلها رَوْحَةٌ إلى النار! قالوا: شككت! قال: أتألون على الله؟ فاعتزل منهم فروه بن نوفل الأشجعي بألف رجل! فقال لهم أصحابهم: أشككتم؟ أما لو أن تبقى منا عصابه من بعدنا يدعون إلى أمرنا لبدأنا بكم). (شرح الأخبار: ٢/٥٥).

إنها عقده إثبات الذات بالمزايدة في الدين حتى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)! ولا يختلف المعاصرون منهم عن أسلافهم إلا بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس حاضراً ليقف ضدهم ، فتظهر عند ذلك أضغانهم!

تحرکات الخوارج الى معركة النهروان !

ظهر رئيسهم حرقوص فى عهد النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) فى حنين قرب الطائف ، ثم فى المدينه ، ثم سكن البصره ، ثم كان من وفد البصره المعترضين على عثمان والمحاصرين له ، وبعد قتل عثمان عاد الى البصره ، وعندما وصلت عائشه وطلحه والزبير الى البصره حاربهم مع حكيم بن جيله دفاعاً عن البصره !

وذلك فيما سمي معركة الجمل الصغرى ، قبل وصول أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقتل جيش عائشه كل المدافعين ما عدا حرقوص ، الذى هرب الى عشيرته بنى سعد !

قال الطبرى فى تاريخه: ٣/٤٨٧: (فكان حكيم بحيان طلحه ، وذريح بحيان الزبير وابن المحرش بحيان عبد الرحمن بن عتاب ، وحرقوص بن زهير بحيان عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فزحف طلحه لحكيم وهو فى ثلثمائه رجل....

وقتل ذريح ومن معه ، وأفلت حرقوص بن زهير فى نفر من أصحابه ، فلجأوا إلى قومهم ، ونادى منادى الزبير وطلحه بالبصره: ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينه فليأتنا بهم ، فجئ بهم كما ييحاء بالكلاب فقتلوا ، فما أفلت منهم من أهل البصره جميعاً إلا- حرقوص بن زهير ، فإن بنى سعد منعه ! وكان من بنى سعد فمسهم فى ذلك أمر شديد ، وضربوا لهم فيه أجلاً ، وخشوا صدور بنى سعد ، وإنهم لعثمانيه حتى قالوا: نعتزل !). انتهى.

أى أن بنى سعد حموا حرقوصاً مع أنهم عثمانيون مع عائشه وطلحه ، وهددوا إن أصرروا على تسليمه وقتله كالباقين أن لا يشاركوا فى الحرب مع عائشه !

وعندما وصل على (عليه السلام) الى البصره لم يحارب حرقوص فى حرب الجمل مع بنى سعد الذين حموه ! بل شارك ضدهم مع على (عليه السلام) ! ثم كان مع على (عليه السلام) فى

حرب صفين ، ثم كان من قاده الخوارج الذين هددوا أمير المؤمنين (عليه السّلام) على قبول التحكيم ، ثم غيروا رأيهم بعد توقيع كتاب الهدنه !

وعندما رجعوا من صفين الى الكوفه مع أمير المؤمنين (عليه السّلام) اختلفوا هل يدخلون الى الكوفه أم يبقون في معسكر خارجها ! فبقى بعضهم في النخيله وهى المعسكر العام لأهل الكوفه ، ونشطوا لأكثر من سنه فى تشكيل أنفسهم والدعوه الى مذهبهم ، وعملوا بكل وسيله لإبطال الهدنه قبل موعد التحكيم ، لكنهم اصطدموا بإصرار أمير المؤمنين (عليه السّلام) على احترام عهده ، ولما أرسل أبا موسى الى التحكيم فى دومه الجندل ذهب بعضهم معه ، ورفضوا حيله عمرو بن العاص فى التحكيم كغيرهم من المسلمين .

وكان المفترض فيهم أن يتفقوا مع أمير المؤمنين (عليه السّلام) لأنه رفض مثلهم نتيجة التحكيم ودعا الى مواصلة قتال معاويه ، لكن ذلك لم يُرض (حضراتهم) حتى يشهد على (عليه السّلام) والمسلمون على أنفسهم بالكفر ويتوبوا مثلهم !!

وفى تلك الفتره اختارت طائفه منهم أن يتجمعوا فى قريه حروراء قرب الكوفه فسموا الحروريه ، وخرجت طائفه أخرى من الكوفه راكبه رأسها تخبط الأرض ! كما وصفها أمير المؤمنين (عليه السّلام) فى حديثه لليهودى عندما سأله عما امتحنه الله به فى حياه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاته ، وهو فى الخصال ص ٣٨١ ، وسنورده إن شاء الله .

قال الطبرى: ٤/٤٦: (فتزل بها (حروراء) منهم اثنا عشر ألفاً ، ونادى مناديتهم إن أمير القتال شبت بن ربيع التميمى وأمير الصلاه عبد الله بن الكواء يشكرى ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعه لله عز وجل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

وقد أرسل اليهم أمير المؤمنين (عليه السّلام) ابن عباس وذهب هو اليهم واحتج عليهم ،

ونورد فيما يلي بعض احتجاجه (عليه السّلام) من نهج البلاغه: ٢/٧: (فإن أبيتُم إلا أن تزعموا أني أخطأت و ضللت! فلم تضللون عامه أمه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) بضلالى و تأخذونهم بخطئى و تكفرونهم بذنوبى؟! سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء و السقم ، و تخلطون من أذنب بمن لم يذنب ! و قد علمتم أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) رجم الزانى المحصن ثم صلى عليه ثم ورثه أهله، و قتل القاتل و ورث ميراثه أهله، و قطع السارق و جلد الزانى غير المحصن ، ثم قسم عليهما من الفئ و نكح المسلمات ، فأخذهم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بذنوبهم و أقام حق الله فيهم ، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام و لم يخرج أسماءهم من بين أهله....

وإنما حكم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن و يميتا ما أمات القرآن ، و إحياءه الاجتماع عليه ، و إماتته الإفتراق عنه ، فإن جرنا القرآن إليهم اتبعناهم ، و إن جرّهم إلينا اتبعونا ! فلم آت لا أبأ لكم بجرأ ، و لا اختلتكم عن أمركم و لا لبسته عليكم ، إنما اجتمع رأى ملتكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما أن لا يتعديا القرآن فتاها عنه ، و تركا الحق و هما يبصرانه ، و كان الجور هواهما فمضيا عليه ! و قد سبق استثناؤنا عليهما فى الحكومه بالعدل ، و الصمد للحق .

و قد تقدمت خطبته له (عليه السّلام) بعد التحكيم من نهج البلاغه: ١/٨٤ التى قال فيها: (أما بعد فإن معصيه الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسره ، و تعقب الندامه . و قد كنت أمرتكم فى هذه الحكومه أمرى ، و نخلت لكم مخزون رأبى ، لو كان يطاع لقصير أمر ، فأبيتُم على إباء المخالفين الجفاه و المنابذين العصاه ! حتى ارتاب الناصح بنصحه ، و ضن الزند بقدحه ، فكنت و إياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمرى بمُنْعَرَج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد) !!

وفى نهج البلاغه: ١/٢٣٥: (ومن كلام له (عليه السّلام) قاله للخوارج و قد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومه ، فقال (عليه السّلام): أكلُّكم شهد معنا صفين؟ فقالوا: منا من شهد و منا من لم يشهد . قال: فامتازوا فرقتين ، فليكن من شهد صفين فرقه ، و من لم

يشهدها فرقه حتى أكلم كلاً بكلامه . ونادى الناس فقال: أمسكوا عن الكلام وأنصتوا لقولى وأقبلوا بأفئدتكم إليّ ، فمن نشدناه شهاده فليقل بعلمه فيها .

ثم كلمهم (عليه السلام) بكلام طويل ، منه: ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيله وغيله ، ومكراً وخديعه: إخواننا وأهل دعوتنا ، استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه ، فالرأى القبول منهم والتنفيس عنهم ، فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان وأوله رحمه وآخره ندامه ، فأقيموا على شأنكم ، والزموا طريقتكم ، وعضوا على الجهاد بنواجذكم ، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق: إن أجيب أضل ، وإن ترك ذل .

وقد كانت هذه الفعله وقد رأيتكم أعطيتموها ! والله لئن أبيتها ما وجبت على فريضتها ولا حملنى الله ذنبها ، ووالله إن جئتها إني للمحق الذى يتبع ، وإن الكتاب لمعى ما فارقتة مذ صحبتته ! فلقد كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقربات ، فما نزداد على كل مصيبه وشده إلا إيماناً ومضياً على الحق ، وتسليماً للأمر ، وصبراً على مفض الجراح .

ولكننا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا فى الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والإعوجاج والشبهه والتأويل . فإذا طمعنا فى خصله يلئم الله بها شعنا وتندانى بها إلى البقيه فيما بيننا ، رغبتنا فيها وأمسكنا عما سواها). انتهى .

وفيما يلى فقرات من تاريخ الطبرى: ٤/٥٤ ، فى تحركاتهم الى معركة النهروان:

(لما بعث أبا موسى لإنفاد الحكومه لقيت الخوارج بعضها بعضاً فاجتمعوا فى منزل عبد الله بن وهب الراسبى ، فحمد الله عبد الله بن وهب وأثنى عليه ، ثم قال: أما بعد فوالله ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن وينيبون إلى حكم القرآن ، أن يكون هذه الدنيا التى الرضا بها والركون بها والإيثار إياها عناء وتبار ، آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق . وإن من وضّر فإنه فى يُؤمن ويُضّر فى هذه الدنيا ، فإن ثوابه يوم القيامه رضوان الله عز وجل والخلود

فى جناته. فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو إلى بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المضله !

فقال له حرقوص بن زهير: إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لهاوشيك ، فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلفتكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ، فإن الله مع الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ .

فقال حمزه بن سنان الأسدى: يا قوم إن رأى ما رأيتم ، فولوا أمركم رجلاً منكم فإنه لا بد لكم من عماد وسناد ، ورايه تحفون بها وترجعون إليها .

فعرضوها على زيد بن حصين الطائى فأبى ، وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى ، وعلى حمزه بن سنان وشريح بن أوفى العبسى فأبى ، وعرضوها على عبدالله بن وهب فقال: هاتوها أما والله لا آخذها رغبة فى الدنيا ، ولا أدعها فرقاً من الموت ! فبايعوه لعشر خلون من شوال ، وكان يقال له ذو الثففات !

ثم اجتمعوا فى منزل شريح بن أوفى العبسى فقال ابن وهب: إشخصوا بنا إلى بلده نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله ، فإنكم أهل الحق . قال شريح نخرج إلى المدائن فننزلها ونأخذ بأبوابها ونُخرج منها سكانها ، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصره فيقدمون علينا . فقال زيد بن حصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين أتبعتم ، ولكن أخرجوا وحداناً مستخفين ، فأما المدائن فإن بها من يمنعكم ، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان ، وتكاتبوا إخوانكم من أهل البصره . قالوا: هذا رأى ، وكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصره منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ويحثهم على اللحاق بهم ، وسيّر

الكتاب إليهم فأجابوه أنهم على اللحاق به !

فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم وكانت ليله الجمعة ويوم الجمعة ، وساروا يوم السبت ، فخرج شريح بن أوفى العبسى وهو يتلو قول الله تعالى:

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدِينٌ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ...

وسار جماعه من أهل الكوفه يريدون الخوارج ليكونوا معهم فردّهم أهلوهم كرهاً ، منهم القعقاع بن قيس الطائي عم الطرماح بن حكيم ، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكائي ، وبلغ علياً أن سالم بن ربيعه العبسي يريد الخروج فأحضره عنده ونهاه ، فانتهى .

ولما خرجت الخوارج من الكوفه أتى علياً أصحابه وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت ، فشرط لهم فيه سنه رسول الله (ص) فجاءه ربيعه بن أبي شداد الخثعمي ، وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه رايه خثعم ، فقال له: بايع على كتاب الله وسننه رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) فقال ربيعه: على سننه أبي بكر وعمر! قال له عليّ: ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسننه رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) لم يكونا على شئ من الحق! فبايعه ، فنظر إليه عليّ وقال: أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت ، وكأني بك وقد وطئت الخيل بحوافرها! فقتل يوم النهر مع خوارج البصره! وأما خوارج البصره فإنهم اجتمعوا في خمسمائه رجل وجعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي ، فعلم بهم ابن عباس فأتبعهم أبا الأسود الدؤلي فلحقهم بالجسر الأكبر فتوافقوا حتى حجز بينهم الليل وأدلى مسعر بأصحابه وأقبل يعترض الناس وعلى مقدمته الأشرس بن عوف الشيباني ، وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر .

لما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكه (بعد التحكيم وخوفه من غضب الناس عليه) قام (علي (عليه السّلام)) في الكوفه فخطبهم فقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل... وقد تقدم بعضها من نهج البلاغه ، وزاد الطبري فيها:

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموها حكيمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما

وأحييا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله ، فحكما بغير حجه بينه ولا سنه ماضيه ، واختلفا فى حكمهما وكلاهما لم يرشد ، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين . إستعدوا وتأهبوا للسير إلى الشام ، وأصبحوا فى معسكركم إن شاء الله يوم الإثنين . ثم نزل وكتب إلى الخوارج بالنهر:

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله على أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس . أما بعد ، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما بغير هدى من الله ، فلم يعملوا بالسنه ولم ينفذا للقرآن حكماً ، فبرئ الله ورسوله منهما والمؤمنون . فإذا بلغكم كتابى هذا فأقبلوا فإننا سائرون إلى عدونا وعدوكم ، ونحن على الأمر الأول الذى كنا عليه والسلام .

وكتبوا إليه: أما بعد فإنك لم تغضب لربك إنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبه ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا- فقد نابذناك على سواء إن الله لا- يحب الخائنين ! فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، فرأى أن يدعهم ويمضى بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم....

ثم روى الطبرى تباطأ أهل البصره وأنه لم يلتحق منهم بمعسكر على (عليه السلام) فى النخيله إلا- ثلاثه آلاف ومئتا نفر ، مع أن واليه ابن عباس حثهم !

ثم قال الطبرى: (وبلغ علياً أن الناس يقولون لو سار بنا إلى هذه الحروريه فبدأنا بهم فإذا فرغنا منهم وجهنا من وجهنا ذلك إلى المحليين ، فقام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ، فإنه قد بلغنى قولكم لو أن أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجه التى خرجت عليه فبدأنا بهم فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحليين ، وإن غير هذه الخارجه أهم إلينا منهم ، فدعوا ذكرهم وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكاً ويتخذوا عباد الله حولا....

فبلغ ذلك علياً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبد الله بن خباب واعتراضهم

الناس ، فبعث إليهم الحارث بن مره العبدى ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم ، ويكتب به إليه على وجهه ولا- يكتمه ، فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسألهم فخرج القوم إليه فقتلوه ! وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس ، فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا؟! سرّ بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام ، وقام إليه الأشعث بن قيس الكندى فكلمه بمثل ذلك....

فنادى بالرحيل ، وخرج فعبر الجسر فصلى ركعتين بالقنطرة ، ثم نزل دير عبد الرحمن ، ثم دير أبي موسى ، ثم أخذ على قريه شاهی ، ثم على دباها ، ثم على شاطئ الفرات.... وبعث إلى أهل النهر: إدفعوا إلينا قتله إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكافُّ عنكم حتى ألقى أهل الشام ، فلعل الله يقلب قلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم . فبعثوا إليه فقالوا: كلنا قتلتم ، وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم !!... قيس بن سعد بن عباد قال لهم: عباد الله أخرجوا إلينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذى منه خرجتم ، وعودوا بنا إلى قتال عدونا وعدوكم ، فإنكم ركبتهم عظيماً من الأمر: تشهدون علينا بالشرك والشرك ظلم عظيم ، وتسفكون دماء المسلمين ، وتعدونهم مشركين !! فقال عبد الله بن شجرة السلمى: إن الحق قد أضاء لنا ، فلسنا نتابعكم أو تأتوننا بمثل عمر ! فقال: ما نعلمه فينا غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم؟! وقال: نشدتكم بالله فى أنفسكم أن تهلكوها فإنى لأرى الفتنة قد غلبت عليكم ! وخطبهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى فقال: عباد الله إنا وإياكم على الحال الأولى التى كنا عليها ، ليست بيننا وبينكم فرقه ، فعلام تقاتلوننا؟ فقالوا: إنا لو بايعناكم اليوم حكمتم غداً ! قال: فإنى أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافه ما يأتى فى قابل !!

قال الطبري: ٤/٦٢: عن زيد بن وهب أن علياً أتى أهل النهروان ، فوقف عليهم فقال: أيتها العصابة التي أخرجها عداؤه المرء واللجاجة ، وصدها عن الحق الهوى وطمح بها النزق ، وأصبحت في اللبس والخطب العظيم ، إني نذيرٌ لكم أن تصبحوا تُلْفِيكم الأُمه غداً صرعى بأثناء هذا النهروان ، وبأهضام هذا الغائط ، بغير بينه من ربكم ، ولا- برهان يبين ! ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومه ، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن ومكيده لكم ، ونبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا- قرآن ، وأنى أعرف بهم منكم ، عرفتهم أطفالاً- ورجالاً- ، فهم أهل المكر والغدر ، وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم ، فعصيتُموني ! حتى إذا أقررتُ بأن حَكَمْت ، فلما فعلت شرطت واستوثقت ، فأخذت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة ، فبذنا أمرهما ونحن على أمرنا الأول ، فما الذى بكم ومن أين أنيتم؟!

قالوا: إنا حَكَمْنَا فلما حكمنا وأثمنا وكنا بذلك كافرين ! وقد تُبْنَا فإن تُبْت كما تبنا فنحن منك ومعك ، وإن أبيت فاعتزلنا فإننا منابذوك على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين ! فقال عليٌّ: أصابكم حاصب ، ولا بقى منكم وابر ، أبعد إيمانى برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهجرتى معه وجهادى فى سبيل الله ، أشهد على نفسى بالكفر ، لقد ضللت إذأ وما أنا من المهتدين . ثم انصرف عنهم....

...أن علياً قال لأهل النهروان: يا هؤلاء إن أنفسكم قد سولت لكم فراق هذه الحكومه التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره ، وأنبأتكم أن القوم سألوكموها مكيده ودَهْنًا ،

فأبيتم عليّ إباء المخالفين ، وعدلتم عنى عدول النكداء العاصين ، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم ، وأنتم والله معاشرٌ أخفأء الهام سفهاء الأحلام ، فلم آت لا

أباً لكم حراماً . والله ما خبَلتكم عن أموركم ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم ، ولا أوطأتكم عشوه ، ولا دنّيت لكم الضراء ، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً فأجمع رأى ملئكم على أن اختاروا رجلين ، فأخذنا عليهما أن يحكما بما فى القرآن ولا يعدوا ، فتاها وتركا الحق وهما يبصرانه ، وكان الجور هواهما ، وقد سبق استيثاقنا عليهما فى الحكم بالعدل والصّمد للحق ، بسوء رأيهما وجور حكمهما والثقة فى أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحق وأتيا بما لا يعرف ، فبينوا لنا بماذا تستحلون قتالنا والخروج من جماعتنا إن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم وتسفكون دماءهم؟! إن هذا لهو الخسران المبين! والله لو قتلتم على هذا دجاجه لعظم عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التى قتلها عند الله حرام؟!

فتنادوا: لاتخاطبوهم ولا تكلموهم ، وتهيؤا للقاء الرب! الرواح الرواح إلى الجنه! فخرج عليّ فعبأ الناس ، فجعل على ميمنته حجر بن عدى ، وعلى ميسرته شيبث بن ربيعى أو معقل بن قيس الرياحى ، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصارى ، وعلى الرجاله أبا قتاده الأنصارى ، وعلى أهل المدينة وهم سبعمائه أو ثمانمائه رجل ، قيس بن سعد بن عباده . قال: وعبأت الخوارج فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائى ، وعلى الميسره شريح بن أوفى العبسى ، وعلى خيلهم حمزه بن سنان الأسدى ، وعلى الرجاله حرقوص بن زهير السعدى .

قال: وبعث عليّ الأسود بن يزيد المرادى فى ألفى فارس حتى أتى حمزه بن سنان وهو فى ثلاثمائه فارس من خيلهم . ورفع عليّ رايه أمان مع أبى أيوب فناداهم أبو أيوب: من جاء هذه الرايه منكم ممن لم يَقتل ولم يَستعرض ، فهو آمن ، ومن انصرف منكم إلى الكوفه أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعه فهو آمن ، إنه لا- حاجه لنا بعد أن نصيب قتله إخواننا منكم فى سفك دمائكم!

فقال فروه بن نوفل الأشجعي: والله ما أدرى على أى شئ نقاتل علياً؟! لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لى بصيرتى فى قتاله أو اتباعه! وانصرف فى خمسائه فارس حتى نزل البندنيجين والدسكره . وخرجت طائفه أخرى متفرقين فنزلت الكوفه . وخرج إلى على منهم نحو من مائه ، وكانوا أربعة آلاف .

فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمائه ، وزحفوا إلى على وقدم على الخيل دون الرجال ، وصفَّ الناس وراء الخيل صفين ، وصفَّ المراميه أمام الصف الأول وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم ، فإنهم لو قد شدوا عليكم وجلهم رجال لم ينتهوا إليكم إلا لاغبين ، وأنتم رادون حامون .

وأقبلت الخوارج.... ثم تنادوا الرواح الرواح إلى الجنه ، فشدوا على الناس والخيل أمام الرجال ، فلم تثبت خيل المسلمين لشدتهم ، وافترقت الخيل فرقتين فرقه نحو الميمنه وأخرى نحو الميسره ، وأقبلوا نحو الرجال ، فاستقبلت المراميه وجوههم بالنبل ، وعطفت عليهم الخيل من الميمنه والميسره ، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف ، فوالله ما لبثوهم أن أناموهم .

ثم إن حمزه بن سنان صاحب خيلهم لما رأى الهلاك نادى أصحابه أن أنزلوا فذهبوا لينزلوا ، فلم يتقاروا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس المرادى ، وجاءتهم الخيل من نحو على ، فأهمدوا فى الساعه....

حدثنى عبد الملك بن أبى حره أن علياً خرج فى طلب ذى الثديه ، ومعه سليمان بن ثمامه الحنفى أبو جبره ، والريان بن صبره بن هوذه ، فوجداه الريان بن صبره بن هوذه فى حفرة على شاطئ النهر فى أربعين أو خمسين قتيلاً . قال فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كئدى المرأه له حلمه عليها شعرات سود ، فإذا مدت امتدت حتى تحاذى طول يده الأخرى ، ثم تترك

فتعود إلى منكبه كشدى المرأه ، فلما استخرج قال على: الله أكبر ، والله ما كذبت ولا كذبت ! أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه(صلى الله عليه وآله وسلم) لمن قاتلهم مستبصراً فى قتالهم ، عارفاً للحق الذى نحن عليه !

قال: ثم مرّ وهم صرعى فقال: بؤساً لكم لقد ضركم من غركم ! فقالوا يا أمير المؤمنين من غرهم؟ قال: الشيطان وأنفس بالسوء أماره غرتهم بالآمانى ، وزينت لهم المعاصى ، ونبأتهم أنهم ظاهرون !...

قال: وطلب من به رمق منهم فوجدناهم أربعمائه رجل ، فأمر بهم على فدفعوا إلى عشائهم وقال: إحملوهم معكم فداووهم فإذا برثوا فوافوا بهم الكوفه ، وخذوا ما فى عسكرهم من شىء ، قال: وأما السلاح والدواب وما شهدوا به عليه الحرب فقسّمه بين المسلمين ، وأما المتاع والعبيد والإماء ، فإنه حين قدم رده على أهله !

وطلب عدى بن حاتم ابنه طرفه فوجده فدفنه ، ثم قال: الحمد لله الذى ابتلانى بيومك على حاجتى إليك . انتهى

وقد اختصر الطبرى المعركه ، واختصرناها منه ، وقد روت المصادر نقاطاً مهمه ومفیده ، وهذه نماذج منها :

تهيب المسلمون أن يقاتلوا الخوارج بسبب مظهرهم الخادع ، وقد استهم المزيفه ! فظاهرهم الصلاح وأنهم عبأء وقراء قرآن ، وأهل تدئين وتنسك ! فلم يكن باستطاعه أحد أن يسفك دم هذه القداسه المزيفه إلا - صاحب القداسه الحقيقيه على(عليه السلام)، المشهود له من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بمعجزاته التى رآها منه المسلمون فى فتنه الخوارج وغيرها ، فخشعوا لها وكبروا ، ومنها هذا النموذج:

فى مجمع الزوائد: ٦/٢٤١: (عن جندب قال: لما فارقت الخوارج علياً خرج فى طلبهم وخرجنا معه ، فانتهينا إلى عسكر القوم وإذا لهم دوى كدوى النحل من

قراءه القرآن ، وإذا فيهم أصحاب الثغنات وأصحاب البرانس ، فلما رأيتهم دخلني من ذلك شده ، فتنحيت فركرت رمحي ونزلت عن فرسي ووضعت برنسي فنثرت عليه درعي ، وأخذت بمقود فرسي فقامت أصلى إلى رمحي ، وأنا أقول في صلاتي: اللهم إن كان قتال هؤلاء القوم لك طاعه فائذن لي فيه ، وإن كان معصيه فأرني براءتك ! قال: فأنا كذلك إذ أقبل على بن أبي طالب على بغله رسول الله (ص) فلما حاذاني قال: تعوذ بالله ، تعوذ بالله يا جندب من شر الشك ! فجئت أسعى إليه ونزل فقام يصلى ، إذ أقبل رجل على بردون يقرب به ، فقال يا أمير المؤمنين؟ قال: ما شأنك؟ قال ألك حاجة في القوم؟ قال: وما ذاك؟ قال: قد قطعوا النهر . قال: ما قطعوه ! قلت: سبحان الله !

ثم جاء آخر أرفع منه في الجري فقال يا أمير المؤمنين؟ قال: ما تشاء؟ قال ألك حاجة في القوم؟ قال: وما ذاك؟ قال: قد قطعوا النهر فذهبوا . قلت: الله أكبر . قال عليٌّ: ما قطعوه ، ثم جاء آخر يستحضر بفرسه فقال يا أمير المؤمنين؟ قال: ما تشاء؟ قال ألك حاجة في القوم قال: وما ذاك؟ قال: قد قطعوا النهر . قال: ما قطعوه ولا يقطعونه وليقتلن دونه ، عهد من الله ورسوله ! قلت: الله أكبر ، ثم قامت فأمسكت له بالركاب فركب فرسه ، ثم رجعت إلى درعي فلبستها ، والى قوسى فعلقتها وخرجت أسايره ، فقال لى: يا جندب ، قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال: أما أنا فأبعث إليهم رجلاً يقرأ المصحف يدعو إلى كتاب الله ربهم وسنه نبينهم فلا- يقبل علينا بوجهه حتى يرشقوه بالنبل ! يا جندب أما إنه لا يقتل منا عشرة ولا ينجو منهم عشرة ! فانتبهنا إلى القوم وهم فى معسكرهم الذى كانوا فيه لم يبرحوا ! فنادى على فى أصحابه فصفهم ، ثم أتى الصف من رأسه ذا إلى رأسه ذا مرتين

وهو يقول: من يأخذ هذا المصحف فيمشى به إلى هؤلاء القوم فيدعوهم إلى كتاب

الله ربههم وسنه نبهم وهو مقتول وله الجنة؟ فلم يجبه إلا- شاب من بنى عامر بن صعصعه ، فلما رأى على حدائه سنه قال له: إرجع إلى موقفك ، ثم نادى الثانيه فلم يخرج إليه إلا- ذلك الشاب ، ثم نادى الثالثه فلم يخرج إليه الا ذلك الشاب ، فقال له عليّ: خذ ، فأخذ المصحف فقال له: أما إنك مقتولٌ ولست مقبلاً- علينا بوجهك حتى يرشقوك بالنبل ! فخرج الشاب بالمصحف إلى القوم فلما دنا منهم حيث يسمعون ، قاموا ونشبو الفتى قبل أن يرجع ! قال: فرماه إنسان فأقبل علينا بوجهه فقعد فقال عليّ: دونكم القوم ! قال جندب فقتلت بكفى هذه بعد ما دخلنى ما كان دخلنى ثمانيه قبل أن أصلى الظهر ، وما قتل منا عشره ولا نجا منهم عشره كما قال ! رواه الطبرانى فى الأوسط من طريق أبى السابغه عن جندب ، ولم أعرف أبى السابغه ، وبقيه رجاله ثقات). انتهى

فى تاريخ بغداد: ١٤/٣٦٨: (فقال على لأصحابه: لا تبدؤوهم . قال فبدأ الخوارج فرموا فليل يا أمير المؤمنين قد رموا ، قال فأذن لهم بالقتال . قال: فحملت الخوارج على الناس حملة حتى بلغوا منهم شده ، ثم حملوا عليهم الثانيه فبلغوا من الناس أشد من الأولى ، ثم حملوا الثالثه حتى ظن الناس أنها الهزيمة . قال: فقال عليّ: والذى فلق الحبه وبرأ النسمه لا يقتلون منكم عشره ولا يبقى منهم عشره . قال: فلما سمع الناس ذلك حملوا عليهم) .

فى مناقب آل أبى طالب: ٢/٣٧١: (فلما أتاهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فاستعطفهم فأبوا إلا- قتاله ، وتنادوا أن دعوا مخاطبه على (عليه السلام) وأصحابه وبادروا الجنة ، وصاحوا الرواح الرواح إلى الجنة ، وأمير المؤمنين يعبى أصحابه ، ونهاهم أن يتقدم إليهم أحد ، فكان أول من خرج أحنس بن العيزار الطائى فقتله أمير المؤمنين (عليه السلام).....

وخرج إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) الوضاح بن الوضاح من جانب وابن عمه حرقوص من جانب ، فقتل الوضاح ، وضرب ضربه على رأس الحرقوص فقطعه ، ووقع رأس سيفه على الفرس فشرد ورجله في الركاب ، حتى أوقعه في دولاب .

وفى شرح النهج: ٢/٢٧٦: (قال عليّ: نقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج ، أحدهم ذو الثديه ، فلما طُحن القوم ورام استخراج ذا الثديه ، أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبه ، وركب بغله رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) وقال: إطرح على كل قتيل منهم قصبه فلم أزل كذلك وأنا بين يديه وهو راكب خلفي ، والناس يتبعونه حتى بقيت في يدي واحده ، فنظرت إليه وإذا وجهه ازبدّ وإذا هو يقول: والله ما كذبتُ ولا كُذبتُ ، فإذا خرير ماء عند موضع داليه فقال: فتش هذا ، ففتشته فإذا قتيل قد صار في الماء ، وإذا رجله

في يدي فجذبتها وقلت: هذه رجل إنسان ، فنزل عن البغله مسرعاً ، فجذب الرجل الأخرى وجررناه ، حتى صار على التراب ، فإذا هو المخدج ! فكبر عليّ بأعلى صوته ثم سجد ، فكبر الناس كلهم).

قال اليعقوبي: ٢/١٩٣: (فرجع يومئذ من الخوارج ألفان وأقام أربعة آلاف ، والتحمت الحرب بينهم مع زوال الشمس فأقامت مقدار ساعتين من النهار ، فقتلوا من عند آخرهم وقتل ذو الثديه ، ولم يفلت من القوم إلا أقل من عشرة ، ولم يقتل من أصحاب علي إلا أقل من عشرة . وكانت وقعه النهروان سنة ٣٩).

وقال اليعقوبي في تاريخه: ٢/١٩٣: (ولما قدم على الكوفة (بعد النهروان) قام خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه والتذكير لنعمه والصلاة على محمد وذكره بما فضله الله به: أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجتري عليها أحد

غيرى ، ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون ولا القاسطون ولا المارقون ، ثم قال: سلونى قبل أن تفقدونى فإنى عن قليل مقتول فما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم أعلاها ! فوالذى فلق البحر وبرأ النسمة لا تسألونى عن شئ فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فتنه تضل مائه أو تهدى مائه ، إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها إلى يوم القيامة .

فى كتاب على والخوارج: ١/٢٠٠: (يقال إن هؤلاء الذين أفلتوا من القتل كانوا تسعه ، وقد أصبحوا بذرات أخرى للخوارج فى مناطق عديده فيما بعد.. فقد سار منهم رجلاى إلى سجستان ، ورجلان إلى عمان ، ورجلان إلى اليمن ، ورجلان إلى ناحيه الجزيره ، ورجل إلى تل مورون فى اليمن ، ف-الخوارج فى هذه البلاد من أتباع هؤلاء. (راجع: الملل والنحل: ١/١١٧ والفرق ص ٨٠ و٨١ والفتوح لابن أعثم: ٤/١٣٢)....

فاختلط القوم ، فلم تكن إلا ساعه حتى قتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة آلاف ، فما فلت منهم إلا تسعه نفر . فهرب منهم رجلاى إلى خراسان إلى أرض سجستان وفيها نسلهما إلى الساعه ، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيره إلى موضع يقال له سوق التوربخ ، وإلى شاطئ الفرات ، فهناك نسلهما إلى الساعه . وصار رجل إلى تلّ يقال له: تلّ موزن. (الفتوح لابن أعثم: ٤/١٣٢).

ص: ٣٧٤

عائشه تروى أن علياً (عليه السلام) أفضل الأمة !

فرح المسلمون بالآيات والمعجزات التي رأوها من أمير المؤمنين (عليه السلام) في أمر الخوارج ، وخاصة بمقتل حرقوص بن زهير ، أو المخدج ، أو ذى الخويصره ، أو ذى الشديه ، أو ذى التندوه ، أو سفعه الشيطان ، أو شيطان الردهه ، أو شيطان الوهده ، وكلها أسماء لحرقوص الذي كانوا رووا حديثه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه وحزبه (شرُّ الخلق والخليقه) ! لكن بقي النصف الآخر من الحديث وأنه (يقتلهم خير الخلق بعدى ، أو خير الخلق والخليقه وأقربهم الى الله وسيله) ! فقد غصَّ به رواه الخلافه القرشيه وتحيروا به؟! فكيف يعترفون لعلي (عليه السلام) بأنه خير الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فَيُدينون السقيفه وما تعبت قريش على إشاعته من أن أبا بكر وعمر وعثمان خير الخلق بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! لكنهم في نفس الوقت يحتاجون الى هذا الحديث في شرعيه قتال الخوارج ، ليكون حجه لمعاويه ومن بعده في قتالهم إياهم ! لهذا السبب ، صرت تجد العجائب في مصادرهم !

فبعضهم يروى الحديث ، ويحذف نصفه الأخير !

وبعضهم يستبدل آخره بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (طوبى لمن قتلهم) !

وبعضهم يستبدله بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (تقتلهم أقرب الطائفتين الى الحق) !

وبعضهم يبدل كلمه: خير الخلق بخيار الخلق ، حتى لا تختص بعلي (عليه السلام) !

وبعضهم يروى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصف عبد الله بن مسعود بأنه أقرب الخلق وسيله الى الله ! فليس هذا الوصف لعلي (عليه السلام) ، أو ليس مختصاً به !

أما من يرويه كاملاً ، فتراه يُعْمَلُ معوله في تأويله ليفرغه من معناه !

وقد شاء الله تعالى أن تروى عائشه هذا الحديث كاملاً ! وأن يكون السبب أن عمرو بن العاص كذب عليها فكتب لها أنه هو قتل ذا الشديه بمصر وليس علياً ! ففي شرح النهج: ٢/٢٦٨: (وفي كتاب صفين أيضاً للمدائني عن مسروق ، أن

عائشه قالت له لما عرفت أن علياً قتل ذا الشديه: لعن الله عمرو بن العاص ، فإنه كتب إليّ يخبرني أنه قتله بالإسكندريه ! ألا أنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله (ص) يقول: يقتله خير أمتي من بعدى).

وفى فتح البارى: ١٢/٢٥٣: (وعند البزار من طريق الشعبى عن مسروق عن عائشه قالت: ذكر رسول الله (ص) الخوارج فقال هم شرار أمتى يقتلهم خيار أمتى وسنده حسن . وعند الطبرانى من هذا الوجه مرفوعاً هم شر الخلق والخليقه يقتلهم خير الخلق والخليقه . وفى حديث أبى سعيد عند أحمد: هم شر البليه !).

وقد نقل فى شرح النهج: ٢/٢٦٧، عن مسند أحمد ، أى عن نسخه أحمد فى القرن السابع ، عن مسروق قال قالت لى عائشه: إنك من وُلدى ومن أحبهم إليّ فهل عندك علم من المخدج؟ فقلت: نعم

قتله على بن أبى طالب على نهر يقال لأعلاه تامرا ولأسفله النهروان ، بين لخافيق وطرفاء ، قالت: أبغنى على ذلك بينه ، فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك ، قال: فقلت لها: سألتك بصاحب القبر ما الذى سمعت من رسول الله (ص) فيهم؟ فقالت: نعم سمعته يقول: إنهم شر الخلق والخليقه ، يقتلهم خير الخلق والخليقه ، وأقربهم عند الله وسيله). انتهى .

ولا وجود له فى نسخه أحمد فى عصرنا ! فربما حذفوه منها ! ولعل أحمد رواه فى غير المسند . (ورواه القاضى النعمان فى شرح الاخبار: ١/١٤١، عن مسروق عن عائشه ، ومحمد بن سليمان فى المناقب: ٢/٥٣٤ ، والشريف المرتضى فى تنزيه الأنبياء (عليهم السلام) ص ٢٠٢).

وقال الصدوق فى علل الشرائع: ١/٢٢٢: (وهذا سعد بن أبى وقاص لما أنهى إليه أن علياً صلوات الله عليه قتل ذا الشديه ، أخذه ما قدم وما أخرج ، وقلق ونزق ، وقال: والله لو علمت أن ذلك كذلك لمشيت إليه ولو حبواً). انتهى .

(راجع كتاب على (عليه السلام) والخوارج للسيد جعفر مرتضى: ١/٢٤١، فصل: موقف عائشه من الخوارج. وكتابنا العقائد الإسلاميه: ٤/٣٤٤ ، عنوان: على (عليه السلام) أقرب الخلق الى الله وسيله).

قال السيد جعفر مرتضى فى كتاب على والخوارج: (إن هناك أقواماً من الناس قد يكون أكثرهم من أولئك الذين استأمنوا فى النهروان ، أو أنهم رجعوا بسبب احتجاجات على (عليه السّلام) وأصحابه عليهم ، أو ممن يشبهون الخوارج فى عقليّاتهم ، ونظرتهم إلى الأمور.. إن هذه الجماعات والأقوام قد جنح بهم شذوذهم وجهلهم وحماسهم الأعمى إلى أن يغامروا بحياتهم وبمستقبلهم ، فيعلنوا العصيان ، ويخرجوا عن الطاعة ، فكانت لهم بعد النهروان خُرُجات على الإمام (عليه السّلام) فى شراذم قليلة ، فى بضعة مئات ، أو أقل أو أكثر ، وخرج فى بعضها عليه ألفان منهم.. فكان يقضى على تلك الحركات الواحدة تلو الأخرى بيسر وسهولة.. فخرجوا عليه بالإضافة الى النخيلة فى: الأنبار ، ومانندان ، وجرجرايا ، والمدائن وسواد الكوفة. (راجع الفرق بين الفرق ص ٨١، ومقالات الإسلاميين: ١٩٦/١٩٥ و تاريخ ابن خلدون: ٣/١٤٢ والكامل لابن الأثير: ٢/٣٧٢/٣٧٣ وغير ذلك). وحين خرج أبو مريم وظفر بهم أمير المؤمنين (عليه السّلام) فأمن خمسين رجلاً منهم استأمنوا ، وقتل سائرهم) (راجع أنساب الأشراف بتحقيق المحمودى: ٢/٤٨٦). انتهى .

آخر خارجه على أهل البيت (عليهم السلام) في منطقة النهروان !

من أحاديث الملاحم ما رواه ابن أبي شيبه في مصنفه: ٨/٦٧٣: (عن عبيد الله بن بشير بن جرير البجلي قال قال علي: إن آخر خارجه تخرج في الإسلام بالرميله رميله الدسكره ، فيخرج إليهم ناس فيقتلون منهم ثلثاً ، ويدخل ثلث ، ويتحصن ثلث في الدير دير مرمار ، فمنهم الأشمط ، فيحضرهم الناس فينزلونهم فيقتلونهم فهي آخر خارجه تخرج في الإسلام). انتهى . (وعنه في كنز العمال: ١١،٢٦٠)

وأصل هذا الحديث أن هذه الخارجه تكون على الإمام المهدي (عليه السلام) ، وقد روت أحاديثها مصادرنا:

منها هذا الحديث في مروج الذهب: ٢/٤١٨: (ثم ركب ومر بهم وهم صرعى ، فقال: لقد صرعكم من غركم ، قيل ومن غرهم ؟ قال: الشيطان وأنفس السوء ، فقال أصحابه: قد قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر ، فقال: كلا والذى نفسى بيده ، وإنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء ، لا تخرج خارجه إلا خرجت بعدها مثلها ، حتى تخرج خارجه بين الفرات ودجله مع رجل يقال له الأشمط ، يخرج إليه رجل منا أهل البيت فيقتله ، ولا تخرج بعدها خارجه إلى يوم القيامة). انتهى .

والأشمط: من خالط بياض رأسه سواد ، وقد تقال للطويل .

وفي بصائر الدرجات ص ٣٣٦ ، عن يونس بن ظبيان عن الإمام الصادق (عليه السلام): (أول خارجه خرجت على

موسى بن عمران بمرج دابق وهو بالشام ، وخرجت على المسيح بحران ، وخرجت على أمير المؤمنين (عليه السلام) بالنهروان ، وتخرج على القائم بالدسكره دسكره الملك . ثم قال لى: كيف مالح دير بين ماكى مالح ، يعنى عند قريتك وهو بالنبطيه ، وذاك أن يونس كان من قريه دير بين ما . يقال: الدسكره

التي عند دير بين ما). انتهى . ولعله سقط من هذا الحديث وصفهم بأنهم آخر خارجه . ودسكره الملك من توابع النهروان قرب شهرابان ، من محافظه بعقوبه .

وفى الأنساب للسمعاني: ٢/٤٧٦: (يقال لها دسكره الملك ، وهى قريه كبيره تنزلها القوافل ، نزلت بها فى التوجه والانصراف وبت بها ليلتين) .

وفى معجم البلدان: ٢/٤٥٥: (والدسكره أيضاً: قريه فى طريق خراسان قريه من شهرابان ، وهى دسكره الملك ، كان هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك يكثر المقام بها فسميت بذلك) .

وفى معجم البلدان: ٥/٣٢٤: (نهروان: وأكثر ما يجرى على الألسنه بكسر النون ، وهى ثلاثه نهروانات: الأعلى والأوسط والأسفل ، وهى كوره واسعه بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى حدها الأعلى متصل ببغداد وفيها عده بلاد متوسطه، منها: إسكاف وجرجرايا والصابيه ودير قنى ، وغير ذلك ، وكان بها وقعه لأمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه مع الخوارج مشهوره ، وقد خرج منها جماعه من أهل العلم والأدب ، فمن كان من مدنها نسب إلى مدينه ومن كان من قراها الصغار نسب إلى الكوره ، وهو نهر مبتدؤه قرب تامرا أو حلوان ، فإنى لا أحققه ولم أر أحداً ذكره ، وهو الآن خراب ومدنه وقراه تلال يراها الناس بها والحيطان قائمه ، وكان سبب خرابه اختلاف السلاطين وقتال بعضهم بعضاً فى أيام السلجوقيه ، إذ كان كل من ملك لا يحتفل بالعماره إذ كان قصده أن يحوصل ويطير (يجمع الحاصل قبل أن يعزل)! وكان أيضاً فى ممر العساكر فجلا عنه أهله واستمر خرابه ، وقد استشأم الملوك أيضاً من تجديد حفر نهريه ، وزعموا أنه ما شرع فيه أحد إلا مات قبل تمامه ، وكان قد شرع فيه نهروان الخادم وغيره فمات وبقى على حاله ، وكان من أجمل نواحي بغداد وأكثرها دخلاً ، وأحسنها منظراً ، وأبهاها مخبراً).

وفى معجم البلدان: ١/١٨١: (كان قد انسد نهر النهروان واشتغل الملوک عن إصلاحه وحفره باختلافهم ، وتطرقها عساكرهم ، فخربت الكوره بأجمعها) !!

أقول: إن الله تعالى أسراراً كثيرة فى أحداث الماضى وأماكنها ، وأحداث المستقبل وأماكنها ، نعرف أصل وجود الحكمة والسر ولا نعرف تفصيلها ، ويبدو منها أن هناك دوره فى التاريخ كدوره تأسيس القدس وإعاده الكعبه الشريفه على يد إبراهيم(عليه السلام)، مقدمه لبعثه نبينا(صلى الله عليه وآله وسلم) ، ودوره عوده العراق بعد نوح وإبراهيم(عليهما السلام)الى عاصمه الإسلام على يد على(عليه السلام) ، ثم الوعد الإلهى بأن يكون العراق

عاصمه العالم على يد الإمام المهدي(عليه السلام) ، وأن يكون يخر الخوارج عليه فى نفس المكان الذى كان الخوارج على على(عليه السلام)!

هذا ، وتوجد روايه أخرى تذكر أن آخر خارجه على الإمام المهدي(عليه السلام) تكون فى الكوفه ، ففى تفسير العياشى: ٢/٥٦ ، عن عبد الأعلى الحلبي ، عن الإمام الباقر(عليه السلام)من حديث طويل: (والله لكأنى أنظر إليه وقد أسند ظهره إلى الحجر ، ثم ينشد الله حقه ثم يقول: يا أيها الناس من يحاجنى فى الله فأنا أولى الناس بالله ومن يحاجنى فى آدم فأنا أولى الناس بآدم ، يا أيها الناس من يحاجنى فى نوح فأنا أولى الناس بنوح ، يا أيها الناس من يحاجنى فى إبراهيم فأنا أولى بإبراهيم ، يا أيها الناس من يحاجنى فى موسى فأنا أولى الناس بموسى ، يا أيها الناس من يحاجنى فى عيسى فأنا أولى الناس بعيسى ، يا أيها الناس من يحاجنى فى محمد فأنا أولى الناس بمحمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ، يا أيها الناس من يحاجنى فى كتاب الله فأنا أولى بكتاب الله ، ثم ينتهى إلى المقام.... قال أبو جعفر(عليه السلام): يقاتلون والله حتى يوحد الله ولا يشرك به شيئاً ، وحتى تخرج العجوز الضعيفه من المشرق تريد المغرب ولا ينهاها أحد ، ويخرج الله من الأرض بذرها ، وينزل من السماء قطرها....

فينا صاحب هذا الأمر قد حكم ببعض الأحكام وتكلم ببعض السنن ، إذ خرجت خارجه من المسجد يريدون الخروج عليه ، فيقول لأصحابه: انطلقوا فتلحقوا بهم في التمارين فيأتونه بهم أسرى ليأمر بهم فيذبحون ، وهي آخر خارجه تخرج على قائم آل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) . انتهى .

ويمكن أن يكون خوارج مسجد الكوفة جزء من خوارج دسكروه بعقوبه ، فيقبض عليهم قبل أن يصلوا اليهم . وتوجد احتمالات أخرى، لامجال لذكرها .

أما أول خارجه على الإمام المهدي(عليه السلام)في العراق فهم البتريه الذين يزعمون أنهم يتولون أهل البيت(عليهم السلام)وظالمهم ! ففي دلائل الإمامه ص ٢٤١ ، عن أبي الجارود أنه سأل الإمام الباقر(عليه السلام): (متى يقوم قائمكم؟ قال: يا أبا الجارود لا تدريكون . فقلت: أهل زمانه؟ فقال: ولن تدريك أهل زمانه ، يقوم قائمنا بالحق بعد إياس من الشيعة يدعو الناس ثلاثاً فلا يجيبه أحد ، فإذا كان اليوم الرابع تعلق بأستار الكعبه ، فقال: يا رب انصرنى ، ودعوته لا تسقط ، فيقول تبارك وتعالى للملائكه الذين نصروا رسول الله يوم بدر ولم يحطوا سروجهم ولم يضعوا أسلحتهم ، فيبايعونه ، ثم يبايعه من الناس ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ! يسير إلى المدينه فيسير الناس.... ويسير إلى الكوفه فيخرج منها ستة عشر ألفاً من البتريه شاكين فى السلاح ، قراء القرآن فقهاء فى الدين ، قد قرحوا جباههم وسمروا ساماتهم وعمهم النفاق ، وكلهم يقولون: يابن فاطمه إرجع لاحاجه لنا فيك ، فيضع السيف فيهم على ظهر النجف عشيه الإثنين من العصر إلى العشاء ، فيقتلهم أسرع من جزر جزور ، فلا يفوت منهم رجل ولا يصاب من أصحابه أحد ! دماؤهم قربان إلى الله !

ثم يدخل الكوفه فيقتل مقاتليها حتى يرضى الله تعالى . قال: فلم أعقل المعنى فمكثت قليلاً ثم قلت: جعلت فداك وما يدريه جعلت فداك متى يرضى الله عز

وجل؟ قال: يا أبا الجارود إن الله أوحى إلى أم موسى وهو خير من أم موسى ، وأوحى الله إلى النحل وهو خير من النحل ، فعقلت المذهب؟ فقال لى: أعقلت المذهب؟ قلت: نعم . فقال: إن القائم ليملك ثلاثمائة وتسع سنين كما لبث أصحاب الكهف فى كهفهم ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ويفتح الله عليه شرق الأرض وغربها). انتهى .

لا تقاتلوا الخوارج بعدى !

نلاحظ فى موقف أمير المؤمنين (عليه السّلام) من الخوارج أنه نهى عن قتالهم بعده لأن غيرهم ممن سيحكم الأمه بعده أحق بالقتال منهم ، حتى يظهر المهدي (عليه السّلام)!

ففى نهج البلاغه: ١/١٠٧: (ولما قتل الخوارج فقيلاً له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم . قال (عليه السّلام): كلا والله إنهم نُظفُ فى أصلاب الرجال وقرارات النساء ! كلّمًا نَجَمَ منهم قرنٌ قُطع ، حتى يكون آخرهم لصوصاً سلايين) !

وقال (عليه السّلام): لا تقاتلوا الخوارج بعدى ، فليس من طلب الحق فأخطأه ، كمن طلب الباطل فأدركه . يعنى معاويه وأصحابه).

وفى تهذيب الأحكام للطوسى (رحمه الله): ٦/١٤٤، عن الإمام الصادق عن آبائه (عليهم السّلام) قال: (لما فرغ أمير المؤمنين (عليه السّلام) من أهل النهروان قال: لا يقاتلهم بعدى إلا من هم أولى بالحق منه). انتهى .

الفصل التاسع: تراجع الأمم عن مشروع إعادة العهد النبوي

إشاره

ص: ٣٨٣

تعبت الأمة من العمل مع عليؑ لإعاده العهد النبوي !

فى السنه التاسعه والثلاثين للهجره كان على (عليه السلام) قد ذرّف على الستين من عمره الشريف ، وأمضى أكثر من نصف قرن فى الجهاد منذ بعثه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)!

والذى يقرأ الخط البيانى لشخصيته (عليه السلام) يتعجب من عظمه هذه النفس الكبيره وثبات حيويتها فى جميع فصول حياته الحافله بالتغيرات !

إن علياً (عليه السلام) إنسان من نوع آخر ، لا يتعامل مع الأشياء من أفق حاجاته ، ولا من أفق الأرض وحطامها ! بل من أفقه الشامل للدنيا والآخرة ، المشرف على الدنيا من أعلى ! رأيت كيف كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكبر من الدنيا ، فكذلك على (عليه السلام)؟!!

لهذا لا فرق فى حيويه عليّ وزخمه الفكرى والروحى والعملى ، وهو محاصر فى شعب أبى طالب يحرس النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) و آله وسلم ليل نهار من شياطين قريش.. وحيوته وهو يقطف النصر للإسلام فى بدر وأحد وخيبر وحنين، ويهزم قريشاً ويهود وهوازن!

ولا فرق فى حالته وقد هاجمت قريش بيته وأجبرته على بيعه صاحبها ! وحالته وقد جاءته الأمة بعد مقتل عثمان معتذره اليه ، راجية أن يقبل خلافتها !

ولا فرق بين عليّ الذى تحزبت عليه قريش وأشعلت الحرب لإسقاط نظامه ، فلم يستطع أن يجند فى حرب الجمل إلا اثنى عشر ألفاً ، مقابل مئه وعشرين ألف مقاتل مجهز مع طلحه والزبير وعائشه.. وبين عليّ الذى اكتسح فى اليوم السابع لحرب الجمل جيش عائشه فى موجات متتاليه قاد فيها مجموعه فرسان

اختارهم من أصحابه ، يشقُّ أمامهم صفوف مئة وعشرين ألفاً فيضرب بسيفه قدماً ويميناً وشمالاً يجدلُّ الأبطال ويبرى بسيفه الرماح ! حتى ولَّوا فراراً وصاح الباكون منهم: (آمنا يا ابن أبي طالب) ! فكفَّ عنهم وأعطاهم الأمان على دمائهم وأموالهم ، وما بقي من كرامتهم !

وكما تجد أفق علي (عليه السَّلام) وحيويته على السواء في حالتى خوفه وأمنه، كذلك تراه في فقره وغناه ! فعلىَّ الذى كان يجوع فى شعب مكه فلا يجد القرص ، ويضطر فى المدينة لاقتراض صاع شعير من يهودى ليطعم زوجته وأولاده.. هو علىَّ الذى صار يملك بساتين واسعته عديده فى المدينة وذى الحليفه وينبع ، استبنت عيونها المتدفقه بعلمه ومعوله ، وغرسها ورباها حتى اشتبكت أشجارها وأينعت ثمارها ، فأوقفها فى سبيل الله ، وأطعم أولاده منها كما يأكل الفقراء !

وهو نفسه الذى صار حاكماً لدوله متراميه الأطراف ، فكان يقول لعَمَّاله حكام الولايات: (ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدى به ويستضى بنور علمه . ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه... ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات أن يغلبنى هواى ، ويقودنى جشعى إلى تخير الأطمعه ، ولعل بالحجاز أو اليمامه من لا طمع له فى القرص ولا عهد له بالشعب . أوأبيت مبطاناً وحولى بطون غرثى وأكباد حرّى؟!).

العجب من عليّ الذى كان مشغولاً بمراسم دفن النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) فرأى يد طلقاء قريش تخطف دوله الإسلام ، ووجد نفسه معزولاً مهدداً بالقتل مع بقيه عتره النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ! كيف بقى نفسه علياً الذى آمن بالنبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) وعمل معه من صباه فكان عضده ووزيره فأرسى معه رسالته ، وبنى أمه ، وأسس دولته ، ووهب لها كل وجوده وإخلاصه ! فلم يتغير همُّه ولا همته بإقصائهم له ، ولا اهترَّ عالمه الذى

يقول (عليه السّلام): (فوالله ما كان يلقى فى روعى ولا- يخطر ببالى أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده عن أهل بيته ، ولا أنهم مُنْجُوهُ عنى من بعده ، فما راعنى إلا- انثيال الناس على فلان يبايعونه ، فأمسكت يدى حتى رأيت راجعه الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أوهدماً تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولا- يتكم ، التى إنما هى متاع أيام قلائل يزول منها ما كان ، كما يزول السراب ، أو كما يتفشع السحاب ، فنهضت فى تلك الأحداث ، حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأن الدين وتنهت). (نهج البلاغه: ٣/١١٨).

وفى السنه التاسعه والثلاثين للهجره بقى علىّ علياً ، فى سموه وقوته وحيويته ، رغم أنه كان يرى أمه النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) التى استجابت لمشروعه فى إعادة النبوى ، وخطت معه خطوات مهمه ، يراها ضعفت عن همته ، وأخلدت الى الأرض ، وتحولت بين يديه الى تراب ! وأبت أن تتحمل معه تعب سنه واحده ، فتزيح أصعب عقبه من طريقها ، وتجتث أخبث شجره حذرهما منها الله ورسوله (صلى الله عليه و آله وسلم) ، ولعنها الله فى قرآنه ، والرسول على منبره !

فمنذ رجع أمير المؤمنين (عليه السّلام) من صفين مجبراً ، ومنذ انكشفت للناس حيله معاويه فى التحكيم والتستر بالقرآن ، ما زال يخطب ويبين ، وينذر ويحذر ، ويفيض عن لسان أخيه رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) ، ويظهر للأمة مكنون علمه وآياته ، ويحثها على جهاد عدوها ، الذى أمرها نبيها بجهاده ، وأخبرها بأن أخوف ما يتخوفه عليها فتنه معاويه وبنى أميه ، الذين ستجتمع فيهم أخطار قريش واليهود والروم للقضاء على الإسلام ، وكل ذلك باسم الإسلام وخلافه نبيه (صلى الله عليه و آله وسلم) !

كانت الأولويه فى سياسه على (عليه السّلام) بعد حرب صفين ، أن يكشف للأمة خطر

معاويه ، ويوجه المسلمين الى المعركه الفاصله معه ، وقد واصل (عليه السلام) العمل لهذا الهدف فى عاصمه الخلافه ، وكتب الى عماله فى مناطق الدوله الإسلاميه .

ثم تحرك (عليه السلام) قبل حرب النهروان ، الى معسكر الكوفه بالنخيله ، وأمر الناس بالتحرك معه الى حرب معاويه ، فاستجاب له قليلٌ منهم ، وأرسل الى البصره وراسل الخوارج أن يوافوه الى النخيله للتوجه الى صفين ، فوافاه الأحنف بن قيس فى بضعه ألوف من البصره .

وعندما كان (عليه السلام) مُعَسِّباً فى النخيله ، توالى عليه أخبار الخوارج ، وطلب منه المسلمون أن يتوجه الى حربهم قبل معاويه ، فلم يقبل حتى وجب عليه ، بل كان يؤكد فى خطبه ورسائله على أن العدو الأساس لهم: بنو أميه .

ففى تاريخ الطبرى: ٤/٥٧: (فاتقوا الله وقاتلوا من حادَّ الله وحاول أن يطفى نور الله . قاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين المجرمين ، الذين ليسوا بقراء للقرآن ولا فقهاء فى الدين ، ولا علماء فى التأويل ، ولا لهذا الأمر بأهل فى سابقه الإسلام . والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل ! تيسروا وتهيؤا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب ، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصره ليقدموا عليكم ، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله ، ولا حول ولا قوه إلا بالله .) انتهى .

ثم زادت شكايات المسلمين من إفساد الخوارج ، واستحلالهم قتل كل من خالفهم حتى النساء والأطفال ، فطلبوا منه أن يتوجهوا الى حربهم قبل معاويه حتى لا يعيشوا فساداً فى البلاد فى غياب حمايتها ، فأرسل اليهم رسولاً فقتلوه ! عند ذلك توجه اليهم !

وبعد انتصاره على الخوارج حث المسلمين على مواصلة سيرهم من هناك الى صفين ، فتعللوا بأنهم يحتاجون الى فتره استراحه ! فرجع الى معسكر النخيله ، وأمرهم أن يقلوا المكث عند عوائلهم فى الكوفه ، ويعودوا الى المعسكر:

قال الطبري: ٤/٦٧: (عن أبي الدرداء قال: كان عليٌّ لما فرغ من أهل النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله قد أحسن بكم وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم . قالوا: يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا ، وكَلَّت سيوفنا ونصلت أسننه رماحنا ، وعاد أكثرها قصداً ، فارجع إلى مصرنا فلنستعد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عده من هلك منا ، فإنه أوفى لنا على عدونا ! وكان الذي تولى ذلك الكلام: الأشعث بن قيس !

فأقبل حتى نزل النخيله فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقلوا زياره نسائهم وأبنائهم ، حتى يسيروا إلى عدوهم ، فأقاموا فيه أياماً ثم تسللوا من معسكرهم ، فدخلوا إلا رجلاً من وجوه الناس قليلاً ، وتُرك العسكر خالياً ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة) ! انتهى .

وفى الغارات: ١/٢٨: (أقاموا بالنخيله مع علي أياماً ، ثم أخذوا يتسللون ويدخلون مصر ، فنزل وما معه من الناس إلا رجال من وجوههم قليل ، وتُرك المعسكر خالياً ، فلا من دخل الكوفة خرج إليه ، ولا من أقام معه صبر ! فلما رأى ذلك دخل الكوفة) ! . وقد ذكر المحذون مداولاته (عليه السلام) مع رؤساء القوم ، وخطبه العصماء وكلماته البليغه ، التي تشد همه المسلم والإنسان ، لو كانت بقيت فيهم مسكه ! ثم صعد لهجته معهم الى الشكوى المره ، والتوبيخ ، وإتمام الحجج ، كما يأتي .

مخزون الأمة النبوي نفذ.. ولم تستجب لعلی (عليه السلام) لتجديد شحنتها !

المتأمل في حياه الأمة الإسلاميه ، يرى أنها استسلمت بمجرد وفاه النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) بل في مرض وفاته الى زعماء قريش وجمهورهم الطلقاء ، الذين كانوا حشدوهم في المدينه ! فقد استخذى الأنصار عن نصره نبيهم عندما طلب من الأمة أن يلتزموا بتنفيذ عهده الذي يريد أن يكتبه لهم ، فمنعته قريش الطلقاء !

واستخذى الأنصار عن نصره عتره نبيهم (صلى الله عليه و آله وسلم)، وتراجعوا أمام نشاط عمر وحزبه ! وساعد على ذلك اشتداد الإختلاف بين الأوس والخزرج ، ومرض رئيس الخزرج القوي سعد بن عباده (رحمه الله).

وغايه ما فكر فيه الأنصار أن قريشاً مادامت قررت أن تصرف الخلافه عن أهل بيت نبيها، فلماذا لا يطالبون بها لأنفسهم فهم أحق بخلافه النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) من القرشيين الطلقاء الذين دخلوا في الإسلام بالأمس ، بسيوف الأنصار !

لكن خطه سهيل بن عمرو وأبى بكر وعمر كانت أقوى من خطتهم ، فعندما أغمض النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) عينيه كان عمر متقلداً سيفه يصيح لاتقولوا مات النبي ! ويقسم إنه لم يمت وإنه سيرجع ! وأنه سيقتل من يقول إنه مات ! وكان ينتظر مجئ أبى بكر فلما جاء دخل الى الحجره وكشف عن وجه النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) قال نعم إنه مات ! وغطى وجهه وقال لبني هاشم (دونكم صاحبكم) وخرج هو وعمر (يتعاديان) الى السقيفه ، ليصفق عمر على يده في مجلس سعد بن عباده المريض !

(ثم قام (أبو بكر) فقال: عندكم صاحبكم ، يغسلونه.. ثم خرج!) (مجمع الزوائد: ٥/١٨٢) (فانطلق أبو بكر وعمر يتعاديان حتى أتوهم في السقيفه). (سيره ابن كثير: ٤/٤٩٠). وغلب عمر وأبو بكر سعداً وابنه قيساً بأن النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) من قريش وهم أولى بسلطانه!

وصفق عمر على يد أبي بكر ، وصفق معه أبو عبيده بن الجراح القرشى واثان من الأوس أحضروهما لهذا الغرض ، فاعترض سعد فعنفوه وأرادوا قتله !

فالتتيجه: أن الأنصار استسلموا لجو الإرهاب القرشى ، وبايعوا أبا بكر !

واستمر خضوعهم لقريش طيله عهد أبي بكر وعمر وعثمان ، حتى طفح كيل عثمان ، فانضموا الى الناقلين عليه من الأمصار ، والمطالبين بخلافه على (عليه السلام) !

إن الأحداث التى جاءت بخلافه على (عليه السلام) كانت استثناء فى مسار الأمة الذى خضع للحزب القرشى الحاكم! وقد وظّف على (عليه السلام) هذا الإستثناء أحسن توظيف لإعاده العهد النبوى فى العدالة ، وتصحيح مسار الأمة .

لكن معاويه استطاع أن يحرك الشخصيات المنافقه التى ستخسر امتيازاتها بإعاده العهد النبوى ، وفى طليعتهم الأشعث بن قيس ، رئيس قبيله كنده اليمانيه ، وصاحب النفوذ على أكثر القبائل اليمانيه ! وقد خدم الأشعث معاويه خدمات كبيره ، وأوقع بعلى (عليه السلام) ومشروعه أضراراً بليغه ، فقد أجبر علياً (عليه السلام) على إيقاف حرب

صفين وهو قاب قوسين من النصر ! كما حرك الخوارج ضد على (عليه السلام) ، وخذّل الناس عن الإستجابه له لحرب صفين الثانيه ! ولذلك قال معاويه: (حاربت علياً بعد صفين بغير جيش ولا عناء) !!

قال البلاذرى فى أنساب الأشراف ص ٣٨٣: (قالوا وخطبهم بعد ذلك خطباً كثيره وناجاهم وناداهم فلم يربعوا إلى دعوته ، ولا التفتوا إلى شئ من قوله ! وكان يقول لهم كثيراً: إنه ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا- ذلوا . وقام أبو أيوب الأنصارى وذلك قبل توليه على إياه المدينه بيسير فقال: إن أمير المؤمنين قد أسمع من كانت له أذنان وقلب حفيظ ، إن الله قد أكرمكم به كرامه بينه فاقبلوها حق قبولها، إنه أنزل ابن عم نبيكم بين ظهرائكم يفقهكم ويرشدكم ، ويدعوكم إلى ما فيه الحظ لكم....).

ويضيف البلاذري: (إن معاوية لما بويع وبلغه قتال على أهل النهروان ، كاتب وجوه من معه مثل الأشعث بن قيس وغيره ، ووعدهم ومناهم وبذل لهم حتى مالوا إليه ، وتشاقلوا عن المسير مع علي ، كان يقول فلا- يلتفت إلى قوله ، ويدعو فلا يسمع لدعوته ! فكان معاوية يقول: لقد حاربت علياً بعد صفين بغير جيش ولا عناء أو قال: ولا اعتاد !

ثم وصف البلاذري استعدادات معاوية وإطاعه أهل الشام له فقال: (لما بلغ معاوية أن علياً يدعو الناس إلى غزوه وإعاده الحرب بينه وبينه ، هاله ذلك فخرج من دمشق معسكراً ، وبعث إلى نواحي الشام الصرخاء ينادون أن علياً قد أقبل إليكم ظالماً ناكثاً باغياً ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، فتجهزوا رحمكم الله للحرب بأحسن الجهاز ، وكتب إليهم كتباً قال فيها: إنا كنا كتبنا بيننا وبين علي كتاباً واشترطنا فيه شروطاً ، وحكمنا الرجلين ليحكمنا بحكم الكتاب علينا ، وإن حكمتي أثبتني وخلعه حكمتي ، وقد أقبل إليكم ظالماً ناكثاً باغياً ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، فتجهزوا رحمكم الله للحرب بأحسن الجهاز ، واستعدوا لها بأكمل العدة ، وانفروا خفافاً وثقالاً ! فاجتمعوا له من كل أوب ، وأرادوا المصير إلى صفين ثانية ، حتى بلغهم اختلاف أصحاب علي ، وكتب إليه بذلك عماره بن عقبه ، فعسكر ينتظر ما يكون ، إلى أن جاءه خبر مقتله (عليه السلام)).

غزو الجيش الأموي لمصر وشهادة محمد بن أبي بكر (رحمه الله)

كان أهل مصر من أشد الثائرين على عثمان لتسليطه بنى أميه عليهم ، وقد شارك منهم ست مئه مقاتل في محاصره عثمان وقتله

وعندما أرسل أمير المؤمنين (عليه السلام) قيس بن سعد بن عباده حاكماً على مصر ، لم يخضع لحكمه أنصار عثمان ، كما لم يستطيعوا مقاومته ، فاعتزلوا في قريه عند الإسكندريه ، وشكلوا قاعده لبنى أميه ، فساندهم معاويه !

وبعد صفين أخذ معاويه يدبر مع ابن العاص لانقلاب في مصر ، أو لغزوها .

قال الطبري: ٣/٤٦٢: (ولما دخلت سنه ٣٦ فزق عليّ عماله..... على الأمصار فبعث عثمان بن حنيف على البصره ، وعماره بن شهاب على الكوفه وكانت له هجره ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد على مصر ، وسهل بن حنيف على الشام . فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا: من أنت؟ قال: أمير. قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام قالوا: إن كان عثمان بعثك فحيهلاً بك ، وإن كان بعثك غيره فارجع . قال: أو ما سمعتم بالذي كان؟ قالوا: بلى ! فرجع إلى علي .

وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى إلى أيله لقيته خيل فقالوا: من أنت؟ قال: من فل عثمان ، فأنا أطلب من آوى إليه وانتصر به ! قالوا: من أنت؟ قال قيس بن سعد ! قالوا: إمض فمضى حتى دخل مصر ، فافترق أهل مصر فرقاً ، فرقه دخلت في الجماعه وكانوا معه ، وفرقه وقفت واعتزلت إلى خربتا ، وقالوا إن قتل قتله عثمان فنحن معكم ، وإلا فنحن على جديلتنا ، حتى نُحرك أو نُصيب حاجتنا . وفرقه قالوا نحن مع علي ما لم يُقَدِّ إخواننا ، وهم في ذلك مع الجماعه ، وكتب قيس إلى أمير المؤمنين بذلك . انتهى

ومعنى قول قيس (رحمه الله): (من فلَّ عثمان) أى من فلول الخليفة الهاربيى بعد قتله جاؤوا يطلبون ملجأ فى مصر! قال ذلك ليتخلص من تلك الحاميه التى كانت مواليه لعثمان! فلما دخل الى مصر أظهر أمره ، كما ذكر ابن خلدون وغيره .

ومعنى قولهم (المالم يُقَدُّ إخواننا) ، أى نحن مع على مالم يقتص من المصريين الذين شاركوا فى حصار عثمان وقتله .

وقد نشطت المجموعه العثمانيه فى مصر ، وكانوا بقياده مسلمه بن مخلد ، ومعاويه بن حديج ، وبسر بن أرطاه ، وسيطروا على قريه خَرْبُثَا ، وراسل معاويه قيس بن سعد ، واستطاع أن يسكته عنهم ، فكانوا دوله داخل الدوله ، فأرسل أمير المؤمنين (عليه السَّلام) الى سعد أن يعرض عليهم الدخول فى الطاعه أو يناجزهم فلم يفعل قيس !

أمام ذلك بعث أمير المؤمنين (عليه السَّلام) محمد بن أبى بكر حاكماً على مصر فتسلم ولايتها من قيس وأخذ يعالج وضعها ، وكان جماعه معاويه وصلوا الى عشره آلاف مقاتل !

وتسارعت الأحداث فى مصر ضد محمد بن أبى بكر (رحمه الله) وخاض صراعاً سياسياً مع جماعه معاويه ، ثم خاض معهم مواجهات عسكريه .

ومع تفاقم الخطر على محمد ، بادر أمير المؤمنين (عليه السَّلام) الى إرسال شخصيه قويه فى الإيداره والحرب ، هو مالك الأشر (رحمه الله) ، لكن معاويه وعمراً دَبَّرا له السم عند مشارف القاهره ، فاستشهد (رحمه الله) قبل أن يتسلم عمله من محمد بن أبى بكر .

وقام معاويه بإرسال جيش الى مصر بقياده عمرو بن العاص ، للسيطره عليها وجعلها طُعمَةً لابن العاص كل حياته ، كما كان شرط له !

قال اليعقوبى فى تاريخه: ٢/١٩٣: (ووجه معاويه بن أبى سفيان عمرو بن العاص على مصر على شرط له ، فقديمها سنه ٣٨ ، ومعه جيش عظيم من أهل الشام ،

فكان على أهل دمشق يزيد بن أسد البجلي ، وعلى أهل فلسطين شمير الخثعمي وعلى أهل الأردن أبو الأعور السلمى ، ومعاوية بن حديج الكندى على الخارجة فلقبهم محمد بن أبي بكر بموضع يقال له المسنّاه ، فحاربهم محاربه شديده ، وكان عمرو يقول: ما رأيت مثل يوم المسنّاه ، وقد كان محمد استندم إلى اليمانيه فمايل عمرو بن العاص اليمانيه ، فخلفوا محمد بن أبي بكر وحده ! فجالد ساعه ثم مضى فدخل منزل قوم خرابه ، واتبعه ابن حديج الكندى فأخذه وقتله ، وأدخله جيفه حمار ، وحرقه بالنار فى زقاق يعرف بزقاق الحوف .

وبلغ علياً ضعف محمد بن أبي بكر وممالأه اليمانيه معاويه وعمرو بن العاص فقال: ما أتى محمد من حرص ! انتهى . ومعناه لم تكن غلبه أعدائه عليه من ضعف فى دينه أو عقله أو بدنه ، ولكنها المقادير .

وفى الغارات: ١/٢٨٥: (فلما بلغ ذلك عائشه أم المؤمنين جزعت عليه جزعاً شديداً ، وقتت فى دبر كل صلاه تدعو على معاويه بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاويه بن حديج ، وقبضت عيال محمد أخيها وولده إليها ، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر فى عيالها... عن أبي إسحاق: أن أسماء بنت عميس لما أتتها نعي محمد بن أبي بكر وما صنع به ، كظمت حزنها وقامت إلى مسجدها حتى تشخبت دماً). انتهى . وفى روايه تشخب ثديها دماً ، وقد يفسر ذلك إن صحت الروايه بارتفاع ضغط الجسم من الحزن !

أما (أم المؤمنين) أم حبيب بنت أبي سفيان فزادت حقداً على أخيها معاويه وابتكرت أسلوباً لثيماً فى الشماته بعائشه لمقتل محمد بن أبي بكر التيمى !

ففى الغارات للثقفى: ٢/٧٥٧: (لما قتل ووصل خبره إلى المدينه مع مولاه سالم ومعه قميصه ، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء! فأمرت أم حبيب بنت أبي سفيان زوج النبى (صلّى الله عليه و آله وسلّم) بكبش فشوى وبعثت به إلى عائشه وقالت: هكذا قد شوى أخوك ! فلم تأكل عائشه بعد ذلك شواء حتى ماتت)!! (والحيوان للدميرى: ١/٤٠٤).

وفى الغارات: ١/٢٨٧: (حلفت عائشه لا تأكل شواء أبداً ، فما أكلت شواء بعد مقتل محمد (سنه ٣٨) حتى لحقت بالله (سنه ٥٧) ! وما عثرت قط إلا قالت: تعس معاويه بن أبى

سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج). (ونحوه أنساب الأشراف ص ٤٠٣).

لكن مع ذلك لم تقم عائشه بالتحريض على معاوية كما فعلت مع عثمان !

ففى سير الذهبى: ٢/١٨٦: (إن معاوية لما حج ، قدم فدخل على عائشه ، فلم يشهد كلامها إلا- ذكوان مولى عائشه ، فقالت لمعاوية: أأمنت أن أخبئ لك رجلاً يقتلك بأخى محمد؟ قال: صدقت ! وفى روايه أخرى قال لها: ما كنت لتفعلين).

وفى الإستيعاب: ١/٢٣٨: (قالت له: يا معاوية أأمنت أن أخبئ لك من يقتلك بأخى محمد بن أبى بكر؟ فقال: بيت الأمان دخلت ! قالت: يا معاوية أما خشيت الله فى قتل حجر وأصحابه ؟ قال إنما قتلهم من شهد عليهم) ! (ونحوه فى الطبرى: ٤/٢٠٥).

وفى شرح الأخبار: ٢/١٧١: (أما خفت أن أقعد لك رجلاً من المسلمين يقتلك ؟ فقال لها معاوية: لا أخاف ذلك لأنى فى دار أمان ، لكن كيف أنا فى حوائجك؟! قالت: صالح . قال: فدعيني وإياهم حتى نلتقى عند الله) . انتهى .

والصحيح أن معاوية لا يخاف منها لأنه أرضاها بالمال فجعلها تقول عنه (صالح) ولأن معه جيشه من الشام ، بل عليها هى أن تحذر منه على نفسها ، فقد كان قتلها على يده ، كما ستعرف !

وفى كتاب الشيعة فى مصر لصالح الوردانى ص ١٠٩: (قال صاحب النجوم الزاهره: أعدم محمد بن أبى بكر حرقاً فى جيفه حمار ميت ، بعد أن وقع فى أسر جند معاوية عام ٣٧ هـ . وقيل إنه قطعت رأسه وأرسلت الى معاوية بدمشق

وطيف به وهو أول رأس طيف به في الإسلام ! ويقع مرقده في بلدة ميت دميس التابعه للمنصوره ، وهناك قبر ناحيه الفسطاط يقال له محمد الصغير ، والعامه يعتقدون أنه محمد بن أبي بكر ، إلا أن الراجح أن مرقده ناحيه المنصوره . انتهى .

ص: ٣٩٧

بدأ معاويه بعد صفين بتطبيق سياسه الغارات على أطراف العراق والحجاز واليمن ، فكان يرسل جيشاً صغيراً من ألف مقاتل أو أكثر ، ويأمرهم بقتل كل من صادفوه من أتباع علي (عليه السلام) ، وسلب كل ما وصلت إليه أيديهم !

وتزايدت غارات معاويه في سنة ٣٨ ، بعد حيله الحكمين ، وبعد أن أخذ لنفسه البيعه بالخلافه من أهل الشام . ثم اشتدت سنة ٣٩ ، بعد أن استولى على مصر ، وبعد تزايد نشاط عملائه في تخذيل المسلمين في العراق عن الحرب !

وكان القتل والنهب والتخريب أهدافاً مقصوده من هذه الغارات ، يؤكد عليها معاويه لقادتها ! وقد حققت أهدافها في إرعاب الناس من معاويه !

وكان الأسوأ وقعاً فيها تخاذل المسلمين عن مقاومتها ، إلا قليلاً ! وأمير المؤمنين (عليه السلام) يحثهم ويتحرق ألماً من تخاذلهم !

وقد فصل المحدثون والمؤرخون ذلك ، وكتب المؤرخ الثقفى كتابه (الغارات) في الأصل للتأريخ لها ، ونكتفى هنا بذكر نماذج منها :

(١) غاره الضحاك بن قيس على السماوه والتعليه

في الغارات للثقفى: ٢/٤٢١: (دعا معاويه الضحاك بن قيس الفهرى وقال له: سر حتى تمر بناحيه الكوفه وترتفع عنها ما استطعت ، فمن وجدته من الأعراب في طاعه على فأغر عليه ، وإن وجدت له مسلحه أو خيلاً فأغر عليها ، وإذا أصبحت في بلده فأمس في أخرى ، ولا تقيمنَّ لخيلى بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها ، فسرجه فيما بين ثلاثه آلاف إلى أربعه آلاف ، جريده خيل (بدون جمال).

قال: فأقبل الضحاك يأخذ الأموال ويقتل من لقي من الأعراب ، حتى مر بالثعلبية فأغار خيله على الحاج فأخذ أمتعتهم ، ثم أقبل فلقى عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي ، هو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقتله فى طريق الحاج عند القطقطانه ، وقتل معه ناساً من أصحابه !

قال أبو روق: فحدثني أبي أنه سمع علياً (عليه السلام) وقد خرج إلى الناس وهو يقول على المنبر: يا أهل الكوفة أخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس وإلى جيوش لكم قد أصيب منها طرف، أخرجوا فقاتلوا عدوكم وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين. قال: فردوا عليه رداً ضعيفاً ورأى منهم عجزاً وفشلاً ، فقال: والله لو ددت أن لى بكل مائه منكم رجلاً منهم ، ويحكم أخرجوا معى ثم فروا عنى إن بدا لكم ! فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتى وبصيرتى ، وفى ذلك رؤخ لى عظيم وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ماتدارى البكار العَمَده (الناقه المجروح سنامها) والثياب المتهتره ، كلما خيبت من جانب تُهتكت على صاحبها من جانب آخر !!

ثم نزل فخرج يمشى حتى بلغ الغريين ، ثم دعا حجر بن عدى الكندى من خيله فعقدله ثم رايه على أربعة آلاف ثم سرحه ، فخرج حتى مر بالسماوه وهى أرض كلب ، فلقى بها امرؤ القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبى ، أصهار الحسين بن على بن أبى طالب (عليهما السلام) ، فكانوا أدلاءه على طريقه وعلى المياه ، فلم يزل مغدأ فى أثر الضحاك حتى لقيه بناحيه تدمر ، فواقفه فاقتتلوا ساعه فقتل من أصحاب الضحاك تسعه عشر رجلاً ، وقتل من أصحاب حجر رجلان ، عبد الرحمن وعبد الله الغامدى ، وحجز الليل بينهم فمضى الضحاك فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً. (أيضاً: تاريخ الطبرى: ٤/١٠٣)

وفى الغارات: ٢/٤٥٠: (فأقبل النعمان بن بشير فى ألف رجل حتى أغار على العين (عين التمر) ، فاستعان مالك بن كعب مخنف بن سليم ، وكان معه ناس كثير كانوا متفرقين . قال عبد الله بن مخنف: فندب معى أبى مخنف خمسين رجلاً ولم يوافه يومئذ غيرهم ، فبعثنى عليهم فانتهيت إلى مالك بن كعب وهو فى مائه والنعمان وأصحابه قاهرون لمالك ، فانتهينا إليه مع الماء فلما رأونى ظنوا أن ورائى جيشاً فانحازوا ، فالتقىناهم فقاتلناهم وحجز الليل بيننا وبينهم وهم يظنون أن لنا مدداً فانصرفوا ، فقتل من أصحاب مالك بن كعب عبد الرحمن بن حرم الغامدى ، وضرب مسلم بن عمرو الأزدى على قمته فكسر ، وانصرف النعمان . فبلغ الخبر علياً فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة ، المنسر من مناسر أهل الشام إذا أظل عليكم أغلقتم أبوابكم وانجحرتم فى بيوتكم انجحار الضبى فى جحرها ، والضبع فى وجارها ! الذليل من نصرتموه ، ومن رمى بكم رمى بأفوق ناصل ، أف لكم لقد لقيت منكم ترحاً ، ويحكم يوماً أناجيكم ويوماً أناديكم ، فلا أجا ب عند النداء ، ولا إخوان صدق عند اللقاء ، أنا والله منيت بكم ، صمّ لا تسمعون ، بكم لا تنطقون ، عمى لا تبصرون ! فالحمد لله رب العالمين ! ويحكم أخرجوا الى أخيكم مالك بن كعب فإن النعمان بن بشير قد نزل به فى جمع من أهل الشام ليس بالكثير ، فانفضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الظالمين طرفاً ، ثم نزل . فلم يخرجوا ! فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم فأمرهم أن ينفضوا ويحثوا الناس على المسير ، فلم يصنعوا شيئاً !.....

لما دخل على (عليه السلام) منزله قام عدى بن حاتم فقال: هذا والله الخذلان القبيح ، هذا والله الخذلان غير الجميل ، ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين ! ثم دخل على أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين إن معى ألف رجل

من طئ لا- يعصوننى ، فإن شئت أن أسير بهم سرت ؟ قال: ما كنت لأعرض قبيله واحده من قبائل العرب للناس ، ولكن أخرج إلى النخيله فعسكر بهم ، فخرج فعسكر وفرض على (عليه السلام) سبعمائه لكل رجل ، فاجتمع إليه ألف فارس عدا طئياً أصحاب عدى بن حاتم ، فسار بهم على شاطئ الفرات فأغار في أدانى الشام ، ثم أقبل . (أيضاً تاريخ الطبرى: ٤/١٠٢ واليعقوبى: ٢/١٩٥).

(٣) غاره ابن مسعده التى لم تصل الى المدينه ومكه

تاريخ اليعقوبى: ٢/١٩٦: (وبعث معاويه عبد الله بن مسعده بن حذيفه بن بدر الفزارى فى جريده خيل وأمره أن يقصد المدينه ومكه، فسار فى ألف وسبعمائه فلما أتى علياً الخبر وجه المسيب بن نجبه الفزارى ، فقال له: يا مسيب إنك ممن أثق بصلاحه وبأسه ونصيحته ، فتوجه إلى هؤلاء القوم وأثر فيهم ، وإن كانوا قومك . فقال له المسيب: يا أمير المؤمنين إن من سعادتى أن كنت من ثقاتك ، فخرج فى ألفى رجل من همدان وطئ وغيرهم وأخذ السير ، وقدم مقدمته فلقوا عبد الله بن مسعده فقاتلوه ، فلحقهم المسيب فقاتلهم حتى أمكنه أخذ بن مسعده فجعل يتحاماه ، وانهزم ابن مسعده فتحصن بتيماء وأحاط المسيب بالحصن ، فحصر ابن مسعده وأصحابه ثلاثاً فناداه: يا مسيب ! إنما نحن قومك فليمسكك الرحم ، فخلى لابن مسعده وأصحابه الطريق ونجا من الحصن ! فلما جنهم الليل خرجوا من تحت ليلتهم حتى لحقوا بالشام ، وصبح المسيب الحصن فلم يجد أحداً . فقال عبد الرحمن بن شبيب: داهنت والله يا مسيب فى أمرهم ، وغششت أمير المؤمنين ، وقدم على على فقال له على: يا مسيب كنت من نصاحى ثم فعلت ما فعلت ! فحبسه أياماً ثم أطلقه وولاه قبض الصدقه بالكوفه . انتهى . (أيضاً: تاريخ الطبرى: ٤/١٠٣).

(٤) غاره بسر بن أرطاه على المدينة ومكة واليمن

وهي أشرس غارات معاويه وأكثرها فتكاً وتخريباً ونهباً وحرقاً وتقتيلاً ، فقد بلغ قتلاها ثلاثون ألفاً ! قال اليعقوبي: ٢/١٩٧: (ووجه معاويه بسر بن أبي أرطاه ، وقيل ابن أرطاه ، العامري من بني عامر بن لؤى ، فى ثلاثه آلاف رجل ، فقال له: سر حتى تمر بالمدينه فاطرد أهلها ، وأخف من مررت به ، وانهب مال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن دخل فى طاعتنا ، وأوهم أهل المدينه أنك تريد أنفسهم ، وأنه لبراءه لهم عندك ولا عذر ، وسر حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد ، وأرهب الناس فيما بين مكة والمدينه ، واجعلهم شرادات ، ثم امض حتى تأتى صنعاء ، فإن لنا بها شيعه ، وقد جاءنى كتابهم .

فخرج بسر ، فجعل لا يمر بحى من أحياء العرب إلا فعل ما أمره معاويه ، حتى قدم المدينه ، وعليها أبو أيوب الأنصارى فتنحى عن المدينه ، ودخل بسر فصعد المنبر ثم قال: يا أهل المدينه ! مثل السوء لكم ، قَرْيَهُ كَانَتْ آمِنَهُ مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ، ألا وإن الله قد أوقع بكم هذا المثل وجعلكم أهله ، شأهت الوجوه . ثم ما زال يشتمهم حتى نزل ! قال: فانطلق جابر بن عبد الله الأنصارى إلى أم سلمه زوج النبى (صلّى الله عليه وآله وسلم) فقال: إنى قد خشيت أن أقتل وهذه بيعه ضلال ! قالت: إذا فبايع ، فإن التقيه حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلْب ، ويحضرون الأعياد مع قومهم .

وهدم بسر دوراً بالمدينه ، ثم مضى حتى أتى مكة ، ثم مضى حتى أتى اليمن ، وكان على اليمن عبيد الله بن عباس عامل على .

وبلغ علياً الخبر ، فقام خطيباً فقال: أيها الناس إن أول نقصكم ذهاب أولى النهى

والرأى منكم الذين يحدثون فيصدقون ويقولون فيفعلون ، وإنى قد دعوتكم عوداً وبدأ ، وسراً وجهراً ، وليلاً ونهاراً ، فما يزيدكم دعائي إلا- فراراً ، ما ينفعكم الموعظه ولا- الدعاء إلى الهدى والحكمه ، أما والله إنى لعالم بما يصلحكم ، ولكن فى ذلك فسادى ، أمهلونى قليلاً ، فوالله لقد جاءكم من يحزنكم ويعذبكم ويعذبه الله بكم ، إن من ذل الإسلام وهلاك الدين أن ابن أبى سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجيئون ، وأدعوكم وأنتم لاتصلحون فتراعون ! هذا بسر قد صار إلى اليمن وقبلها إلى مکه والمدينه ! فقام جاريه بن قدامه السعدى فقال: يا أمير المؤمنين ! لا عدمننا الله قريبك ، ولا أرانا فراقك ، فنعلم الأدب أدبک ، ونعم الإمام والله أنت ، أنا لهؤلاء القوم فسرحنى إليهم! قال: تجهز فإنک ما علمتک رجل فى الشده والرشاء ، المبارك الميمون النقيبه، ثم قام وهب بن مسعود الخثعمى فقال: أنا أنتدب يا أمير المؤمنين. قال: إنتدب بارک الله عليك . فخرج جاريه فى ألفين ووهب ابن مسعود فى ألفين وأمرهما على أن يطلببا بسرّاً حيث كان حتى يلحقاه ، فإذا اجتمعوا فرأس الناس جاريه ، فخرج جاريه من البصره ووهب من الكوفه حتى التقيا بأرض الحجاز ، ونفذ بسر من الطائف حتى قدم اليمن وقد تنحى عبيد الله بن عباس عن اليمن ، واستخلف بها عبد الله بن عبد المدان الحارثى ، فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه مالک بن عبد الله ، وقد كان عبيد الله خلف ابنه عبد الرحمن وقتم عند جويريه ابنه قارظ الكنانيه وهى أمهما ، وخلف معها رجلاً من كنانه ، فلما انتهى بسر إليها دعا ابنه عبيد الله ليقتلها ، فقام الكنانى فانتضى سيفه وقال: والله لأقتلن دونهما فألقى عذراً لى عند الله والناس فضارب بسيفه حتى قتل !

وخرجت نسوه من بنى كنانه فقلن: يا بسر ! هذا ، الرجال يقتلون فما بال الولدان؟! والله ما كانت الجاهليه تقتلهم ، والله إن سلطاناً لا يشتد إلا بقتل الصبيان ورفع الرحمه لسلطان سوء ! فقال بسر: والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف !

وقدم الطفلين فذبجهما(بيده بخنجر)! فقالت أمهما تريهما:

ها من أحس بنبي اللذين هما

سمعى وقلبي فقلبي اليوم مختطف

ها من أحس بنبي اللذين هما

مخ العظام فمخى اليوم مزدهف

ها من أحس بنبي اللذين هما

كالدرتين تشظى عنهما الصدف

نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا

من قولهم ومن الإفك الذى اقترفوا

أنحى على ودجى ابني مرهفة

مشحوده وكذاك الأمر مقترف

من دل والهه حرى وثاكلة

على صبيين ضلا إذ غدا السلف

ثم جمع بسر أهل نجران فقال: يا إخوان النصارى! أما والذى لا إله غيره لئن بلغنى عنكم أمر أكرهه لأكثرن قتلاكم . ثم سار نحو جيشان ، وهم شيعه لعلى ، فقاتلهم فهزمهم وقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، ثم رجع إلى صنعاء .

وسار جاريه بن قدامه السعدى حتى أتى نجران وطلب بسراً ، فهرب منه فى الأرض ولم يقم له ، وقتل من أصحابه خلقاً ، وأتبعهم بقتل وأسر حتى بلغ مكه ، ومر بسر حتى دخل الحجاز لا يلوى على شئ ، فأخذ جاريه بن قدامه أهل مكه بالبيعه ، فقالوا: قد هلك على فلمن نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب على بعده....

حدثنى أبو خالد الوالى قال: قرأت عهد على لجاريه بن قدامه:

أوصيك يا جاريه بتقوى الله ، فإنها جموع الخير ، وسر على عون الله ، فائق عدوك الذى وجهتك له ، ولا تقا تل إلا من قاتلك ، ولا- تجهز على جريح ، ولا- تسخرن دابه وإن مشيت ومشى أصحابك ! ولا تستأثر على أهل المياه بمياهم ، ولا تشر بن إلا فضلهم عن طيب نفوسهم ، ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمه فتوجب على نفسك ما لعلك تؤدب غيرك عليه ، ولا تظلمن معاهداً

ولامعاهده ، واذكر الله ولا تفتر ليلاً ولا نهاراً ، واحملوا رجالتكم ، وتواسوا في ذات أيديكم ، وأجدد السير ، وأجل العدو من حيث كان ، واقتله مقبلاً وارده بغيظه صاغراً ، واسفك الدم في الحق واحقنه في الحق ،

ص: ٤٠٤

ومن تاب فاقبل توبته . وأخبارك في كل حين بكل حال، والصدق الصدق ، فلا رأى لكذوب . قال وحدث أبو الكنود أن جاريه مر في طلب بسر فما كان يلتفت إلى مدينه ولا يعرج على شئ حتى انتهى إلى اليمن ونجران ، فقتل من قتل . وهرب منه بسر ، وحرَّق تحريقاً فسمى محرَقاً). انتهى.

وذكر المؤرخون أن أبا هريره ساعد بسرّاً على ظلم أهل المدينه فنصبه والياً عليها من قبل معاويه ! ولما قدم جاريه بن قدامه (رحمه الله) هرب منه أبو هريره !

قال الطبرى فى تاريخه: ٤/١٠٧: (وهرب بسر وأصحابه منه واتبعهم حتى بلغ مكه فقال لهم جاريه: بايعونا ، فقالوا: قد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع؟ قال لمن بايع له أصحاب على ، فتثاقلوا ثم بايعوا . ثم سار حتى أتى المدينه وأبو هريره يصلى بهم فهرب منه ، فقال جاريه: والله لو أخذت أبا سنّور لضربت عنقه ، ثم قال لأهل المدينه: بايعوا الحسن بن على فبايعوه ، وأقام يومه ثم خرج منصرفاً إلى الكوفه ، وعاد أبو هريره فصلى بهم)!. انتهى . (ومثله فى النهايه لابن كثير: ٧/٣٥٧).

(٥) غاره سفيان بن عوف الغامدى على الأنبار

فى تاريخ الطبرى: ٤/١٠٣: (ووجه معاويه فى هذه السنه سفيان بن عوف فى سته آلاف رجل ، وأمره أن يأتى هيت فيقطعها ، وأن يغير عليها ، ثم يمضى حتى يأتى الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها ، فسار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحداً ثم أتى الأنبار وبها مسلحه لعلى تكون خمسمائه رجل وقد تفرقوا فلم يبق منهم إلا- مائه رجل ، فقاتلهم فصبر لهم أصحاب على مع قتلهم ، ثم حملت عليهم الخيل والرجال فقتلوا صاحب المسلحه وهو أشرس بن حسان البكرى فى ثلاثين رجلاً ، واحتملوا ما كان فى الأنبار من الأموال وأموال أهلها ، ورجعوا إلى

معاويه ! وبلغ الخبر علياً فخرج حتى أتى النخيله، فقال له الناس: نحن نكفيك ! قال: ما تكفوننى ولا أنفسكم ، وسرح سعيد بن قيس فى أثر القوم ، فخرج فى طلبهم حتى جاز هيت فلم يلحقهم فرجع).

وفى نهج البلاغه: ٤/٦٢: (وقال(عليه السلام)لما بلغه إغاره أصحاب معاويه على الأنبار فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النخيله ، فأدركه الناس وقالوا يا أمير المؤمنين نحن نكفيكمهم ، فقال: والله ما تكفوننى أنفسكم فكيف تكفوننى غيركم ! إن كانت الرعايا قبلى لتشكو حيف رعاتها ، وإننى اليوم لأشكو حيف رعيتى ، كأنى المقود وهم القاده ، أو الموزوع وهم الوزعه ! فلما قال(عليه السلام)هذا القول فى كلام طويل قد ذكرنا مختاره فى جملة الخطب ، تقدم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما: إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين نفذ له . فقال: وأين تقعان مما أريد) ! انتهى . والخطبه التى أشار إليها الشريف الرضى أوردها فى نهج البلاغه: ١/٦٧ ، وهى: (أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحة الله لخاصه أوليائه ، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينه وجنته الوثيقه ، فمن تركه رغبه عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقماءه ، وضرب على قلبه بالأسداد ، وأدبيل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ، ومنع النصف . ألا- وإنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا- ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم ومُلكت عليكم الأوطان . وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار ، وقد قتل حسان بن حسان البكرى وأزال خيلكم عن مسالحها ! ولقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأه المسلمه والأخرى المعاهده فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ، ما تمتنع منه إلا بالإسترجاع والإسترحام ! ثم انصرفوا وافرین ، ما نال رجلاً منهم كلم ، ولا أريق لهم دم ! فلو أن امرأ مسلماً مات من بعد

هذا أسفاً ما كان به ملوماً ، بل كان به عندي جديراً . فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ! فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى ، يُغار عليكم ولا- تغيرون، وتُغزون ولا-تغزون، ويعصى الله وترضون ! فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حَمَارَةُ القَيْظِ أمهلنا يسبيح عنا الحر ، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صَيَابَرَةُ القَرِّ ، أمهلنا ينسلخ عنا البرد ، كل هذا فراراً من الحر والقر !! فإذا كنتم من الحر والقر تفرون ، فإذا أنتم والله من السيف أفر ! يا أشباه الرجال ولا-رجال ، حلوم الأطفال ، وعقول ربات الحجال ! لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم ! معرفه والله جرت ندماً وأعقت سدماً! قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحتتم صدرى غيظاً ، وجرعتموني نغب التهمام أنفاساً ، وأفسدتم على رأبي بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب ! لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراساً ، وأقدم فيها مقاماً مني ، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع). انتهى.

وأضاف في دعائم الإسلام في آخرها: ١/٣٩١: (أبدلني الله بكم من هو خير منكم ، وأبدلكم بي من هو شر لكم . أصبحت والله لا أرجو نصركم ولا أصدق قولكم ، وما سهم من كنتم سهمه إلا السهم الأخب !

فقام إليه جندب بن عبد الله فقال: يا أمير المؤمنين هذا أنا وأخي أقول كما قال موسى: رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ، فمرنا بأمرك فوالله لنضربن دونك وإن حال دون ما تريده جمر الغضا وشوك القتاد . فأثنى عليهما على صلوات الله عليه خيراً وقال: وأين تبلغان رحمكما الله مما أريد ؟ ثم انصرف).

تحريك معاوية موالى أبى بكر وعمر ضد على (عليه السلام)!

كان معاوية يرى أن فى أوساط المسلمين قبولاً لأبى بكر وعمر ، وأن علياً (عليه السلام) له موقف سلبى منهما ، لذلك عمل كل ما فى وسعه لاستغلال هذه النقطة ! وسجلت مصادر السنه وأكثر منها مصادرنا ، أن الأشعث بن قيس رجل معاوية فى الكوفه ، كان يعترض على أمير المؤمنين (عليه السلام) أمام الناس فى المسجد ، ويقطع خطبه وكلامه بأسئلته وإشكالاته ، ويشير موضوع أبى بكر وعمر بمناسبه ودون مناسبه ليعبئ الخوارج وغيرهم بالحق على أمير المؤمنين (عليه السلام) لموقفه السلبى منهما ! ومن المعروف أن الخوارج كانوا يقدسون أبى بكر وعمر ويكفرون عثمان ومعاوية وعلياً ! وقد اشتهر مذهبهم القائل: (تولى الشيخين وتبرأ من الصهرين) !

نقرأ فى الطبرى: ٤/٥٦: (فجاءه ربيعه بن أبى شداد الخثعمى ، وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه رايه خثعم فقال له: بايع على كتاب الله وسنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال ربيعه: على سنه أبى بكر وعمر ! قال له على: ويلك لو أن أبى بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكونا على شىء من الحق ! فبايعه فنظر إليه على وقال: أما والله لكأنى بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت ، وكأنى بك وقد وطئت الخيل بحوافرها ! فقتل يوم النهروان مع خوارج البصره) ! انتهى .

وينبغى أن نتساءل هنا: ما معنى أن يأتى الآن رئيس قبيله يمانيه كانت بايعت أمير المؤمنين (عليه السلام) وقاتلت معه فى حربى الجمل وصفين ، ليجدد بيعته مع أمير المؤمنين (عليه السلام) على شرط جديد هو: سنه أبى بكر وعمر؟! لا سبب له إلا تحريك الأشعث وأمثاله من المنافقين عملاء معاوية !

وفى روايه ابن قتبيبه فى الإمامه والسياسه: ١/١٦٦: (فأبى الخثعمى إلا سنه أبى

بكر وعمر ، وأبى على أن يبايعه إلا على كتاب الله وسنه نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ... فقال له عليٌّ: أما والله لكأنى بك قد نفرت فى هذه الفتنة ، وكأنى بحوافر خيلى قد شدخت وجهك ، فلحق بالخوارج فقتل يوم النهروان ! قال قبيصه: فرأيت يوم النهروان قتيلًا قد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه ومثلت به ، فذكرت قول على وقلت: لله در أبى الحسن! ما حرك شفتيه قط بشئ إلا كان كذلك). انتهى .

وهذا يدل على أن الأشعث وزمرته استطاعوا أن يحركوا أشخاصاً وقبائل لمطالبه على بالبيعة على سنه أبى بكر وعمر ، أو يتبرؤوا منه ويقاتلونه !

وتوجد ظواهر أخرى كهذا الخنعمى ، فقد جاء شخص الى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له: (إنى أحبك فى السر والعلانية . فنظر إليه وقال: كذبت ، لا والله ما تحبنى ولا أحببتنى قط . فبكى الرجل فقال: تستقبلنى بهذا وقد علم الله خلافه ، أبسط يدك أبايعك . فقال له (عليه السلام): على ماذا؟ قال: على ما عمل عليه أبو بكر وعمر ، ومد يده نحوه فقال (عليه السلام): إقبض يدك ! والله لكأنى بك قد قتلت على ضلالك)!! (الإختصاص للمفيد ص ٣١٢) .

وفى مقابل ذلك كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يجمال الذين يقدسون أبا بكر وعمر عن جهل ، ويعرف غرض الذين يثيرونهم عليه ! لكنه كان فى نفس الوقت يرى أن طرحهم للموضوع فرصة لبيان الحق ، وتوعيه الأمة على مؤامره قريش فى السقيفه ، وأنها صادرت السلطه من عتره النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلمتها الى بنى أميه ، وأن عثمان الذى نقت عليه الأمة فقتلته ، ومعاقبه الذى يقاتله بقيه الصحابه وأبرار الأمة ، إنما هما ثمره سقيفه قريش ! فقدّم أمير المؤمنين (عليه السلام) بذلك لأجيال الأمة والتاريخ ، مجموعته نصوص ومناقشات ، مليئه بالحقائق ، تكشف أمر السقيفه وأصحابها ، وتبين فداحه ظلامه العتره النبويه (عليهم السلام) على يد القرشيين ! نقتطف فيما

فمن ذلك: منشورٌ كتبه بعد النهروان ، وأمر أن يقرأ على الناس كل أسبوع ، وقد روته مصادرنا ومنها كتاب الرسائل للكلينى (رحمه الله)، وروت مصادرهم أجزاءً منه كالبلاذرى وابن قتيبه وغيرهما ، وسنذكر مصادره التي ذكرها الباحث الشيخ المحمودى فى كتابه نهج السعادة ، وهى أوسع مما ذكره ، ونورد العهد بتمامه باستثناء فقرات نقدر أنها تعليقات وهوامش ، أدخلها النساخ فى متنه .

روى الكلينى (رحمه الله) عن على بن إبراهيم (رحمه الله) بسنده قال: (كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد منصرفه من النهروان كتاباً ، وأمر أن يقرأ على الناس ، وذلك أن الناس سألوه عن أبى بكر وعمر وعثمان ، فغضب (عليه السلام) لذلك وقال: قد تفرغتم للسؤال عما لا يعينكم وهذه مصرٌ قد افتتحت وقتل معاوية بن خديج محمد بن أبى بكر ! فيا لها من مصيبه ما أعظمها مصيبتى بمحمد، فوالله ما كان إلا كبعض بنى . سبحان الله ، بينا نحن نرجو أن نغلب القوم على ما فى أيديهم، إذ غلبونا على ما فى أيدينا ، وأنا أكتب لكم كتاباً فيه تصريح ما سألتم إن شاء الله تعالى ، فدعا كاتبه عبيد الله بن أبى رافع فقال له: أدخل على عشرة من ثقاتى ، فقال: سمهم يا أمير المؤمنين ، فقال: أدخل أصبغ بن نباته ، وأبا الطفيل عامر بن واثله الكنانى ، وزر بن حبيش الأسدى ، وجويريه بن مسهر العبدى ، وخندف بن زهير الأسدى ، وحارثه بن مضرب الهمدانى ، والحارث بن عبد الله الأعور الهمدانى ، ومصايح النخعى ، وعلقمه ابن قيس، وكميل بن زياد ، وعمير بن زراره ، فدخلوا إليه فقال لهم: خذوا هذا الكتاب وليقرأه عبيد الله بن أبى رافع وأنتم شهود ، كل يوم جمعه ، فإن شغب شاغب عليكم فأنصفوه بكتاب الله بينكم وبينه .

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله على أمير المؤمنين ، إلى شيعته من المؤمنين والمسلمين ، فإن الله يقول: وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ، وهو إسمٌ شرفه الله تعالى فى

الكتاب ، وأنتم شيعه النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) كما أنه من شيعه إبراهيم . إسم غير مختص ، وأمر غير مبتدع ، وسلام الله عليكم ، والله هو السلام ، المؤمن أولياءه من العذاب المهين ، الحاكم عليكم بعدله .

أما بعد ، فإن الله تعالى بعث محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) وأنتم معاشر العرب على شر حال ، يغذو أحدكم كلبه ، ويقتل ولده ! ويغير على غيره ، فيرجع وقد أغير عليه ! تأكلون العلهز والهبيد والميته والدم ! تنيخون على أحجار حُشن ، وأوثان مضله ، وتأكلون الطعام الجشب ، وتشربون الماء الآجن ، تسافكون دماءكم ، ويسبى بعضكم بعضاً !

وقد خص الله قريشاً بثلاث آيات وعمّ العرب بآيه ، فأما الآيات اللواتي في قريش فهي قوله تعالى: **وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .**

والثانيه: **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ .**

والثالثه: قول قريش لنبي الله تعالى حين دعاهم إلى الإسلام والهجرة ، فقالوا: **إِنْ تَتَّبِعَ الْهَيْدَى مَعَكَ نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا**، فقال الله تعالى: **أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .**

وأما الآيه التي عمّ بها العرب فهي قوله تعالى: **وَإِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .**

فيا لها من نعمه ما أعظمها إن لم تخرجوا منها إلى غيرها ، ويا لها من مصيبه ما أعظمها إن لم تؤمنوا بها وترغبوا عنها . فمضى نبي الله(صلى الله عليه وآله وسلم)وقد بلغ ما أرسل به ، فيا لها مصيبه خصت الأقربين ، وعمت المؤمنين ، لن تصابوا بمثلها ، ولن تعانوا بعدها مثلها ! فمضى(صلى الله عليه وآله وسلم)لسيله وترك كتاب الله وأهل بيته ، إمامين لا يختلفان ، وأخوين لا

يتخاذلان ، ومجتمعين لايتفرقان . ولقد قبض الله محمدًا نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ولأنا أولى الناس به منى بقميصى هذا ، وما ألقى فى روعى ، ولا عرض فى رأى ، أن وجه الناس إلى غيرى ، فلما أبطأوا عنى بالولايه لهممهم ، وتببط الأنصار وهم أنصار الله وكتيبه الإسلام وقالوا: أما إذا لم تسلموها لعلى فصاحبنا أحق بها من غيره! (يقصد) (عليه السلام) أن هذا كان أمراً غير معقول لا يتصور ، وإلا فقد أخبره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما سيجرى وصرح هو بذلك مراراً).

فوالله ما أدرى إلى من أشكو ، فإما أن تكون الأنصار ظلمت حقها ، وإما أن يكونوا ظلموني حتى ، بل حتى المأخوذ وأنا المظلوم ، فقال قائل قريش: الأئمه من قريش ، فدفعوا الأنصار عن دعوتها ومنعوني حتى منها ! فأتاني رهط يعرضون على النصر ، منهم ابنا سعيد ، والمقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفارى ، وعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسى ، والزبير بن العوام ، والبراء بن عازب ، فقلت لهم: إن عندى من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عهداً وله إلى وصيه لست أخالفه عما أمرنى به ، فوالله لو خزمونى بأئفى لأقررت لله تعالى سماعاً وطاعه ، فلما رأيت الناس قد انثالوا على أبى بكر بالبيعه أمسكت يدى ، وظننت أنى أولى وأحق بمقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منه ومن غيره ، وقد كان نبى الله أمر أسامه بن زيد على جيش وجعلهما فى جيشه ، وما زال النبي إلى أن فاضت نفسه يقول: أنفذوا جيش أسامه ، أنفذوا جيش أسامه !

فلما رأيت راجعه من الناس قد رجعت عن الإسلام تدعو إلى محو دين محمد ومله إبراهيم (عليهما السلام) ، خشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله ، أن أرى فيه ثلماً وهدماً تكون المصيبه على فيه أعظم من فوت ولايه أموركم ، التى إنما هى متاع أيام قلائل ثم تزول وتنقشع كما يزول وينقشع السحاب ! فنهضت مع القوم فى تلك الأحداث حتى زهق الباطل ، وكانت كلمه الله هى العليا ، وإن رغم الكافرون....

فولى أبو بكر فقارب واقتصد ، فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً ، حتى إذا احتضر قلت فى نفسى ليس يعدل بهذا الأمر عنى ، ولولا خاصه بينه وبين عمر ، وأمرٌ كانا رضياه بينهما ، لظننت أنه لا يعدله عنى ، وقد سمع قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (آله وسلم)

لبريده الأسلمي حين بعثني وخالد بن الوليد إلى اليمن ، وقال: إذا افترقتما فكل واحد منكما على حياله وإذا اجتمعتما فعلى عليكم جميعاً ، فغزونا وأصبنا سيئاً فيهم خوله بنت جعفر جار الصفا، فأخذت الحنفية خوله ، واغتنمها خالد مني وبعث بريده إلى رسول الله مُحَشَّرًا عَلَيَّ ، فأخبره بما كان من أخذى خوله فقال: يا بريدة حظه في الخمس أكثر مما أخذ ، إنه وليكم بعدى ! سمعها أبو بكر وعمر ! وهذا بريدة حتى لم يمت ، فهل بعد هذا مقال لقائل .

فبايع عمر دون المشوره ، فكان مرضى السيره من الناس عندهم ، حتى إذا احتضر قلت في نفسي ليس يعدل بهذا الأمر عنى ، للذى قد رأى منى فى المواطن ، وسمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فجعلنى سادس سته ! وأمر صهيياً أن يصلى بالناس ، ودعا أبا طلحه زيد بن سعد الأنصارى فقال له: كن فى خمسين رجلاً من قومك فاقتل من أبى أن يرضى من هؤلاء الستة!... (وقال) هؤلاء الرهط الذين قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو عنهم راض ، فكيف يأمر بقتل قوم رضى الله عنهم ورسوله، إن هذا الأمر عجيب! ولم يكونوا لولايه أحد منهم أكره منهم لولائتي ، كانوا يسمعون وأنا أحاجُّ أبا بكر وأقول: يا معشر قريش إنا أحق بهذا الأمر منكم ما كان منا من يقرأ القرآن ويعرف السنه ويدين بدين الله الحق ، وإنما حجتى أنى ولئى هذا الأمر من دون قريش أن نبى الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:الولاء لمن أعتق، فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعثت الرقاب من النار وأعتقها من الرق ، فكان للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)ولاء هذه الأمه ، وكان لى بعده ما كان له ، فما جاز لقريش من فضلها عليها بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاز لبنى هاشم على قريش ، وجاز لى على بنى هاشم بقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلى مولاه ، إلا- أن تدعى قريش فضلها على العرب بغير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فإن شأؤوا فليقولوا ذلك .

فخشى القوم إن أنا وليت عليهم أن آخذ بأنفاسهم وأعرض فى حلوقهم ، ولا يكون لهم فى الأمر نصيب ! فأجمعوا على إجماع رجل واحد ، حتى صرفوا الولايه عنى إلى عثمان ، رجاء أن ينالوها ويتداولوها فى ما بينهم... فدعونى إلى بيعه عثمان

فبايعتُ مستكرهاً وصبرت محتسباً... فقال عبد الرحمن بن عوف: يا ابن أبي طالب إنك على هذا الأمر لحريص! فقلت: لست عليه حريصاً وإنما أطلب ميراث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحقه وأن ولاء أمته لى من بعده وأنتم أحرص عليه منى ، إذ تحولون بينى وبينه ، وتضربون وجهى دونه بالسيف .

اللهم إنى أستعديك على قريش ، فإنهم قطعوا رحمى وأضاعوا أيامى ، ودفنوا حقى ، وصغروا قدرى وعظيم منزلتى ، وأجمعوا على منازعتى حقاً كنت أولى به منهم فاستلبونيه ، ثم قالوا إصبر مغموماً أو مت متأسفاً !

وأيم الله لو استطاعوا أين يدفعوا قرابتي كما قطعوا سببى فعلوا ، ولكنهم لن يجدوا إلى ذلك سبيلاً! وإنما حقى على هذه الأمة كرجل له حق على قوم إلى أجل معلوم ، فإن أحسنوا وعجلوا له حقه قبله حامداً ، وإن أخروه إلى أجله أخذه غير حامد ، وليس يعاب المرء بتأخير حقه ، إنما يعاب من أخذ ما ليس له ، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عهداً إلى عهداً فقال: يا ابن أبي طالب لك ولاء أمتى فإن ولو ك فى عافيه وأجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم ، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه ، فإن الله سيجعل لك مخرجاً . فنظرت فإذا ليس لى رافد ولا معى مساعد إلا أهل بيتى فضننت بهم عن الهلاك ، ولو كان لى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمى حمزه وأخى جعفر لم أبايع مكرهاً ، ولكنى بليت برجلين حديثى عهد بالإسلام العباس وعقيل ، فضننت بأهل بيتى عن الهلاك ، فأغضيت عينى على القدى ، وتجرعت ريقى على الشجى ، وصبرت على أمرٍ من العلقم ، وآلم للقلب من حز الشفار .

وأما أمر عثمان فكأنه علم من القرون الأولى علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ، خذله أهل بدر ، وقتله أهل مصر ، والله ما أمرت ولا نهيت ، ولو أنى أمرت كنت قاتلاً ، ولو أنى نهيت كنت ناصراً ، وكان الأمر لا ينفع فيه العيان ، ولا يشفى منه الخير ، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه ، ولا يستطيع من خذله أن يقول نصره من هو خير منى .

وأنا جامع لكم أمره: إستأثر فأساء

الأثره وجزعتم فأسأتم الجزع ، والله يحكم بينكم و بينه . والله ما يلزمني في دم عثمان تهمه ، ما كنت إلا- رجلاً- من المسلمين المهاجرين في بيتي ، فلما قتلتموه أتيتموني تبايعوني فأبيت عليكم وأبتم عليّ ، فقبضت يدي فبسطتموها وبسطتها فمددتموها ، ثم تداكتم علي تداكّ الإبل الهيم علي حياضها يوم ورودها ، حتى ظننت أنكم قاتليّ ، وأن بعضكم قاتل بعض ، حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطئ الضعيف ، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن حُمل إليها الصغير ، وهدج إليها الكبير ، وتحامل إليها العليل ، وحسرت لها الكعاب فقالوا: بايعنا علي ما بويح عليه أبو بكر وعمر ، فإننا لانجد غيرك ولا نرضى إلا بك ، بايعنا لانفترق ولا نختلف ! فبايعتم علي كتاب الله وسنه نبيه(صلى الله عليه و آله وسلم) دعوت الناس إلى بيعتي فمن بايعني طائعاً قبلت منه ، ومن أبى تركته ، فكان أول من بايعني طلحه والزبير فقالا: نبايعك علي أنا شركاؤك في الأمر ! فقلت: لا، ولكنكما شركائي في القوه ، وعوناي في العجز ، فبايعاني علي هذا الأمر ، ولو أييا لم أكرههما كما لم أكره غيرهما ! وكان طلحه يرجو اليمن ، والزبير يرجو العراق ، فلما علما أني غير موليهما استأذناني للعمرة يريدان الغدره ، فأتيا عايشه واستخفاها مع كل شيء في نفسها عليّ...وقادهما عبد الله بن عامر إلى البصره ، وضمن لهما الأموال والرجال، فبيناهما يقودانها إذ هي تقودهما، فاتخذها فئه يقاتلان دونها ! فأئى خطيئه أعظم مما أتيا ، أخرجنا زوجه رسول الله(صلى الله عليه و آله وسلم) من بيتها فكشفا عنها حجاباً ستره الله عليها ، وصانا حلالهما في بيوتهما، ولا أنصفا الله ولا رسوله من أنفسهما ! فمنيّت بأطوع الناس في الناس عايشه بنت أبي بكر، وبأشجع الناس الزبير وبأخصم الناس طلحه بن عبيد الله ، وأعانهم عليّ يعلى بن منيه بأصوع الدنانير ، والله لئن استقام أمرى لأجعلن ماله فيئاً للمسلمين !

ثم أتوا البصره وأهلها مجتمعون علي بيعتي وطاعتي ، وبها شيعتي خزان بيت مال الله ومال المسلمين ، فدعوا الناس إلى معصيتي وإلى نقض بيعتي وطاعتي ، فمن أطاعهم أكفروه ومن عصاهم قتلوه ! فناجزهم حكيم بن جبلة فقتلوه في سبعين رجلاً

من عباد أهل البصره ومخبتهم ، يسمون المثفين كأن راح أكفهم ثنات الإبل ، وأبى أن يبايعهم يزيد بن الحارث الشكري فقال: إتقيا الله ، إن أولكم قادنا إلى الجنه فلا يقودنا آخركم إلى النار ، فلا تكلفونا أن نصدق المدعى ونقضى على الغائب ، أما يمينى فشغلها على بن أبى طالب بيعتى إياه ، وهذه شمالي فارغه فخذها إن شئتما ! فخنق حتى مات رحمه الله . وقام عبد الله بن حكيم التميمى فقال: يطلحه هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم هذا كتابى إليك . قال: هل تدرى ما فيه؟ قال: إقرأه على . فقرأه فإذا فيه عيبُ عثمان ودعاؤه إلى قتله ! فسروه من البصره !

وأخذوا عاملى عثمان بن حنيف الأنصارى غدراً فمثلوا به كل مثله ، واتفوا كل شعره فى رأسه ووجهه ! وقتلوا شيعتى طائفه صبراً ، وطائفه غدراً ، وطائفه عضواً بأسيايفهم حتى لقوا الله !

فوالله لو لم يقتلوا منهم إلا رجلاً واحداً لحلّ لى به دماؤهم ودماء ذلك الجيش لرضاهم بقتل من قتل ! دع أنهم قد قتلوا أكثر من العده التى قد دخلوا بها عليهم ، وقد أдал الله منهم ، فبعداً للقوم الظالمين . فأما طلحه فرماه مروان بسهم فقتله ، وأما الزبير فذكرته قول رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) إنك تقاتل علياً وأنت ظالم له ! وأما عايشه فإنها كانت نهاها رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) عن مسيرها ، فعضت يديها نادمه على ما كان منها !

وقد كان طلحه لما نزل ذا قار قام خطيباً فقال: أيها الناس إنا أخطأنا فى عثمان خطيئه ما يخرجنا منها إلا الطلب بدمه ، وعلى قاتله وعليه دمه... !

فلما بلغنى قوله وقول كان عن الزبير قبيح ، بعثت إليهما أناشدهما بحق محمد وآله ما أتيتمانى وأهل مصر محاصرو عثمان فقلتما: إذهب بنا إلى هذا الرجل فإننا لا نستطيع قتله إلا بك ، لما تعلم أنه سيّر أبا ذر رحمه الله ، وفتق عماراً ، وآوى الحكم بن أبى العاص وقد طرده رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) وأبو بكر وعمر ، واستعمل الفاسق على كتاب الله الوليد بن عقبه ، وسلط خالد بن عرفطه العذرى على كتاب الله يمزقه ويحرقه ، فقلت: كل هذا قد علمت ولا أرى قتله يومى هذا ، وأوشك سقاؤه أن

يخرج المخض زبدته! فأقرًا بما قلت! وأما قولكما إنكما تطلبان بدم عثمان، فهذان ابناه عمرو وسعيد، فخلوا عنهما يطلبان دم أبيهما، ومتى كان أسد وتيم أولياء بنى أميه، فانقطعا عند ذلك! فقام عمران بن حصين الخزاعي صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يا هذان لا تخرجانا بيعتكما من طاعه على، ولا تحملانا على نقض بيعته فإنها لله رضى، أما وسعتكما بيوتكما حتى أتيتما بأمة المؤمنين! فالعجب لاختلافها وإياكما ومسيرها معكما، فكفنا عنا أنفسكما وارجعا من حيث جئتما، فلسنا عبيد من غلب، ولا أول من سبق! فهما به ثم كفنا عنه!

وكانت عايشه قد شكّت في مسيرها وتعاضمت القتال، فدعت كاتبها عبيد الله بن كعب النميري فقالت أكتب: من عايشه بنت أبي بكر إلى على بن أبي طالب، فقال: هذا أمر لا يجرى به القلم. قالت: ولم؟ قال: لأن على بن أبي طالب في الإسلام أول وله بذلك البدء في الكتاب. فقالت: أكتب: إلى على بن أبي طالب من عايشه بنت أبي بكر، أما بعد فإنى لست أجهل قرابتك من رسول الله، ولا قدمك في الإسلام، ولا غناءك عن رسول الله، وإنما خرجت مصلحه بين بنى لا أريد حربك إن كفت عن هذين الرجلين، في كلام لها كثير، فلم أجبها بحرف، وأخرت جوابها لقتالها.

فلما قضى الله لى الحسنى سرت إلى الكوفة، واستخلفت عبد الله بن عباس على البصره، فقدمت الكوفة وقد اتسقت لى الوجوه كلها إلا الشام، فأحبت أن أتخذ الحجه وأفضى العذر، أخذت بقول الله تعالى: وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ، فبعثت جرير بن عبد الله إلى معاوية معذراً إليه، متخذاً للحجه عليه، فردّ كتابى وجحد حقى ودفعتى، وبعثت إلى أن ابعت إلى قتله عثمان، فبعثت إليه ما أنت وقتله عثمان؟ أولاده أولى به، فادخل أنت وهم فى طاعتى ثم خاصم القوم لأحملكم وإياهم على كتاب الله، وإلا فهذه خدعه الصبى عن رضاع الملى! فلما يئس من هذا الأمر بعث إلى أن اجعل الشام لى حياتك، فإن حدث بك حادث من الموت لم يكن لأحد على طاعه، وإنما أراد بذلك أن يخلع

طاعتى من عنقه ، فأبيت عليه ، فبعث إلى إن أهل الحجاز كانوا الحكام على أهل الشام ، فلما قتلوا عثمان صار أهل الشام الحكام على أهل الحجاز ! فبعثت إليه إن كنت صادقاً فسم لي رجلاً من قريش الشام تحل له الخلافة ، ويُقبل في الشورى ، فإن لم تجده سميت لك من قريش الحجاز من يحل له الخلافة ويُقبل في الشورى .

ونظرت إلى أهل الشام فإذا هم بقيه الأحزاب ، فراش نار وذباب طمع ، تجمّع من كل أوب ، ممن ينبغي أن يؤدب ويحمل على السنه ، ليسوا مهاجرين ولا أنصار ، ولا تابعين بإحسان ، فدعوتهم إلى الطاعة والجماعه فأبوا إلا فراقى وشقاقى ، ثم نهضوا فى وجه المسلمين ينضحونهم بالنبل ويشجرونهم بالرماح ! فعند ذلك نهضت إليهم ، فلما عضتهم السلاح ووجدوا ألم الجراح ، رفعوا المصاحف فدعوكم إلى ما فيها ، فأنبأتكم أنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن ، وإنما رفعوها مكيدة وخديعه فامضوا لقتالهم ، فقلتم إقبل منهم واكفف عنهم فإنهم إن أجابوا إلى ما فى القرآن ، جامعونا على ما نحن عليه من الحق ، فقبلت منهم وكففت عنهم ، فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين حكيمين ليحييا ما أحياه القرآن ، ويميتا ما أماته القرآن ،

فاختلف رأيهما واختلف حكمهما ، فنبذا ما فى الكتاب ، وخالفا ما فى القرآن وكانا أهله .

ثم إن طائفه اعتزلت فتركناهم ما تركونا ، حتى إذا عاثوا فى الأرض يفسدون ويقتلون ، وكان فيمن قتلوه أهل ميره من بنى أسد ، وخباباً وابنه وأم ولده ، والحارث بن مره العبدى ، فبعثت إليهم داعياً فقلت إدفعوا إلينا قتله إخواننا ، فقالوا: كلنا قتلتم ، ثم شدت خيلهم ورجالهم ، فصرعهم الله مصارع الظالمين .

فلما كان ذلك من شأنهم ، أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم فقلتم: كَلَّتْ سيوفنا ونصلت أسننه رماحنا وعاد أكثرها قصيداً ، فأذن لنا فلنرجع ولنستعد بأحسن عدتنا ، وإذا نحن رجعنا زدنا فى مقاتلتنا عده من قتل منا ، حتى إذا أظلمت على النخيله أمرتكم أن تلمزوا معسكركم ، وأن تضموا إليه نواصيكم ، وأن توطنوا على الجهاد نفوسكم ، ول اتكثروا زياره أبناءكم ونساءكم ، فإن أصحاب الحرب

مصابروها ، وأهل التشمير فيها الذين لا يتوجدون من سهر ليلهم ولا ظمأ نهارهم ، ولا فقدان أولادهم ولا نساءهم ! فأقامت طائفه منكم معده ، وطائفه دخلت المصر عاصيه ، فلا من دخل المصر عاد إليّ ، ولا من أقام منكم ثبت معي ولا صبر ، فلقد رأيتني وما في عسكري منكم خمسون رجلاً ، فلما رأيت ما أنتم عليه دخلت عليكم فما قدر لكم أن تخرجوا معي إلى يومكم هذا !

لله أبوكم ألا ترون إلى مصر قد افتتحت ، وإلى أطرافكم قد انتقصت ، وإلى مسالحكم تُرقى ، وإلى بلادكم تُغزى ، وأنتم ذووا عدد جم ، وشوكة شديده ، وأولوا بأس قد كان مخوفاً ! لله أنتم أين تذهبون ، وأنى تؤفكون ، ألا وإن القوم قد جدوا وآسوا وتناصروا وتناصحوا ، وإنكم قد أبيتم وونيتم وتخاذلتم وتغاششتم ، ما أنتم إن بقيتم على ذلك سعاداء ، فنبهوا رحمكم الله نائمكم ، وتجردوا وتحروا لحرب عدوكم ، فقد أبدت الرغوه عن الصريح ، وأضاء الصبح لذي عينين ،

فانتبهوا إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء ، وأهل الجفاء ومن أسلم كرهاً ، وكان لرسول الله آنفاً وللإسلام كله حرباً ! أعداء السنه والقرآن ، وأهل البدع والإحداث ، ومن كانت نكايته تتقى ، وكان على الإسلام وأهله مخوفاً ، وآكله الرشا ، وعبيد الدنيا !

ولقد أنهى إليّ أن ابن النابغه لم يبايع معاويه حتى شرط له أن يؤتية أثيّه هي أعظم مما في يديه من سلطانه ، فصفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا ، وخزيت أمانه هذا المشتري بنصره فاسق غادر بأموال المسلمين ، وأى سهم لهذا المشتري بنصره فاسق غادر ، وقد شرب الخمر وضرب حداً فى الإسلام ، وكلكم يعرفه بالفساد فى الدين وإن منهم من لم يدخل فى الإسلام وأهله حتى رضخ له عليه رضيخه ! فهؤلاء قاده القوم ، ومن تركت لكم ذكر مساويه أكثر وأبور ! وأنتم تعرفونهم بأعيانهم وأسمائهم كانوا على الإسلام ضدّاً ، ولنبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حرباً ، وللشيطان حزباً ، لم يقدم إيمانهم ولم يحدث نفاقهم !

وهؤلاء الذين لو ولوا عليكم لأظهروا فيكم الفخر والتكبر ، والتسلط بالجبريه ،

والفساد فى الأرض! وأنتم على ما كان منكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلاً، منكم الفقهاء والعلماء والفهاء،
وحمله

الكتاب والمتهمجون بالأسحار، ألا تسخطون وتنقمون أن ينازعكم الولايه السفهاء البطاء عن الإسلام، الجفاه فيه!؟

إسمعوا قولى يهدكم الله إذا قلت، وأطيعوا أمرى إذا أمرت، فوالله لئن أطعتمونى لاتغفون، وإن عصيتمونى لاترشدون! قال الله تعالى: أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . وقال الله تعالى لنبيه(صلى الله عليه وآله وسلم): إِنَّمَّا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ، فالهادى بعد النبى(صلى الله عليه وآله وسلم) هاد لأمته على ما كان من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فمن عسى أن يكون الهادى إلا الذى دعاكم إلى الحق، وقادكم إلى الهدى! خذوا للحرب أهبتها، وأعدوا لها عدتها، فقد شبت وأوقدت، وتجرد لكم الفاسقون لكيما يطفئوا نور الله بأفواههم، ويغفروا عباد الله .

ألا- إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاه، أولى بالحق من أهل البر والإحسان والإخبارات فى طاعه ربهم ومناصحه إمامهم!

إنى والله لو لقيتهم وحدى وهم أهل الأرض ما استوحشت منهم ولا باليت، ولكن أسف يرببنى وجزع يعترينى من أن يلى هذه الأمة فجارها وسفهاؤها، فيتخذون مال الله دولاً، وكتاب الله دغلاً، والفاسيقين حزباً، والصالحين حرباً!

وأيم الله لولا- ذلك ما أكثرت تأنيبكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ أبيتم حتى حمم لى لقاءهم، فوالله إنى لعلى الحق، وإنى للشهاده لمحبه، وإنى إلى لقاء الله ربي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر، إنى نافر بكم فانفروا خفافاً وثقالاً- وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله، ولا تئاقلوا فى الأرض فتغموا بالذل، وتقروا بالخسف، ويكون نصيبكم الأخرس! إن أخا الحرب اليقظان الأرق، إن نام لم تنم عينه، ومن ضعف أودى، ومن كره الجهاد فى سبيل الله كان المغبون المهين .

إنى لكم اليوم على ما كنت عليه أمس، ولستم لى على ما كنتم عليه، من تكونوا ناصره أخذ بالسهم الأخيب! والله لو نصرتم الله لنصركم وثبت أقدامكم، إنه حق

على الله أن ينصر من نصره ، ويخذل من خذله ، أترون الغلبه لمن صبر بغير نصر ، وقد يكون الصبر جبناً ويكون حميه ، وإنما النصر بالصبر ، والورد بالصدر ، والبرق بالمطر . اللهم اجمعنا وإياهم على الهدى ، وزهدنا وإياهم فى الدنيا ، واجعل الآخرة خيراً لنا من الأولى). انتهى. (نهج السعادة للمحمودى: ٥/١٩٤، وذكر من مصادره فى: ٥/٢٥٨: كشف المحججه لثمره المهججه للسيد ابن طاووس ص ١٧٣ ، و البحار: ٨/١٨٤، ط الكمباني، ثم قال: وممن روى هذا الكتاب بألفاظه من أهل السنه إلا فى ألفاظ نادره وجمل يسيره هو ابن قتيبه فإنه رواه فى الجزء الأول من الإمامه والسياسه ص ١٥٤ ، ط مصر . فى عنوان: ما كتبه على لأهل العراق قبل بيان مقتله (عليه السّلام) . ورواه أيضاً بمغايره طفيفه فى بعض ألفاظه وجمله إبراهيم بن محمد الثقفى فى الغارات ، كما فى بحار الأنوار: ٨ / ٦١٥، فى عنوان: الفتن الحادثه بمصر ، وشهاده محمد بن أبى بكر. وأشار إلى هذا الكتاب أحمد بن يحيى البلاذرى ، أنساب الأشراف ص ٤٠٠... ورواه أيضاً محمد بن جرير بن رستم الطبرى المتوفى أوائل القرن الرابع فى آخر الباب الرابع من كتاب المسترشد ، ٧٧ قال: وروى الشعبى عن شريح بن هانى قال: خطب على بن أبى طالب (عليه السّلام) بعدما افتتحت مصر ، ثم قال: وإنى مخرج إليكم كتاباً فيه جواب ما سألتكم عنه وكتب: (من عبد الله على أمير المؤمنين ، إلى من قرئ عليه كتابى من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد فإن الله بعث محمداً.... ثم ساق الكتاب كما تقدم بروايه ثقه الإسلام باختلاف طفيف فى بعض ألفاظه). انتهى .

ومن ذلك: أجوبته (عليه السّلام) على اعتراضات الأشعث بن قيس الخبيثه ، وهى متعدده ، نذكر منها قوله (عليه السّلام) ذات: (إنى كنت لم أزل مظلوماً مستأثراً علىّ حقى ، فقام إليه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين لم لم تضرب بسيفك ولم تطلب بحقك؟ فقال: يا أشعث قد قلت قولاً - فاسمع الجواب وعه واستشعر الحججه: إن لى أسوه بسته من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين . أولهم نوح حيث قال: رب إنى مغلوب فانتصر... الخ...). (الإحتجاج: ١/٢٧٩)

وفى كتاب سليم (رحمه الله) ص ٢١٣: (فقام وخطب فقال: ألا إنى قد استنفرتكم فلم تنفروا، ونصحتكم فلم تقبلوا ، ودعوتكم فلم تسمعوا! فأنتم شهود كغيب وأحياء كأموات ،

وصم ذوو أسماع ! أتلو عليكم الحكمة وأعظكم بالموعظه الشافية الكافية ، وأحثكم على الجهاد لأهل الجور ، فما أتى على آخر كلامي حتى أراكم متفرقين حلقاتي ، تتناشدون الأشعار وتضربون الأمثال ، وتسالون عن سعر التمر واللبن !

تبت أيديكم ، لقد سئتم الحرب والإستعداد لها ، وأصبحت قلوبكم فارغه من ذكرها ، شغلتموها بالأباطيل والأضاليل والأعالي! ويحكم ، أغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا- ذلوا ! وأيم الله ما أظن أن تفعلوا حتى يفعلوا ثم وددت أني قد رأيتهم فلقيت الله على بصيرتي و يقيني واسترحت من مقاساتكم ومن ممارستكم ! فما أنتم إلا كإبل جمه ضل راعيها ، فكلما ضمت من جانب انتشرت من جانب . كأنى بكم والله فيما أرى ، لو قد حمس الوغى واستحر الموت ، قد انفرجتم عن علي بن أبي طالب انفراج الرأس وانفراج المرأه عن ولدها ، لا تمنع يد لأمس !! قال الأشعث بن قيس الكندي: فهلا فعلت كما فعل ابن عفان !؟

فقال علي(عليه السلام): يا عرف النار ، أو كما فعل ابن عفان رأيتموني فعلت؟ أنا عائدٌ بالله من شر ما تقول ! يا ابن قيس والله إن الذي فعل ابن عفان لمخزاةً لمن لا دين له ولا الحق في يده ، فكيف أفعل ذلك وأنا على بينه من ربي وحقته في يدي والحق معي؟ والله إن امرئ مكنَّ عدوه من نفسه حتى يجزَّ لحمه ويفرى جلده ويهشم عظمه ويسفك دمه ، وهو يقدر على أن يمنع ، لعظيم وزره وضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره ! فكن أنت ذلك يا ابن قيس فأما أنا فدون والله أن أعطى بيدي ضرباً بالمشرفي تطير له فراش الهام ، وتطيح منه الكف والمعصم ويفعل الله بعد ما يشاء . ويلك يا بن قيس ، المؤمن يموت بكل موته غير أنه لا يقتل نفسه ، فمن قدر على حقن دمه ، ثم خلا بينه وبين قاتله ، فهو قاتل نفسه...

فقال الأشعث بن قيس وغضب من قوله: فما يمنعك يا ابن أبي طالب حين يبيع أخو تيم بن مره وأخو بني عدى بن كعب وأخو بني أميه بعدهما ، أن تقاتل وتضرب بسيفك ؟ وأنت لم تخطبنا خطبه منذ كنت قدمت العراق إلا وقد قلت

فيها قبل أن تنزل عن منبرك: والله إنى لأولى الناس بالناس وما زلت مظلوماً منذ قبض الله محمداً . فما منعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك؟!

فقال له علي (عليه السلام): يا ابن قيس قلت فاسمع الجواب: لم يمنعني من ذلك الجبن ولا- كراهية للقاء ربي ، وأن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لي من الدنيا والبقاء فيها، ولكن منعني من ذلك أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعهده إلي !! أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما الأمه صانعه بي بعده ، فلم أكُ بما صنعوا حين عاينته بأعلم مني ولا أشد يقيناً مني به قبل ذلك ، بل أنا بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أشد يقيناً مني بما عاينت وشهدت . فقلت: يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان ذلك؟ قال: إن وجدت أعواناً فانبذ إليهم وجاهدهم ، وإن لم تجد أعواناً فكفف يدك واحقن دمك حتى تجد علي إقامه الدين وكتاب الله وسنتي أعواناً .

وأخبرني (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الأمه ستخذلني وتبايع غيري وتتبع غيري وأخبرني (صلى الله عليه وآله وسلم) أنى منه بمنزله هارون من موسى ، وأن الأمه سيصيرون من بعده بمنزله هارون ومن تبعه والعجل ومن تبعه..... فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مال الناس إلى أبي بكر فبايعوه وأنا مشغول برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بغسله ودفنه ، ثم شغلت بالقرآن ، فأليت على نفسي أن لا أرتدى إلا للصلاه حتى أجمعه في كتاب ، ففعلت .

ثم حملت فاطمه وأخذت بيد ابني الحسن والحسين ، فلم أدع أحداً من أهل بدر وأهل السابقه من المهاجرين والأنصار إلا ناشدتهم الله في حقي ، ودعوتهم إلى نصرتي ، فلم يستجب لي من جميع الناس إلا أربعة رهط: سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير ، ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به ولا- أقوى به.... فقلت كما قال هارون لأخيه: ابْنُ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَّ عَفْوَني وَكَادُوا يَقْتُلُونِي ! فلي بهارون أسوه حسنه ولي بعهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حجه قويه....

الى أن قال (عليه السلام): وبلك يا ابن قيس كيف رأيتني صنعت حين قتل عثمان إذ وجدت أعواناً؟ هل رأيت

مني فشلاً أو تأخراً أو جنباً أو تقصيراً في وقعتي يوم البصره وهم

حول جملهم ، الملعون من معه ، الملعون من قتل حوله ، الملعون من رجع بعده لا تائباً ولا مستغفراً ، فإنهم قتلوا أنصاري ونكثوا بيعتي ومثلوا بعاملِي وبعوا عليّ ، وسرت إليهم في اثني عشر ألفاً وهم نيف على عشرين ومائه ألف ، فنصرني الله عليهم ، وقتلهم بأيدينا وشفى صدور قوم مؤمنين !

وكيف رأيت يا ابن قيس وقعتنا بصفين وما قتل الله منهم بأيدينا خمسين ألفاً في صعيد واحد إلى النار ! وكيف رأيتنا يوم النهروان إذ لقيت المارقين وهم مستمسكون يومئذ بدين الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فقتلهم الله بأيدينا في صعيد واحد إلى النار ، لم يبق منهم عشرة ولم يقتلوا من المؤمنين عشرة .

ويلك يا ابن قيس هل رأيت لي لواء رُدَّ أو رايه ردت؟ إياي تعير يا ابن قيس ! وأنا صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع مواطنه ومشاهده ، والمتقدم إلى الشدائد بين يديه لا أفر ولا أزول ، ولا أعيأ ولا أنحاز ، ولا أمنح العدو دبري ، لأنه لا ينبغي للنبي ولا للوصي إذا لبس لأمته وقصد لعدوه أن يرجع أو ينثنى حتى يقتل أو يفتح الله له ! هل سمعت لي بفرار قط أو نَبَّوه ؟

يا ابن قيس ، والذي فلق الحبه وبرء النسمه ، لو أن أولئك الأربعين الذين بايعوا وفوا لي وأصبحوا على بابي محلقين رؤوسهم قبل أن تجب لعتيق في عنقي بيعته ، لناهضته وحاكمته إلى الله عز وجل ! ولو وجدت قبل بيعه عثمان أعواناً لناهضتهم وحاكمتهم إلى الله ، فإن ابن عوف جعلها لعثمان واشترط عليه فيما بينه وبينه أن يردها عليه عند موته ! وأما بعد بيعتي إياهم فليس إلى مجاهدتهم سبيل !

فقال الأشعث: والله لئن كان الأمر كما تقول لقد هلكت أمه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) غيرك وغير شيعتك ! فقال له علي (عليه السلام): فإن الحق والله معي يا

ابن قيس كما أقول ، وما هلك من الأمة إلا الناصبون والناكثون والمكابرون والجاحدون والمعاندون ، فأما من تمسك بالتوحيد والإقرار بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والإسلام ولم يخرج من الملة ولم يظاهر علينا

الظلمه ولم ينصب لنا العداوه ، وشك في الخلافه ولم يعرف أهلها وولاتها ، ولم يعرف لنا ولايه ولم ينصب لنا عداوه ، فإن ذلك مسلم مستضعف يرجى له رحمه الله ويتخوف عليه ذنوبه .

قال أبان: قال سليم بن قيس: فلم يبق يومئذ من شيعه على (عليه السلام) أحد إلا- تهلل وجهه وفرح بمقالته ، إذ شرح أمير المؤمنين (عليه السلام) الأمر وباح به وكشف الغطاء وترك التقيه . ولم يبق أحد من القراء ممن كان يشك في الماضين ويكف عنهم ويدع البراءه منهم ورعاً وتأثماً ، إلا استيقن واستبصر وحسن رأيه ، وترك الشك يومئذ والوقوف . ولم يبق حوله ممن أبى بيعته إلا- على وجه ما بويح عليه عثمان والماضون قبله ، إلا- رُئِيَ ذلك في وجهه وضاق به أمره وكره مقالته . ثم إنه استبصر عامتهم وذهب شكهم . قال أبان عن سليم: فما شهدت يوماً قط على رؤوس العامه كان أقرّ لأعيننا من ذلك اليوم ، لما كشف أمير المؤمنين (عليه السلام) للناس من الغطاء ، وأظهر فيه من الحق ، وشرح فيه من الأمر والعاقبه ، وألقى فيه من التقيه ، وكثرت الشيعه بعد ذلك المجلس من ذلك اليوم وتكلموا ، وقد كانوا أقل أهل عسكره ، وسائر الناس يقاتلون معه على غير علم بمكانه من الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وصارت الشيعه بعد ذلك المجلس أجل الناس وأعظمهم). انتهى.

الفصل العاشر: شهاده أمير المؤمنين (عليه السلام)

اشاره

ص: ٤٢٧

شاهد العصر.. يروى ظلامته قبيل شهادته !

نورد هذا النص بكامله لأنه شهادة كاملة من أمير المؤمنين (عليه السلام) على عصره ، و خلاصة لسيرته بكلامه ، وهي عقيدته الشيعه فى تلك الأحداث وشخصياتها .

روى الصدوق فى الخصال ص ٣٦٥ ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أتى رأس اليهود على بن أبى طالب (عليه السلام) عند منصرفه عن وقعه النهروان ، وهو جالس فى مسجد الكوفة فقال: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسالك عن أشياء لا يعلمها إلا نبيُّ أو وصى نبي ! قال: سل عما بدا لك يا أخا اليهود ؟ قال: إنا نجد فى الكتاب أن الله عز وجل إذا بعث نبياً أوحى إليه أن يتخذ من أهل بيته من يقوم بأمر أمته من بعده ، وأن يعهد إليهم فيه عهداً يحتذى عليه ويعمل به فى أمته من بعده ، وأن الله عز وجل يمتحن الأوصياء فى حياة الأنبياء ويمتحنهم بعد وفاتهم ، فأخبرنى كم يمتحن الله الأوصياء فى حياة الأنبياء ، وكم يمتحنهم بعد وفاتهم من مره ، وإلى ما يصير آخر أمر الأوصياء إذا رضى محتهم؟

فقال له على (عليه السلام): والله الذى لا إله غيره الذى فلق البحر لبنى إسرائيل وأنزل التوراه على موسى (عليه السلام) ، لئن أخبرتك بحق عما تسأل عنه ، لتقرنَّ به؟ قال: نعم .

قال: والذى فلق البحر لبنى إسرائيل وأنزل التوراه على موسى (عليه السلام)، لئن أجبتك لتسلمن؟ قال:

نعم .

فقال له على (عليه السلام): إن الله عز وجل يمتحن الأوصياء فى حياة الأنبياء فى سبعة مواطن ليبتلى طاعتهم ، فإذا رضى طاعتهم ومحتهم ، أمر الأنبياء أن يتخذوهم أولياء فى

ص: ٤٢٩

حياتهم وأوصياء بعد وفاتهم ، ويصير طاعه الأوصياء فى أعناق الأمم ممن يقول بطاعه الأنبياء(عليهم السّلام) . ثم يمتحن الأوصياء بعد وفاه الأنبياء(عليهم السّلام) فى سبعة مواطن ليلو صبرهم ، فإذا رضى محتتهم ختم لهم بالسعادة ليلحقهم بالأنبياء وقد أكمل لهم السعادة .

قال له رأس اليهود: صدقت يا أمير المؤمنين فأخبرنى كم امتحنك الله فى حياه محمد من مره ؟ وكم امتحنك بعد وفاته من مره ؟ وإلى ما يصير آخر أمرك ؟

فأخذ على(عليه السّلام)بيده وقال: إنهم بنا أنبتك بذلك ، فقام إليه جماعه من أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين أنبتنا بذلك معه ، فقال: إني أخاف أن لا- تحتمله قلوبكم ، قالوا: ولم ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: لأمر بدت لى من كثير منكم ، فقام إليه الأشر فقال: يا أمير المؤمنين أنبتنا بذلك ، فوالله إنا لنعلم أنه ما على ظهر الأرض وصى نبي سواك ، وإنا لنعلم أن الله لا يبعث بعد نبينا(صلّى الله عليه و آله وسلّم) نبياً سواه ، وأن طاعتك لفى أعناقنا موصوله بطاعه نبينا ، فجلس على(عليه السّلام)وأقبل على اليهودى فقال:

يا أخا اليهود ، إن الله عز وجل امتحننى فى حياه نبينا محمد(صلّى الله عليه و آله وسلّم) فى سبعة مواطن فوجدنى فيهن من غير تزكيه لنفسى ، بنعمه الله له مطيعاً قال: وفيم يا أمير المؤمنين؟

قال: أما أولاهن، فإن الله عز وجل أوحى إلى نبينا(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وحمله الرساله وأنا أحدث أهل بيتى سنناً ، أخدمه فى بيته وأسعى بين يديه فى أمره ، فدعا صغير بنى عبد المطلب وكبيرهم إلى شهاده أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، فامتنعوا من ذلك وأنكروه عليه وهجروه وناذروه ، واعتزلوه واجتنبوه وسائر الناس ، مقصين له ومخالفين عليه ، قد استعظموا ما أورده عليهم مما لم تحتمله قلوبهم وتدركه عقولهم ، فأجبت رسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) وحدى إلى ما دعا إليه مسرعاً مطيعاً موقناً ، لم يتخالجنى فى ذلك شك ، فمكثنا بذلك ثلاث حجج ، وما على وجه الأرض خلق يصلى أو يشهد لرسول الله(صلّى الله عليه و آله وسلّم) بما آتاه الله غيرى وغير ابنه خويلد رحمها الله! ثم أقبل(عليه السّلام)على أصحابه فقال: أليس كذلك قالوا: بلى يا أمير المؤمنين . فقال(عليه السّلام):

وأما الثانيه يا أخا اليهود ، فإن قريشاً لم تزل تخيل الآراء وتعمل الحيل فى قتل النبى حتى كان آخر ما اجتمعت فى ذلك يوم الدار دار الندوه وإبليس الملعون حاضر فى صورته أعور ثقيف ، فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتى اجتمعت آراؤها على أن ينتدب من كل فخذ من قريش رجل ، ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه ثم يأتى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو نائم على فراشه فيضربونه جميعاً بأسيا فهم ضربه رجل واحد فيقتلوه، وإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها فيمضى دمه هدراً! فهبط جبرئيل (عليه السلام) على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فأنبأه بذلك وأخبره بالليله التى يجتمعون فيها والساعه التى يأتون فراشه فيها، وأمره بالخروج فى الوقت الذى خرج فيه إلى الغار فأخبرنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخبر وأمرنى أن أضطجع فى مضجعه وأقيه بنفسى ، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً لنفسى بأن أقتل دونه ، فمضى (عليه السلام) لوجهه واضطجعت فى مضجعه ، وأقبلت رجالات قريش موقنه فى أنفسها أن تقتل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما استوى بى وبهم البيت الذى أنا فيه ، ناهضتهم بسيفى فدفعتهم عن نفسى بما قد علمه الله والناس ، ثم أقبل (عليه السلام) على أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين . فقال (عليه السلام): وأما الثالثه يا أخا اليهود ، فإن ابنى ربيعه وابن عتبه كانوا فرسان قريش ، دعوا إلى البراز يوم بدر ، فلم يبرز لهم خلق من قريش ، فأنهضنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع صاحبى رضى الله عنهما وقد فعل ، وأنا أحدث أصحابى سناً وأقلهم للحرب تجربه ، فقتل الله عز وجل يدي وليداً

وشيبه ، سوى من قتلت من جحاجحه قريش فى ذلك اليوم ، وسوى من أسرت ، وكان منى أكثر مما كان من أصحابى ، واستشهد ابن عمى فى ذلك رحمه الله عليه . ثم التفت إلى أصحابه فقال: أليس كذلك قالوا: بلى يا أمير المؤمنين ، فقال على (عليه السلام):

وأما الرابعه يا أخا اليهود، فإن أهل مكه أقبلوا إلينا على بكره أبيهم قد استحاشوا من يليهم من قبائل العرب وقريش ، طالين بثأر مشركى قريش فى يوم بدر، فهبط جبرئيل (عليه السلام) على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنبأه بذلك فذهب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله وسلم) وعسكر بأصحابه فى سد

أُخِذَ ، وأقبل المشركون إلينا فحملوا إلينا حملة رجل واحد ، واستشهد من المسلمين من استشهد وكان ممن بقى من الهزيمة ، وبقيت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومضى المهاجرون والأنصار إلى منازلهم من المدينة كل يقول: قتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقتل أصحابه ! ثم صرف الله عز وجل وجوه المشركين ، وقد جرحت بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نيفاً وسبعين جراحه منها هذه وهذه ، ثم ألقى رداءه وأمر يده على جراحاتي ، وكان منى فى ذلك ما على الله عز وجل ثوابه إن شاء الله ، ثم التفت (عليه السلام) إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين ، فقال (عليه السلام):

وأما الخامسة يا أخوا اليهود ، فإن قريشاً والعرب تجمعت وعقدت بينها عقداً وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله وتقتلنا معه معاشر بنى عبد المطلب ، ثم أقبلت بحدها وحديدها حتى أناخت علينا بالمدينة ، واثقةً بأنفسها فيما توجهت له ، فهبط جبرئيل (عليه السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنبأه بذلك ، فخندق على نفسه ومن معه من المهاجرين والأنصار ، فقدمت قريش فأقامت على الخندق محاصرةً لنا ، ترى فى أنفسها القوة وفينا الضعف ، ترعد وتبرق ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعوها إلى الله عز وجل ويناشدها بالقرايه والرحم فتأبى ، ولا يزيدها ذلك إلا عتواً ، وفارسها وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبد ود ، يهدر كالبعير المغتلم ، يدعو إلى البراز ويرتجز ويخطر برمحه مره ، وبسيفه مره ، لا يقدم عليه مُقدم ، ولا يطمع فيه طامع ، ولا حميه تهيجه ولا بصيره تشجعه ، فأنهضنى إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعمنى بيده وأعطانى سيفه هذا ، وضرب بيده إلى ذى الفقار ، فخرجت إليه ونساء أهل المدينة بواكٍ إشفاقاً على من ابن عبد ود ، فقتله الله عز وجل بيدى ، والعرب لا تعدُّ لها فارساً غيره ، وضربنى هذه الضربه وأوماً بيده إلى هامته ، فهزم الله قريشاً والعرب بذلك ، وبما كان منى فيهم من النكايه . ثم التفت (عليه السلام) إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين فقال (عليه السلام): وأما السادسة يا أخوا اليهود ، فإننا وردنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مدينه أصحابك خير على رجال من اليهود وفرسانها من قريش وغيرها ، فتلقونا بأمثال الجبال من

الخيال والرجال والسلاح ، وهم فى أمنع دار وأكثر عدد ، كل ينادى ويدعو ويبادر إلى القتال ، فلم يبرز إليهم من أصحابى أحد إلا قتلوه حتى إذا احمرت الحدق ، ودعيت إلى النزال وأهمت كل امرئ نفسه ، والتفت بعض أصحابى إلى بعض وكل يقول: يا أبا الحسن انهض ، فأنهضنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى دارهم فلم يبرز إلى منهم أحد إلا- قتلته ، ولا يثبت لى فارس إلا طحنته ، ثم شددت عليهم شدة الليث على فريسته ، حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسدداً عليهم ، فاقتلعت باب حصنهم بيدى حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدى ، أقتل من يظهر فيها من رجالها ، وأسبى من أجد من نساءها حتى افتتحها وحدى ، ولم يكن لى فيها معاون إلا- الله وحده ، ثم التفت (عليه السلام) إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين ، فقال (عليه السلام):

وأما السابعة يا أبا اليهود، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما توجه لفتح مكة ، أحب أن يعذر إليهم ويدعوهم إلى الله عز وجل آخرأ ، كما دعاهم أولاً ، فكتب إليهم كتاباً يحذرهم فيه وينذرهم عذاب الله ، ويعددهم الصفح ويمنيهم مغفره ربهم ، ونسخ لهم فى آخره سورة براءة ليقراها عليهم ، ثم عرض على جميع أصحابه المضى به فكلهم يرى التناقل فيه ، فلما رأى ذلك ندب منهم رجلاً فوجهه به فأتاه جبرئيل فقال: يا محمد لا يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك ، فأنبأنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك ووجهنى بكتابه ورسالته إلى أهل مكة ، فأتيت مكة وأهلها من قد عرفتم ليس منهم أحد إلا ولو قدر أن يضع على كل جبل منى إرباً لفعل ، ولو أن يبذل فى ذلك نفسه وأهله وولده وماله ، فبلغتهم رساله النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقرأت عليهم كتابه ، فكلهم يلقانى بالتهديد والوعيد ويبدى لى البغضاء ، ويظهر الشحنة من رجالهم ونسائهم ، فكان منى فى ذلك ما قد رأيتم ! ثم التفت إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين . فقال (عليه السلام):

يا أبا اليهود هذه المواطن التى امتحننى فيه ربه عز وجل مع نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجدنى فيها كلها بمنه مطيعاً ، ليس لأحد فيها مثل الذى لى ، ولو شئت لوصفتُ ذلك ،

ولكن الله عز وجل نهى عن التزكية . فقالوا: يا أمير المؤمنين: صدقت والله ، ولقد أعطاك الله عز وجل الفضيله بالقرابه من نبينا(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأسعدك بأن جعلك أخاه ، تنزل منه بمنزله هارون من موسى ، وفضلك بالمواقف التي باشرتھا، والأهوال التي ركبتهما، وذخر لك الذى ذكرت وأكثر منه مما لم تذكره ، ومما ليس لأحد من المسلمين مثله يقول ذلك من شهدك منا مع نبينا(صلى الله عليه وآله وسلم)ومن شهدك بعده ، فأخبرنا يا أمير المؤمنين ما امتحنك الله عز وجل به بعد نبينا(صلى الله عليه وآله وسلم)فاحتملته وصبرت ، فلو شئنا أن نصف ذلك لوصفناه ، علماً منا به وظهوراً منا عليه ، إلا أنا نحب أن نسمع منك ذلك ، كما سمعنا منك ما امتحنك الله به فى حياته فأطعته فيه . فقال(عليه السلام):

يا أخا اليهود إن الله عز وجل امتحننى بعد وفاه نبيه(صلى الله عليه وآله وسلم)فى سبعة مواطن فوجدنى فيهن ، من غير تزكيه لى نفسى ، بمنه ونعمته صبوراً .

أما أولهن يا أخا اليهود ، فإنه لم يكن لى خاصه دون المسلمين عامه أحد آنس به أو أعتمد عليه أو أستنيم إليه أو أتقرب به ، غير رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، هو ربانى صغيراً وبوانى كبيراً ، وكفانى العيله ، وجبرنى من اليتيم ، وأغنانى عن الطلب ، ووقانى المكسب . وعال لى النفس والولد والأهل ، هذا فى تصارىف أمر الدنيا ، مع ما خصنى به من الدرجات التى قادتنى إلى معالى الحق عند الله عز وجل ، فنزل بى من وفاه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)ما لم أكن أظن الجبال لو حملته عنوه كانت تنهض به ، فرأيت الناس من أهل بيتى ما بين جازع لا يملك جزعه ولا يضبط نفسه ، ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به ، قد أذهب الجزع صبره وأذهل عقله ، وحال بينه وبين الفهم والإفهام والقول والإسماع ! وسائر الناس من غير بنى عبد المطلب بين معز يأمر بالصبر ، وبين مساعد باك لبكائهم جازع لجزعهم ، وحملت نفسى على الصبر عند وفاته بلزوم الصمت والإنشغال بما أمرنى به من تجهيزه وتغسيله وتحنيطه وتكفينه ، والصلاه عليه ، ووضعها فى حفرتة ، وجمع كتاب الله وعهده إلى خلقه ، لا يشغلنى عن ذلك بادر دمعته ، ولا هائج زفره ، ولا لاذع حرقه ، ولا جزيل مصيبه ، حتى أديت

فى ذلك الحق الواجب لله عز وجل ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ، وبلغت منه الذى أمرنى به ، واحتملته صابراً محتسباً . ثم التفت (عليه السلام) إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين . فقال (عليه السلام):

وأما الثانى يا أخوا اليهود ، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمرنى فى حياته على جميع أمته ، وأخذ على جميع من حضره منهم البيعه والسمع والطاعة لأمرى ، وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب ذلك ، فكننت المؤدى إليهم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمره إذا حضرته والأمير على من حضرنى منهم إذا فارقت ، لا تختلج فى نفسى منازعه أحد من الخلق لى ، فى شىء من الأمر فى حياة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا بعد وفاته . ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بتوجيه الجيش الذى وجهه مع أسامه بن زيد عند الذى أحدث الله به من المرض الذى توفاه فيه ، فلم يدع أحداً من أفناء العرب ولا

من الأوس والخزرج وغيرهم من سائر الناس ممن يخاف على نقضه ومنازعته ، ولا أحداً ممن يرانى بعين البغضاء ممن قد وترته بقتل أبيه أو أخيه أو حميمه ، إلا وجهه فى ذلك الجيش ، ولا من المهاجرين والأنصار والمسلمين والمؤلفه قلوبهم والمنافقين . لتصفو قلوب من يبقى معى بحضرته ، ولئلا يقول قائل شيئاً مما أكرهه ، ولا يدفعنى دافع من الولاية والقيام بأمر رعيتيه من بعده ، ثم كان آخر ما تكلم به فى شىء من أمر أمته ، أن يمضى جيش أسامه ولا يتخلف عنه أحد ممن أنهض معه ، وتقدم فى ذلك أشد التقدم ، وأوعز فيه أبلغ الإيعاز ، وأكد فيه أكثر التأكيد ! فلم أشعر بعد أن قبض النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا برجال من بعث أسامه بن زيد وأهل عسكره قد تركوا مراكزهم وأخلوا مواضعهم ، وخالفوا أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما أنهضهم له وأمرهم به وتقدم إليهم من ملازمه أميرهم ، والسير معه تحت لوائه ، حتى ينفذ لوجهه الذى أنفذه إليه ! فخلفوا أميرهم مقيماً فى عسكره وأقبلوا يتبادرون على الخيل ركضاً إلى حل عقده عقدها الله عز وجل لى ولرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى أعناقهم فحلوها ، وعهد عاهدوا الله ورسوله فنكثوه ، وعقدوا لأنفسهم عقداً ضجت به أصواتهم واختصت به آراؤهم ، من غير مناظره لأحد منا بنى عبد المطلب

أو مشاركة في رأى ، أو استقاله لما في أعناقهم من بيعتى !

فعلوا ذلك وأنا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مشغول وبتهيئته ، عن سائر الأشياء مصدود ، فإنه كان أهمها وأحق ما بدئ به منها ، فكان هذا يا أبا اليهود أفرح ما ورد على قلبى ، مع الذى أنا فيه من عظيم الرزية وفاجع المصيبة ، وفقد من لا خلف منه إلا الله تبارك وتعالى ، فصبرت عليها إذ أتت بعد أختها على تقاربها وسرعه اتصالها ، ثم التفت (عليه السلام) إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين ، فقال (عليه السلام):

وأما الثالثة يا أبا اليهود ، فإن القائم بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يلقانى معتذراً فى كل أيامه ، ويلوم غيره على ما ارتكبه من أخذ حقى ونقض بيعتى ، وسألنى تحليله ، فكنت أقول: تنقضى أيامه ، ثم يرجع إلى حقى الذى جعله الله لى عفواً هنيئاً من غير أن أحدث فى الإسلام مع حدوثه وقرب عهده بالجاهلية ، حدثاً فى طلب حقى بمنازعه ، لعل فلاناً يقول فيها نعم وفلاناً يقول لا ، فيؤول ذلك من القول إلى الفعل ، وجماعه من خواص أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أعرفهم بالنصح لله ولرسوله ولكتابه ودينه الإسلام يأتونى عوداً وبدءاً وعلانية وسراً فيدعونى إلى أخذ حقى ، ويبذلون أنفسهم فى نصرتى ، ليؤدوا إلى بذلك بيعتى فى أعناقهم ، فأقول رويداً وصبراً لعل الله يأتينى بذلك عفواً بلا منازعه ولا إراقه دماء ، فقد ارتاب كثير من الناس بعد وفاه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وطمع فى الأمر بعده من ليس له بأهل فقال كل قوم: منا أمير ، وما طمع القائلون فى ذلك إلا لتناول غيرى الأمر ، فلما دنت وفاه القائم وانقضت أيامه صير الأمر بعده لصاحبه ، فكانت هذه أخت أختها ، ومحلها منى مثل محلها ، وأخذنا منى ماجعله الله لى ، فاجتمع إلى من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (ممن مضى وممن بقى ممن أخره الله من اجتمع ، فقالوا لى فيها مثل الذى قالوا فى أختها ، فلم يعد قولى الثانى قولى الأول ، صبراً واحتساباً ويقيناً ، وإشفاقاً من أن تفنى عصبه تألفهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باللين مره وبالشدده أخرى ، وبالندر مره ، وبالسيف أخرى ! حتى لقد كان من تألفه لهم أن كان الناس فى الكر والفرار والشعب والرى ، واللباس والوظء والدثار ،

ص: ٤٣٦

ونحن أهل بيت محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) لاسقف لبيوتنا، ولا أبواب ولاستور إلا الجرائد، وما أشبهها، ولا وطاء لنا ولا دثار علينا، يتداول الثوب الواحد في الصلاة أكثرنا، ونطوى الليالي والأيام عامتنا، وربما أتانا الشئ مما أفاءه الله علينا وصيره لنا خاصة دون غيرنا، ونحن على ماوصفت من حالنا، فيؤثر به رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أرباب النعم والأموال تألفاً منه لهم، فكنت أحق من لم يفرق هذه العصبه التي ألفها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يحملها على الخطه التي لاخلاص لها منها، دون بلوغها أو فناء آجالها، لأنى لو نصبت نفسى فدعوتهم إلى نصرتى كانوا منى وفى أمرى على إحدى منزلتين إما متبع مقاتل، وإما مقتول إن لم يتبع الجميع، وإما خاذل يكفر بخذلانه إن قصر فى نصرتى أو أمسك عن طاعتى، وقد علم الله أنى منه بمنزله هارون من موسى، يحل به فى مخالفتى والإمساك عن نصرتى ما أحل قوم موسى بأنفسهم فى مخالفه هارون وترك طاعته. ورأيت تجرع الغصص ورد أنفاس الصعداء، ولزوم الصبر حتى يفتح الله أو يقضى بما أحب، أزيد لى فى حظى، وأرفق بالعصابه التى وصفت أمرهم، وكان أمر الله قادراً مقدوراً. ولو لم أتق هذه الحاله يا أخا اليهود ثم طلبت حقى، لكنت أولى ممن طلبه، لعلم من مضى من أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن بحضرتك منه بأنى كنت أكثر عدداً وأعز عشيره وأمنع رجالاً- وأطوع أمراً وأوضح حججه، وأكثر فى هذا الدين مناقب وآثاراً، لسوابقى وقرابتى وورائتى، فضلاً عن استحقاقى ذلك بالوصيه التى لامخرج للعباد منها، والبيعه المتقدمه فى أعناقهم ممن تناولها، وقد قبض محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وإن ولايه الأمه فى يده وفى بيته، لا فى يد الألى تناولوها ولا فى بيوتهم، ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً أولى بالأمر من بعده من غيرهم فى جميع الخصال، ثم التفت(عليه السلام) إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ فقالو: بلى يا أمير المؤمنين فقال(عليه السلام):

وأما الرابعه يا أخا اليهود، فإن القائم بعد صاحبه كان يشاورنى فى موارد الأمور فيصدرها عن أمرى، ويناظرنى فى غوامضها فيمضيها عن رأى، لا أعلم أحداً ولا

يعلمه أصحابي يناظره في ذلك غيري ، ولا يطمع في الأمر بعده سوى ، فلما أن أتته منيته على فجأه بلا مرض كان قبله ، ولا أمر كان أمضاه في صحه من بدنه ، لم أشك أنى قد استرجعت حقى في عافيه بالمنزله التي كنت أطلبها ، والعاقبه التي كنت التمسها ، وأن الله سيأتي بذلك على أحسن ما رجوت ، وأفضل ما أملت ، وكان من فعله أن ختم أمره بأن سمي قوماً أنا سادسهم ، ولم يستوني بواحد منهم ، ولا ذكر لي حالاً في وراثه الرسول ولا قرابه ولا صهر ولا نسب ، ولا لواحد منهم مثل سابقه من سوابقى ولا أثر من آثاري ، وصيرها شوري بيننا وصير ابنه فيها حاكماً علينا ، وأمره أن يضرب أعناق النفر الستة الذين صير الأمر فيهم إن لم ينفذوا أمره ، وكفى بالصبر على هذا يا أخا اليهود صبراً ، فمكث القوم أيامهم كلها كل يخطب لنفسه وأنا ممسك ، حتى سألتوني عن أمرى فناظرتهم في أيامى وأيامهم وآثاري وآثارهم ، وأوضححت لهم ما لم يجهلوه من وجوه استحقاقى لها دونهم ، وذكرتهم عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم وتأكيده ما أكده من البيعه لى فى أعناقهم ، دعاهم حب الإيماره وبسط الأيدي والألسن فى الأمر والنهى والركون إلى الدنيا ، والإقتداء بالماضين قبلهم ، إلى تناول ما لم يجعل الله لهم ، فإذا خلوت بالواحد ذكرته أيام الله وحذرتة ما هو قائم عليه وصائرٌ إليه ، التمس منى شرطاً أن أصيرها له بعدى ! فلما لم يجدوا عندى إلا المحججه البيضاء والحمل على كتاب الله عز وجل ووصيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وإعطاء كل امرئ منهم ما جعله الله له ، ومنعه ما لم يجعل الله له ، أزالها عنى إلى ابن عفان ، طمعاً فى الشحيح معه فيها ! وابن عفان رجل لم يستو به وبواحد ممن حضره حال قط ، فضلاً عن دونهم ، لا يبدر التى هى سنام فخرهم ، ولا غيرها من المآثر التى أكرم الله بها رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومن اختصه معه من أهل بيته (عليه السلام)! ثم لم أعلم القوم أمسوا من يومهم ذلك حتى ظهرت ندامتهم ، ونكصوا على أعقابهم ، وأحال بعضهم على بعض ، كل يلوم نفسه ويلوم أصحابه !

ثم لم تطل الأيام بالمستبد بالأمر ابن عفان حتى أكفروه وتبرؤوا منه ، ومشى (يقصد

ابن عوف) إلى أصحابه خاصة وسائر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عامه ، يستقبلهم من بيعته ويتوب إلى الله من فلتته ، فكانت هذه يا أخا اليهود أكبر من أختها وأفضع ، وأحرى أن لا يصبر عليها ! فنالني منها الذى لا يبلغ وصفه ولا يحد وقته ، ولم يكن عندي فيها إلا الصبر على ما أمض وأبلغ منها ، ولقد أتاني الباقون من الستة من يومهم كل راجع عما كان ركب مني ! يسألني خلع ابن عفان والوثوب عليه وأخذ حقي ، ويؤتيني صفقته وبيعته على الموت تحت رايتي ، أو يرد الله عز وجل عليّ حقي .

فوالله يا أخا اليهود ما منعني منها إلا الذى منعني من أختيها قبلها ، ورأيت الإبقاء على من بقى من الطائفة أبهج لى وآنس لقلبي من فنائها ، وعلمت أنى إن حملتها على دعوه الموت ركبتة ، فأما نفسى فقد علم من حضر ممن ترى ومن غاب من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الموت عندي بمنزله الشر به الباردة فى اليوم الشديد الحر من ذى العطش الصدى ! ولقد كنت عاهدت الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنا وعمى حمزه وأخى جعفر وابن عمى عبيده على أمر وفينا به الله عز وجل ولرسوله ، فتقدمنى أصحابى وتخلفت بعدهم لما أراد الله عز وجل ، فأنزل الله فينا: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا. حمزه وجعفر وعبيده ، وأنا والله والمنتظر يا أخ اليهود وما بدلت تبديلاً ، وما سكنتنى عن ابن عفان وحثنى على الإمساك عنه إلا- أنى عرفت من أخلاقه فيما اخترت منه بما لن يدعه حتى يستدعى الأبعاد إلى قتله وخلعه فضلاً عن الأقارب ، وأنا فى عزله ، فصبرت حتى كان ذلك ، لم أنطق فيه بحرف من لا ، ولا نعم .

ثم أتاني القوم وأنا علم الله كاره ، لمعرفتى بما تطاعموا به من اعتقال الأموال والمرح فى الأرض ، وعلمهم بأن تلك ليست لهم عندي ، وشديد عادته منتزعه ، فلما لم يجدوا عندي تعللوا الأعاليل ! ثم التفت (عليه السلام) إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ فقالوا: بلى يا أمير المؤمنين ، فقال (عليه السلام):

وأما الخامسة يا أخا اليهود ، فإن المتابعين لى لما لم يطمعوا فى تلك منى ،

وثبوا بالمرأه عليّ ، وأنا وليُّ أمرها والوصيُّ عليها ، فحملوها على الجمل وشدوها على الرحال ، وأقبلوا بها تخبط الفياض وتقطع البراري وتبجح عليها كلاب الحوآب، وتظهر لهم علامات الندم في كل ساعه وعند كل حال ، في عصبه قد بايعوني ثانيه بعد بيعتهم الأولى في حياه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ! حتى أتت أهل بلده قصيره أيديهم طويله لحاهم، قليله عقولهم عازبه آراؤهم، وهم جيران بدو ووراد بحر ، فأخرجتهم يخبطون بسيوفهم من غير علم ، ويرمون بسهامهم بغير فهم ، فوقفت من أمرهم على اثنتين ، كلتاهما في محله المكروه ، ممن إن كفت لم يرجع ولم يعقل ، وإن أقمت كنت قد صرت إلى التي كرهت ، فقدمت الحجه بالإعذار والإنذار ، ودعوت المرأه إلى الرجوع إلى بيتها ، والقوم الذين حملوها على الوفاء ببيعتهم لى ، والترك لنقضهم عهد الله عز وجل فيّ ، وأعطيتهم من نفسى كل الذى قدرت عليه ، وناظرت بعضهم فرجع وذكرته فذكر ، ثم أقبلت على الناس بمثل ذلك فلم يزدادوا إلا جهلاً وتمادياً وغياً ، فلما أبوا إلا هى ركبته منهم فكانت عليهم الدبره وبهم الهزيمه ولهم الحسره ، وفيهم الفناء والقتل ، وحملت نفسى على التى لم أجد منها بدأ ، ولم يسعنى إذ فعلت ذلك وأظهرته آخرأ مثل الذى وسعنى منه أولاً- ، من الإغضاء والإمساك ، ورأيتنى إن أمسكت كنت معيناً لهم عليّ يامساكى على ما صاروا إليه وطمعوا فيه ، من تناول الأ-طراف وسفك الدماء وقتل الرعيه ، وتحكيم النساء النواقص العقول والحظوظ على كل حال ، كعاده بنى الأصفر ومن مضى من ملوك سبأ والأمم الخاليه فأصير إلى ما كرهت أولاً وآخرأ ، وقد أهملتُ المرأه وجندها يفعلون ما وصفت بين الفريقين من الناس ، ولم أهجم على الأمر إلا بعدما قدمت وأخرت ، وتأنيت وراجعت وأرسلت وسافرت ، وأعدرت وأنذرت ، وأعطيت القوم كل شئ يلمسونه بعد أن عرضت عليهم كل شئ لم يلمسوه ، فلما أبوا إلا تلك أقدمت عليها فبلغ الله بى وبهم ما أراد ، وكان لى عليهم بما كان منى إليهم شهيداً ، ثم التفت (عليه السلام) إلى أصحابه فقال: أليس كذلك ؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين ، فقال (عليه السلام):

وأما السادسة يا أخا اليهود ، فتحكيمهم الحكمين ومحاربه ابن آكله الأكباد ، وهو طليق معاند لله عز وجل ولرسوله والمؤمنين ، منذ بعث الله محمداً إلى أن فتح الله عليه مكة عنوه ، فَأَخَذَتْ بيعته وبيعه أبيه لى معه فى ذلك اليوم ، وفى ثلاثة مواطن بعده ، وأبوه بالأمس أول من سلم علىّ بإمره المؤمنين ، وجعل يحثنى على النهوض فى أخذ حقى من الماضين قبلى ، ويجدد لى بيعته كلما أتانى !

وأعجب العجب أنه لما رأى ربه تبارك وتعالى قد ردّ إلىّ حقى وأقر فى معدنه ، وانقطع طمعه أن يصير فى دين الله رابعاً ، وفى أمانه حملناها حاكماً ، كرّ على العاصى بن العاص فاستماله فمال إليه ، ثم أقبل به بعد أن أطعمه مصر ، وحرام عليه أن يأخذ من الفيء دون قسمه درهماً ، وحرام على الراعى إيصال درهم إليه فوق حقه ، فأقبل يخبط البلاد بالظلم ويطأها بالغشم ، فمن بايعه أرضاه ومن خالفه ناواه ، ثم توجه إلى ناكثاً علينا مغيراً فى البلاد شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً ، والأنباء تأتيني والأخبار ترد علىّ بذلك ، فأتانى أعور ثقيف فأشار علىّ أن أوليه البلاد التى هو بها لأداريه بما أوليه منها ، وفى الذى أشار به الرأى فى أمر الدنيا ، لو وجدت عند الله عز وجل فى توليتى له مخرجاً ، وأصبت لنفسى فى ذلك عذراً ، فأعملت الرأى فى ذلك ، وشاورت من أتق بنصيحته الله عز وجل ولرسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولى وللمؤمنين ، فإن رأيه فى ابن آكله الأكباد كرايى ، ينهانى عن توليته ويحذرني أن أدخل فى أمر المسلمين يده ، ولم يكن الله ليرانى أتخذ المضلين عضداً ، فوجهت إليه أخا بجيله مره وأخا الأشعريين مره ، كلاهما ركن إلى الدنيا وتابع هواه فيما أرضاه ، فلما لم أراه

يزداد فيما انتهك من محارم الله إلتامادياً ، وشاورت من معى من أصحاب محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) البدرين والذين ارتضى الله عز وجل أمرهم ورضى عنهم بعد بيعتهم ، وغيرهم من صلحاء المسلمين والتابعين ، فكل يوافق رأيه رأى فى غزوه و محاربه ومنعه مما نالت يده ، وإنى نهضت إليه بأصحابى ، أنفذ إليه من كل موضع كتبي وأوجه إليه رسلى ، أدعوه إلى الرجوع عما هو فيه ، والدخول فيما فيه الناس معى ، فكتب يتحكم علىّ ويتمنى علىّ الأمانى ويشترط علىّ شروطاً لا يرضاها الله عز وجل

ورسوله ولا- المسلمون ، ويشترط فى بعضها أن أذفع إليه أقواماً من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أبراراً ، فيهم عمار بن ياسر وأين مثل عمار؟! والله لقد رأيتنا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما يعد منا خمسه إلا كان سادسهم ، ولا أربعه إلا كان خامسهم ، اشترط دفعهم إليه ليقتلهم ويصلبهم ! وانتحل دم عثمان ! ولعمر والله ما ألب على عثمان ولا جمع الناس على قتله إلا- هو وأشباهه من أهل بيته ، أغصان الشجره الملعونه فى القرآن ، فلما لم أجب إلى ما اشترط من ذلك كَرَّ مستعلياً فى نفسه بطغيانه وبغيه ، بحمير لا- عقول لهم ولا بصائر ، فمؤه لهم أمراً فاتبعوه ، وأعطاهم من الدنيا ما أمالهم به إليه ، فناجزناهم وحاكمناهم إلى الله عز وجل بعد الإعذار والإنذار ، فلما لم يزد ذلك إلا تمادياً وبغياً لقيناه بعاده الله التى عودناه من النصر على أعدائه وعدونا ، ورايه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأيدينا ، لم يزل الله تبارك وتعالى يفلُّ حزب الشيطان بها حتى يقضى الموت عليه ، وهو مُعلم رايات أبيه التى لم أزل أقاتلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى كل المواطن ، فلم يجد من الموت منجى إلا الهرب فركب فرسه وقلب رايته ، لا يدري كيف يحتال فاستعان برأى ابن العاص ، فأشار عليه بإظهار المصاحف ورفعها على الأعلام والدعاء إلى ما فيها ، فرفع المصاحف يدعو إلى ما فيها بزعمه ! فمالت إلى المصاحف قلوب من بقى من أصحابي بعد فناء أخيارهم ، وجهدهم فى جهاد أعداء الله وأعدائهم على بصائرهم ! وظنوا أن ابن آكله الأكباد له الوفاء بما دعا إليه ، فأصغوا إلى دعوته وأقبلوا بأجمعهم فى إجابته ، فأعلمتهم أن ذلك منه مكراً ومن ابن العاص معه ، وأنهما إلى النكث أقرب منهما إلى الوفاء ، فلم يقبلوا قولى ولم يطيعوا أمرى ، وأبوا إلا إجابته كرهت أم هويت ، شئت أو أبيت ، حت أخذ بعضهم يقول لبعض: إن لم يفعل فالحقوه ببن عفان ، أو ادفعوه إلى ابن هند برمته ! فجهدت علم الله جهدى ، ولم أدع غله فى نفسى إلا بلغتها ، فى أن يخلونى ورأبى فلم يفعلوا ، وراودتهم على الصبر على مقدار فواق الناقه أو ركضه الفرس فلم يجيبوا ، ما خلا هذا الشيخ وأوماً بيده إلى الأشر وعصبه من أهل بيتى ، فوالله ما منعى أن أمضى على بصيرتى إلا مخافه أن يقتل هذان ، وأوماً بيده إلى الحسن والحسين (عليهما السلام) ، فينقطع

نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وذريته من أمته ، ومخافه أن يقتل هذا وهذا وأوماً بيده إلى عبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية ، فإننى أعلم لولا مكانى لم يقفا ذلك الموقف فلذلك صبرت على ما أراد القوم مع ما سبق فيه من علم الله عز وجل ، فلما رفعنا عن القوم سيوفنا تحكّموا فى الأمور وتخيروا الأحكام والآراء ، وتركوا المصاحف وما دعوا إليه من حكم القرآن ، وما كنت أحكم فى دين الله أحداً ، إذ كان التحكيم فى ذلك الخطأ الذى لا شك فيه ولا امتراء ، فلما أبوا إلا ذلك أردت أن أحكم رجلاً من أهل بيتى أو رجلاً ممن أرضى رأيه وعقله ، وأثق بنصيحته ومودته ودينه ، وأقبلت لا أسمى أحداً إلا امتنع منه ابن هند ، ولا أدعوه إلى شئ من الحق إلا أدبر عنه ، وأقبل ابن هند يسومنا عسفاً ، وما ذاك إلا باتباع أصحابى له على ذلك فلما أبوا إلا غلبت على التحكم تبرأت إلى الله عز وجل منهم ، وفوضت ذلك إليهم فقلدوه امرئ فخدعه ابن العاص خديعه ظهرت فى شرق الأرض وغربها وأظهر المخدوع عليها ندماً ! ثم أقبل (عليه السلام) على أصحابه فقال: أليس كذلك قالوا: بلى يا أمير المؤمنين فقال (عليه السلام):

وأما السابعه يا أبا اليهود ، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان عهد إلى أن أقاتل فى آخر الزمان من أيامى قوماً من أصحابى يصومون النهار ويقومون

الليل ويتلون الكتاب ، يمرقون بخلافهم علىّ ومحاربتهم إياى من الدين مروق السهم من الرميّه ، فيهم ذو الشديه ، يختم لى بقتلهم بالسعاده ، فلما انصرفت إلى موضعى هذا (يعنى بعد الحكمين) ، أقبل بعض القوم على بعض باللائمه فيما صاروا إليه من تحكيم الحكمين ، فلم يجدوا لأنفسهم من ذلك مخرجاً إلا أن قالوا: كان ينبغى لأمرنا أن لا يبايع من أخطأ وأن يقضى بحقيقه رأيه على قتل نفسه وقتل من خالفه منا ، فقد كفر بمتابعته إيانا وطاعته لنا فى الخطأ ، وأحل لنا بذلك قتله وسفك دمّه ! فتجمعوا على ذلك وخرجوا راكبين رؤوسهم ينادون بأعلى أصواتهم: لاحكم إلا لله ، ثم تفرقوا فرقه بالنخيله وأخرى بحروراء ، وأخرى راكبه رأسها تخبط الأرض شرقاً ، حتى عبرت دجله ، فلم تمرّ بمسلم إلا امتحنته فمن تابعها استحيته ، ومن خالفها قتلته ! فخرجت إلى الأوليين واحده بعد أخرى أدعوهم إلى طاعه الله عز وجل والرجوع إليه ، فأبوا

إلا- السيف لا يقنعهما غير ذلك! فلما أعيت الحيله فيهما حاكمتهما إلى الله عز وجل فقتل الله هذه وهذه ، وكانوا يا أبا اليهود لولا- ما فعلوا ركناً قوياً وسداً منيعاً ، فأبى الله إلا ما صاروا إليه ! ثم كتبت إلى الفرقة الثالثة ووجهت رسلي تترى وكانوا من جله أصحابي وأهل التعبد منهم والزهد في الدنيا ، فأبت إلا اتباع أختيها والإحتذاء على مثالهما ، وأسرعت في قتل من خالفها من المسلمين وتتابعت إليّ الأخبار بفعلهم ، فخرجت حتى قطعت إليهم دجله ، أوجه السفراء والنصحاء وأطلب العتبي ، بجهدى بهذا مره وبهذا مره ، أوماً بيده إلى الأشر ، والأحنف بن قيس ، وسعيد بن قيس الأرحبي ، والأشعث بن قيس الكندي ، فلما أبوا إلا تلك ركبها منهم ، فقتلهم الله يا أبا اليهود عن آخرهم ، وهم أربعة آلاف أو يزيدون حتى لم يفلت منهم مخبر! فاستخرجت ذا الشديه من قتلاهم بحضره من ترى ، له ثدى كئدى المرأه ! ثم التفت (عليه السّلام) إلى أصحابه فقال ، أليس كذلك؟ قالوا ، بلى يا أمير المؤمنين ، فقال (عليه السّلام):

قد وفيت سبعاً وسبعاً يا أبا اليهود وبقيت الأخرى وأوشك بها فكأنّ قد! فبكى أصحاب على (عليه السّلام) وبكى رأس اليهود وقالوا: يا أمير المؤمنين أخبرنا بالأخرى فقال: الأخرى أن تخضب هذه ، وأوماً بيده إلى لحيته ، من هذه ، وأوماً بيده إلى هامته ، قال: وارتفعت أصوات الناس في المسجد الجامع بالضجه والبكاء ، حتى لم يبق بالكوفه دار إلا خرج أهلها فرعاً! وأسلم رأس اليهود على يدى على (عليه السّلام) من ساعته ، ولم يزل مقيماً حتى قتل أمير المؤمنين (عليه السّلام) وأخذ ابن ملجم لعنه الله ، فأقبل رأس اليهود حتى وقف على الحسن (عليه السّلام) والناس حوله وابن ملجم بين يديه فقال له: يا أبا محمد أقتله قتله الله ، فإنى رأيت فى الكتب التى أنزلت على موسى (عليه السّلام) أن هذا أعظم عند الله عز وجل جرماً من ابن آدم قاتل أخيه ، ومن القدار عاقر ناقة ثمود) .

مقادير الله تعالى لرسوله وعترته (صلى الله عليه وآله وسلم)

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن العرب كرهت أمر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وحسدته على ما آتاه الله من فضله ، واستطالت أيامه حتى قذفت زوجته ، ونفرت به ناقته ، مع عظيم إحسانه إليها ، وجسيم مننه عندها ! وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته) ! (شرح النهج: ٢٠/٢٩٨) .

لكن الله تعالى شاء أن يحفظ مكانه نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلا تقتله قريش طمعاً في ملكه ، ولا ترتد عليه في حياته ، وأن يتحمل نكسه الأمة من بعده وصيه على (عليه السلام) !

وكذلك الأمر في عليّ (عليه السلام) فقد ربت قريش ضده السقيفه ، وأجبرته أن يبايع صاحبها ، وبعد خمس وعشرين سنه نقت الأمه على حكم قريش حيث استأثر عثمان الأموي بمقدراتها وأساء الإستئثار ، فثار عليه بقيه الصحابه والأمه وقتلوه ، وتوجهوا الى علي (عليه السلام) وبايعوه بالخلافه ، فبدأ علي (عليه السلام) مشروعه في إعادة العهد النبوي ، واستجابت له الأمة فعملت معه فيه ، حتى نفذ مخزونها في الجهاد ، وصارت بين يديه كالتراب !

وفي المقابل أخذت الموجه القرشيه الجديده بقياده معاويه تلاقى استجابته من الأمة ! وكانت خطط دهاه قريش والعرب: معاويه ، وعمرو العاص ، والأشعث والمغيره بن شعبه ، أن يجبروا علياً (عليه السلام) على تسليم الخلافه الى معاويه ، أو يعتقله المنافقون في صفين ، أو العراق ، ويسلموه الى معاويه ، فيكون أسير معاويه وعبده ، وربما منّ عليه معاويه وأطلقه جزاءً لأسر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (أباسفيان وزعماء قريش عند فتح مکه ومنه عليهم بالحياه ، فتكون واحده بواحد !

لكن حكمه الله تعالى شاءت أن تبقى شخصيه علي (عليه السلام) محفوظه ، ومشروعه لإعاده العهد النبوي مصوناً في ضمير الأمة وتاريخها ، وأن يتحمل انهيار الأمة

بالكامل واستسلامها الى بنى أميه ، وصيه الإمام الحسن (عليه السلام) !

كما كان من حكمه الله تعالى أن يكون قَتِيلَ علي (عليه السلام) بيد طرف ثالث غير قريش خارج عن الأُمه التي تعلن قريش انتماءها لها ، وإن كان المحرك الأصلي له معاويه وعميله الأشعث !

مرآه غيب الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبر علياً عن مستقبله

في السنه الثانيه للهجره ، فرض الله تعالى فريضة الصوم في شهر رمضان فبلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رساله ربه ، وخطب فيهم في آخر جمعه من شعبان يهيئهم لاستقبال شهر الله تعالى ، وبعد الخطبه سأله علي (عليه السلام): يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل ، ثم بكى (صلى الله عليه وآله وسلم) ! فقال له علي (عليه السلام): يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: يا علي أبكى لما يستحل منك في هذا الشهر ! كأنى بك وأنت تصلى لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين ، شقيق عاقر ناقه ثمود فضربك ضربه علي قرنك ، فحضب منها لحيتك . فقال (عليه السلام): يا رسول الله وذلك في سلامه من ديني؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : في سلامه من دينك ، ثم قال: يا علي من قتلك فقد قتلني ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، ومن سبك فقد سبني ، لأنك منى كنفسى ، روحك من روحى ، وطينتك من طينتى ، إن الله تبارك وتعالى خلقنى وإياك ، واصطفانى وإياك ،

واختارنى للنبوه واختارك للإمامه ، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتى . يا علي ، أنت وصيى ، وأبو ولدى ، وزوج ابنتى ، وخليفتى علي أمتى فى حياتى وبعد موتى ، أمرُك أمرى ، ونهْيُك نهْيى أقسم بالذى بعثنى بالنبوه وجعلنى خير البريه إنك لحجه الله على خلقه ، وأمينه على سره ، وخليفته على عباده . (أمالى الصدوق ص ١٥٥)

قال علي (عليه السلام): (لقد خبرنى حبيب الله وخيرته من خلقه ، وهو الصادق المصدوق عن يومى هذا ، وعهد إلّى فيه فقال: يا عليّ، كيف بك إذا بقيت فى حثاله من

الناس تدعو فلا تجاب ، وتنصح عن الدين فلا تعان ، وقد مال أصحابك وشنف لك نصحاؤك ، وكان الذى معك أشد عليك من عدوك ، إذا استنهضتهم صدوا معرضين وإن استحشثهم أدبروا نافرين ، يتمنون فقدك لما يرون من قيامك بأمر الله عز وجل ، وصرفك إياهم عن الدنيا...). (نهج السعادة: ٨/٣٧٠).

قال له رجل بعد خطبه فى البصره بعد افتتاحها:(يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الفتنة ، هل سألت عنها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال(عليه السلام): نعم ، إنه لما نزلت هذه الآية من قول الله عز وجل: أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بين أظهرنا ، فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التى أخبرك الله بها؟ فقال(صلى الله عليه وآله وسلم): يا على، إن أمتى سيفتنون من بعدى . قلت: يا رسول الله أو ليس قد قلت لى يوم أُخِيد حيث استشهد من المسلمين وحيزت على الشهاده ، فشق ذلك علىّ فقلت لى: أبشر يا صدِّيق فإن الشهاده من ورائك؟ فقال لى(صلى الله عليه وآله وسلم): فإن ذلك لكذلك فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذه؟ وأهوى بيده إلى لحيتى ورأسى؟ فقلت: بأبى وأمى يا رسول الله ليس ذلك من مواطن الصبر ، ولكن

من مواطن البشرى والشكر . فقال لى: أجل ، ثم قال: يا على إنك باق بعدى ومبتلى بأمتى ، ومخاصم يوم القيامة بين يدى الله تعالى فاعدد جواباً . فقلت: بأبى أنت وأمى ، بين لى ما هذه الفتنة التى يبتلون بها؟ وعلى مَ أجاهدكم بعدك؟ فقال: إنك ستقاتل بعدى الناكثه والقاسطه والمارقه . وجلاهم وسماهم رجلاً رجلاً ثم قال لى: وتجاهد أمتى على كل من خالف القرآن ، ممن يعمل فى الدين بالرأى ، ولا رأى فى الدين، إنما هو أمر من الرب ونهيه). (الإحتجاج: ١/٢٩٠)

قال على(عليه السلام): (كنت أمشى مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فى بعض طرق المدينه ، فأتينا على حديقه ، فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقه . قال(صلى الله عليه وآله وسلم): ما أحسنها ،

ولك في الجنة أحسن منها.... فلما خلاطه الطريق اعتنقني ثم أجهش باكياً وقال: بأبي الوحيد الشهيد! فقلت: يا رسول الله ما بيكيك؟ فقال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدى! أحقاد بدر وترأت أحد.... يا علي ما بعث الله رسولاً إلا وأسلم معه قوم طوعاً وقوم آخرون كرهاً، فسلط الله الذين أسلموا كرهاً على الذين أسلموا طوعاً، فقتلوهم ليكون أعظم لأجورهم!

يا علي، وإنه ما اختلفت أمه بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، وإن الله قضى الفرقه والاختلاف على هذه الأمة، ولو شاء الله لجعلهم على الهدى حتى لا يختلف اثنان من خلقه، ولا يتنازع في شيء من أمره، ولا يُجحد المفضول ذا الفضل فضله، ولو شاء عجل النقمه، فكان منه التغيير حتى يُكذب الظالم، ويعلم الحق أين مصيره. ولكن جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة دار القرار، ليُجزى

الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزَى الَّذِينَ أَحْسَبُوا بِالْحُسْنَى . فقلت: الحمد لله شكراً على نعمائه، وصبراً على بلائه، وتسليماً ورضاً بقضائه). (كتاب سليم ص ١٣٧).

ما يحبس أشقاها أن يخضب هذه من هذا؟

(أما والله لوددت أن ربي أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه! وإن المنية لترصدني، فما يمنع أشقاها أن يخضبها؟! عهدٌ عهدة إلى النبي الأُمي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد خاب من افتري، ونجى من اتقى وصدق بالحسنى .

يا أهل الكوفة: قد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً، وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنه ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وثقل عليكم قولي واستصعب عليكم أمري، واتخذتموه وراءكم ظهرياً، حتى شنت عليكم الغارات، وظهرت فيكم الفواحش والمنكرات تمسيكم وتصبحكم! كما فعل بأهل المثلات من قبلكم، حيث أخبر الله عز وجل عن الجبابرة العتاه الطغاه المستضعفين الغواه، في قوله تعالى: يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَ كُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ . أما والذي فلق الحبه وبرأ النسمه لقد حلّ بكم الذي توعدون!

يا أهل الكوفة: عاتبتكم بمواعظ القرآن فلم أنتفع بكم! أدبتكم بالدُّره فلم تستقيموا لى ، وعاقبتكم بالسُّوط الذى يقام به الحدود فلم تزَعَوْوا ، ولقد علمت أن الذى يصلحكم هو السيف! وما كنت متحريراً صلاحكم بفساد نفسى! ولكن سئسَلْتُ عليكم سلطاناً صعباً لا يوقر كبيركم ولا يرحم صغيركم ولا يكرم عالمكم ، ولا يقسم الفئى بالسويه بينكم ، وليضربنكم وليذلنكم ، وليجربنكم فى المغازى ، وليقطعن سبيلكم وليحجبنكم على بابيه ، حتى يأكل قويمكم ضعيفكم! ثم لا يبعد الله إلا من ظلم ، وما أدبر شئ فأقبل! إني لأظنكم على فتره ، وما على إلا النصح لكم .

يا أهل الكوفة: مُنيْتُ منكم بثلاث واثنتين: صمُّ ذوو أسمع ، وبكمُّ ذوو ألسن ، وعمى ذوو أبصار ، لا إخوانُ صدق عند اللقاء ، ولا إخوانُ ثقة عند البلاء!

اللهم إني قد مللتهم وملونى ، وسئمتهم وسئمونى! اللهم لا- تُرض عنهم أميراً ، ولا- تُرضهم عن أمير ، وأمت قلوبهم كإيمائهم الملح فى الماء!

يا أهل الكوفة قد أتانى الصريخ يخبرنى أن ابن غامد قد نزل بالأنبار على أهلها ليلاً ، فى أربعه آلاف فأغار عليهم...الخ). (الإرشاد: ١/٢٨٣).

يشكو لحبيبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)!

قال الحسن بن على يوم قتل على (عليهما السلام): (خرجت البارحة وأبى يصلى فى مسجد داره ، فقال لى: يا بنى إني بُتُّ أوقظ أهلى لأنها ليله الجمعه صبيحه بدر ، فملكتنى عيناي فتمت فسنح لى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأودِ واللِّددِ! (الإعوجاج والجدل) فقال لى: أدع عليهم . فقلت: اللهم أبدلنى بهم من هو خيرٌ منهم ، وأبدلهم بى من هو شرٌّ منى). (نهج السعاده: ٧/١٢١)

(فشكوت إليه ما أنا فيه من مخالفه أصحابى ، وقله رغبتهم فى الجهاد ، فقال: أدع الله أن يريحك منهم ، فدعوت الله). (العقد الفريد: ٣/١٢٤).

نحن بسطاء فى فهم كثير من الأمور ، ومنها تصورنا عن الحياه والأجل ! وبسطاء عندما نقيس حياه المعصوم (عليه السّلام) بحياتنا ولا نفهم العالم الذى يحيط به !

نتصور أن غيب الله تعالى يشبه معلوماتنا التى نعرفها ولا يعرفها الآخرون وأن إخبار الله للنبي أو للوصى (عليهم السّلام) على شئ من غيبه ، يشبه أن نخبر شخصاً عن حدث فى المستقبل !

لكن الموضوع والمحمول والشروط فى الغيب الإلهى ، مختلفه تماماً ! وقد أعطانا الله تعالى صورته عنها بقوله عز وجل: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ، إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا . (الجن: ٢٦ - ٢٧) .

فلا بد أن يكون الشخص بدرجه الرسول المرتضى ، حتى يتحمل غيب الله تعالى ، وحينئذ يخصص له الله ملائكة يرافقونه ويسددونه ، حتى لا يتضرر بالغيب الإلهى ، وحتى يستعمله فى غرضه الرسالى بشكل صحيح !

ولا بد أن يكون هذا الغيب الذى يظهره الله لخاصه أوليائه (عليهم السّلام) من نوع الأمر الإلهى المقضى الذى لا بداء فيه ، فقد سأل حمران بن بكير الإمام الباقر (عليه السّلام) عن الغيب فى هذه الآية ، فأجابه: (إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصِيدًا ، وكان والله محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ممن ارتضى ، وأما قوله: عالم الغيب فإن الله تبارك وتعالى عالم بما غاب عن خلقه ، فما يقدر من شئ ويقضيه فى علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يقضيه إلى الملائكة ، فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشيه ، فيقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلا يمضيه . فأما العلم الذى يقدره الله ويمضيه، فهو العلم الذى انتهى إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ثم إلينا). (بصائر الدرجات ص ١٣٣) .

وبهذه الإشاره الى هذا البحث المفصل ، نفهم أى غيب انضمت عليه جوانح أمير المؤمنين والأئمه من العتره النبويه الطاهره (عليهم السّلام) ، وأى عالم يحيط بأحدهم

من ملائكه تحرسه وترصده ، وترصد له ما ينبغي قوله وفعله وما لا ينبغي !

وبه نعرف معنى الجُنَّة الحصينه التى كانت ترافق أمير المؤمنين (عليه السَّلام) وتمنع عنه الموت قبل أجله ! فقد كان مطمئناً الى أنه لن يقتل فى حرب وإن جرح بجروح خفيفه أو بليغه ! وقد تضاعف خطر الإغتيال عليه بعد النهروان ، فخوَّفه الناس من فتك الخوارج فقال: (وإن علىَّ من الله جنة حصينه ، فإذا جاء يومى انفرجت عنى وأسلمتنى ، فحينئذ لا يطيش السهم ، ولا يبرأ الكلم) . (نهج البلاغه: ١/٢٨٣)

وبذلك نتصور المستوى الذى بلغه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وعترته (عليهم السَّلام) ! فهم مع علمهم بآجالهم وابتلاءاتهم ، يعيشون بالعلم الظاهر ويتعاملون به ، ويستعملون الوسائل العاديه لا أكثر ، لتجرى مقادير الله تعالى !

(عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرضا (عليه السَّلام): إن أمير المؤمنين (عليه السَّلام) قد عرف قاتله والليله التى يقتل فيها ، والموضع الذى يقتل فيه ، وقوله لما سمع صياح الإوز فى الدار: صوائح تتبعها نوائح ، وقول أم كلثوم: لو صليت الليله داخل الدار وأمرت غيرك يصلى بالناس فأبى عليها ، وكثر دخوله وخروجه تلك الليله بلا سلاح ، وقد عرف (عليه السَّلام) أن ابن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف ، كان هذا مما لم يجز تعرضه ! فقال: ذلك كان ، ولكنه خيَّر فى تلك الليله ، لتمضى مقادير الله عز وجل). (الكافى: ١/٢٥٩) وبهذا ينتفى السؤال لماذا لم يحبس أمير المؤمنين (عليه السَّلام) ابن ملجم ، بل استبشر بقدمه ، كما يستبشر المحبوس بمجئ من يطلقه من سجنه ؟!

(وقدم عبد الرحمن بن ملجم المرادى الكوفه لعشر بقين من شعبان سنه أربعين فلما بلغ عليا (عليه السَّلام) قدومه قال: أوَقَدَ وأفى؟ أما إنه ما بقى علىَّ غيره ، وهذا أوانه ! قال: فنزل على الأشعث بن قيس الكندى ، فأقام عنده شهراً يستحذ سيفه). (تاريخ اليعقوبى: ٢/٢٢٢).

إفطار أمير المؤمنين (عليه السلام) عند ابنته أم كلثوم

قالت أم كلثوم رضی الله عنها: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يفطر في شهر رمضان الذي قتل فيه ليله عند الحسن ، وليله عند الحسين ، وليله عند أم كلثوم . فلما كانت ليله تسع عشره من شهر رمضان ، قدمت إليه عند إفطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعه فيها لبن وملح جريش ، فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره.... فأكل قرصاً واحداً بالملح الجريش ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ولم يزل تلك الليله قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ، يخرج ساعه بعد ساعه يقبّل طرفه في السماء وينظر في الكواكب وهو يقول: والله ما كذبت ولا كذبت ، إنها الليله التي وعدت ! ثم يعود إلى مصلاه ويقول: اللهم بارك لي في الموت ، ويكثر من قول لا إله إلا الله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، لا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم ، ويصلى على النبي وآله ويستغفر الله كثيراً .

قالت أم كلثوم: فجعلت أرقب وقت الأذان ، فلما لاح الوقت أتيته ومعى إناء فيه ماء ، ثم أيقظته فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه وفتح بابه ، ثم نزل إلى الدار وكان في الدار إوزٌ قد أهدى إلى أخى الحسين ، فلما نزل خرجن ورائه وصحن في وجهه ، وكنّ قبل تلك الليل لم يصحن ! فقال (عليه السلام): لا إله إلا الله ، صوائح تتبعها نوائح ، وفي غداه غدٍ يظهر القضاء ، فقلت له: يا أبة هكذا تتطير ، قال: يابنيه

مامنا أهل البيت من يتطير ولا يتطير به .

ولما أراد الخروج تعلقت حديده من الباب على مئزره ، فشد إزاره وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت

فإن الموت لاقبكا

ولا تجزع من الموت

إذا حلّ بواديبكا . (نهج السعادة: ٧/١٢٠)

(ورآه عدى بن حاتم وبين يديه ماء قراح وكسيرات من خبز الشعير ، فقال: لا

أرى لك يا أمير المؤمنين أن تظل نهارك صائماً مجاهداً ، وبالليل ساهراً مكابداً ثم يكون هذا فطورك ! فقال: عَلَّلَ النَّفْسَ بِالْقَلِيلِ وَإِلَّا طَلَبْتَ مِنْكَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهَا !

ولم يزل هذا دأبه وهذه سجيته ، حتى ضربه أشقى الآخرين على رأسه في مسجد الكوفة صبيحه ليله الأربعاء لتسعه عشر مضمين من شهر رمضان المبارك وهو ساجد لله في محرابه ، فبلغ السيف موضع السجود من رأسه ، فقال:

بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى مله رسول الله ، فزُتْ ورب الكعبة لا- يفوتنكم ابن ملجم ، واصطفقت أبواب الجامع ، وهبت ريح سوداء مظلمه ، ونادى جبرائيل بين السماء والأرض: تهدمت والله أركان الهدى ، وانطمست والله أعلام التقى ، وانفصمت والله العروه الوثقى ، قتل ابن عم المصطفى ، قتل الإمام المجتبي ، قتل على المرتضى ، وجعل الدم يجري على وجهه ، فيخضب به لحيته الشريفه . (المجالس الفاخره ص ٣٠٩)

دخوله (عليه السلام) قبل الفجر الى مسجد الكوفة

وجاء أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى دخل المسجد والقناديل قد خَمَدَ ضَوْؤُهَا ، فصلى في المسجد وَرَدَّةً وَعَقَبَ سَاعَهُ ، ثم قام وصلى ركعتين ، وكان في المسجد عدد من الناس يُحيون ليله أو قسماً منه بالعباده .

وجاء ابن ملجم في تلك الليلة الى قطام في خبائها الذي نصبته في المسجد بحجه أنها معتكفه لعباده ربها ! ودخل عليها ابن ملجم وشريكه شبيب بن بجره ، فدعت لهما ولوردان ، وَعَصَّبَتْ صَدُورَهُمْ بِحَرِيرٍ ! (فأقبل به حتى دخلا على قطام ، وهي معتكفه في المسجد الأعظم قد ضربت لها قبه ، فقالا لها: قد أجمع رأينا على قتل هذا الرجل ، قالت لهما: فإذا أردتما ذلك فالقياني في هذا الموضع فانصرفا من عندها فلبثا أياماً ثم أتياها ، ومعهما وردان بن مجالد ، الذي كلفته مساعدته ابن ملجم .) (شر النهج: ١١٤/٦)

وأَمْضَى ابن ملجم ليلته ساهراً يتحدث مع الأشعث في مسجد الضرار الذى بناه الأشعث قرب بيته ، فكان يصلى فيه مع جماعته المنافقين ، ولا يصلون خلف على (عليه السّلام) في مسجد الكوفة الأعظم ! وجاء الأشعث مع ابن ملجم الى المسجد ليساعده ، وسمعه حجر بن عدى يقول له: النجاء النجاء لحاجتك ، فقد فضحك الصبح ! فركض حجر نحو المسجد فسبقه ابن ملجم وشيبي وكمنا لأمر المؤمنين (عليه السّلام) مقابل السده والمحراب ، خلف أسطوانات المسجد .

كان أمير المؤمنين (عليه السّلام) يصلى نافله الفجر ، فلما كان فى السجده الثانيه من الركعه الثانيه ، هاجمه اللعينان فضربه شيبي بن بجره على رأسه فأخطأه ووقعت ضربته فى الطاق ، ثم ضربه اللعين ابن ملجم وهو يقول: الحكم لله لا- لك يا على ولا لأصحابك ! فوقعت الضربه على قرنه على مكان ضربه عمرو بن وُدّ ، وأخذت من مفرق رأسه إلى موضع السجود ! فلم يصرخ (عليه السّلام) ولم يتأوه ، بل قال: بسم الله وبالله وعلى مله رسول الله ، هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، فزت ورب الكعبه ، ثم صاح: قتلنى ابن ملجم ، لا يفوتنكم !

فلما سمع الناس الضجه قام كل من فى المسجد وأحاطوا بأمر المؤمنين (عليه السّلام) وهو يشد رأسه بمنزره ، والدم يجرى على وجهه ولحيته ، وقد خضبت بدمائه ، وهو يقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وارتفعت صرخات الناس ونداؤهم فى المسجد: وإماماه وأمر المؤمنيناه ، فلما سمعها الحسن والحسين (عليهما السّلام) ناديا: وإبتاه وإعلاء لبت الموت أعدمنا الحياه ! وجاء الحسن (عليه السّلام) فصلى بالناس وأمر المؤمنين (عليه السّلام) يصلى إيماء من جلوس ، وهو يمسح الدم عن وجهه ولحيته الشريفه .

فما كان إلا ساعه وإذا بزمره من الناس جاؤوا بعدو الله ابن ملجم مكتوفاً ، هذا

يلعنه وهذا يبصق في وجهه ، ويقولون له: يا عدو الله ماذا صنعت ؟ أهلكت أمه محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وقتلت خير الناس ! وهو صامت وبين يديه رجل يقال له حذيفه النخعي بيده سيف مشهور يردُّ الناس عن قتله وهو يقول: هذا قاتل أمير المؤمنين! فلما نظر إليه الحسن(عليه السلام)قال له: ويلك يا عدو الله أنت قاتل أمير المؤمنين ومثكلنا بإمام المسلمين ، هذا جزاؤه منك؟! فقال له اللعين: يا أبا محمد فأنت تنقذ من في النار! فعند

ذلك ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب فأمرهم الحسن(عليه السلام) بالسكوت).

أمرهم أن يحملوه الى البيت

قال محمد بن الحنفية: ثم إن أبي قال: إحملوني إلى موضع مصلاي في منزلي . قال: فحملناه إليه وهو مدنف ، والناس حوله ، وهم في أمر عظيم ، وقد أشرفوا على الهلاك من شدة البكاء والنحيب ! ثم أدخل إلى حجرته(عليه السلام)في محرابه . وأقبلت زينب وأم كلثوم تندبانه وتقولان: يا أبتاه من للصغير حتى يكبر ، ومن للكبير بين الملاء ، يا أبتاه حزنا عليك طويل ، وعبرتنا لا ترقاً!

فضح الناس بالبكاء من وراء الحجره ، وفاضت دموع أمير المؤمنين(عليه السلام)وجعل ينظر إلى أهل بيته وأولاده .

وجاؤا باللعين ابن ملجم مكتوفاً ، فقالت له أم كلثوم وهي تبكي: يا ويلك أما أبي فأرجو أن لا- يكون عليه بأس ، وأن الله يخزيك في الدنيا والآخرة ، وأن مصيرك إلى النار خالداً فيها . فقال اللعين: إبك إن كنت باكيه ، فوالله لقد اشتريت سيفي بألف وسممته بألف ، ولو كانت ضربتي هذه لجميع أهل الكوفة ما نجا منهم أحد ! فصرخت أم كلثوم ونادت: وا أبتاه وا علياه !

وأدخلوا ابن ملجم الى أمير المؤمنين(عليه السلام)فقال: أطيبوا طعامه ، وألنوا فراشه ، فإن أعش فأنا ولئى دمي ، إما عفواً وإما قصاصاً ، وإن أمت فألحقوه بى ضربه بضره

ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً تقولون قتل أمير المؤمنين ، لا يُقتلن في إلا قاتلى ، أنظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربه بضربه ، ولا يُمَثَّل بالرجل ، فإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إياكم والمثله ولو بالكلب العقور .

ثم دعا أمير المؤمنين الحسن والحسين فكلهما وحننهما وقبلهما ، ثم أغمى عليه ساعه طويله وأفاق ، فناوله الحسن قعباً من لبن فشرب منه قليلاً ، ثم نحاه عن فيه ، وقال: إحملوه إلى أسيركم) ! (الأنوار العلوية للنقدي ص ٣٨٣) .

استدعوا طبيب الجراحات الصعبة

قال حبيب بن عمرو: دخلت على سيدى ومولاي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعنده الأشراف من القبائل وشرطه الخميس ، وما منهم أحد إلا - وماء عينيه يترقق على سوادها حزناً - لأمر المؤمنين (عليه السلام) ، ورأيت الحسن والحسين (عليهما السلام) ومن معهما من الهاشميين ، وما تنفس منهم أحد إلا وظننت أن شظايا قلبه تخرج مع نفسه ، وقد أرسلوا خلف أثير بن عمرو الجراح ، وكان يعالج الجراحات الصعبة ، فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين (عليه السلام) دعا برئه شاه حاره ، فاستخرج منها عرقاً وأدخله فى الجرح ، ثم نفخه ثم استخرجه ، وإذا عليه بياض الدماغ . فقال الناس: يا أثير كيف جرح أمير المؤمنين (عليه السلام) فخرس أثير عن جوابهم وتلجلج . ثم قال: يا أمير المؤمنين إعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك ! فدعا على (عليه السلام) عند ذلك بدواه وصحيفه ، وكتب وصيته:

هذا ما أوصى به أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلوات الله وبركاته عليه ، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

أوصيك يا حسن وجميع ولدى وأهل بيتى ومن بلغه كتابى هذا ، بتقوى الله ربنا وربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فإنى سمعت رسول الله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامه الصلاة والصيام ، وإن المبيره حالقه الدين: إفساد ذات البين ، ولا قوه إلا بالله العلى العظيم .

أنظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوها ، يهون الله عليكم الحساب .

والله الله فى الأيتام ، فلا تَعَيَّرَنَّ أفواههم بجفوتكم .

والله الله فى جيرانكم ، فإنها وصيه نبيكم (صلى الله عليه و آله وسلم) ، فما زال يوصينا بهم حتى ظنننا أنه سيورثهم الله .

والله الله فى القرآن ، فلا يسبقنكم بالعمل به غيركم .

والله الله فى الصلاة ، فإنها عماد دينكم .

والله الله فى صيام شهر رمضان ، فإنه جنه من النار .

والله الله فى الجهاد بأموالكم وأنفسكم .

والله الله فى زكاه أموالكم ، فإنها تطفى غضب ربكم .

والله الله فى أهل بيت نبيكم ، فلا يُظلمَنَّ بين أظهركم....الخ.

وكانت هذه هى وصيته العامه صلوات الله عليه .

فعند ذلك يئس الناس من أمير المؤمنين (عليه السلام) وقام لهم بكاء وعويل ، فسكتهم الحسن (عليه السلام) لكيلا تهيج النساء ويضطرب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فسكتوا وصاروا ينشجون نشيجاً خفيفاً ، إلا الأصبع بن نباته شرق بعبرته وبكى بكاء عالياً ، فأفاق أمير المؤمنين من غشوته فقال: لا تبك فإنها والله الجنه ، فقال نعم يا أمير المؤمنين وأنا أعلم والله أنك تصير إلى الجنه ، وإنما أبكى لفراقك يا سيدى .

قال حبيب بن عمرو: فما أحببت أن الأصبع يتكلم بهذا الكلام مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فأردت أن أرفع ما وقع فى قلب أمير المؤمنين من كلام الأصبع

فقلت: لا بأس عليك يا أبا الحسن ، فإن هذا الجرح ليس بضائر ، وما هو بأعظم من ضربه عمرو بن عبد ود ، فإن البرد لا يزلزل الجبل الأصم ، ولفحه الهجير لا تجفف البحر الخصم ، والليث يضري إذا خدش ، والصل يقوى إذا ارتعش ! فنظر إليّ نظره رأفه ورحمه وقال: هيهات يا ابن عمرو ، نفذ القضاء ، وأبرم المحتوم ، وجرى القلم بما فيه ، وإنى مفارقك . فسمعت أم كلثوم كلامه فبكت ، فقال لها أمير المؤمنين: يا بنيه لو رأيت مثل ما رأيت ، لما بكيت على أبيك . قال حبيب فقلت له: وما الذى ترى يا أمير المؤمنين؟ قال: يا حبيب أرى ملائكة السماوات والنبين بعضهم فى أثر بعض ، وقوفاً إليّ يتلقونى ، وهذا أخى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالسٌ عندى يقول: أقدم فإن أمامك خير لك مما أنت فيه ، قال: فما خرجت من عنده حتى توفى صلوات الله عليه . (الأنوار العلوية للنقدى ص ٣٣٢) .

ليله العشرين من رمضان

قال محمد بن الحنفية: بتنا ليله عشرين من شهر رمضان مع أبى ، وقد نزل السم إلى قدميه ، وكان يصلى تلك الليلة من جلوس ، ولم يزل يوصينا بوصايا يعزينا عن نفسه ، ويخبرنا بأمره إلى حين طلوع الفجر ، فلما أصبح استأذن الناس عليه فأذن لهم بالدخول فدخلوا وأقبلوا يسلمون عليه وهو يردُّ عليهم ويكلمهم ، ثم قال: أيها الناس سلونى قبل أن تفقدونى ، وخففوا سؤالكم ، لمصيبه إمامكم ! قال فبكى الناس بكاء شديداً وأشفقوا ان يسألوه تخفيفاً ، فقام إليه حجر بن عدى الطائى وقال:

يا أسفى على المولى التقيّ

أبى الأطهار حيدرهِ الزكىّ

قتيلاً قد غدا بحسام نغل

لعين فاسق رجس شقى

فلما بصر به (عليه السّلام) وسمع شعره قال له: كيف بك يا حجر إذا دعيت إلى البراءه منى فما عساك أن تقول؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً

وأضرم لى النار وألقت فيها ، لآثرت ذلك على البراءه منك ! فقال: وفقت لكل خير يا حجر ، جزاك الله خيراً عنا أهل البيت).
(الأنوار العلويه للنقدى ص ٣٨٤) .

(قال الأصبغ بن نباته: لما ضرب على (عليه السّلام) الضربه التى مات فيها ، كنا عنده ليلاً فأغمى عليه فأفاق فنظر إلينا ، فقال: ما يجلسكم؟ فقلنا: حبك يا أمير المؤمنين . فقال: أما والذى أنزل التوراه على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود والفرقان على محمد رسول الله: (صلّى الله عليه و آله وسلّم) لا يحبني عبد إلا رآنى حيث يسرّه ، ولا يبغضنى عبد إلا رآنى حيث يكرهه. إن رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أخبرنى أنى أضرب فى ليله تسع عشره من شهر رمضان فى الليله التى مات فيها موسى (عليه السّلام) ، وأموت فى ليله إحدى وعشرين تمضى من شهر رمضان ، فى الليله التى رفع فيها عيسى (عليه السّلام) .

قال الأصبغ: فمات والذى لا إله إلا هو ، فيها). (شرح الأخبار: ٢/٤٤٦) .

ليله إحدى وعشرين من رمضان

قال محمد بن الحنفية: لما كانت إحدى وعشرين وأظلم الليل ، وهى الليله الثانيه من الكائنه ، جمع أبى أولاده وأهل بيته وودعهم ، ثم قال لهم: الله خليفتى عليكم وهو حسبى ونعم الوكيل ، وأوصى الجميع بلزوم الإيمان والأحكام التى أوصى بها رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) .

وفى الكافى: ١/٢٩٧: (عن سليم بن قيس قال: شهدت وصيه أمير المؤمنين (عليه السّلام) حين أوصى إلى ابنه الحسن ، وأشهد على وصيته الحسين (عليهما السّلام) ومحمداً وجميع ولده ، ورؤساء شيعته وأهل بيته ، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن: يا بنى أمرنى رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أن أوصى إليك وأن أدفع إليك كتبى وسلاحى ، كما أوصى إلّى رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) ودفع إلّى كتبه وسلاحه ، وأمرنى أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين ، ثم أقبل على ابنه الحسين فقال: أمرك رسول الله (صلّى الله عليه و آله وسلّم) أن تدفعها إلى ابنك هذا ، ثم أخذ بيد على بن الحسين ، ثم قال

لعلى بن الحسين: وأمرک رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن تدفعها إلى ابنک محمد بن على ، واقراه من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومنى السلام) .

(قال الأصمغ بن نباته: عدونا على أمير المؤمنين (عليه السّلام) أنا والحرث بن سويد بن غفله وجماعه ، فقعدنا على الباب ، فسمعنا البكاء فبكيننا ، فخرج إلينا الحسن بن على (عليه السّلام) فقال: يقول لكم أمير المؤمنين إنصرفوا إلى منازلکم ، فانصرف القوم غيرى ، واشتد البكاء فى منزله فبکيت ، وخرج الحسن فقال: ألم أقل لكم إنصرفوا؟ فقلت لا- والله يا بن رسول الله ما متابعتى نفسى ولا تحملى رجلاى أن أنصرف حتى أرى أمير المؤمنين (عليه السّلام) . قال: فدخل ولم يلبث أن خرج فقال لى أدخل ، فدخلت على أمير المؤمنين فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامه صفراء ، قد نرف دمه واصفر وجهه ، ما أدرى وجهه أصفر أم العمامه ! فأکبت عليه فقبلته وبکت ، فقال لى: لا تبک يا أصمغ ، فإنها والله الجنه ، فقلت له: جعلت فداک إنى أعلم والله أنك تصير إلى الجنه ، وإنما أبكى لفقدانى إياک يا أمير المؤمنين ! ثم زاد ولوج السم فى جسده الشريف ، حتى نظرنا إلى قدميه وقد احمرّتا جميعاً ، فکبر ذلك علينا وأيسنا منه ، ثم أصبح ثقیلاً- ، فدخل الناس عليه فأمرهم ونهاهم ، ثم أعرضنا عليه المأکول والمشروب فأبى أن يأکل أو يشرب ، فنظرنا إلى شفّتيه وهما يختلجان بذكر الله تعالى ، وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه بيده قلت: يا أبتاه أراک تمسح جبينک ، فقال: يا بنى إنى سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب وسکن أنينه . ثم قال (عليه السّلام): يا أبا عبد الله ويا عون، ثم نادى أولاده کلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً واحداً بعد واحد ، وجعل يودعهم ويقول: الله خليفتى عليكم ، أستودعکم الله وهم يبيكون.... ثم التفت إلى أولاده الذين هم من غير فاطمه (عليها السّلام) وأوصاهم أن يطيعوا الحسن والحسين (عليهما السّلام) ثم قال: أحسن الله لكم العزاء ، ألا وإنى

منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) كما وعدني، وما زال يتشهد الشهادتين ، ثم استقبل القبلة وعمّض عينيه ومدّ رجله وأسبل يديه ، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ثم قضى نحبّه صلوات الله عليه .

وارتفعت الصيحة في بيت الإمام(عليه السلام) وحوله في منطقته القصر ، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين(عليه السلام) قد قبض ، فأقبل النساء والرجال يُهرعون أفواجاً أفواجاً ، وصاحوا صيحة عظيمة فارتجت الكوفة بأهلها ، وكثر البكاء والنحيب والضجيج بالكوفة وقبائلها ودورها وأقطارها ، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكنا نسمع جله وتسبيحاً في الهواء فعلمنا أنها أصوات الملائكة ، فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر . (الأنوار العلوية للنقدي ص ٣٨٣) .

أوصى(عليه السلام) أن يدفنه سرّاً لئلا ينبش قبره بنو أمية !

أوصى أمير المؤمنين ولده الإمام الحسن(عليه السلام) فقال له: (إذا أنا مت فعسّلني وكفّني وحطّني ببقية حنوط جدك رسول الله ، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرئيل(عليه السلام) إليه ، ثم ضعني على سريري ، ولا يتقدم أحد منكم يحمل السرير ، واحملوا مؤخره واتبعوا مقدمه ، فأى موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر ، فحيث أقام سريري فهو موضع قبري ، ثم تقدم يا أبا محمد وصلّ عليّ يا بنّي يا حسن وكبر عليّ سبعاً ، واعلم أنه لا يحلّ ذلك لأحد غيري ، إلا على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد الحسين(عليه السلام) ، يقيم إعوجاج الحق . فإذا أنت صليت عليّ فنحّ السرير عن موضعه ، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً وساجهً منقوره ، فأضجعي فيها ، فإذا أردت الخروج من قبري فافتقدي فإنك لا تجدني وإنى لاحق بجدك رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، واعلم يا بنّي ما من نبي يموت وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا ويجمع الله عزوجل بين روحيهما وجسديهما ثم يفترقان

فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره وإلى موضعه الذي حُطَّ فيه ، ثم أشرح اللحد وأهل التراب على ، ثم غُيِّب قبري .

قال محمد بن الحنفية: أخذنا في جهازه ليلاً ، وكان الحسن يغسله والحسين يصبُّ عليه الماء ، وكان جسده يتقلب كما يريد الغاسل يميناً وشمالاً ، وكانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر . ثم نادى الحسن (عليه السَّلام) أخته زينب وقال يا أختاه هلمى بحنوط جدى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأتته به ، فلما فتحت فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها من رائحة طيبه ، ثم لَفَّوه بخمسة أثواب كما أمر ثم وضعوه على السرير ، وتقدم الحسن والحسين (عليهما السَّلام) ورفعوا السرير من مؤخره ، وإذا مقدمه قد ارتفع ولا يُرى حامله ، وكان حامله من مقدمه جبرئيل وميكائيل ، والله لقد نظرت إلى السرير وإنه ليمر بالحيطان والنخل فتحنى له خشوعاً ، فلما انتهينا إلى قبره وإذا مقدم السرير قد وُضِعَ ، فوضع الحسن (عليه السَّلام) مؤخره وصلى عليه والجماعه خلفه ، فكبر سبعاً كما أمر به أبوه ، ثم زحزحنا سريره وكشفنا التراب فإذا نحن بقبر محفور ولحد مشقوق وساجه منقوره مكتوب عليها: هذا ما ادخره نوح النبی للعبد الطاهر المطهر على بن أبى طالب ، فلما أرادوا نزوله سمعوا هاتفاً يقول: أنزلوه إلى التربة الطاهره ، فقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه ، فدهش الناس عند ذلك . وألحد أمير المؤمنين عند طلوع الفجر . فدفناه فيها وانصرفنا ونحن مسرورون بإكرام الله لأمر المؤمنين (عليه السَّلام)). (البحار: ٢٩٤/٤٢).

(عن أسيد بن صفوان صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: لما كان اليوم الذى قبض فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ارتج الموضع بالبكاء ، ودهش الناس كيوم قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجاء رجل باكياً وهو مسرعٌ مسترجعٌ وهو يقول: اليوم انقطعت خلفه النبوه حتى وقف على باب البيت الذى فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال:

رحمك الله يا أبا الحسن ، كنت أول القوم إسلاماً ، وأخلصهم أيماناً ، وأشدهم يقيناً ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم عناءً ، وأحوطهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وآمنهم على أصحابه ، وأفضلهم مناقب ، وأكرمهم سوابق ، وأرفعهم درجة ، وأقربهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأشبههم به هدياً وخلقاً وسمتاً وفعلاً ، وأشرفهم منزله ، وأكرمهم عليه ، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً .

قويت حين ضعف أصحابه ، وبرزت حين استكانوا ، ونهضت حين وهنوا ، ولزمت منهاج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ هم أصحابه ، وكنت خليفته حقاً ، لم تُنازع ولم تُصرع برغم المنافقين وغيظ الكافرين وكره الحاسدين وصيغرة الفاسقين! فقامت بالأمر حين فشلوا ، ونطقت حين تتعتعوا ، ومضيت بنور الله إذ وقفوا ، فاتبعوك فهدوا . وكنت أخفضهم صوتاً ، وأعلاهم قنوتاً ، وأقلهم كلاماً ، وأصوبهم نطقاً ، وأكبرهم رأياً ، وأشجعهم قلباً ، وأشدهم يقيناً ، وأحسنهم عملاً ، وأعرفهم بالأمر .

كنت والله يعسوباً للدين أولاً- وآخرأ: الأول حين تفرق الناس ، والآخر حين فشلوا ! كنت للمؤمنين أباً رحيماً ، إذ صاروا عليك عيالاً ، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا ، وحفظت ما أضعوا ، ورعيت ما أهملوا ، وشمرت إذ اجتمعوا ، وعلوت إذ هلعوا ، وصبرت إذ أسرعوا ، وأدركت أوتار ما طلبوا ، ونالوا بك ما لم يحتسبوا .

كنت على الكافرين عذاباً صيباً ونهباً ، وللمؤمنين عمداً وحصناً ، فطرت والله بنعمائها وفزت بحبائها ، وأحرزت سوابقها ، وذهبت بفضائلها ، لم تُقلل حججتك ،

ولم يَزُغْ قلبك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تَجِبْنَ نفسك ولم تُخْزِ .

كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، وكنت كما قال: أمن الناس في صحبتك وذات يدك ، وكنت كما قال: ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله ، متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله ، كبيراً في الأرض جليلاً عند المؤمنين .

لم يكن لأحد فيك مهمز ، ولا لقائل فيك مغمز ، ولا لأحد فيك مطمع ، ولا لأحد عندك هواده ، الضعيف الذليل عندك قوى عزيز حتى تأخذ له بحقه ، والقوى العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق ، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء ، شأنك الحق والصدق والرفق ، وقولك حكمٌ وحتم ، وأمرك حلمٌ وحزم ، ورأيك علمٌ وعزم فيما فعلت .

وقد نهجت السبيل ، وسهلت العسير ، وأطفأت النيران ، واعتدل بك الدين ، وقوى بك الإسلام ، فظهر أمر الله ولو كره الكافرون ، وثبتت بك الإسلام والمؤمنون ، وسبقت سبقاً بعيداً ، وأتعبت من بعدك تبعاً شديداً ، فجللت عن البكاء ، وعظمت رزيتك في السماء ، وهدت مصيبتك الأنام ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، رضينا عن الله قضاة ، وسلمنا لله أمره ، فوالله لن يصاب المسلمون بمثلك أبداً .

كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً ، وقنّة راسياً ، وعلى الكافرين غلظه وغيظاً ، فألحقك الله بنبيه ، ولا- أحرمننا أجرك ، ولا أضلنا بعدك .

وسكت القوم حتى انقضى كلامه ، وبكى وبكى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم طلبوه فلم يصادفوه .
(الكافي: ١/٤٥٤)

رثاء صعصعه بن صوحان لأمير المؤمنين (عليه السلام)

لما ألد أمير المؤمنين وقف صعصعه بن صوحان العبدى على القبر ، ثم قال:

بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين . هنيئاً لك يا أبا الحسن ، فقد طاب مولدك

وقوى صبرك ، وعظم جهادك ، وظفرت برأيك ، وربحت تجارتك ، وقد قدمت على خالقك ، فتلقاك الله بشارته ، وحفتك ملائكته ، واستقررت في جوار المصطفى ، فأكرمك الله بجواره ، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى ، وشربت بكأسه الأوفى . فأسأل الله أن يمن علينا باقتفاء أثرك ، والعمل بسيرتك ، والموالاه لأوليائك والمعاداة لأعدائك ، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك ، فقد نلت ما لم ينله أحد ، وأدركت ما لم يدركه أحد ، وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده ، وقمت بدين الله حق القيام ، حتى أقمت السنن وأبرت الفتن ، واستقام الإسلام وانتظم الإيمان ، فعليك مني أفضل الصلاه والسلام .

بك اشتد ظهر المؤمنين ، واتضحت أعلام السبل وأقيمت السنن ، وما جُمع لأحد مناقبك وخصالك ، سبقت إلى إجابته النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مُقَدِّماً مؤثراً ، وسارعت إلى نصرته ، ووقيته بنفسك ، ورميت بسيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر ، وقصم الله بك كل جبار عنيد ، وذلل بك كل ذى بأس شديد ، وهدم بك حصون أهل الشرك والبغى والكفر والعدوان والردى ، وقتل بك أهل الضلال من العدى ، فهنيئاً يا أمير المؤمنين ، كنت أقرب الناس من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأولهم سلماً ، وأكثرهم علماً وفهماً .

فهنيئاً لك يا أبا الحسن ، لقد شرف الله مقامك ، وكنت أقرب الناس إلى رسول الله نسباً ، وأولهم إسلاماً ، وأكثرهم علماً ، وأوفاهم يقيناً ، وأشدهم قلباً ، وأبدلهم لنفسه مجاهداً ، وأعظمهم في الخير نصيباً ، فلا حرمننا الله أجرك ولا أضلنا بعدك ، فوالله لقد كانت حياتك مفاتيح للخير ومغاليق للشر ، وإن يومك هذا مفتاح كل شر ، ومغلاق كل خير ، ولو أن الناس قبلوا منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة !! ثم بكى بكاء شديداً

وأبكى كل من كان معه ، وعدلوا إلى الحسن والحسين (عليهما السّلام) ومحمد وجعفر والعباس وعون وعبد الله فعزّوهم في أبيهم (عليه السّلام)). (الأنوار العلويّه ص ٢٨٨).

من رثاء الشعراء لأمير المؤمنين (عليه السّلام)

قال أبو الأسود الدؤلي (رحمه الله)

ألا يا عينُ ويحك فاسعدينا

ألا أبكى أمير المؤمنين

قتلتهم خير من ركب المطايا

وأكرمهم ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن حذاها

ومن قرأ المثنى والمثينا

إذا استقبلت وجه أبي حسين

رأيت البدر راع الناظرينا

يقيم الحدّ لا يرتاب فيه

ويقضى بالفرايض مستينا

ألا أبلغ معاويه بن حرب

فلا قرّت عيون الشامتينا

أفى الشهر الحرام فجعتمونا

بخير الناس طراً أجمعينا

ومن بعد النبيّ فخير نفس

أبو حسن وخير الصالحينا

كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوا عَلِيًّا

نَعَامٌ جَالٌ فِي بَلَدِ سَنِينَا

وَكُنَّا قَبْلَ مَهْلِكِهِ بِخَيْرٍ

نَرَى فِينَا وَصِيَّ الْمُسْلِمِينَا

فَلَا وَاللَّهِ لَا أُنْسَى عَلِيًّا

وَحَسَنَ صَلَاتِهِ فِي الرَّكَعِينَا

لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشٌ حَيْثُ كَانَتْ

بَأَنَّكَ خَيْرُهُمْ حَسَبًا وَدِينَا

فَلَا تَشْمَتُ مَعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ

فَإِنْ بَقِيَ الْخُلَفَاءُ فِينَا

ص: ٤٦٦

وقال المصري (رحمه الله)

غصبتم ولئى الحق مهجه نفسه
وكان لكم غضب الأمانه مقنعا
وأجتمتم آل النبى سيوفكم
تفرى من السادات سوقاً وأذرعاً
ضغائن بدر أظهرتها وجاهرت
بما كان منها فى الجوانح مودعا
لوى عذره يوم الغدير بحقه
وأعقبه يوم البعير واتبعاً
وحاربه القرآن عنه فما ارعوى
وعاتبه الإسلام فيه فما رعا

وقال دعبل الخزاعى (رحمه الله)

سلامً بالغداه
وبالعشى على جدثٍ بأكناف الغرى
ولا زالت غزالُ النور تُزجى
إليه صبابه المُنزى الروى
ألا يا حبذا تربُّ بنجد
وقبرٌ ضمَّ أوصال الوصى
وصى محمد أبى وأمى
وأكرم من مشى بعد النبى

(مناقب آل أبي طالب: ٣/٩٧ - ١٠١)

ص: ٤٦٧

فرح معاويه وتأسفه لمقتل أمير المؤمنين (عليه السلام)!

فى نهج السعاده: ٨/٥٠٧: (ولما بلغ نعى أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى معاويه فرح فرحاً شديداً... وفى روايه الراغب عن شريك أنه كان متكئاً فاستوى جالساً ، ثم قال: يا جاريه غنيني ، فاليوم قرت عيني). انتهى .

أقول: لكن العبارة المشهوره عن معاويه أنه لما بلغه مقتل على (عليه السلام) تأسف على موت العلم والفقہ بموته ! وكلا الروايتين طبيعتان .

أما فرحه وإقامته مجلس غناء وشراب فواضح ، لأن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان أكبر عقبه أمام مشروعه الدنيوى وهو إقامه إمبراطوريه أمويه !

وأما تأسفه على خساره الأمه للعلم والفقہ ، فهو تأسف على خسارته هو لأنه كان كلما أشكلت عليه مسأله ، أو سأله عنها الروم والنصارى واليهود ، لجأ الى على (عليه السلام) وأرسل اليه بواسطه أحد وسأله عنها ! وكان على (عليه السلام) يعرف ذلك ، لكنه يريد نصره الإسلام وتطبيق شرع الله تعالى ، حتى لو استفاد منه معاويه !

ففى كتاب فتح الملك العلى للحافظ المغربى ص ٧٤: (ذكر ابن عبد البر أنه كان يكتب فيما ينزل به ليسأل على بن أبى طالب ، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقہ والعلم بموت ابن أبى طالب) . (الإستيعاب ٢/٤٦٣) .

وذكر السيد الأمين فى عجائب أحكام أمير المؤمنين (عليه السلام) ص ١٣٩ ، أن معاويه بعث رجلاً متخفياً ليسأل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن مجموعه مسائل مشكله .

وقال فقيه إيمانى فى آراء الخلفاء فى الإمام على (عليه السلام) ص ١٦٢: (أخرج الإمام مالك والشافعى ، وسعيد بن منصور بن شعبه المروزى ، وعبد الرزاق ، والبيهقى بإسنادهم جميعاً عن سعيد بن المسيب قال: إن رجلاً من أهل الشام يقال له ابن

خيبرى وجد مع امرأته رجلاً فقتله أو قتلها معاً ، فأشكل على معاوية بن أبى سفيان القضاء فيه ، فكتب إلى أبى موسى الأشعري يسأل له على بن أبى طالب عن ذلك . فسأل أبو موسى عن ذلك على بن أبى طالب ، فقال له على: إن هذا الشيء ما هو بأرضى عزمت عليك لتخبرنى ! فقال له أبو موسى: كتب إلي معاوية بن أبى سفيان أن أسألك عن ذلك . فقال على: أنا أبو الحسن القرم ، إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمته . انتهى .

وقال المناوى فى فيض القدير: ٤/٤٦٩، فى شرح قول النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) (على عتيه علمى): (أى مظهره استفصاحى وخاصتى ، وموضع سرى ، ومعدن نفائسى . والعيبه ما يحرز الرجل فيه نفائسه . قال ابن دريد: وهذا من كلامه الموجز الذى لم يسبق ضرب المثل به فى إرادته اختصاصه بأمره الباطنه التى لا يطلع عليها أحد غيره ، وذلك غاية فى مدح على ، وقد كانت ضمائر أعدائه منطويه على اعتقاد تعظيمه . وفى شرح الهمزيه: أن معاوية كان يرسل يسأل علماً عن المشكلات فيجيبه ، فقال له أحد بنيه: تجيب عدوك؟! قال: أما يكفيننا أن احتاجنا وسألنا). انتهى .

وفى نفس الوقت نجد أن أمير المؤمنين (عليه السلام) تأسف عندما وقعت الكتب التى كتبها لمحمد بن أبى بكر (رحمه الله) فى يد معاوية ، لأنه سيستطيل بها ويسعى استغلالها !

قال الثقفى فى الغارات: ١/٢٥٠: (فلما ظهر عليه (محمد بن أبى بكر) (رحمه الله) وقتله ، أخذ عمرو بن العاص كتبه أجمع ، فبعث بها إلى معاوية بن أبى سفيان ، وكان معاوية ينظر فى هذا الكتاب ويعجبه (كتاب القضاء الذى كتبه له على (عليه السلام)) فقال الوليد بن عقبه وهو عند معاوية لما رأى إعجاب معاوية به: مُزْ بهذه الأحاديث أن تحرق ، فقال له معاوية: مه يا ابن أبى معيط ، إنه لا رأى لك ، فقال له الوليد: إنه لا رأى لك ! أفمن رأى أن يعلم الناس أن أحاديث أبى تراب عندك تتعلم منها وتقضى بقضائه ! فعلام تقاتله ! فقال معاوية: ويحك أتأمرنى أن أحرق علماً مثل هذا !

والله ما سمعت بعلم أجمع منه ولا أحكم ولا أوضح ! فقال الوليد: إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله ! فقال معاوية: لولا أن أبا تراب قتل عثمان ، ثم أفتانا لأخذنا عنه ! ثم سكت هنيهة ثم نظر إلى جلسائه فقال: إنا لا نقول إن هذه من كتب علي بن أبي طالب ولكننا نقول: إن هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد ، فنحن نقضى بها ونفتى ! فلم تزل تلك الكتب فى خزائن بنى أميه حتى ولى عمر بن عبد العزيز فهو الذى أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب ! فلما بلغ علي أبي طالب أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتد ذلك عليه . قال أبو إسحاق.....صلى بنا عليّ فلما انصرف قال:

لقد عثرت عثره لا أعتذر...سوف أكيس بعدها وأستمر...وأجمع الأمر الشتيت المنتشر

قلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين سمعنا منك كذا ؟ قال: إني استعملت محمد بن أبي بكر علي مصر ، فكتب إلى أنه لا علم لى بالسنة ، فكتبت إليه كتاباً فيه السنة فقتل وأخذ الكتاب). انتهى .

أقول: فى هذا النص دلالات عديدة ، منها: اعتراف معاوية بعلم أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنه ظالمٌ فى منازعه من هو أعلم منه .

ومنها: أن معاوية الذى شهد له النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كما فى البخارى بأنه إمام الفئه الباغية الداعيه الى النار ، هو أيضاً إمام فى التزوير ونسبه كتب العلم الى غير أصحابها !

ومنها: أن خطه النبى والعترة(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يصونوا العلم عن الأئمة المضلين ، إلا قليلاً منه ، حتى لا يسيئوا استغلاله ، وينكشف للمسلمين جهلهم وتسلطهم بغير حق ! أما قول الراوى إن ابن عبد العزيز أظهر أنها أحاديث علي(عليه السلام) ، فيكذبه الواقع !

فرح عائشه بمقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) وعدم تأسفها !

وقد وصلت اليها نصوص عن فرحها أكثر مما وصل عن فرح معاويه !

قال المفيد (رحمه الله) في الجمل ص ٨٣: (هذا مع الأخبار التي لا ريب فيها ولا مريه في صحتها لاتفاق الرواه عليها ، أنها لما قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء الناعي فنعى أهل المدينة ، فلما سمعت عائشه بنعيه استبشرت وقالت متمثله:

فإن يك ناعياً فلقد نعاؤه

لنا من ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أبي سلمه: ألعلى تقولين هذا؟! فتضحكت ، ثم قالت: أنسى ، فإذا نسيت فذكروني ! ثم خرت ساجده شكرأ على ما بلغها من قتله ، ورفعت رأسها وهي تقول:

فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر

هذا وقد روى عن مسروق أنه قال: دخلت عليها فاستدعت غلاماً باسم عبد الرحمن ، قالت عبدى . قلت لها: فكيف سميت عبد الرحمن؟ قالت: حباً لعبد الرحمن بن ملجم ، قاتل على) !

وقال الشيخ الطوسى فى الإقتصاد ص ٢٢٨: (وروى الطبرى فى تاريخه أنه لما انتهى قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عائشه قالت:

فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر

ثم قالت: من قتله ؟ فقيل: رجل من مراد . فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلامٌ ليس في فيه التراب

وهذا كله صريح بالإصرار وفقد التوبه .)

وفى تقريب المعارف لأبى الصلاح الحلبى ص ٤١١:

(وقولها: وقد بشرها بعض عبيدها بقتل على صلوات الله عليه:

فإن يك نائياً فلقد نعاه

ناع ليس فى فله الءراب !

ص: ٤٧١

ثم قالت للعبد: من قتله؟ قال: عبد الرحمن بن ملجم، قالت: فأنت حر لوجه الله، وقد سميتك عبد الرحمن. ثم تمثلت بيت آخر:

وألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر

مجاهره بعداوه أمير المؤمنين، وغبطه بقتله!).

وشبيه به في الشافى: ٤/٣٥٥، عن الطبرى، وهو فى تاريخه: ٥/١٥٠، وقال الشريف المرتضى: (وهذه سخرية منها بزىنب وتمويه عليها، تخوفاً من شناعتها، ومعلوم ضرورة أن الناسى الساهى لا يتمثل بالشعر فى الأغراض التى تطابق مراده، ولم يكن ذلك منها إلا عن قصد ومعرفة). انتهى. (وذكر له فى نهج السعادة: ٨/٥٠٧، مصادر متعدده، وكذا فى شرح إحقاق الحق: ٨/٨٠٣، منها الإستيعاب: ٢/٤٦٩. وأورده السيد العاملى فى خلفيات مأساه الزهراء: ٥/٤٢، وكتاب على والخوارج: ١/٢٥٠ وذكر فى مصادره: الطبقات: ٣/٤٠ ط سنه ١٤٠٥هـ-. وتلخيص الشافى: ٤/١٥٧، وأخبار الموفقيات ص ١٣١. وذكر سجود عائشه شكراً للسيد شرف الدين فى النص والإجتهد ص ٤٧١ والمراجعات ٣١٩).

ص: ٤٧٢

شركاء الجريمة: ابن ملجم والأشعث وقطام!

قال ابن سعد في الطبقات: ٣/٣٥: (انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، وهو من حمير وعداده في مراد ، وهو حليف بني جبهه من كنده والبرك بن عبد الله التميمي ، وعمرو بن بكير التميمي ، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاهدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، ويريحن العباد منهم . فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا لكم بعلي بن أبي طالب ، وقال البرك: وأنا لكم بمعاوية ، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص ، فتعاهدوا على ذلك وتعاهدوا وتواثقوا لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي سمى ويتوجه إليه حتى يقتله ، أو يموت دونه !

فاتعدوا بينهم ليلة سبع عشره من شهر رمضان ، ثم توجه كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه . فقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفه فلقى أصحابه من الخوارج ، فكاتمهم ما يريد وكان يزورهم ويزورونه ، فزار يوماً نقرأ من تيم الرباب فرأى امرأه منهم يقال لها قطام بنت شجنه بن عدى بن عامر بن عوف بن ثعلبه بن سعد بن ذهل بن تيم الرباب ، وكان عليّ قتل أباه وأخاها يوم نهروان فأعجبته فخطبها فقالت: لا أتزوجك حتى تسمى لى ، فقال لا تسألينى شيئاً إلا أعطيتك ! فقالت: ثلاثة آلاف وقاتل علي بن أبي طالب ! فقال: والله ما جاء بى إلى هذا المصر إلا قتل علي بن أبي طالب ، وقد آتيتك ما سألت .

ولقى عبد الرحمن بن ملجم شبيب بن بجره الأشجعي فأعلمه ما يريد ودعاه إلى أن يكون معه ، فأجابه إلى ذلك ، وبات عبد الرحمن بن ملجم تلك الليله التي عزم فيها أن يقتل علياً فى صبيحتها ، يناجى الأشعث بن قيس الكندى فى مسجده ، حتى كاد أن يطلع الفجر فقال له الأشعث: فضحكك الصبح فقم ، فقام

عبد الرحمن بن ملجم وشيب بن بجره ، فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السده التي يخرج منها على.... فقال بعض من حضر ذلك: فرأيت بريق السيف وسمعت قائلاً يقول لله الحكم يا على لا لك ، ثم رأيت سيفاً ثانياً فضرباً جميعاً ، فأما سيف عبد الرحمن بن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه ، وأما سيف شيب فوقع في الطاق ، وسمعت علياً يقول لا يفوتنكم الرجل وشد الناس عليهما من كل جانب ، فأما شيب فأفلت ، وأخذ عبد الرحمن بن ملجم فأدخل على على فقال: أطيبوا طعامه وألينوا فراشه ، فإن أعش فأنا أولى بدمه عفواً أو قصاصاً ، وإن أمت فألحقوه بى أخاصمه عند رب العالمين) !

وفى مناقب آل أبى طالب: ٣/٩٥: (وأما شيب بن بجره ، فإنه خرج هارباً فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره ، وأخذ السيف من يده ليقتله ، فرأى الناس يقصدون نحوه ، فخشى أن يعجلوا عليه فوثب عن صدره وخلاه

، وطرح السيف عن يده ففاته ، فخرج هارباً حتى دخل منزله ، فدخل عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره ، فقال له: ما هذا ؟ لعلك قتلت أمير المؤمنين ! فأراد أن يقول: لا ، فقال: نعم ، فمضى ابن عمه فاشتمل على سيفه ثم دخل عليه فضربه حتى قتله). انتهى .

وفى أنساب الأشراف للبلاذرى ص ٤٨٧: (فقدم ابن ملجم الكوفه وجعل يكتم أمره ، فتزوج قطام بنت علقمه من تيم الرباب ، وكان عليّ قتل أخاها ، فأخبرها بأمره ، وكان أقام عندها ثلاث ليال ، فقالت له فى الليله الثالثه: لشد ما أحببت لزوم أهلک وبيتک ، وأضربت عن الأمر الذى قدمت له! فقال: إن لى وقتاً واعدتُ عليه أصحابى ، ولن أجازه . ثم إنه قعد لعلى فقتله ، ضربه على رأسه ، وضرب ابن عم له عضاده الباب ، فقال عليّ حين وقع به السيف: فزت ورب الكعبه) .

الأشعث يتأكد من نجاح مؤامره !

اتفقت الروايات على أن ابن ملجم من بنى مراد ، وكان عداده فى كنده ، أى تسجيل نفوسه ومسؤوليته الحقوقيه والجنائيه فى كنده ورئيسها الأشعث بن قيس!

وأن ابن ملجم دخل الكوفه قبل شهر من اغتياله لأمير المؤمنين (عليه السلام) ونزل ضيفاً عند الأشعث ! واتفقت الروايات على أن الأشعث كان رجل معاويه الأول فى العراق ، وأنه عمل بكل قدرته لإنجاح مؤامره ابن ملجم

فى قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) وأشرك عدداً من رجاله فيها ! فهل يعقل أن لا يكون معاويه وراءها أو فى مجراها؟! قال فى مقاتل الطالبين ص ٢٠: (وللأشعث بن قيس فى انحرافه عن أمير المؤمنين أخبار يطول شرحها...). انتهى .

وقال البلاذرى فى أنساب الأشراف ص ٤٩٦: (وبعث الأشعث ابنه قيس بن الأشعث صبيحه ضرب على فقال: أى بنى أنظر كيف أصبح الرجل وكيف تره؟ فذهب فنظر إليه ثم رجع فقال: رأيت عينيه داخلتين فى رأسه ، فقال الأشعث: عينى دميغ ورب الكعبه). انتهى. (ومثله فى طبقات ابن سعد: ٣/١٤٤ ،

وقال ابن الأثير فى النهاية: ٢/١٣٣: (ومنه حديث على: رأيت عينيه عيني دميغ. يقال رجل دميغ ومدموغ إذا خرج دماغه). (ومثله فى لسان العرب: ٨/٤٢٤ ، وغيره).

ولم يتهنأ الأشعث بقتل أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد هلك بعده بأيام سيره (تهذيب التهذيب: ١/٣١٣ وتاريخ دمشق: ٩/١٤٤) تاركاً فرخيه جعده ومحمد بن الأشعث ، ليواسلا تأمر أبيهما على العتره النبويه ، ويشتركا فى قتل الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)!

كان معاوية يتصور أنه سياسى عبقرى ، يعرف كيف تؤكل الكتف !

١ - فقد استطاع أن يثبت أقدامه على حكم بلاد الشام فى زمن عمر وعثمان ، واستطاع أن يتجنب موجه النقمه على عثمان من الصحابه وأهل مصر والعراق والحجاز ، وفى نفس الوقت أن يكون وارث عثمان والمطالب بدمه ! ثم استطاع أن يتجنب حرب الجمل ومقتل طلحه والزبير وهزيمة عائشه ، ويستثمر ذلك لمصلحته ، فيجمع اليه كل قبائل قريش الطلقاء !

٢ - واستطاع أن يتهم علياً (عليه السلام) بدم عثمان أو بحمايه قاتليه ، فقد رفع قميص عثمان الملوخ بدمه علماً وشعاراً ، ودار به فى بلاد الشام ، وعقد له مجالس النوح والبكاء ، وأقنع أغلب أهل الشام بذلك أو جعلهم يشكون فى مسؤوليه على (عليه السلام)!

٣ - وفى السنه الثانيه لمقتل عثمان استطاع معاويه أن يُعِدَّ جيشاً من تسعين ألفاً ، من أهل الشام وأهل اليمن الشاميين ، وطلقاء قريش وأتباعهم ، ويشن بهم حرباً على علي (عليه السلام) فى صفين !

٤ - ثم عندما شارف على الهزيمة وتهياً للفرار فى صفين ، استطاع بمساعدة عمرو بن العاص الداھيه ، ونفوذ الأشعث بن قيس على جيش علي (عليه السلام) ، أن يوقف الحرب برفع المصاحف ، ويفرض الحكمين اللذين يرتضيهما ، ويعود الى الشام ومعه مهله سنه وخمسه أشهر ، حتى يجتمع الحكمان !

٥ - ثم استطاع أن يجعل الحكم الذى يمثل طرف علي (عليه السلام) وهو أبو موسى الأشعري مَضْحَكَةً للناس ! فقد أقنعه ابن العاص أن يخطب فى نهايه المحكمه

ويخلع علياً (عليه السّلام) من الخلافه لعدم صلاحيته لها كما يخلع خاتمه من يده ! وجاء بعده الحكم الذي يمثل طرف معاويه ، وهو ابن العاص ليثبت معاويه فى الخلافه كما يثبت خاتمه فى يده !

٦ - كما كان معاويه يرى نفسه أنه حقق نجاحات باهره على على (عليه السّلام) فقد أوقع الخلاف بين أصحابه ، فانشق منهم الخوارج ، ثم أعدّ لابن العاص جيشاً فغزا مصر وانتصر على حاكمها محمد بن أبى بكر وقتله (رحمه الله) ، وبذلك وفى بوعد لابن العاص ، وصارت مصر وكل المناطق المفتوحه من إقريقيا تبعاً لها ، تحت حكمه ، طعمه له كل حياته لا يأخذ معاويه شيئاً من خراجها !

٧ - ثم بدأ سياسه الغارات على الحجاز والعراق واليمن ، فأوجد الرعب فى نفوس المسلمين الذين تحت حكم على (عليه السّلام) ، ونشط عملاؤه فى تخذيل المسلمين وعصيان دعوه على (عليه السّلام) واستنفاره إياهم للحرب .

٨ - كان معاويه يرى أن نجمه فى صعود ، ودولته تزداد قوه ، فقد بايعه أهل الشام بالخلافه ، وهم مطيعون له ، جاهزون لتنفيذ أوامره مهما كانت !

بينما نجم على (عليه السّلام) فى أفول ، فقد خسر النصر المحقق فى صفين ، ثم خسر حكم لجنه التحكيم ، ثم خسر مصر ووزيره الأشر ومعاونه محمد بن أبى بكر !

والأهم من ذلك أنه خسر طاعه أصحابه الذين هم ثقل الجيوش الإسلاميه فى الكوفه والبصره ، فالخوارج صار لهم ثأر عنده ، وهم فاتكون يطلبون رأسه ، وبقية الناس أكثرهم انحسروا عنه خوفاً من جيش الشام ، أو شكاً فى على بفعل دعايات معاويه وجماعته من رؤساء أصحاب على (عليه السّلام) وفى طليعتهم الأشعث بن قيس رئيس قبائل كنده ، وصاحب النفوذ المتزايد على قبائل اليمن !

٩ - اهتم معاويه بالنشاط السياسى السرى ضد على (عليه السّلام) حتى كان يقول: (حاربت

علياً بعد صفين بغير جيش ولاعناء)!(أنساب الأشراف ص ٣٨٣) وكانت مراسلاته وأمواله تصل الى عملائه المنافقين في الكوفة وغيرها ، خاصة رئيسهم الأشعث ، لأغراض تحريك الخوارج على علي(عليه السلام)، وتقويه المعترضين عليه علناً في المسجد ، والذين يثون الدعايه ضده في الناس !

وكانت أهم دعايه معاويه ضده أنه شريك في دم عثمان ، وأنه عدو لأبي بكر وعمر ، وأنه يكذب على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)! ويخبر عن المستقبل كأنه يعلم الغيب !

وهذا التصور لمعاويه عن نفسه ونجاحه السياسى ، يشاركه فيه الكتّاب الغربيون والأمويون ، ومن تأثر بهم من المسلمين .

وهو تصور صحيح بناء على الرؤيه الماديه التى تسقط من حسابها الآخره ، وتسقط كل القيم الإسلاميه والإنسانيه !

أما أهل النظره الأعمق الذين ينظرون الى الأمور بميزان الدين والعقل ، والقيم الإنسانيه ، فيرون أن معاويه هو الخاسر ، وعلياً(عليه السلام)هو الرابع .

فمعاويه بميزان الدين والإنسانيه: شخص وصولى (ميكافيلى) طالب حكم ، وإمام فئه شهد فى حقها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بأنها فئه باغيه داعيه الى النار ، فهو باغ خارج على إمام عصره ، سفاكٌ لدماء ألوف مؤلفه من خيار الصحابه والتابعين ، منتهكٌ لحرمت الإسلام ، آكلٌ للمال الحرام !

ولئن استطاع أن يتغلب بالقتل والغدر والمكر ويحكم المسلمين عشرين سنه ، فقد ذهب الى ربه يحمل أوزاراً كافيه لتخليده فى عذاب جهنم ، وبقيت أعماله وأساليبه مضرب مَثَل فى مخالفه قيم الدين والإنسانيه ، من أجل هدف دنيوى!

فكل من قرأ معاويه يوافق على شهاده هؤلاء النسوه البدويات اللواتى صحن

فى وجه بُسر بن أرطاه لمنعه من قتل طفلين هاشميين: (وخرجت نسوه من بنى كنانه فقلن: يا بُسر ما هذا! الرجال يقتلون فما بال الولدان! والله ما كانت الجاهليه تقتلهم ، والله إن سلطاناً لا يشتد إلا بقتل الصبيان ورفع الرحمه ، لسلطانُ سوء! فقال بُسر: والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف)! (تاريخ اليعقوبى: ٢/١٩٧).

أما على (عليه السلام) فكان يفكر بشكل أرقى ويعمل لهدف أسمى:

١ - كان يرى أن الله تعالى سمح أن تجرى

فى هذه الأمة بعد نبياها (صلى الله عليه و آله وسلم) سنن التاريخ فى الأمم السابقه، وأن تتأمر قريش على أوصياء النبى الشرعيين من عترته (صلى الله عليه و آله وسلم) ، وتغصب خلافه النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) منهم وتعزلهم وتضطهدهم! (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مِمَّا افْتْتَلَى الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مِمَّا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ، وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ). (البقره: ٢٥٣)

وقد أخبره النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) بذلك وفصل له أحداثه ، وأمره أن يستنهض الأمة ويذكرها ببيعه الغدير ، وبوصيه النبى المؤكده بالقرآن والعتره ، وأن يستنهض الأنصار خاصه ويذكرهم ببيعتهم للنبى (صلى الله عليه و آله وسلم) على أن لا ينازعوا الأمر أهله ، وأن يحموه وأهل بيته مما يحمون منه أنفسهم وأهلبيهم! فإن لم يجد أنصاراً ، فعليه أن يحفظ نفسه وأهل بيته من القتل ويصبر ، فإنه ستأتيه فرصه فتوليه الأمة أمرها وسيقاتل المنحرفين على تأويل القرآن ، كما قاتلهم النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) على التنزيل!

٢ - كان على (عليه السلام) يرى أن ماحقته السلطه القرشيه بعد النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) من فتوحات ونشر للإسلام ، فهو بسبب ضغطه عليها وتدبيره ، وجهاد الفرسان القاده من شيعته والجنود المخلصين من الأمة ، وقد تقدم كلامه فى ذلك .

٣ - وكان يرى أن الأمة فى زمن عثمان تحصد ما زرعه أبو بكر وعمر

وسهيل بن عمرو ، فقد كانت نتيجة سقيقتهم أن نقلوا قياده أمه النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) ودولته من عترته الى بنى أميه ، الذين قادوا الحروب ضده

حتى عجزوا !

وكان (عليه السلام) يرى أن عثمان أمويُّ الى العظم قبل أن يكون صحابياً وخليفه للنبي (صلى الله عليه و آله وسلم) ، وليس عنده فهمٌ بنى عبد شمس ولادهاؤهم ، فهو ينقاد لمروان الى حتفه كما ينقاد الجمل من خزامته ! ومروان شيطان ملعون على لسان رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) !

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف عثمان وخلافته: (إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حُضنيه ، بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنوأييه يخضمون مال الله خضمه الإبل نبتة الربيع ! إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته) ! (نهج البلاغه: ١/٣١) .

٤ - كان (عليه السلام) يرى في نغمه الصحابه والأمه على عثمان ، ومحاصرته وقتله ، ومجيئهم اليه مطالبين أن يقبل بيعتهم بالخلافه ، أنها الفرج الذي وعده به النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) ، وأنه جاء الوقت لكي يقدم الى الأمه مشروع التصحيح وإدانه الإنحراف الأموي والقرشي ، وإعادة العهد النبوي ، وتركيز خط أهل البيت (عليهم السلام) . فكان يقول: (أخبرني رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) بما الأمه صانعه بي بعده ، فلم أكُ بما صنعوا حين عايته بأعلم مني ولا أشد يقيناً مني به قبل ذلك ، بل أنا بقول رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) أشدُّ يقيناً مني بما عاينت وشهدت) ! (كتاب سليم بن قيس ص ٢١٣) .

والسبب في ذلك أن الكشف عن الواقع بما فيه المستقبل الذي يخبر به النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) إنما هو وحى من رب العالمين عز وجل ، فلا يرد فيه أدنى احتمال خلاف ، فهو أعلى درجة وأرقى في الكشف عن الواقع عن طريق المعاينه ، مهما كان مستجمعاً لشروط

الجزم واليقين !

٥ - يرى عليُّ (عليه السلام) وهو التلميذ الأول للنبي (صلى الله عليه و آله وسلم) والإسلام أن (ميكافيليه) معاويه والمكر والدهاء والعنف ، مهما كانت وسائل نافعه ومفضله عند أصحاب

ص: ٤٨٠

المشاريع الدنيويه ، ومهما حققت من أهداف قريبه ، فهي لاتصلح وسائل عمل لمن يتقى الله تعالى ويريد الفوز برضوانه ، ولا لمن يريد إرساء مبادئ رساله إلهيه فى الأمه والعالم ، ويعلم أجيالها على تطبيقاتها النظيفه .

وبما أن قضيته(عليه السّلام)هى الغلبه الرساليه على خصومه وليست الدنيويه ، وغلبه العقائد والقيم الإسلاميه على مفاهيمهم الماديه الجاهليه ، فلا يصح أن يستعمل معهم وسائلهم التى يحاربها ، ويدعو الأمه للإبتعاد عنها !

كان يرى(عليه السّلام)أنه وإن غلبه خصومه آنياً وانتصرت وصوليتهم القرشيه على الإنسانيه والنزاهه الإسلاميه الهاشميه ، فهو فى الحقيقه المنتصر ، لأنه بسلوكه وسياسته يُنمّ الحجه على الأمه ، ليحيى من حىّ عن بينه ، ويعرف العالم وأجياله رساله الإسلام وقيمته ، حتى يأتى أمر الله تعالى ! قال(عليه السّلام)فى خطبه له: (إن الوفاء توأم الصدق ، ولا أعلم جنه أوقى منه ، ولا يغدر من علم كيف المرجع . ولقد أصبحنا فى زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً ، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيله ! ما لهم قاتلهم الله ! قد يرى الحَوْلُ القَلْبُ وجه الحيله ودونه مانع من أمر الله ونهيه ، فيدعها رأى عين بعد القدره عليها وينتهاز فرصتها من لاحريجه له فى الدين). (نهج البلاغه: ١/٩٢) .

وقال(عليه السّلام): (والله مامعاويه بأدهى منى ولكنه يغدر ويفجر ! ولولا كراهيه الغدر لكنت من أدهى الناس ، ولكن كل غدره فجره ، وكل فجره كفره ، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامه ! والله ما أستغفل بالمكيدته ، ولا- أستغمز بالشديدته). (نهج البلاغه: ١/١٨٠) .

وزياده على هذا ، فإن علياً وأهل بيت النبى(صلى الله عليه و آله وسلّم) يرون أن الذى يستعمل أساليب غير مشروعته ، لا عقل له ، مهما كان داهيه فى الوصول الى هدفه ! فقد سأل رجلُ الإمام الصادق(عليه السّلام): ما العقل؟ قال: ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان . قال قلت: فالذى كان فى معاويه ؟ فقال: تلك النكراء ، تلك الشيطنه !

وهى شبيهه بالعقل ، وليست بالعقل). انتهى . (الكافي: ١/١١) !

والسبب فى ذلك أن الدهاء والمكر الذى تكون نتيجته حكم الناس عشرين سنه ، أو ألف سنه ، ثم الخلود فى عذاب الجحيم ، والسمعه السيئه عند خيار الناس.. ليس من العقل فى شئ !

٦ - كان باستطاعه على (عليه السّلام) أن يجبر الناس على بيعته كما فعل أبو بكر وعمر لنفسيهما ولعثمان ! ولكنه لم يفعل لأن الواجب عنده إعادته الإراده الحره للإنسان المسلم التى صادرتها قريش بمجرد أن أغمض النّبى (صلى الله عليه وآله وسلّم) عينيه ! فلا إجبار عنده على بيعه ، ولا حطب عنده ولا حرق بيوت ، مهما كانت الخساره عليه !

وكان باستطاعته أن يمنع طلحه والزبير من مغادره المدينه للتآمر مع عائشه ، فقد كان على علم بذلك وأخبرهم به ! ولكنه لا يفعل ، بل يعطى الحره لمن خالف النظام أن يفعل ما يريد ، ولا يحرمه من شئ من حقوقه المدينه حتى يرفع السيف على النظام أو المجتمع ! وهكذا كانت سياسته مع كل الخوارج عليه !

٧ - القضيّه عند على (عليه السّلام) ليست أن يحكم ويكون خليفه ، بل أن ينفذ أمر ربه وأمر نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، والفرق عميقٌ وشاسع بين من يطلب الملك لنفسه ، ومن يطلبه لرساله ربه ! إنهما يبدوان فى المظهر سواء ، لكن أين الثريا من الثرى؟!

فلو كان على يطلب الحكم لنفسه لقبل الخلافه عندما قدمت اليه على طبق من ذهب ، طعاماً شهياً يسيل له لعاب طلاب الحكم ، فرآها مبيته ونفّر منها !

كان ذلك فى الشورى التى رتبها عمر ، وجعل لعبد الرحمن بن عوف صهر عثمان حق النقض فيها ، فعرض ابن عوف على على أن يبايعه على كتاب الله وسنه رسوله وسنه أبى بكر وعمر ! فبادر على بالرفض ولم يحتج الى تفكير ليجيب بالنفى ! لأنه يرى أن قبوله بذلك إقراراً بأن سنه شيخى قريش جزءٌ من

الإسلام ، وإن أَلْفَ ضربه بسيف أهون على عليّ (عليه السّلام) من أن يأتي ربه يوم القيامة فيسأله: لماذا جعلت سنه هذين جزءاً من ديني؟!

روى أحمد في مسنده: ١/٧٥: (عن عاصم عن أبي وائل قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف كيف بايعتم عثمان وتركنتم علياً؟ قال: ما ذنبي! قد بدأت بعليّ فقلت أبايعك على

كتاب الله وسنه رسوله وسيره أبي بكر وعمر ، قال فقال: فيما استطعت ، قال: ثم عرضتها على عثمان ، فقبلها).

وفى شرح النهج: ١/١٨٨: (فبدأ بعلي وقال له: أبايعك على كتاب الله وسنه رسول الله وسيره الشيخين أبي بكر وعمر . فقال: بل على كتاب الله وسنه رسوله واجتهاد رأيي . فعدل عنه إلى عثمان فعرض ذلك عليه فقال: نعم ، فعاد إلى علي فأعاد قوله ، فعل ذلك عبد الرحمن ثلاثاً ، فلما رأى أن علياً غير راجع عما قاله وأن عثمان ينعم له بالإجابة ، صفق على يد عثمان وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فيقال: إن علياً قال له: والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه ، دقّ الله بينكما عطر مَنشَم . قيل: ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرحمن ، فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن) !!

وفى الطبرى: ٤/٥٦: (فجاءه ربيعه.... فقال له: بايع علي كتاب الله وسنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال ربيعه: على سنه أبي بكر وعمر! قال له عليّ: ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملاً بغير كتاب الله وسنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لم يكونا على شئ من الحق) !

فعليّ إنما يريد الخلافه ليصحح المسار القرشى القبلى الذى وضعوا فيه الإسلام والأمة! وهو الذى يقول: (إنى سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يقول: كيف أنتم إذا لبستم فتنه يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير ، يجرى الناس عليها ويتخذونها سنه ، فإذا غُيّرَ منها شئ قيل قد غيرت السنه ، وقد أتى الناس منكراً! ثم تشتد البليه وتسبى الذريه وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب وكما تدق الرحا بثقالها ، ويتفقهون لغير الله

ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة !

ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته ، فقال: قد عملت الولاية قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متعمدين لخلافه ، ناقضين لعهدده ، مغيرين لسنته ، ولو حملتُ الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي ! أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم (عليه السلام) فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ورددت فدك إلى ورثه فاطمه (عليها السلام).... إلى أن قال (عليه السلام): والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعه ، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام عيّرت سنة عمر ! ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً ! ولقد خفت أن يثوروا في ناحيه جانب عسكري! ما لقيتُ من هذه الأمة من الفرقة وطاعه أئمه الضلاله والدعاه إلى النار). (الكافي: ٨/٥٩).

٨ - وكان باستطاعه علي (عليه السلام) أن يستعمل أسلوب معاويه وعثمان ، وأبي بكر وعمر ، في إجبار الناس وتخويفهم ، والتميز بينهم في العطاء ، واستماله رؤساء القبائل بالمال ، وترويضهم بالإذلال ، وبذلك يُحكم قبضته على العالم الإسلامي الذي كان بيده ما عدا الشام ، ويعطى معاويه مطلبه فيجعله حاكم الشام من قبله مدى حياته ، ثم يدبر قتله بعد شهر !

ولعلّي من شخصيته وشجاعته وعلمه وتاريخه ، كل المقومات التي تجعل إسمه مرعباً للناس كحاكم ، كما كان صوته مرعباً للأبطال !

ولو فعل عليّ ذلك ، لخضعت له العرب والعجم ، وكان أمبراطوراً دونه أئبّه كسرى وقيصر ! ولرأيت كل المنافقين المعترضين عليه ، والمعارضين الطامعين في الحكم إمعاتٍ متزلفين له ، آخذين بالركاب ، أو مقتولين تحت التراب !

فما أسهل لعلی (علیه السّلام) أن (یصلح) شعبه بالقوه والإضطهاد والقتل، كما فعل غیره ! لكنه لا یتحل ذلك ، ولا هو قضیته ،
ولا من هدفه !

لیس هدف علی من الأئمه مجرد الطاعه ، بل القناعه بالطاعه ! فطاعه الخوف طاعه أبدان وأبشار ، وغرض علی فی العقول
والأفكار !

نعم ، كان باستطاعه علی (علیه السّلام) أن یؤسس ملكاً عریضاً لبنی هاشم ، ویورث الحسن والحسین امیراطوریه أعظم مما ورث
الأكاسره والقیاصره لأبنائهم ! لكنها امیراطوریه کغیرها تقوم علی الدماء والأشلاء ، وظلم العباد والبلاد ، والغاره علی أموال
الفقراء ، دونها غاره الذئاب الكاسره علی المعزی الكسیره !

ونتیجتها فی الدنیا أن یتعمل الظلم فی نفوس الشعوب بعد حین ، فیستغله ثوار محترفون ، ویحدثون موجّه کاسحه علی بنی هاشم
، كما حدثت علی بنی أمیه الذین أخذهم طوفان ظلمهم بعد ثمانین سنه ، حتی قال شاعر الثوار لقائدهم:

لا یغرّنک ما ترى من رجال

إن تحت الضلوع داء دویاً

فضع السیف وارفع السوط حتی

لا ترى فوق ظهرها أمویا

ودخل علیه آخر: (وقد أجلس ثمانین من بنی أمیه علی سمط الطعام ، فأنشده:

أصبح الملكُ ثابت الآسِ

بالبھالیل من بنی العباسِ

طلبوا وتر هاشم وشفوھا

بعد میل من الزمان ویاس

لا تقیلنَّ عبد شمس عثاراً

واقطعن كل رقله وأواسی

دُلّها أظهر التوددَ منها

وبها منكم كحزّ المواسی

ولقد غاظنى وغاز سوائى

قربها من نمارق وكراسى

أنزلوها بحيث أنزلها الله

بدار الهوان والإتعاس

واذكروا مصرع الحسين وزيد

وقتيلاً بجانب المهراس

والقتيل الذى بحران أضحى

ثاويًا بين غربه وتناسى

ص: ٤٨٥

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد ، وبسطت البسط عليهم وجلس عليها ، ودعا بالطعام ، وإنه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً! (شرح النهج: ٧/١٢٨ - ١٢٧) .

فلو استعمل عليّ هذا الأسلوب ، لكانت النتيجة القريبه أمبراطوريه بنى هاشم ! لكن لم يكن أثرٌ ولا خبرٌ عن مبادئ دين إلهي ، ولا قيم إنسانيه ولا عربيه !

ثم لا تسأل كيف سيلاقي علي (عليه السلام) ربه ونيبه وحيبيه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) !!

فهل هذا هدف علي (عليه السلام)؟ كلا ثم كلا ، وحاشا لأصفي معدن إنساني من سلاله إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، ووصي أكرم الخلق وسيد المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم) ! وحامل لواء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لواء رئاسه المحشر يوم القيامة ، وقسيم الجنه والنار بأمره !

قال (عليه السلام): (والله قد دعوتكم عوداً وبدءً وسراً وجهاراً ، فى الليل والنهار والغدو والآصال ، فما يزيدكم دعائى إلا فراراً وإدباراً ، أما تنفعكم العظه والدعاء إلى الهدى والحكمه ! وإنى لعالم بما يصلحكم ويقوم أودكم ، ولكنى والله لا أصلحكم بإفساد نفسى ! ولكن أمهلونى قليلاً ، فكأنكم والله قد جاءكم من يحزنكم ويعذبكم ، فيعذبه الله كما يعذبكم ! إن من ذل المسلمين وهلاك الدين أن ابن أبى سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجاب ، وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون وتدافعون ، ما هذا بفعل المتقين) . (الغارات للثقفى: ٢/٦٢٤ ، وتاريخ يعقوبى: ٢/١٩٧) .

٩ - أخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) بأن التناسب بين حاله الأمة ومن يتولى عليها قانوناً وسنه إلهيه ! فالهبوط الذى تشهده الأمم بعد أنبيائها (عليهم السلام) يعنى أن كميه الخير ومعدله الكلى فيها ليس مرتفعاً لتستحق به أن يحكمها وصى نبيها ، فيجب أن يغلب على قيادتها من هو بمستواها أو دونه !

فقياده النبوه فرضٌ على الأمة ، أما قياده الإمامه فهى فرضٌ واستحقاق ! (تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين . تلك الرسل فضلنا بعضهم على

بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ
مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعِيدٍ مِمَّا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ، وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا
يُرِيدُ . (البقره: ٢٥٢ - ٢٥٣) .

وقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يتعجب من هذا الهبوط الذى كشف عنه موت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بميزان
عادى ، فضلاً عن ميزان النص النبوى وبيعه الغدير ، يقول: (ألا- إن العجب كل العجب من جهال هذه الأمة وضلالها وقادتها
وساقتها إلى النار ، لأنهم قد سمعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول عوداً وبدءاً: ما ولت أمة رجلاً قط أمرها وفيهم
أعلم منه إلا- لم يزل أمرهم يذهب سفلأً حتى يرجعوا إلى ما تركوا! فولوا أمرهم قبلى ثلاثة رهط ما منهم رجل جمع القرآن ،
ولا يدعى أن له علماً بكتاب الله ولا سنه نبيه! وقد علموا يقيناً أنى أعلمهم بكتاب الله وسنه نبيه وأفقههم وأقرؤهم لكتاب الله ،
وأقضاهم بحكم الله . وأنه ليس رجل من الثلاثة له سابقه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا غنأء معه فى جميع
مشاهده ، فلا رمى بسهم ولا طعن برمح ولا ضرب بسيف ، جنباً ولؤماً ورغبة فى البقاء) . (كتاب سليم ص ٢٤٧) .

وكان (عليه السلام) يعتبر أن دفعه الإيمان التى شهدتها الأمة فى انتفاضها على عثمان وبيعتة (عليه السلام) ، كانت استثناءً من ذلك
بتدبير إلهى ، ليدخل فى تاريخها وثقافتها مشروع عتره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقاتلهم على التأويل ، تكميلاً
لقتاله (صلى الله عليه وآله وسلم) على التنزيل !

١٠ - هذه الأمور تعنى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) حقق فى مده حكمه القصيره رغم الحروب الثلاث التى شنت عليه ، إنجازاً
غير عادى !

فقد قدم للأمة المشروع الذى أوكله اليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فى تصحيح الإنحراف وقاتل الناكته والقاسطه والمارقه
. وأعاد بذلك الحيويه والزخم الدينى للإسلام ، فثبت فى الأمة كدين من عند الله ، ودخل عمله فى تاريخها وثقافتها ، فصار

حكم على وعدل على (عليه السلام) ميزاناً بيد عامه الناس ، وشعاراً للطامحين للإصلاح والثائرين على الفساد ! ولم يكن غيره
ليستطيع أن يحقق ذلك !

لقد كشف على (عليه السلام) للأمم بعمله خطوره الفتنة الأمويه على الإسلام، وفقاً عينها! وعرف أجيال الأمم مدى الظلامه التي
أوقعتها السقيفه بالإسلام والأمة !

قال (عليه السلام): (أما بعد أيها الناس ، فأنا فقأت عين الفتنة ، ولم يكن ليجتري عليها أحد غيري ، ولو لم أكن فيكم ما قوتل
الناكثون ، ولا القاسطون ، ولا المارقون ! ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني ، فإنني عن قليل مقتول ، فما يحبس أشقاها أن يخضبها
بدم أعلاها ، فوالذي فلق البحر وبراأ النسمة لا تسألوني عن شئ فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فتنة تضل مائه أو تهدى مائه ، إلا
أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ، إلى يوم القيامة). (نهج البلاغه: ١/١٨٢، وتاريخ اليعقوبي: ٢/١٩٣).

فصلوات الله على رسول الله ، وعلى وصيه وكبير تلاميذه

وأول عترته على أمير المؤمنين .

ص: ٤٨٨

تمهيد فى القوانين والسنة الإلهيه فى الهدايه والضلال ١٣

١ - قانون: اقتران كل نبوه بأئمه مضلين!.....١٤

٢ - قانون الضلال.....١٦

٣ - قانون الإضلال.....٢٠

٤ - قانون الإحباط.....٢١

٥ - قانون الفتنة الفرديه والإجتماعيه.....٢٢

٦ - قانون الإبتلاء والإختبار.....٢٤

٧ - سنة الله فى اقتتال الأمم بعد رسلها(عليهم السلام).....٢٦

٨ - آيه انقلاب الأمة على أعقابها بعد رسولها(صلى الله عليه وآله وسلم)!.....٢٨

ثلاث مسائل فى تفسير آيه الانقلاب.....٣٤

المسألة الأولى: فى أقسام المسلمين فى الآيات وأهم صفاتهم.....٣٤

المسألة الثانية: حالة الصحابه المنقلبين فى معركة الخندق وحجه الوداع.....٤٠

المسألة الثالثة: هل أن آيه الانقلاب تحذير أم إخبار بوقوعه؟.....٤٢

٩ - فتنة هذه الأمة بالأئمه المضلين ، على سنة من قبلها !.....٤٥

١٠ - فتنة هذه الأمة بالشجرة الملعونه فى القرآن..٥٣

١١ - ما اختلفت أمه بعد نبيها إلا غلب أهل باطلها !. ٥٨

الفصل الأول: الموجه الأولى من اضطهاد عتره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشيعتهم!

فهرس لموجات الظلم والإضطهاد على أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم! ٦٣

تاريخ البشريه قام على ثقافه الغاره والقتل وقانون الحق لمن غلب! ٦٨

الموجه الأولى: الهجوم القرشى على بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ٧١

الفصل الثانى : رفض قريش للعهد النبوى وترتيبها بيعه السقيفه الظلامات الهائله فى سقيفه قريش ! ٧٥

١ - أكبر الظلامات فى السقيفه مصادرتهم لولايه الله تعالى ٧٥

٢ - ظلامه الإسلام فى السقيفه ٧٩

الدوله العلمانيه القرشيه تؤسس فصل الدين عن الدوله ٨١

٣ - ظلامه الأمه فى السقيفه ٨٢

ذهول البراء بن عازب من عمليه انقلاب السقيفه ٨٧

٤ - ظلامه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) برفضهم عهده لأمتة ! ٩٠

٥ - ظلامتهم للعترة النبويه (عليهم السلام) أنصارهم ٩٣

الفصل الثالث : مأساه العتره النبويه (عليهم السلام) على يد قريش شهاده فاطمه الزهراء (عليها السلام) ١٠١

الروايه الرسميه للخلافه لحادثه الهجوم على آل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ! ١٠١

روايه أهل البيت (عليهم السلام) لحادثه الهجوم على العتره ! ١٠٤

عشره مواقف لفاطمه الزهراء (عليها السلام) يكفى الواحد منها لمن كان له قلب ! ١١٢

١ - يوم بكت وأبكت أباها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! ١١٢

٢ - يوم بكى أبوها لظلامتها..وبكت لفقده ! ١١٨

٣ - يوم واجهت المهاجمين لدارها ! ١٢١

٤ - يوم أخذوا علياً (عليه السلام) فخرجت خلفه لتمنعهم من قتله ! ١٢٣

٥ - يوم دارت مع علي (عليهما السلام) على زعماء الأنصار وأقامت عليهم الحججه..... ١٢٥

٦ - يوم أقامت مجالس النوح والبكاء على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصرت عليها ! ١٢٧

الأحكام العرفيه فى مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعند قبره ! ١٢٩

إجراء جديد لمنع مجلس فاطمه (عليها السلام)..... ١٣١

أراكه الأحران.. وبيت الأحران ! ١٣٤

مواظبه فاطمه (عليها السلام) على زياره قبر عمها حمزه (رحمه الله)..... ١٣٨

سُبحه الزهراء (عليها السلام) من ترابه حمزه (رحمه الله)..... ١٤١

٧ - يوم جاء أبو بكر وعمر لزيارتها ليعتذرا منها !

..... ١٤٣

٨ - يوم خطبت فى المسجد النبوى فهزّت حتى الجماد ! ١٤٥

تأثير خطبه الزهراء (عليها السلام) على السلطه القرشيه !

..... ١٥٤

٩ - يوم اشتد مرضها فجاءت نساء الأنصار والمهاجرين

لعيادتها..... ١٥٦

١٠ - يوم أوصت علياً أن يدفنها ليلاً سراً ولا يسمح لهما بالصلاه عليها..... ١٥٨

أين هو قبر فاطمه؟.....١٦٠

الفصل الرابع : الأحداث التي غطتها الحكومات أيام وفاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

فهرس لأحداث أيام وفاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)!.....١٦٧

ص: ٤٩٢

- أهل البيت (عليهم السّلام) ارتفعوا على جراحهم..... ١٧٦
- يصلون على آل محمد فى صلاتهم ، ويهدرون دماءهم..... ١٧٨
- الفصل الخامس : الموجه الثانيه من عداوه قريش للعترة شن الحروب ضد على (عليه السّلام)
- الصحابه يثرون على عثمان لتسليطه قبيلته بنى أميه على مقدرات المسلمين !..... ١٨٣
- صور من الظلم فى عهد عثمان ١٨٤
- صحابه يكسرون الذهب بالفؤوس ، وناس يموتون من الجوع !..... ١٨٤
- صوره من محاصره الصحابه لعثمان وقتلهم إياه !..... ١٨٨
- من نبل على (عليه السّلام) فى محاصره المسلمين لعثمان ! ١٩١
- على (عليه السّلام) يستجيب لإصرار الصحابه على بيعته ! ١٩٤
- على (عليه السّلام) يعيد العهد النبوى فى احترام حقوق الإنسان ! ١٩٦
- على (عليه السّلام) يلغى تمييز عمر بين المسلمين فى العطاء..... ١٩٩
- وكان عمر مَيِّز بين المسلمين بالعطاء تمييزاً فاحشاً ! ٢٠٢
- وعلى (عليه السّلام) هو الخليفه الوحيد الذى لم تشتك رعيته من ظلمه ٢٠٥
- الموجه الثانيه ضد العترة وشيعتهم: حروب قريش على إسلام على (عليه السّلام)..... ٢٠٦
- كانت عائشه تريد الخلافه لبنى تيم ! ٢٠٦
- أفت عائشه بقتل عثمان..ثم طالبت بثأره ! ٢٠٧
- طلحه ويعلى التميمى يمؤلان حرب الجمل ضد على (عليه السّلام)!..... ٢١٢
- طلحه والزبير..الى العمره..أو الغدره !؟ ٢١٤
- صاحبه الجمل الأدب..تنبحها كلاب الحوآب ! ٢١٥
- انتصرت عائشه جزئياً فى البصره..... ٢٢٠

فاختلف طلحه والزبير على إمامه الصلاة ! ٢٢٠

نتيجة معركة الجمل الأولى !.. ٢٢١

كتبت عائشه الى حفصه تبشرها بالنصر فاحتفلت حفصه ! ٢٢٢

مسير أمير المؤمنين (عليه السلام) الى البصره ! ٢٢٣

أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكد الحجه قبل الحرب ! ٢٢٥

الزبير ينسحب من المعركه ، ويُقتل فى الطريق ! ٢٣٠

مروان الأموى يغتال طلحه قبل بدء المعركه ! ٢٣١

عائشه قادت معركه الجمل وحدها لسبعه أيام !.. ٢٣٣

عائشه تتلقى فى اليوم السابع هزيمه مره !

٢٣٥..

فى رقبه من ..ديات قتلى حرب الجمل ؟..... ٢٣٩

من نبل على (عليه السلام) وعدالته فى حرب الجمل.... ٢٤١

أمير المؤمنين (عليه السلام) يرتب وضع البصره ويواصل فتح إيران والهند..... ٢٤٧

كيف استجابت الأمه لعلى (عليه السلام) وقاتلت معه قريشاً !..... ٢٥٠

لماذا كان الأمر يدور بين القتال أو الكفر..... ٢٥٤

عهد معهود من النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) لتقاتلنَّ بعدى على تأويل القرآن الناكثين والقاسطين والمارقين..... ٢٥٧

على (عليه السلام) يعيد العهد النبوى ويضمّد جراح العهد العثماني ٢٦١

الفصل السادس: استعدادات قريش لحرب صفين بعد حرب الجمل تجمعت قريش الطلقاء تحت قياده معاويه لحرب على (عليه

السلام)!..... ٢٦٧

قريش المشركه نزحت كلها الى ابن أ بي سفيان فى الشام ! ٢٦٩

الفصل السابع : خلاصه حرب صفين سعه حرب صفين وكثره أخبارها..... ٢٧٧

حريه الناس أصل عند أمير المؤمنين (عليه السلام) وإن أسأؤوا استغلالها!..... ٢٧٨

السماحه وبذل الماء والطعام فى بنى هاشم والصد فى بنى أميه وقريش!..... ٢٨٢

سياسه أمير المؤمنين (عليه السلام) فى إتمام الحجه على أعدائه..... ٢٨٧

أرقام من حرب صفين..... ٢٨٩

ليله الهرير ويوم الهرير..... ٢٩١

عمار وأويس.. من أعلام الهدى التى وضعها النبى (صلى الله عليه و آله وسلم) لأمته..... ٢٩٦

الراهب شمعون.. شاهدٌ من أهل الكتاب فى حرب صفين..... ٣١٠

معاويه والروم فى حرب صفين !..... ٣١٢

من نبل أمير المؤمنين (عليه السلام) وفروسيته فى صفين..... ٣١٧

من خساسة أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام) فى صفين..... ٣٢٢

نجاح الأشعث والمنافقين فى إجبار أمير المؤمنين (عليه السلام) على إيقاف الحرب!..... ٣٢٤

نص وثيقه التحكيم فى صفين..... ٣٢٩

زار على كربلاء ومعاه الحسين (عليهما السلام) فى ذهابهم الى صفين وإيابهم منها!..... ٣٣٣

محكمه لاهى القرشيه فى دومه الجندل!..... ٣٣٦

الفصل الثامن : خلاصه حرب النهروان بذره الخوارج وغرستهم وشجرتهم..... ٣٤٧

أهم صفات الخوارج وأفكارهم..... ٣٥٢

تحركات الخوارج الى معركة النهروان ! ٣٥٩

معركة النهروان ! ٣٦٧

عائشه تروى أن علياً (عليه السلام) أفضل الأمة ! ٣٧٥

الخوارج بعد النهروان..... ٣٧٧

آخر خارجه على أهل البيت (عليهم السلام) فى منطقه النهروان ! ٣٧٨

لا تقاتلوا الخوارج بعدى ! ٣٨٢

الفصل التاسع : تراجع الأمة عن مشروع إعاده العهد النبوى

تعبت الأمة من العمل مع على (عليه السلام) لإعاده العهد النبوى ! ٣٨٥

مخزون الأمة النبوى نفذ.. ولم تستجب لعلى (عليه السلام) لتجديد شحتها ! ٣٩٠

غزو الجيش الأموى لمصر وشهادته محمد بن أبى بكر (رحمه الله)..... ٣٩٣

سياسه معاويه فى الغارات على العراق والحجاز واليمن ! ٣٩٨

(١) غاره الضحاك بن قيس على السماوه والثعلبيه..... ٣٩٨

(٢) غاره النعمان بن بشير على عين التمر..... ٤٠٠

(٣) غاره ابن مسعده التى لم تصل الى المدينه ومكه..... ٤٠١

(٤) غاره بسر بن أرطاه على المدينه ومكه واليمن..... ٤٠٢

(٥) غاره سفيان بن عوف الغامدى على الأنبار..... ٤٠٥

تحريك معاويه محبى أبى بكر وعمر ضد على (عليه السلام)! ٤٠٨

الفصل العاشر : شهادته أمير المؤمنين (عليه السلام)

شاهد العصر.. يروى ظلامته قبيل شهادته ! ٤٢٩

مقادير الله تعالى لرسوله وعترته (صلى الله عليه وآله وسلم)..... ٤٤٥

ما يحبس أشقاها أن يخضب هذه من هذا؟..... ٤٤٨

يشكو لحبيبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) !..... ٤٤٩

كان يعلم أجله ، ويعرف قاتله !..... ٤٥٠

إفطار أمير المؤمنين (عليه السلام) عند ابنته أم كلثوم..... ٤٥٢

دخوله (عليه السلام) قبل الفجر الى مسجد الكوفه.... ٤٥٣

أمرهم أن يحملوه الى البيت..... ٤٥٥

استدعوا طيب الجراحات الصعبه ٤٥٦

ليله العشرين من رمضان ٤٥٨

أوصى (عليه السلام) أن يدفونه سرّاً لثلاثين قبوره بنو أميه !..... ٤٦١

رثاء الخضر لأمير المؤمنين (عليهما السلام)..... ٤٦٣

رثاء صعصعه بن صوحان لأمير المؤمنين (عليه السلام)..... ٤٦٤

من رثاء الشعراء لأمير المؤمنين (عليه السلام)..... ٤٦٦

فرح معاويه وتأسفه لمقتل أمير المؤمنين (عليه السلام)!..... ٤٦٨

فرح عائشه بمقتل أمير المؤمنين (عليه السلام) وعدم تأسفها !..... ٤٧١

شركاء الجريمة: ابن ملجم والأشعث وقطام !

..... ٤٧٣

الأشعث يتأكد من نجاح مؤامرتة !..... ٤٧٥

من الذى انتصر.. معاويه أم على (عليه السلام)?..... ٤٧٦

تمّ المجلد الأول من كتاب: جواهر التاريخ

ويليه المجلد الثاني إن شاء الله تعالى

ص: ٤٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

